

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٨ « الاثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ٥ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

من عهد إلى عهد

بهذا العدد تدخل الرسالة في سنتها الحادية والعشرين فتدخل هي ومصر في عهد باديء كله رجاء ، بعد أن خرجت هي ومصر من عهد بائد كله شكوى

كانت مصر في العام الماضي قد دب في حسها الوعي من طول ما وخزتها الأقلام وأرمضتها الآلام وقرعتها القوارع ؛ فأدركت أن فوق عرشها ملكا خليعا جعل نصفه البهيمي للزنى والميسر والدعارة ، ونصفه الآدمي للربا والنهب والتجارة ؛ وأن على حكمها عصابة من مصاصي الدماء غايتهم السلطان والغنى ، ووسيلتهم الطغيان والفساد ؛ وأن على أرضها عدوا ثقيلا جثم على صدرها جثوم المقطم لا يخف ولا يتحلحل ، يحتل مأواه بالقوة ، ويأخذ قراه بالسيف ، ويبسط ولايته على المضيف بالقهر ، ويفرض حمايته على القنال بالقحة ؛ فثار ثائر الشباب الجامعيين على الملك وبطانته فلطخوهم جهراً بالعار ؛ وهاج هائج الأحرار المطهرين على الحكام فوصموهم صراحة بالخزي ؛ وجاشت صدور الإخوان المسلمين على الإنجليز فآذنوهم فعلا بالحرب !

وكانت خيانة الأوغاد للجيش الباسل فى الحرب الفلسطينية قد فعلت فعلها فى نفوس قواده، فتقصصوا أثرها حتى وجدوا أقدامها القذرة تنسل من قصر عابدين، وتطوف سرا على أهلها فى دواوين الوزارة وأواوين الإمارة ومواخير الفسق؛ ثم تمضى مقنعة بالجاه، محروسة بالنفوذ، محاطة بالتلصص، حتى تدخل على القوات المحاربة الغالبة بالهدنة الغادرة والأسلحة الفاسدة والأوامر الخادعة؛ فغلت صدور الضباط الشباب من الحمية والحفيظة، فأخذوا ذلك الملك الماجن من قفاه الغليظ وألقوه فى البحر؛ وقبضوا على حاشيته الفاجرة وطرحوهم فى السجن، وليبوا الساسة المريبين وحجزوهم فى المعتقل، وركلوا الموظفين المجرمين ورموهم فى الشارع!

ثم فتحوا أبواب الصلاح والإصلاح على عهد جديد مشرق النور خالص الطهر صادق العزيمة، يرجون فيه ونرجو أن يقروا حياة مصر على الوضع الصحيح، وأن يقيموا سياستها على النهج الواضح، وأن يرفعوا بنيها إلى مقام الإنسان الحر المريد، فيملكوا باسمه، وينزلوا على حكمه، ويعيدوا أرض آبائه إليه، ويردوا غلة أرضه عليه، ويشعروه بأن له قولا يسمع ورأيا يطاع وحكما ينفذ.

والرسالة تدخل فى هذا العهد المبارك مع الداخلين، بعد أن مهدت له عشرين سنة مع الماهدين. تدخل وهى راضية مغتبطة، رضا من عمل فأثمر عمله، واغتباط من أمل فتحقق أمله. لقد كانت فى ذلك العهد الفاسد تقف مع الهداة على الجادة تنظر وينظرون بالأعين العبرى إلى القافلة المصرية وقد خدعها السبيل، وأضلها الدليل؛ فضلت ضلال القطيع لا راعى له، وشردت شرود الهائم لا إدراك به، فينادون ولا سميع، ويأمرون ولا مطيع، وينذرون ولا مستبصر! وكان الوقت الذى أضيع فى الشرود، والجهد الذى أنفق فى الهداية، خليقين أن يلحقا القافلة بالركب العام، ويدنيا الأمة من الغاية الجامعة

ولكن الضال لا يهتدى حتى يعلم، والجاهل لا يتعلم حتى يعى. ولولا غفلة الساسة ما كان وعى الأمة. ولولا عبث فاروق ما كان جد الجيش.

ولم يكن فسوق الخليع شرا كله؛ فإن الله الذى يخرج الحى من الميت، ويبنى الكون من الفساد، ويخلق الترياق من السم، قد جعل من سقوطه رفعة للشرق أدانيه وأقاصيه كانت سقطته عن العرش رجة فى جميع الأرض؛ فتحت الأعين، وجرأت القلوب، وزلزلت الأوضاع، فبرقت فى سورية بروق الأمل، وانقشعت فى السودان غيوم الحذر، ورعدت فى تونس ومراكش رعود الثورة

كان الأدب فى العهد البائد صورا متنافرة من القلق والملق والنفاق والتقية والجبن؛ لأن الأديب لم يجد رعاية من الملك لأنه جاهل، ولا عناية من الشعب لأنه غافل؛ فاضطر إلى أن يهاوى أصحاب الحكم ليسلم، ويصانع رجال السياسة ليغنم، ويتملق دهماء الناس ليعيش. وكان الملك على جهله بالأدب وبعده عن الدين، تنظم فى مدحه القصائد الغر، وتحرر فى فضله الفتاوى البكر، وتركب وزارة الأوقاف ونقابة الأشراف المركب الوعر لتجدا لسليل الترك والفرنسيين نسبة مباشرة إلى الرسول العربى القرشى محمد بن عبد الله! ولم يكن كل ذلك سبيل الزلفى إليه ولا التفوق لديه، وإنما كان السبيل إليهما مهارة فى الصيد، أو براعة فى القمار، أو كفاية فى كسب المال، أو لباقة فى جلب المرأة. والناس على دين ملوكهم. والأدب يكون كما يكون الناس

أما الأدب فى العهد البادئ فالرجو أن يكون مستقلا كدولته، حرا كأمته، صريحا كسياسته، نقيا كطبيعته، متسقا كمجتمعه. والمظنون أن سيكون لجهاد (الإخوان) أثر بالغ فى هذا العهد. وانتصار الإخوان انتصار للقرآن، وعودة السلطان إلى القرآن عودة لسلطان اللغة والبيان؛ فإنهما لسان الله بالوحى، ومعجزة الرسول بالتحدى، وأسلوب الرسالة فى الدعوة. وسيزدهران بازدهاره، وينتشران بانتشاره، ويخلدان بخلوده.

احمد حسن الزيات

كلمات خمس

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت

طالعتنا النهضة الجديدة بخمس كلمات، لو أنعمنا النظر فيها وعرفنا دلالتها ومغزاها، ثم رجعنا إلى تاريخ المجتمعات البشرية، وتتبعنا العوامل التي هيأت لها القوة في أطوار قوتها، والعوامل الأخرى التي أنزلت بها الضعف في أطوار ضعفها — لوجدنا هذه الكلمات تعبيراً صادقاً عن عوامل الضعف التي يجب أن تكافح، وأن تقصى عن محيط الحياة الجماعية للانسان، ولوجدناها في الوقت نفسه تعبيراً صادقاً كذلك عن العوامل التي يجب أن تتخذ أساساً لبناء المجتمع عليها. تلكم الكلمات هي:

التحرير، والتطهير، والاتحاد، والنظام، والعمل

كلمات خمس، نطقت بها طبيعة إنسانية بريئة، صيغت على الايمان بالله واستشعار عظمته، وتفرده بالملك والسلطان، فلم يمسها دنس الطغيان، ولا خبث الرجس، ولا عصبية التفرق، ولا عبث الفوضى، ولا ترف العجز والكسل. وكان منها العلاج القوى من جراثيم المرض الذى يقعد بالمجتمعات عن مواصلة السير في سبيل الحياة الجادة النافعة، وكان منها مزيج القوة التي تدفع بالمجتمعات إلى بلوغ أقصى درج الكمال الممكن للانسان في هذه الحياة

وهي بعد هذا وذاك تصور معناها ووحيها المبادئ الإلهية التي جاء بها الإسلام ليعتمد الإنسان عليها في الوصول إلى الأهداف السامية النبيلة، ويحقق بها حكمة استخلافه في الأرض. فالاسلام يدعو إلى تحرير العقل من أسر الوهم والتقليد، ويدفع بالانسان إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، ليتعرف أسرار الله في خلقه، ونواميسه في كونه، ويتخذ منها وسائل العمران والتقديم. وهو المعبر عن خصائص ما خلق الله، يقرر أن للانسان إرادة مستقلة، هي أساس مسئوليته، ومرجع محاسبته، وبها تتحقق إنسانيته، وبها يكون جزاؤه، ويعلن أن على الإنسان أن يحتفظ بتلك الإرادة احتفاظه بإنسانيته، وأن على الجماعة البشرية أن تمكنه من الاحتفاظ بها والرجوع إليها، وبذلك لا يقبل الاسلام من الإنسان وقد كرمه الله هكذا بالعقل والارادة أن يطفىء مصباح الكون على عقله، ولا أن يسلم عقله لعقل غيره، ولا أن يذيب إرادته في إرادة غيره، ولا أن يجعل نفسه ظلا لغيره: يسكن إذا سكن، ويتحرك إذا تحرك، وينحرف إذا انحرف، ويستقيم إذا استقام، ويؤمن إذا آمن، ويكفر إذا كفر، وأخيراً يحيا إذا حي، ويموت إذا مات

وفى سبيل هذا كله فتح الله للانسان كتاب كونه، وأرشده إلى أبواب ثمانية في آية واحدة من كتاب وحيه، ثم ذيلها بما يوجه أرباب العقول إلى ولوجها واستثمار ما يصلون إليه منها في قوة الإيمان، وتقدم الحياة. واقرأ في ذلك قوله تعالى: « وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض، لآيات لقوم يعقلون ». ثم اقرأ قوله تعالى في تحرير العقل وتعيه الشديد على من أهمل عقله، وحرم نفسه نعمة النظر والتفكير « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء؟ » وقوله « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون » وقوله « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال -

مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين »

ثم انظر قوله تعالى فى تحرير الإرادة واحترامها «وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » . وقوله حكاية عن موقف الأتباع من المتبوعين بعد أن أسلموا إليهم إرادتهم وحريتهم ، وعاينوا مسئوليتهم وحسابهم على ذلك « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم ضعفا من العذاب ، قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون » . « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار »

بتحرير الإسلام عقل الإنسان وإرادته هكذا ، كافح أن يستعبد الإنسان الإنسان ، فمنع أن يسترقه بالبيع والشراء ، وقصر ذلك على أن يكون جزاء لمن حارب دعوة الله ووقف فى سبيلها ، وقاتل المؤمنين بها ، لا شىء سوى أنهم آمنوا بها ، ومع ذلك فقد حبب فى فك رقابهم وكفر به كثيرا من الأخطاء الدينية ، وجعل فك الرقبة ، العقبة التى إذا ما اقتحمها الإنسان كان من أصحاب الميمنة « فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسبغة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة »

ومنع أن يسخر الإنسان الإنسان بالعمل والخدمة ، وأن يتخذه آلة فى سبيل شهوته وهواه ، وجعل قيام الناس بالقسط ، وتمكين كل ذى حق من حقه — فردا كان أم جماعة — الهدف الذى جاءت به الرسل ، ونزلت لأجله الكتب « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »

وإذا كملت للانسان حريته فى عقله وإرادته ، واستقام له أن يفكر وأن يريد ، وارتفعت عنه يد الضغط والتسخير ، وجب عليه أن يخطو الخطوة الثانية ، فيطهر نفسه من الأخلاق الرديئة التى تنزل بإنسانيته عن المستوى الذى كرمها الله به ، والتى تفسد عليه وجوه الانتفاع بحريته ؛ فلا يحقد ، ولا ينافق ، ولا يجبن ، ولا يبخل ، ولا يشى ، ولا يكذب ، ولا يخون ، ولا يرجف

وعنصر التطهير الخلقى كان من أوائل ما وضع فى مهمة الرسالة المحمدية «قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر»

وقد بنت الرسالة عليه جميع أحكامها حتى حرمت به الغش ، والاستغلال ، والتغرير فى المبادلات المالية

وإذا كملت للانسان حريته ، وطهرت نفسه كما أمر الله ، صار لبنة صالحة لبناء مجتمع فاضل ، منه ومن أمثاله الذين كملت حرياتهم وطهرت نفوسهم ، وبتساند تلك اللبنات الصالحة ، وتعانقها ، تصير الجماعة قوة واحدة ، لها شعارها ، ولها هدفها ، يؤثر الفرد فيها حاجتها عن حاجته ، وترى هى أن حاجة الفرد من حاجتها ، وذلكم هو الاتحاد المجمع للقوى ، المحقق للتعاون ، وقد طلبه الإسلام فى الجماعات كلها ، صغيرة كانت أم كبيرة : طلبه من أبناء الأسرة الواحدة « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وطلبه من أبناء الدين الواحد « إنما المؤمنون إخوة . والمؤمنات والمؤمنون بعضهم أولياء بعض » . وطلبه من أبناء الوطن الواحد « ولقد مكنا كم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ، قليلا ما تشكرون » . امتن على الجماعات الإنسانية بأن مكن كل جماعة منها فى أرضها وإقليمها ، وبأن وهبهم فيها موارد العيش والرزق والحياة ، وأوحى إليهم بالمحافظة عليها ، واستثمارها ، والانتفاع بها ، شكرا على تلك النعمة : فمن الكفر بها أن تتخاذل الجماعة عن الدفاع عنها ؛ واستخراج كنوزها

ثم طالب الاتحاد بعد ذلك من أبناء الإنسانية جميعا ، وفى سبيله ناداهم بوصف الإنسانية العام ، وأعلمهم بوحدة الأصل الذى يجمعهم فى رحم عامة واحدة « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »

هكذا طلب الإسلام « الاتحاد » وجعل لكل جماعة من هذه الجماعات حقوقا خاصة تساهم فيها أفرادها ، وتتعاون عليها ، دون أن تطغى حقوق على حقوق ، وهذا هو دين الله ونظامه الذى أمر الناس أن يتمسكوا به ، ويستظلوا بظله ، وحذرهم أن يتفرقوا فيه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء » « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

وبهذا قضى الإسلام فيما بين الناس على نوازع العصبية : الجنسية ، والإقليمية ، والحزبية ، والأسرية . وجعل من بنى الإنسان وحدة عامة شاملة ، تعمل لغاية واحدة ، هى : عمارة الكون على نحو يملؤه بالأمن والاستقرار ، ويكون مظهرا لرحمة الله بعباده

وإذا اتحدت القلوب هكذا ، وتبادلت الشعور بالحاجة ، لزم لاستثمار هذا الاتحاد فى الوصول إلى الأهداف ، تنظيم القوى ، وسبيله توجيه كل قوة إلى العمل فيما تحسن وتجيد ؛ فقوى العلم للعلم ، وقوى التجارة للتجارة ، وقوى الزراعة للزراعة ، وقوى الصناعة للصناعة ، وبذلك تسند الشؤون إلى أربابها ، ولا يطغى ذو شأن على ذى شأن ، فتضطرب القوى وتصطدم الرغبات ، وتصاب الجماعة بالكساد وشلل الإنتاج . وذلكم هو « النظام » الذى بنى الله عليه كونه ، وجعل لكل عنصر من عناصره فى أرضه وسمائه عمله الخاص ، وإنتاجه الخاص ، ثم لفت إليه نظر الإنسان ليتخذ منه المثال الذى يحتذيه فى حياته .

وانظر نظام الله فى كونه :

للشمس الضياء ، وللقمر النور ، وللسحاب المطر ، ثم للوحى ملك ، وللموت ملك ، وللجبال ملك ، وللنفخ فى الصور ملك ، وللأرض الزرع والسكن ، وللماء فى الأنهار والبحار الرى والسقى ، وللإنسان فى الأرض السعى والعمل ، وللجماد والحيوان التسخير . « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون »

« سبح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى » . وما التقدير وما القدر فى هذا وأمثاله إلا نظام الله الذى سوى عليه العالم وجعله يسير بمقتضاه

هذا نظام الله فى كونه . أما نظامه فى شرعه ، فتراه فى كل شئ شرعه ، حتى فى العبادة وصور التقرب إليه . فللصلاة فى وقتها وأدائها نظام . وللصوم فى وقته وأحكامه نظام ، وللحج فى وقته ومناسكه نظام . وللزكاة فى مقدارها وأنواعها نظام

وإذا كمل للأفراد التحرر والتطهر ، وكمل للجماعة الاتحاد والنظام ، وجب على الجميع خوض غمار العمل ، فلا يقعد إنسان والكون من حوله يتحرك ، ولا يتمتع إنسان وغيره يكد ويعمل ، فبالعمل تضع الأمة على مفرقها تاج العزة والسيادة ، وتصير فى أمن من الذل والاستعباد

والإسلام لا يعرف سبيلا للعزة والسيادة بعد التحرر والتطهير ، والاتحاد والنظام ، سوى العمل . وقد طالب به كل قادر عليه وجعله أحد عنصرين بهما الحياة ، وبهما كمال السعادة ، وهما وصية الله لعباده ، وهما سبيل السلامة من الخسران ، وسبيل الخير والفلاح ، هما : الإيمان والعمل ، والإيمان هو القوة التى تجعل من نفس الإنسان وقلبه الحفيظ على هذه المبادئ ، فى سره ونجواه ، وهو القوة التى

صوت من نجيب

فهل من مجيب

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي

شيخ علماء الجزائر

حضرت قبل أسابيع حفلة تكريم للقائد الشعبي العظيم محمد نجيب ، أقامتها جمعية من الجمعيات العاملة للإسلام ، وسمعت خطباً عادية في المعنى الذي أقيمت له الحفلة ، وسمعت قطعة من الشعر ، أشهد أنه شعر حي صادق في تصوراته وتصويراته ، وأنه مس مكامن الإحساس مني حينما مس فلسطين ، وكأنما غمز من قلبي جرحاً مندملا على عظم . ثم سمعت في الأخير كلمة القائد البطل ، وكان أقلها عن مصر وحركة الجيش وأسبابها وأهدافها ، وأكثرها عن فلسطين وحربها وحالة أهلها الشردين .

وأقول : القائد ، ولا أقول : الرئيس ؛ لأنني كنت أسمع كلام قائد لا كلام رئيس ، وكنت أسمع كلامه فأفهمه بمعنيين :

ترهب بها عين الرقيب الذي لا يسهد ولا ينام « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم »

أما بعد

فهذه هي مبادئ النهضة لمن يريد أن يفهم النهضة ؛ وهي مبادئ الإسلام لمن يريد أن يدين بالإسلام ، فابنوا حياتكم عليها ، واتخذوا « الإيمان بالله وشرعه » جنتها ، يحفظها الله لكم ويرعاها ، ويمكن لكم في الأرض ، ويجعلكم أئمة ويجعلكم الوارثين « والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

محمود شلتوت

معنى هو الذي تفيده الألفاظ والتراكيب ، وينتقل بالسامع من خبر إلى خبر ومن وصف إلى وصف ، ومعنى آخر مساوق له ممتد معه ، وهو أن هذا الكلام نفسه قائد ... فيه من القيادة أمرها ونهيها وحزمها وصدقها وواقعها وتوجيهها ومضاؤها وجرأتها وجميع خصائصها ، فأفهم من ذلك كله أن القيادة هي صفته الذاتية ، خلقت معه مستسرة في روحه ودمه ، ولونتها فطرته السليمة ، وكونتها تربيته الشعبية ، كما أن الإقدام هو صفة الأسد الذاتية التي خلقت معه؛ فلما أدت قيادته العسكرية رسالتها وبلغت مداها انقلبت قيادة شعبية سماها العرف رياسة، وما هي – في الحقيقة – إلا امتداد لقيادته العسكرية ، والقائد القوي الخصائص ، في الأمة الكثيرة النقائص ، لا يزال يخرج من حرب إلى حرب ، ويدخل من قتام في قتام

سمعت كلمات القائد متئدة رزينة ، فلما لمست فلسطين ظهرت شجية حزينة ، فنطق بالصدق ، ولا أصدق من شهادة الميدان ، ومحمد نجيب إذا تكلم عن حرب فلسطين ، وصور نكبة فلسطين ، كان الراوية الثقة والضابط العدل . وقد حلل تلك السبة الخالدة ، وعللها باثنتين : قبول الهدنة وفقد السلاح . ثم برأ الشرف العسكري العربي كله من وصمة التخاذل ، ولم يعرج على التخاذل السياسي بين ملوك العرب وساستهم ، ولكن عده لقبول الهدنة أحد سببي النكبة ، أبلغ من التصريح، في الاتهام والتجريح . فإن الراضين بالهدنة هم رؤساء الحكومات العربية من ملوك وساسة لا قادة الجيوش .

كانت كلمات القائد البطل عن فلسطين تمس نفسي – وهو يلقيها – مسة الكهرباء فتحرق ولا تضيء ، لأنني – يشهد الله – كنت وما زلت من أشد الناس اهتماماً بالحادثة، ثم من أشدهم التياعاً بالكارثة ؛ فإذا فاتني – لشقوتي – أن أشارك في وقائعها بجسمي ، فلم يفتني أن أشارك فيها بقلمي؛ فكتبت مقالات نارية المعنى قاسية الألفاظ تكاد تسيل

شواظا من نار ونحاسا على المتسببين فى تلك الهزيمة المنكرة ، بغير أسبابها المعقولة عند الناس، ولكن بسبب لا يستسيغه عقل عاقل وهو قبول الهدنة ... لذلك كانت كلمات القائد تفيض من نفسه الجريحة وكأنما تفور من نفسي . حتى إذا سكت عن ساسة العرب أحسست بانفعال كنت أعنى أن أسكنه بشهادة حق من القائد الصادق عليهم تؤيد عقيدتى فيهم ؛ فإن شهادة الحق تؤيد الحق حتى لكأنه حقان

وتكلم القائد البطل عن أولئك البائسين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : وطننا فلسطين، والذين نسميهم مشردين ونحن شردناهم بما كسبت أيدينا ، ووصف وصف العايشين مايلقونه من شقاء وما يتجرعونه من غصص ؛ وبدأ صوته يرتفع ويتهدج وعيناه تغرورقان بالدموع فتشهد بأنه يغالب أسى كمينا وهما دفينا . وكانت الجمل العبقرية التى تساوى الدم الذى سال من جسمه على ثرى فلسطين هى قوله : « كيف نلتذ بالطعام ، وننعم باللباس والدفء ، وإن إخواننا ليتضورون من الجوع ، ويفترشون الغبراء ؟ لماذا لا نصوم يوما من الأسبوع عن اللحم . أو أسبوعا من الشهر عن هنة من هذه الكماليات . ثم نرصد ثمنها لإطعام إخواننا الفلسطينيين وكسوتهم ؟ إن الإمساك عن اللحم يوما من الأسبوع أو عن الكماليات أسبوعا من الشهر لا تميتنا ولكنها تحيى إخواننا » . ثم رمى السامعين بالآبدة التى ظننت أن الجباه تندى لها عرقا ، إن لم تنخلع القلوب منها فرقا ، وهى قوله « إن من العار أن نطلب لهم الحياة ممن أماتهم ، ونسأل لهم القوت من الدول العاتية التى حكمت عليهم بالموت جوعا ، وحكمت علينا بالانحناء ذلا ومهانة » .

حقائق جلاها القائد على مئات من السامعين ، وما منهم إلا من له نباهة وذكر ومقام . جلاها فى جمل حاكية ، تحتها معان باكية ؛ وشرحها الوافى ينتزع مما يتصوره المتصورون . ويصوره المصورون من حال أولئك البائسين. وينتزع من تخاذل العرب ، دولا وحكومات وسادة وكبراء وشعوبا حتى ضاعت فلسطين وجاع أهلها ، وتنتزع من حالة المسلمين المغفلين الذين ما زالوا — وهم ذوو عدد —

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا

وما زالوا يطلبون الصدقة ممن سلبهم ، وما زالوا يفزعون كلما لطمهم اليهود إلى الاحتجاج . وما زالوا يطرقون أبواب هذا الهيكل الخرب الذى يسمى جمعية الأمم المتحدة .

أنا لا أتحدث عن قلوب السامعين ومواقع كلام القائد منها . ولا أملك لها أن تكون خلية أو شجية ؛ وإنما أتحدث عن قلبي . فوالذى خلق القلوب مضغا سوداء وبث فيها شعلا من النور ، لكأنما كانت تلك الكلمات على قلبي نبالا تنثال على هدف ، ونصالا تتوالى على جريح . يالعجب العاجب! أفيؤمن المسلم بأن المسجد الأقصى هو قبلته الأولى وأنه ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ، وأنه كان فى ليلة من الدهر سلم الأرض إلى السماء ، ومطار البشرية المتمثلة فى محمد ، إلى الملكية المتمثلة فى الملأ الأعلى . أفيؤمن بذلك كله ثم لا يقدم لحماية هذا الحرم وجعله آمنا — مهجته وماله؟

إن فلسطين إرث النبوة الخاتمة، من النبوات المتقادمة، نفذ فيه عمر وصية الإسلام، وحرره أبو عبيدة وأصحابه فى الأولين من رق الرومان ورجس الأوثان ، وأدت وقائع اليرموك وأجنادين شهادتها على استحقاقنا لهذا الإرث ؛ ثم طهره صلاح الدين وجيشه فى الآخرين من أدران الصليبيين . وكانت وقائع حطين وعكا وغيرها تزكية لتلك الشهادة باستحقاقنا لهذا الإرث واقتدارنا على حمايته .

إن أعمال أجدادنا فى فتح فلسطين وإرثها وحمايتها هى وصية صريحة لنا بالمحافظة عليها وحجة ناطقة علينا إن نحن قصرنا فيها أو فرطنا فى جنبها . فيا لتراث نيوى حماه الأسلاف الصالحون ، وأضاعه الأخلاف المفرطون !

ما أضاع فلسطين إلا العرب ، وقد جاءتهم النذر فتماروا

بها ، ثم حق الأمر وهم غارون فاندهشوا ، ثم وقعت الواقعة فأبلسوا ، وعمد خطباؤهم إلى الخطب ينمقونها ، وشعراؤهم إلى القصائد يزوقونها ، وساستهم إلى الدعاوى يلفقونها ، وعامتهم إلى الخرافات يصدقونها ، بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يعوقونها ، وإلى الأهواء ينفقونها ، وعمد خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها ، وإلى العهود يمزقونها ، وقضى الأمر وأوسعناهم سبا وراحوا بالإبل ! وبعد أن كنا نقول : نحن أهل فلسطين ، أصبحنا نقول ما قالته الجرهمية فى مكة : بلى نحن كنا أهلها ! ولا أدرى كيف تنتصر أمة نقطمت بسوء صنيعها أمما ، ثم تدلت فى الذل حتى صارت تطلب الرحمة من معذبها ، وتعطى الدية لقاتلها ، ثم ارتكست فى السقوط حتى أصبح نصف ملوكها صبيانا ، وأكثر أدلائها عميانا .

* * *

مضت على كلمات القائد البطل أسابيع ، وأنا أتحسس وقعها فى النفوس ، وأترقب ثمرتها ، من صوم المسلمين عن الطعام يوما فى الأسبوع أو هجرهم لبعض الكماليات أسبوعا فى الشهر ورصد أثمانها لدفع الغوائل عن مشردى فلسطين ، أو لغير ذلك مما تتفتق عنه العقول من أفكار ، وتتمخض عنه الهمم من آثار ، فلم يظهر لها أثر إلا تلك الهزة التى حركت الأيدى للتصفيق ، ورسمت التأثر على الوجوه ، ونشرت شيئا من التهلل على الأسارير ، ثم لا شئ !

إن تلك الكلمة العبقرية ليست كلمة من الكلام — وإنما هى فكرة عبرت عنها ألفاظ ، ومبدأ ترجمته عبارات ، ولو كانت نفوسنا — معشر سامعيها — حية مستجيبة لفهمنا الكلمة بهذا المعنى ، ولخرجنا من الحفلة منادين بها ، داعين إليها ، شارحين لمراميها ، ناشرين لها فى العالم الإسلامى ، بادئين بأنفسنا فى تنفيذها ، ولكننا قوم بنينا أمرنا على اللعب واللهو ، والخطإ والسهو ، لا على الجد والصرامة ، والعزة والكرامة ، واطمأننا إلى عادة لا تطمئن عليها الحياة ، فكل ما فى أحزاننا عويل وبكاء ، وكل ما فى أفراحنا تصدية ومكاء ، وكل استجابتنا لداعى الحق تشقق الحناجر بهتاف ، والتقاء الأيدى على تصفيق

ونبتت بعد تلك الكلمة التى لم تعها أذن واعية ، فكرة قطر الرحمة . وهى فكرة جميلة ، صحبها العزم فكانت جليلة . ورافقها التنفيذ فكانت نبيلة . وحيا الله مصر ولقى أهلها نضرة ، كما كسا أرضها خضرة ؛ ولكن قطر الرحمة ما هى إلا قطر من الرحمة . والمشردون أصبحوا بقعة إنسانية عطشى لا ترويها إلا الروائح والغوادى من سحب الخير . وأين الفكرة التى تختص بمصر من الفكرة التى تعم العالم الإسلامى ؟ إن فكرة « الصوم » لو تمت وانتشرت وصحت العزائم على جعلها عادة وموسماً لم تقف عند استحياء المشردين وكفكفة دموعهم ، بل كانت تنسل الخزى وترحض العار ، وتسلح جيشاً لاسترداد فلسطين

* * *

أيها العرب : ها هم أولاء إخوانكم المشردون على غلوة سهم منكم ، لو تسمعتم لسمعتم أنينهم من الألم يتردد ، وحنينهم إلى الديار يتجدد ، ودعاءهم إلى الله يرتفع على كل من أضاعهم وأجاعهم

إنهم إخوانكم . وإنها أعراضكم . والقرابة موضع الثواب والعقاب عند الله . والعرض محل المدح والذم عند الناس . وإنهم انسلخوا من الزمان ، فلا ماضى ولا حال ولا مستقبل . فهل تأمنون أن يبقى أبناؤهم الناشئون فى هذه الحالة على الإسلام والعروبة ؟ وهل تأمنون أن يطول عليهم الأمد ، ويستحكم فيهم اليأس منكم ، فيبايعون اليهود على العبودية المؤبدة ؟

أيها العرب : ساء مثلا من أفهمكم من معانى العروبة أنها نسبة إلى جنس ، واعتزاء إلى جد ، والتصاق برقعة من الأرض . فعاجلوا هذا السطر الخاطئ بالمحو والشطب . وخذوا العروبة على أنها ليست جلدة تسمر أو تصفر ، ولا بلدة تدبر أو تخضر . وليست متاعا مما يرث الوارثون .

فيم أكتب !

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أخي الأستاذ الزيات

السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فقد دعوتني فاستجبت لك ، رضي بك وعنك . بيد أني أجبتك ساخطا على نفسي ، والجمرة الموقدة أبرد مسا من سخطة امرىء على نفسه . كنت عزمت أن أدع هذا القلم قارا حيث هو ، في سنة لا تنقطع ، يعلوه صدأ لا ينجلي . وظللت أياماً أسأل نفسي : فيم أكتب ؟ فيم العناء والنصب ؟ علام أزهق أيامي في باطل لا ينقشع ؟

* * *

بق ما كتبته لك آنفاً معلقاً يوماً كاملا ، حتى خانني مخلفاً لك موعدي . والساعة ذكرت أمراً : ذكرت أني ختمت مقالاتي المتابعة في الرسالة ، منذ خمس سنواتٍ تقريبا ، بسؤال آخر : « لمن أكتب ؟ » (١) . وقلت يومئذ إني لم أحاول قط أن أعرف لمن أكتب ؟ ولم أكتب ؟ ولكني أحس من سر قلبي أني إنما أكتب ، ولا أزال أكتب ، لإنسان من الناس لا أدري من هو ، ولا أين هو . أهو حي فيسمعني ، أم جنين لم يولد بعد سوف يقدر له أن يقرأني ؟ ووصفت يومئذ شراذم الساسة الذين لوثوا تاريخ الحياة الإسلامية والعربية ، في حيث كان الإسلام وكانت العرب . ووصفت رجال العلم المتعبدين لسادتهم من أهل الحضارة الفاسدة التي تعيش بالمكر والحقد والفجور . ووصفت أصحاب السلطان في الشرق ، وهم حثالة التاريخ الإنساني ، ووصفت أهل الدين ، إلا من رحم ربك ، الذين يأكلون بدينهم ناراً حامية . وزعمت أني لن أيأس من رجل أو رجال توقظهم هذه البلوى المطبقة المحيطة بنا ، فيدفعهم حب الحياة وحب الخير ، إلى نفض غبار القرون عن أنفسهم .

ثم ذكرت هذا الرجل الذي طواه الغيب إلى ميقاته ، فأنا أكتب له حتى يخرج من غمار هذا الخلق ، وينفرد من هذه (السائمة) ، ليقود الشعوب بحقها لأنه منها : يشعر بما كانت تشعر به ، ويألم لما كانت تألم له ، وينبض لبه بالأماني التي تنبض به ضمائر قلوبها . رجل خلطت طينته التي منها خلق ، بالحرية . فأبت كل ذرة في بدنه أن تكون عبداً لأحد من خلق الله . يسير بين الناس

(١) عدد الرسالة : ٧٦٦ في ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ ٨ مارس سنة ١٩٤٨

ولا أرضاً مما يحرث الحارثون ، وإنما هي بناء مآثر وإعلاء أمجاد ؛ وإنما هي خلال تتفتح عن أعمال ؛ وإنما هي عزائم لا تعرف الهزائم ؛ وإنما هي طموح وجموح : طموح لمواطن العز وجموح عن قيود الذل ، وإنما هي رأي أصيل ، وفكر جزيل ، ولسان بالبيان بليل ، وعقل هو على الحكمة دليل ، وقلب هو للجرأة خليل . فجميع هؤلاء هو العروبة ، وجامع هؤلاء هو العربي . وما عدا ذلك فهو تعلل بخيال . وتعلق بضلال . وتخلق يكذبه الخلق . وخيانة للعروبة في اسمها . وعقوق لآباء كأنما عناهم المعري بقوله :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم
بعد الممات جمال الكتب والسير

أيها المسلمون : إن اليهود طامحون إلى أكثر من فلسطين . وإنهم يستعدون بعد أن غمسوا أرجلهم في ماء البحر الأحمر لاحتلال مكة والمدينة فماذا أنتم صانعون ؟ إن كنتم تعتمدون على أن للبيت رباً يحميه ، فهذا إرهاص لا يتكرر مرتين . وهو عذر لا يقوم بعد أن أخذ عليكم العهد بحماية البيت . إنه لا حجة لنا على الله بل لله الحجة علينا ؛ وإننا لسنا من العزة على الله بحيث يخرق سننه الكونية لأجلنا . وقد رفع يده عنا فلا يبالي في أي واد نهلك . وحكم سننه فينا فحكمت بأن نملك ولا نملك . فعودوا يعد ، وغيروا يغير ، وحققوا الشرط يحقق الجزاء .

محمد البشير الإبراهيمي

فتسرى نفسه فى نفوسهم ، وتموج الحياة يومئذ بأمواجها ، ثم لا يقف دونها شىء مهما بلغ من قوته وجبروته . وزعمت أن الشرق العربى والإسلامى ، ينتظر صابراً كعادته هذا الرجل ، وإننا وأننا قد أشرفنا على أمره قد كتب الله علينا فيه : أن نجاهد فى سبيله ، ثم فى سبيل الحق والحرية والعدل ، لأننا نحن أبناء الحق والحرية والعدل ، قد أرضعنا الدهر بلبانها منذ الأزل البعيد

ثم ختمت كلامى بهذه الفقرة : فأنا إن كتبت ، فإنما أكتب لأتعجل قيام هــذا الرجل من غمار الناس ، لينقذنا من قبور جثمت علينا صفائحها منذ أمد طويل . وليس بيننا وبين هذا البعث إلا القليل ، ثم نسمع صرخة الحياة الحرة العادلة ، يستهل بها كل مولود على هذه الأرض الكريمة ، التى ورثناها بحقها ، ليس لنا فى فترمنها شريك»

كتبت هذا يومئذ ، والناس فى ظلمة ليل بهيم . ومنذ ذلك اليوم والأحداث فى الشرق العربى والإسلامى آخذ بعضها برقاب بعض . وحركت الأحداث المتتابعة نواعس الآمال ، فهبت تمسح من عيونها النوم المتقادم . ثم حملقت فى أكداس الظلام المركوم ، فأوهمتها اليقظة أن الظلام من حولها يومض من بعيد ببصيص من نور . فتنادت الصيحات بانقشاع الظلم : وافرحتاه ! وصرخت وأنا فى محبسى : واحسرتاه ! أعمى رأى الظلام نهاراً !

كانت الدنيا يومئذ ظلاماً ، ونعرفها نحن ظلاما . والمعرفة دائما تفضى إلى خير . ثم أصبحت الدنيا أشــد ظلاما ، وتوهمها نحن نورا ينبثق . والتوهم مفض أبدا إلى أخبث الشر . المعرفة بناؤها على الصدق ، والتوهم عمــاده الكذب . ولا فلاح لشىء إلا بالصدق وحده

لقد طرأت على هذا العالم العربى والإسلامى طوارئ ، فإذا لم يصــدق نفسه فلا نجاة له . واحتوشته الأمم المفترسة بأساليبها الظاهرة والخفية . فإذا لم يصدق النظر فلا خلاص له . لست قانطا ولا مقنطا . كما يتوهم من يحب أن يتوهم . ولكنى أرى بلاء نازلا بنا . ونحن نخوضه كأنه رحمة مهداة . وبئس ما نفعل ؟ وبئس مطية الأعمال الكذب

من حيث أتلفت أرى وجوها تكذب ، ووجوها مكذوبا عليها . وأسمع أصواتا تخدع ، وآذانا مخدوعة بمــا تسمع . وأقرأ كلاما غمس فى النفاق وفى التغرير غمــا . والمح فى عيون المساكين ممن قرأوه غفلة تتلألأ بفرحة ولكنها فرحة لا تتم عليهــا إلا بالعمى المطبق عن الحق والصواب . إن هذا كله إعداد للمجزرة الكبرى . حيث تذبح الآلاف المؤلفة منا بمدى حداد استخرج حديدها من معدن القلوب المضطغنة بالعصبية ، المنهومة بالنقمة . وأمهــاها ماء الحقد الصليبى الوثنى ؛ وأرهفت بلذة الفتك الذى لا تطفأ ناره

إن الذى نعيش فيــه اليوم حياة قد مهد لها جبابرة الدهاة ؛ لا أقول منــذ عام أو عامين ؛ بل منذ أكثر من مئتى عام . حطم كل شىء قليلا قليلا حتى خر البناء كله . ثم انبعثت من تحت الأنقاض حيات خبيثة تلبس إهاب البشر . غذيت بالسم الذعاف حتى صارت لحماً ودما : لا لحماً ودماً ؛ ولا يعنيك أو يعنينى أن ننظر : أهى تعرف نفسها وتدرك أنهــا مسخت أفاعى فى مسلاخ إنسان ، أم تراها لا تعرف ولا تدرك ؟ ليس يعنينى هــذا ولا يعنيك ؛ بل يعنينا — ويعنيها هى أيضاً — أن نصدق المعرفة أنهــا حيات تنفث سمهــا فى حياة النــاس ؛ فى حيــاة الغافلين النائمين . فمن استعصى عليها فتكت به ؛ ومن أطاع لسمها مسخ كمثلها حيــة تسعى . فإذا قدر لهــذه الحيات أن تبلغ الغاية التى مسخت لها ؛ فلن يتم ذلك حتى تكون الأرض العربية والإسلامية كلها خراباً من البشر الأحرار ؛ خرابا تعمره المهار من أفاعٍ وحيات وأصلال

من مخافة هذا اليوم كنت أكتب قديماً ما استطاع هذا القلم أن يكتب ، ثم وجدتنى فجأة فى موج متلاطم من

الضلالات ، تتقاذفه ضلالات العلم المكذوب ، وضلالات الرأى المدلس ، وضلالات السياسة الخداعة . وإذا الأرض من حولى تعج بترتيل مظلم مخبول ؛ وإذا السماء من فوقى تهتف بتسبيح كالح مزور ؛ وإذا صوتى يضيع فى سمعى ؛ فهو إذن فى أسماع الناس أضيع ؛ وتردد فى صدرى شعر الحكمى ؛ فاستمعت له وسكت :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
إنما السالم من ألجم فاه بلجام

فلما دعوتنى فأجبت ، انقلبت أسائل نفسى : فيم أكتب؟ فيم العناء والنصب ؟ علام أزهق أيامى فى باطل لا ينقشع ؟ إن بينى وبين الأسماع والأبصار والقلوب ، حجابا ساخباً من غماغم الدجاجلة ، وهمام الأفاكين ، وثغاء أهل النش ، وضناء أخدان النفاق ... ويذهب قولى باطلا ويضيع صوتى مختفقا ، ولم أجن عندئذ عن حياتى إلا شقاء يقول فيه القائل : « إن الشقى بكل حبل يخنق » ، حتى حبل الحق والصدق ! حتى حبل الحق والصدق ! .. وإنك لتعلم : أن لو أنى عرفت للكتابة ثمرة ، لما توقفت ساعة ، ولما أبطأت دون ما وجب على

بأى لسان أستطيع أن أفتق للناس أسماعا غير الأسماع التى طمها الكذب المسموع ؟ وبأى قلم أستطيع أن أسلخ عن العيون غشاوة صفيقة لبسها بها الكذب المكتوب ؟ وبأى صوت أستطيع أن أنفذ إلى قلوب ضرب عليها نطاق من الكذب المسموع والمكتوب ؟ بأى لسان ، وبأى قلم ، وبأى صوت ؟ ولكنه ، على ذلك كله واجب ، وإن كان جهدا لا ثمرة له ! وهو كذلك ، وإذن فليس لى أن أسأل نفسى : فيم أكتب ؟ ولم هذا العناء والنصب ؟ وعلام أزهق أيامى فى باطل لا ينقشع ؟

وإذن فقد كتب على أن أنصب وجهى لهذا الشقاء الصبيخود ، لا أبالى أن أحترق ، ولا أحفل أن أعود سالما ، ولا آبه لما يصيبنى ، مادام حقا على أداؤه

إنها أيام بلاء ومحنة : من عدونا حيث بلغ منا كل مبلغ ، ومن أنفسنا ، حيث صار كل امرئ منا عدو نفسه وعقله ، عدو تاريخه وماضيه ، عدو مستقبله من حيث يدرى ولا يدرى . إنها أيام ضلال وفتنة ، تدع الحليم الركين حيران ، بلا حلم ولا ركانة ، تدع البصير المهتدى ، أعمى بلا بصر ولا هداية . تدع الصادق الحازم ، غفلا بلا صدق ولا حزامة . ولكنها على ذلك كله ، كتبت على الحليم الركين ، وعلى البصير المهتدى ، وعلى الصادق الحازم — أن يعيش فى شقائها بلا ملل ، وأن يكون فيها كما قال شاعر الخوارج ، عمران بن حطان ، فى أهل الدنيا :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع

فمذ حملت إليك هذا القلم ، استجابة لدعوة لم أجد ردها من الأدب ولا من الوفاء فى شئ ، عرفت أنى سوف أكتب كما كتبت قديما ، لأتعجل انبعاث رجل من غمار أربعمئة مليون من العرب والمسلمين ، تسمع يومئذ لحكمته الأجنة فى بطون أمهاتها ، وتهتدى بهديه ، الذرارى فى أصلاب الآباء والأمهات

ولكنك بعد ، قد أنزلتنى بحيث يقول القائل :

حيث طابت شرائع الموت ، والمو
ت مرارا يكون عذب الحياض

فأنا إن شاء الله بحيث أحببت لى أن أنزل ، والسلام

محمود محمد شاكر

هذه الثورة .. من صنعها

للأستاذ محمد سعيد العريان

ليس الأدب بمعزل عن السياسة ، وما ينبغي أن يكون عنها بمعزل ؛ فإن الأدب بمعناه الرفيع ، هو الذي يوجه الإنسانية المعاصرة إلى مثلها العليا ، ويسددها إلى أهدافها البعيدة ، ويرسم لها الطريق إلى الحياة الفاضلة التي يجب أن تكون . والسياسة بمدلولها العام هي معنى قريب من ذلك ؛ لأنها — فيما يزعم أهلها — هي التي توجه الناس أو توجه حياة الناس الوجهة التي تتحقق بها مثلهم العليا ويبلغون أهدافهم البعيدة ، وتمهد لهم الطريق إلى الحياة الفضلى ؛ فليس الأدب والسياسة إذن في الاصطلاح الحديث إلا كلمتين تقعان على معنى واحد أو معنيين متقاربين في الوسيلة متحدين في الغاية . وقد مضى العصر الذي كان يقال فيه لبعض المشتغلين بالأدب ، أو لبعض المشتغلين بالسياسة : هذا من الأدب وهذا ليس منه . فقد كان ذلك في زمان لم يكن الأدب فيه إلا فنا من فنون القول لا من فنون التوجيه . أما اليوم فإن الأدب هو الذي يوجه الساسة قبل أن يوجه الجماهير ؛ لأنه يصنع للساسة برامجهم التي يقودون باسمها الجماهير ...

تلك حقيقة مؤكدة لاسبيل إلى نقضها ، وفي السياسة العربية المعاصرة ألف دليل عليها ؛ فقد تغنى أدباؤهم بالحرية قبل أن يهب في البلاد العربية كلها زعيم واحد للدفاع عن الحرية ، فلما صار غناؤهم بالحرية وجداناً يتجاوب في ضمائر الجماهير ، أوجد ذلك الوجدان زعماء الدعوة إلى الحرية

وقد تغنى أدباؤهم بالوحدة العربية قبل أن يجرؤ زعيم عربي واحد أو يخطر على باله أن يدعو لوحدة عربية ؛ فلما جرت أغنيتهم بالوحدة مجرى الدم في نفس كل عربي بين ساحل الأطلسي وجبال الكرد ، نشأ الزعيم ، أو نشأ الزعماء الذين يدعون إلى وحدة عربية

وكانت الدعوة إلى المساواة وإلى رعاية حق الفقراء في ثروات الأغنياء ، هتافا أدبيا ينظمه الشعراء ويتحدث عنه الأدباء ويقصه أهل القصة ، قبل أن يكون مذهبا سياسيا يتمثل في قوانين ولوائح وبرامج أحزاب سياسية

وما تزال على ألسنة الأدباء وعلى أطراف أقلامهم ، دعوات إنسانية أخرى ، لم تتبلور بعد معانيها أو تتحد مدلولاتها لتخرج من نطاق الشعر والقصة والمقالة المكتوبة والأغنية المازجة ، إلى أن تكون برنامجا من برامج الإصلاح لحزب سياسي جديد أو حزب قديم متجدد ، ولكنها ستبلغ هذه الغاية يوما ، فتضيف الأحزاب السياسية إلى برامجها مواد جديدة لم تزل اليوم فصلا من كتاب أو رواية من قصة أو مقطعاً من أغنية .

آمنت بهذه الدعوة منذ كنت ، ويؤمن بها معي المئات أو الآلاف من كل ذي رأي وذي بيان ؛ وما أرى أحدا غير هؤلاء المئات أو هؤلاء الآلاف حقيقاً بأن يسمى أديبا ؛ لأن الأدب إن لم يكن توجيها فهو ليس إلا ببغاوية خرساء ، لها صوت وليس لها صدى ...

والآن إذ تقررت هذه الحقيقة فإني أعود إلى الكلمة التي جعلتها عنوانا لهذا المقال ، فأسأل عن هذه الثورة التي نعيش في أحداثها المتتابعة منذ ٢٣ يولية الماضي ... من الذي صنعها ؟ ...

* * *

قبل مولد الصبح من يوم الأربعاء الثالث بعد العشرين من شهر يولية ، كان بضعة نفر من خيار المصريين على صهواتهم ، أو على دباباتهم ، يريدون أن يقتحموا حصنا منيعا من حصون التاريخ . فلم يكد يشرق صباح ذلك اليوم حتى كان كل منهم على باب من أبواب ذلك الحصن يقرعه قرعا متصلا ، فلم تلبث مغاليقه أن تحطمت ، فإذا هم وقوف في ساحة الحصن ترفرف على رءوسهم الراية التي لم ترفرف

على رأس مصرى منذ انهارت مقاومة طومان باى فى وجه الغزاة العثمانيين منذ أربعة قرون ونصف قرن ؛ وبدأ الزمن من يومئذ يكتب صفحة جديدة فى تاريخ مصر ، وما زال من يومئذ يكتب كل يوم فصلا جديدا …

كان ذلك فى صباح الأربعاء الثالث بعد العشرين من يولية الماضى ، فهل يكون يوم الأربعاء ذاك ، هو أول تاريخ تلك الثورة ، أو مولد تاريخها ؟ …

هذا هو السؤال فى صورة أخرى …

ولـكن المصريين فى ذلك اليوم لم يكونوا بمعزل من تلك الحركة التى كانت هى أول الثورة فى عرف المؤرخ الواقعى ؛ فقد كان فى نفس كل مصرى من الملايين العشرين ثورة تضطرم ، فما كاد يرتفع هتاف أولئك النفر من خيارهم حتى رجعت صداه تلك الملايين ، فإذا هى ثورة شعب كامل لم يتخلف عن موكبها فرد منه . فهل كان أولئك الملايين العشرون شركاء فى التدبير وفى رسم الخطة وفى السعى على ذلك الطريق المظلم قبل مشرق الصبح بساعات إلى أبوابه ذلك الحصن المغلق ؟ وهل كانوا على علم بصير بالمنهج وبالقيادة وبالنتائج قبل أن ينكشف شئ من ذلك للبيان ؟

هذا افتراض تأباه طبائع الأشياء ؛ فلم يكن لأولئك الملايين العشرين شأن فى التدبير ، ولا مشاركة فى رسم الخطة ، ولا صحبة على ذلك الطريق المظلم ، ولا علم بصير أو علم مستنبط بالمنهج والقيادة والنتيجة ؛ ولـكنهم مع ذلك كانوا مؤمنين بأنهم هم الثائرون ، الساعون إلى حصن الظلم والظلام لتحطيمه ودك بنيانه . وكان الهتاف هتافهم والفرح فرحهم ؛ لأن الفوز كان منسوبا إليهم جميعا لا إلى بضعة نفر منهم ؛ فهل يكون ذلك إلا دليلا على أن هذه الثورة التى بدت طلائعها للعيان فى ذلك الصباح ، لم يكن ذلك الصباح أول ميلادها ، لأنها كانت مولودا ناميا من قبل ذلك التاريخ بأمد بعيد ! …

وإذن فمتى كان ميلادها الحقيق ؟ …

هذا هو السؤال فى صورة ثالثة …

إنها ثورة ، وهى ثورة عامة انبثقت من إحساس الملايين ، وهى بعيدة الميلاد الحقيق عن اليوم الثالث بعد العشرين من شهر يولية ؛ كالبذرة الحية فى الأرض الخصبة ، تغطيها طبقات من التراب ، ويتعاورها الحر والبرد ، ويتعاقب عليها الجفاف والمطر ، وتتقلب عليها رياح الشمال ورياح الجنوب ؛ ولـكنها لا تنبت إلا حين يحين موعد نباتها ؛ فليس أول تاريخها هو اليوم الذى نجمت فيه على سطح التربة ، لأنها ذات تاريخ قديم تحت التراب ؛ وإنما أول تاريخها يوم حفر لها غارسها فى الأرض ثم قال لها انتظرى حتى يحين موعد نباتك ؛ فمن الذى أودع بذرة تلك الثورة هذه الأرض الخصبة وقال لها انتظرى يوما مثل يوم ٢٣ يولية ؟

هـذا هو السؤال فى صورة رابعة ، وهو هو السؤال الذى جعلته عنوانا لهذا المقال ! …

* * *

إنما أودع تلك البذرة هـذه الأرض ، أحرار الفكر وأصحاب البيان وذوو الأقلام والألسنة ، منذ كان فى مصر خطيب وقاص وشاعر وكاتب وذو بيان …

أولئك الأدباء الأحرار الموجهون ، هم صانعو تلك الثورة ؛ لأنهم هم ، ولا أحد غيرهم ، الذين أودعوا الأرض تلك البذرة التى استكنت إلى موعدها ؛ فلما حان موسم النبات انطلق أولئك النفر الأخيار على صهواتهم ، أو على دباباتهم ، ليقتحموا ذلك الحصن المنيع من حصون التاريخ ؛ فاقتحموه . وكان انطلاقهم كهبوب نسمات الربيع على الأرض الخصبة ، أذانا بحلول موسم الإنبات ؛ فانفرق التراب عن النواة ، وانفلقت النواة عن الشجرة ، ثم كانت الزهرة والثمرة ، واستكملت الثورة مظاهرها …

ادرسوا أدب ما بعد الحربين ، واقرءوا كل حرف وكل كلمة وكل نغمة مما كتب الـكاتبون أو نظم الناظمون

مبادئ العالم الحر !

للأستاذ سيد قطب

« العالم الحر » اسم يطلقه الاستعماريون فى إنجلترا وفى فرنسا وفى أمريكا على تلك الكتلة الاستعمارية التى تكافح ضد الزمن ، وتقاتل ضد الإنسانية ، وتقاوم ضد الحرية . ثم تطلق على نفسها فى النهاية اسم « العالم الحر » !

و « العالم الحر » مشغول فى هذه الأيام بتمزيق إهاب « الحرية » فى تونس ومراكش وفى كينيا وفى فيتنام . . وفى كتم أنفاس « الأحرار » فى كل مكان ؛ لأن رسالة العالم الحر هى أن يكون حرا فى قتل الحرية حسبما يشاء !

و «العالم الحر» يرتكب من الجرائم مايقشعر له ضمير البشرية . وذلك رغبة فى نقل مبادئ الحضارة الغربية إلى القارة المظلمة . وإذا كانت هذه القارة لا تريد أن تتحضر على يد البعثات التبشيرية فلتتحضر إذن بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة ؛ وهى أقدر ولا شك على نقل مبادئ الحضارة إلى الشعوب المتخلفة !

و « العالم الحر » يشرد الشعوب من ديارها — على نحو ما فعل فى فلسطين — وذلك رغبة منه فى إيجاد « لاجئين » يتولى رعايتهم ، والعطف عليهم ، وإقامة الخيام لهم فى العراء . فمبادئ العالم الحر تقتضى العطف على المشردين ، الذين لا وطن لهم فى هذه الأرض المعذبة !

و « العالم الحر » يتساند ويتكاتف فى هذه المهام الضخام . أليس الدولار هو الذى يشد من أزر فرنسا فى تونس ومراكش وفيتنام ، ويشد من أزر إنجلترا فى كينيا ومصر وفى كل مكان ؛ ويشترى الصحف والأقلام والجماعات والجمعيات والرجال والنساء فى هذه الأيام ؟ !

وأنا لا أعيب على « العالم الحر » أن يمزق إهاب الحرية ويمثل بجثث الضحايا من الأحرار ، ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ فى القرى الآمنة ، ويرتكب الجرائم الوحشية التى يرتكبها بلا تحرج .. فإن هدفه السامى من وراء ذلك كله واضح — كما قلت — وهو نقل مبادئ الحضارة الغربية بطريقة عملية إلى الشعوب المتأخرة ، التى لا يجوز أن تظل متأخرة !

إننى لا أعيب على هذا « العالم الحر » حريته هذه . حرية وحوش الغابة فى أن تصنع فى الغابة ما يؤهلها له الظفر والناب . فمبادئ الحضارة الغربية هى هذه كما كانت وكما هى كائنة ، وكما ستكون حتى يأذن الله لها بالفناء

كلا ! إنما أنا ألتفت إلى شعوبنا وحكوماتنا ومفكرينا وكتابنا وشعرائنا وجماعاتنا وجمعياتنا .. ألتفت إليهم لأرى هل سكتت الأبواق التى تهتف بحمد الحضارة الغربية ؟ هل خرست الألسنة التى تتحدث عن الصداقة الأمريكية والصداقة الإنجليزية والصداقة الفرنسية ؟ هل انزوت الجماعات والجمعيات التى تحمل ألوية الصداقة مع « العالم الحر » وتشيد بجهوده فى الخدمات الاجتماعية والتعليم الأساسى واليونسكو والنقطة الرابعة وسائر الوسائل الاستعمارية الحديثة التى تنخر فى صخرة المقاومة الشعبية ؟ ألتفت لأرى هذه الأبواق لا تزال مفتوحة ، ولأرى

أو قص القصاص أو غنى المغنون خلال تلك الفترة ، تعرفوا على وجه اليقين من الذى صنع هذه الثورة ...

بلى إنها ثورة سياسية بعيدة المدى ، ولكنها قبل أن تبدو طلائعها بسنين ، كانت ثورة مفكرين أحرار !

مفكرون أحرار ، أودعوا بذرتها هذه الأرض الخصبة ثم تواروا فما يكاد يذكرهم أحد ؛ أو لعلهم يذكرون ، ولكن بغير ما يجب لهم من التوقير وعرفان الجيل ؛ لأنهم تحت مجهر الثورة أقزام بجانب العماليق الضخام من أعلام السياسة .. ولكل عصر موازين !

محمد سعيد العريان

هذه الألسنة ما تزال طليقة ، ولأرى هذه الجمعيات والجماعات ما تزال تتبجح وتعلن عن نفسها بلا حساب ، وتنفق الأموال الضخمة فى هذا الإعلان ، والدولار من خلفها يمكن لها من العمل ويمكن لها من الإعلان !

إن «العالم الحر» لا يحاربنا بالمدفع والدبابة إلا فى فترات محدودة ؛ ولكنه يحاربنا بالألسنة والأقلام ، ويحاربنا بالمنشآت البريئة فى مراكز التعليم الأساسى ، وفى هيئة اليونسكو ، وفى النقطة الرابعة ؛ ويحاربنا بتلك الجمعيات والجماعات التى ينشئها وينفخ فيها ويسندها ويمكن لها فى المراكز الحساسة فى بلادنا ... وأخيرا فإنه يحاربنا بأموال أقلام المخابرات التى تشترى الصحف والأقلام ، وتشترى الهيئات والجماعات .

وواجبنا نحن أن نكافح ، واجبنا أن نكافح الوسائل الاستعمارية الحديثة ، ونكافح الهيئات والجماعات والمؤسسات التى تيسر العمل لهذه الوسائل : مهما كانت أسماؤها بريئة

إن الاستعمار الروحى والفكرى هو الاستعمار الخطير حقا . فاستعمار الحديد والنار يثير المقاومة بطبيعته ، ويورث الأحقاد القومية التى تقتلع الاستعمار من أساسه . أما الاستعمار الروحى والفكرى فهو استعمار ناعم لين ، مخدر ، ينوم الشعوب ، ويستل أحقادها المقدسة التى يجب أن تتأجج ، وتستحيل نارا وشواظا يحرق ويدمر الاستعمار وعملاءه فى يوم من الأيام .

لقد قام بيننا فى وقت من الأوقات رجل يسمى «أمين عثمان » يحمل لواء الصداقة الإنجليزية فى فجور وتبجح ، ويؤسس جمعية نادى العلمين . كما قامت فى ظله « جماعة إخوان الحرية ». ولقد هرعت الشخصيات الكبيرة يومها إلى أمين عثمان وجمعيته . الشخصيات المستوزرة التى تشم رائحة الحكم من عشرات الأميال .. ولكن حاسة الشعب السليمة ظلت تنفر من الرجل وجماعته على الرغم من انضمام « الشخصيات الكبيرة » لأن الشعب يعرف قيمة هذه الشخصيات ودوافعها !

واليوم يقوم رجل آخر بدور أمين عثمان . يقوم به فى محيط آخر وتحت عنوان آخر . وتهرع الشخصيات الكبيرة ذاتها إلى الانضمام إليه ... وما من شك فى أن الأمة بحاستها السليمة ستظل فى معزل عن هذه المحاولة الجديدة .. ولكن الاطمئنان إلى حاسة الأمة لا يجوز أن يقعد بالشباب الواعى عن التنبيه إلى هذا الخطر الجديد ، وإلى التحذير من وسائله الناعمة وعنوانه البرىء .

إن الحرب المقدسة مع الاستعمار اليوم تقتضى تخليص ضمائر الشعوب أولا من الاستعمار الروحى والفكرى ، وتحطيم الأجهزة التى تقوم بعملية التخدير ، والحذر من كل لسان ومن كل قلم ، ومن كل جمعية أو جماعة تهادن معسكرا من معسكرات الاستعمار ، التى ترتبط جميعها بمصلحة واحدة ، ومبادىء واحدة . مبادىء العالم الحر ومصالح العالم الحر !

* * *

فى الغرب يقوم « العالم الحر » وفى الشرق تقوم « الديمقراطيات الشعبية » ونصيب هذه الديمقراطيات من اسمها كنصيب العالم الحر من اسمه سواء بسواء !

فالديمقراطيات الشعبية هى الديمقراطيات التى تحكم حكما ديكتاتوريا مباشرا ؛ تحرسه الجاسوسية الرهيبة ؛ ولا تسمح لفرد من الشعب فضلا على الشعب كله أن يفكر بحرية ، ولا أن يفكر فى الحرية ذاتها بحال !

وإذا كان للعالم الحر أجهزته وأقلامه وألسنته ، فإن للديمقراطيات الشعبية أجهزتها وأقلامها وألسنتها ... وكلها تعمل فى محيطنا العربى والإسلامى ... وكلها تستحق منا المكافحة كما نكافح الاستعمار ... إلا أن الاستعمار يجثم على صدورنا اليوم ويخنق أنفاسنا بعنف . والواجب يقتضينا أن نوجه المقاومة الإيجابية للاستعمار ، والمقاومة الفكرية للديمقراطيات الشعبية !

والراية التى تجمعنا لنكافح ... هى وحدها راية الإسلام

إن بعضنا يؤثرون أن يتجمعوا تحت الراية العربية ... وأنا لا أعارض في أن يكون هذا تجمعا وقتيا يهدف إلى تجمع أكبر منه ، فليس هناك تعارض جدي بين القومية العربية والوطنية الإسلامية إذا نحن فهمنا القومية العربية على أنها خطوة في الطريق . إن أرض العرب كلها جزء من أرض الإسلام، فإذا نحن حررنا الأرض العربية فإننا نكون قد حررنا بضعة من جسم الوطن الإسلامي، نستعين بها على تحرير سائر الجسد الواحد الكبير .

والمهم أن نتجمع اليوم ونتساند كما يتساند العالم الحر ضدنا . فكل بلد صغير لا يستطيع وحده أن يكافح عالما . والسياسة القصيرة النظر التي تريد أن تحصرنا في حدودنا الجغرافية المصطنعة هي سياسة حمقاء ؛ فالعالم يسير نحو التكتل في الشرق والغرب سواء . ومن واجبنا أن نتكتل على الأقل تمشيا مع منطق العصر ؛ إن لم يكن تمشيا مع منطق الإسلام

والمجموعة الآسيوية الإفريقية تحاول أن تكون كتلة محايدة . ولا ضير من السير معها ، وإن كنت أنا شخصيا لا أرى أن هنالك مقومات حقيقية ودائمة لقيامها . فهنالك تيارات مختلفة تتجاذبها . والمصالح التي تربط بينها اليوم مصالح مؤقتة . أما الكتلة التي يمكن أن تقوم على أسس حقيقية وعميقة ودائمة فهي الكتلة الإسلامية ، وهي آتية لا ريب فيها على الرغم من جهود « العالم الحر » وجهود « الديمقراطيات الشعبية » فلنعجل بقيامها فهي سندنا الحقيقي الوحيد

سيد قطب

المعاني الحية في رسالة محمد

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كلما حلت ذكرى ميلاد محمد — صلوات الله وسلامه عليه — حرص كثير من الوعاظ وخطباء المحافل أن يحوطوا شخصيته بهالة من الخوارق إبان مولدها ، مستغلين عواطف الجهلة من السذج والبسطاء ، لاصطناع الألفاظ المنمقة ، والعبارات المسجوعة ، التي تستثير مشاعرهم ، وتستنطق ألسنتهم بتأوهات الإعجاب والاستحسان

وتمر الذكرى الطيبة ، بعد أن تلقى آلاف الخطب في المساجد والسرادقات . فلا يخرج المسلمون منها إلا بالتوافه التي لا ترفع من قدر صاحبها (ص) وإذا سألتهم ماذا حفظتم من ذكرى رسولكم (ص) أجابوك عن ظهر قلب : إن ليلة مولده اهتز إيوان كسرى ، وخمدت نيران فارس ، وانشقت الأرض عن نور سد ما بين الخافقين ، وفتحت أبواب الجنة ، وأغلقت أبواب جهنم ، وازينت السماء ، وابتهجت الملائكة ... وإن أمه بنت وهب لم تجد مشقة في وضعه ، وسمعت هتافات الملائكة تبشر بمقدم الوليد الجديد ، وإن مرضعته حليمة قد در لبنها يوم أن تسلمته ، وأن الغمامة كانت تظلله حيثما سار ، وأن الأحجار قد كلمته ، والحصى قد سبح بين يديه ، والجزع حن له .. وما إلى هذه من الأقاصيص التي تليق بالأبطال الخرافيين — لا بشخصية كشخصية محمد (ص) الإنساني الذي هيأ للإنسانية أطيب حياة ، والمصلح الذي وضع أسس الإصلاح في الأرض ، والعظيم الذي قدم للدنيا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله

إني لأعجب .. كيف نجهل — نحن المسلمين أتباع محمد — شخصيته هذا الجهل الفاضح ، فبينما يرى المنصفون من المستشرقين في شخصه — رجلا مصلحا من عظام المصلحين ، يكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ؛ وفتح لها طريق الرقي والمدنية ؛ وهو عمل لا يقوم به إلا رجل أوتي قوة ، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام

والإكرام.. بينما يرى الأجانب فى محمد المصلح العظيم ، نأبى نحن أتباعه إلا أن نضفى على سيرته من الخوارق والتوافه التى تبين مدى جهلنا بشخصيته

وإذا تركت جانبا هذا الصنف المشغوف بإلصاق الخوارق بسيرة محمد ، وجدت صنفا آخر من المسلمين مشغوفا بأن يجعله فوق مستوى البشر ، وأنه رسول ليس ككل الرسل ، لأنه أفضلهم على الإطلاق ، ولإنه إمامهم ، ورسالاتهم مستمدة من رسالته ، ولأن الله ناداهم بأسمائهم وناداه بصفاته ، وما إلى هذه من الترهات الرخيصة . ولو فقه هذا الصنف النبي شخصية محمد كما يجب أن تفقه ، لأدرك أن محمدا نفسه لم يقر تفضيله على غيره من إخوانه الرسل ، لأن فى هذا لونا من التعصب الذى لا يرتضيه لأتباعه ؛ فقد ورد فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : « بينما رسول الله (ص) جالس جاء يهودى، فقال : يا أبا القاسم ! ضرب وجهى رجل من أصحابك . فقال : من ؟ قال : رجل من الأنصار . قال : ادعوه ، فقال : أضربته ؟ قال : سمعته بالسوق يحلف ، والذى اصطفى موسى على البشر ! قلت : أى خبيث ! على محمد (ص) ؟ فأخذتنى غضبة ضربت وجهه . فقال النبي (ص) لا تخيروا بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق أم حوسب بالصعقة الأولى ؟ »

وهناك صنف ثالث منضو فى سلك الطرق الصوفية البلهاء ، يعتبر أن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا اعتقد أن نور الكون مستمد من نور محمد ، وأن السماء والأرض ، والشمس والقمر والنجوم ، والبحار والجبال ، كل هذه لم تخلق إلا من أجله ... وهذا الصنف أتفه من أن نقيم لعقليته وزنا

إن محمدا صاحب رسالة إنسانية ، فإذا أردنا أن نحتفى ونحتفل بذكراه ، فالواجب أن نستشف المعانى الحية التى تضمنتها رسالته ، والتى تنهض بأمتنا وهى فى مسيس الحاجة إلى النهوض ، فما المعانى الحية التى تضمنتها رسالة محمد — صلوات الله وسلامه عليه — ؟

إن رسالته تضمنت معانى ثلاثة حية : تحرير العقول ، وتحرير النفوس ، وتهيئة حياة طيبة لهذه النفوس

فقد كانت العقول قبل رسالته غريقة فى خضم من الضلال والغى ، وأى دليل على ضلالها وغيها أوضح من عكوفها على عبادة حجارة صماء ، لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ، وما أن جاءت رسالة محمد حتى أخذت على عاتقها تحرير هذه العقول ، وانتشالها من هوة الضلال والغى ، إلى أفق النور والهداية ، وراحت بالمنطق السليم تناقش عقيدتها حتى تثبت فسادها :

« إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين — ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون — إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين — والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ، ولا أنفسهم ينصرون — وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » الأعراف

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب — ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز » الحج

« واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا . » الفرقان

بهذا المنطق السليم استطاعت رسالة محمد ، أن تحرر العقول ، وتوجهها إلى عبادة الواحد القهار ، الخالق الرازق ، والضار النافع ، الذى بيده ملكوت كل شئ ، والغالب على أمره الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء

ورسالة محمد حررت النفوس بعد أن وضعت حدا لاستعباد الإنسان للانسان ، فقد كانت الحياة قبل بعثة محمد (ص) مزيجا من الهمجية والفوضى ، وأبرز ما فيهما العصبية القبلية ، فالقبائل الكبرى تتعاظم بآبائها وتفخر بأجدادها ، وتتشدق بأنسابها وأحسابها ، أما الضعفاء والهزل ، فهم كمية مهملة ضائعة ، لا وزن لها ولا قدر ، ولا يعبأ بكيانها ولا يكترث لوجودها ، يسخرون كما تسخر الأنعام ، ويعيشون عيش الرقيق المسلوبى الإرادة ، وما أن جاءت رسالة محمد حتى أعلنت أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة وعنصر واحد ، ومنتسبون جميعا إلى ذكر وأنثى ، لتقرر مبدأ المساواة بينهم ، حتى يظلوا بعد اليوم سواسية كأسنان المشط ؛ وراح القرآن يقوم بمهمة تقرير هذا المبدإ الخطير الدقيق :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. » النساء

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . » الروم

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. » الحجرات

والرسول (ص) لم يدع فرصة تمر دون أن يكافح عنجهية الجاهلية الأولى ، ويحطم شوكة الغرور الذى كان يملأ أنوف المتعاظمين بآبائهم ، المتشدقين بأنسابهم وأحسابهم ، فقد صاح ذات يوم فى قريش قائلا : « يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكثرها بآبائها ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم... والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة ... » ، وقال : « ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم ! أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدوف بأنفها القذر . » ، وغضب حين سمع أباذر يعير خادمه بأمه السوداء ، وقال : « يا أباذر ارفع رأسك فانظر ، ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل . »

بهذه القوة الكامنة فى رسالة محمد (ص) أمكن تحرير الإنسان من عبودية الإنسان ، وإزالة التفاوت المصطنع الذى كان يشرف على اصطناعه المرضى بالغرور والكبرياء من ذوى الأحساب والأنساب والأموال ، كما أمكن صبغ الجميع بصبغة المساواة الخالصة ، فتيسر وضع أسس الاستقرار فوق الأرض

ورسالة محمد (ص) هيأت للنفوس حياة طيبة . ولما كان العلم هو الدعامة التى يرتكز عليها بناء النهضات فى الأمم ، فقد احتضنت رسالة محمد العلم ، ودعت إليه ، وحثت عليه ، وأكرمت قدره ، وأعلت منزلته ، والقرآن الكريم تنطق آياته بتقدير العلم وإعزاز شأنه :

« ... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » الزمر

« ... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .. » المجادلة

« يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا .. » البقرة

بل إن القرآن دفع الناس إلى المغامرة فى سبيل تحصيل العلم ، وإلى مواصلة التحصيل منه إلى أن يشاء الله ، لأن العلم بحر لا ساحل له ، ولأنه أفق بعيد لا نهاية له ، وهذا الدفع من شأنه أن يحمل الإنسان يقف نفسه على البحث عن كنوز العلم وذخائره :

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ،

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . » الإسراء

« ... وقل رب زدنى علما . » طه

والرسول (ص) يشير إلى هذا المعنى فيقول :

« لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل . »

وهناك شبهة صاغتها عقول أولئك الذين أصيبوا بعمى فى بصائرهم ، وغل فى صدورهم ، يقولون : إن الإسلام يكرم العلم الخاص بالدين فحسب ، ويتجاهلون أن الإسلام إنما يكرم العلم أيا كان نوعه ، ما دام يعتبر وسيلة لتفقه المسلمين فى دنياهم ، وإلا فأى داع إلى أن يشير القرآن إلى علوم الفلك والتقويم ، والزراعة والتجارة ، وعلم الأحياء وعلم النبات ؟ وأى داع إلى أن يحضنا على التفكر فى خلق السموات والأرض والشمس والقمر وما إليها ؟ وكيف نكون خير أمة أخرجت للناس ، إذا لم يكن العلم رائدنا فى حياتنا ، وهدفنا فى دنيانا .. ولكن من أنى لنا أن نقنع هؤلاء الذين لا يؤمنون ولو آتيناهم بكل آية .. ؟

وبعد — فإن رسالة محمد — صلوات الله وسلامه عليه — لأسمى من أن تكون قصصا للتسلية ، وهى تتضمن أمثال تلك المعانى الحية الثلاثة ، التى تغافل المسلمون عنها ، وهى جديرة بأن تبرز فى حياتهم حتى ينقلوا إلى الأفق اللائق بهم . والعجيب أن هذه المعانى الثلاثة ، قد تضمنتها أول آية نزلت من كتاب الله تعالى ، إذ وجهت الناس إلى الخالق الجدير بالعبادة لتحرير العقول ، وأشارت إلى أنهم مخلوقون جميعا من عنصر واحد لتقرر مبدأ المساواة فتحرر النفوس ، كما أشارت إلى العلم تقديرا له ، لينقلوا إلى حياة طيبة بواسطته :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم . »

محمد عبد الله السمان

تحية الرسالة

فى مستهل عامها الجديد

للأستاذ محمود الخفيف

مهداة إلى الأستاذ محمد البشير الابراهيمى نزيل القاهرة الآن

يافتى الشمس ضياء ومكانا واملأى سمع بنى الدنيا بيانا
اسكبى نورك رأيا وحجى وشعاعات من الفن حسانا
ابلغى من طارف العز المدى وابعثى من تالد المجد زمانا
فى ضحى العيد تلقى زهرا من بنى الشرق وحبا وحنانا
وأمانى وضيئات لهم أصلها الشرق .. حماهم وحمانا
يا عروس الشرق كم أيقظته ولكم رددت فى المهد الأذانا
كم تمنيت بآمال له طفلة هش لها المجد افتتانا
وفتاة مثل (جان دارك) اعتلت صهوة المجد ولم تعرف هوانا
يلتقى الشرق على صيحتها وهى لا تثنى عن المجد عنانا
راية الله إذا ريع الحمى حضنتها ليس تألوها احتضانا
يا عروسا كم سقانا لحنها من حمياه زمانا وشجانا
أنشدينا اليوم أحزاناً لنا وأديريها كؤوساً ودنانا
أنذرينا ... طالما بشرتنا فسانا نرهف السمع عسانا
ذكرينا إننا ننسى ضحى كل خطب فى دجى الليل دهانا
وننام الليل لا يفزعنا ما عرانا فى ضحانا وعنانا
أيقظينا ! .. ذكرينا نذرا حولنا طافت .. لهيبا ودخانا
رجت الشرق بطاحا وربى لم تدع للأمن والسلم مكانا
أنشدينا نكبة القدس وما راع بغداد وما أشقى عمانا
واذكرى مصر وما زلزلها وسقى نفيا بروع التيرانا
واسألى جلق هل زايلها ما عراها وصفا العيش ولانا ؟
طافت الكأس بطهران فلا خطبها أمن ذا سقاها وسقانا ؟
من لمراكش و محنتها كم بنى الباغى عليها واستهانا
اسمعينا اليوم ما يكربنا من بنات الدهر بكرا وعوانا
أنذرينا ! لم يعد يطربنا مجد أيام تولت ... كيف كانا
عمرك الله ألم يأن لنا أن نوق الجيل هذا الهذيانا ؟
أى فخر للذى ديس الحمى فتلهى عنه ذلا واستكانا !؟
ليت شعرى أى مجد يدعى قاعد ذل به المجد وهانا ؟ !
وخور يقبل الضيم ولا يلتوى يوما على الضيم اضطغانا!
حول ماضيه وآباء له دائر ليس يمل الدورانا
ينثر الشوك له أعداءه فيرى الشوك جنى أو أقحوانا
ويدسون له السم فتغريـ ـه كؤوس كم كسوها لمعانا
ويلوك المجد مزهوا به كلما أشبع فى العيش امتهانا !
يا عروسا كم شجانا لحنها خبرينا كيف جرعنا الهوانا ؟
الرزايا جمعتنا فصفى أى رزء يفصم اليوم عرانا
أمة التوحيد من فرقها حسبها بعض رزاياها امتحانا
ينفث السم دخيل بيننا ليس يألونا أذى أو روغانا
آمة الشرق لعمرى أن ترى حولنا فى كل ركن أفعوانا
كم سعى بالختل وغد بيننا واستطاب العيش فينا واستلانا
أو لم يأن لنا يا ويلنا أن نذود اليوم عنا من رمانا ؟
سرطان الغرب كم يوبقنا آن أن ندرأ عنا السرطانا
يا عروس الشرق غنى وحدة ما لها فى هذه الدنيا سوانا
هى بأس إن ظلمنا فإذا كانت السلم وجدناها ضمانا
وحد الإسلام آفاقاً لنا وبنانا أمة حين بنانا
ديننا القوة والروح معا حضن المصحف من هز السنانا
يا بنى الشرق أفيقوا .. ديننا عن معانى الذل والضعف نهانا
فأعدوا ما استطعتم من قوى مشت القوة والحق اقترانا
آمنوا .. ما الحق إلا قوة ترهب البغى وتخزى الشنآنا
لا تقولوا الروح فى قارعة بلظاها الأرض جاشت جيشانا
إجعلوا المهر حديدا ودما للمعالى ونضارا وجمانا

الخفيف

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

جان بول سارتر والشيوعية :

بالأمس كان جان بول سارتر زعيم الوجوديين في فرنسا خصما للشيوعية ؛ خصما لا أحسبنى غاليا إذا قلت إن الشيوعيين لم يلقوا لوطأته مثيلا على طول ماتعرضوا له من حملات الخصوم . ذلك لأن سارتر كاتب أحدث من الدوى في العصر الذى نعيش فيه ما لم يحدثه كاتب آخر ، حتى ليمكنك أن تقول إنه أكثر الكتاب المعاصرين شهرة وأوسعهم نفوذا وأبعدهم تأثيرا فى نفوس الجماهير ! من هنا لم تستطع الشيوعية أن تتجاهل خطورته ولا أن تتغاضى عن خصومته فمضت تحاربه وتحارب آثاره بكل سلاح . . حاولت أن تنض من قدره كفيلسوف له فى الفلسفة مذهب ، وحاولت أن تقلل من أهميته كأديب له فى الأدب طريقة ، وحاولت أن تسخر من جهوده كانسان له فى المجتمع رسالة ! قالت عن فلسفته فى « الوجود والعدم » إنها فلسفة العدم ولا شيء سواه ، وقالت عن أدبه إنه أدب الانحلال وإنه خطر على الحضارة ، وقالت عن رسالته الاجتماعية إنها رسالة الأثرة والأنانية لأنها تحصر اهتمامها فى الفرد دون أن تلتفت إلى المجموع ؛ وخلاصة هذا كله أن سارتر كاتب يخون شرف الثقافة ! قالت هذا وحاولت ذاك والهدف البعيد واضح ، مقصود ، وهو أن تثير فى النفوس عاصفة من الشك وفى الأذهان زوبعة من القلق حول كل ما يدلى به زعيم الوجوديين من آراء وأفكار ، حتى إذا ما نجحت فى هذا الذى تهدف إليه فقد انهارت ثقة الناس فى صدق ما يوجهه إلى الشيوعية من هجوم !!

ترى هل نجحت الشيوعية فيما قصدت إليه من وراء حملاتها على الوجودية وحققت هدفها المنشود ؟ كلا ! والسبب أنها تلجأ إلى المغالطة وتسرف فى الادعاء حين تحاول النيل من زعيم الوجوديين على النحو الذى صورناه .. إن سارتر حين يدافع عن حرية الفرد فى التفكير والتعبير واختيار لون الحياة الذى يريد ، لا يدافع عن حرية فرد بعينه حتى يجوز للشيوعيين أن يتهموا أدبه بأنه أدب الذاتية والفردية . إنه يدافع عن حرية كل فرد ومعنى هذا أنه يدافع عن حرية المجموع ؛ وفى ضوء هذه الحقيقة تتضح لك المغالطة التى تهدف إلى غرض معلوم! إن رأى سارتر الذى يؤمن به ولا يتحول عنه هو أن حق الفرد فى ظل النظام الشيوعى مهدر وأن حريته ملغاة ؛ حقه فى أن يعيش على الوجه الذى يحب وحريته فى أن يفكر ويعبر بالأسلوب الذى يشاء ، لأن الشيوعية قد رسمت خطوط اتجاه فكرية معينة ثم فرضتها فرضا على الحياة العقلية والاجتماعية .. إلغاء لحرية مقررة وإهدار لحق مشروع ، وهذا هو مبدأ الخلاف أو جوهر الخصومة بينه وبين الشيوعيين !

لقد أخرج سارتر للناس يوما نظرية فى الأدب هى نظرية « الالتزام » وخلاصتها أن الأدب يجب أن يكون صورة صادقة للجو الذى يحيط به ، أن يكون مرآة صافية للمجتمع الذى ينتسب إليه ؛ أن يكون لسانا معبرا للجيل الذى يعيش فيه .. وهذه هى التبعة التى يجب أن يتحملها الأدب وهو عنها مسئول . على الأديب أن يتصل بما حوله اتصالا كاملا حتى لا يكون بمعزل عما يعانيه مجتمعه من مشكلات ، سواء أكانت مشكلات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية . عليه أن يشارك بقلمه فى رسم صورة أمينة لتلك المشكلات وعليه أن يشارك برأيه فى كل ما تحتاج إليه من حلول ، وهذا هو التزام الأدب وهذه هى رسالة الأديب ! إن سارتر ينكر أدب الأبراج العاجية أو هذا الأدب الذى لا يعبر عن أحزان الناس وأفراح الناس ، وحاجة كل فرد إلى أن يعيش حر الرأى وحر العقيدة وحر الحياة .. ترى هل تستطيع أن تهضم بعد هذا كله

قول الشيوعيين بأن رسالة سارتر هي رسالة الأثرة والأنانية، لأنها تحصر اهتمامها في الفرد دون أن تلتفت إلى المجموع ، وأنه تبعا لذلك كاتب منحرف ضال يخون شرف الثقافة ؟ ! يوم أن طلع سارتر على القراء بنظرية الالتزام في الأدب هتف الشيوعيون : إذا كانت هذه هي أهداف سارتر وهي نفس أهدافنا فلماذا لا ينضم إلى الحزب الشيوعي فيريح ويستريح ؟! قالوها ونسوا أن زعيم الوجوديين قد طالب في نظريته الالتزامية بحرية الفرد كاتبا وبحريته قارئا وهو يحدد رسالة الكتاب والقراء .. إن الكاتب في رأى سارتر يجب أن يكون حرا فيما يكتب ، وإن القارئ يجب أن يكون حرا فيما يقرأ ، وبهذا وحده يتاح للأدب أن يكون ملتزما حين يعبر عن مشكلات المجتمع وحين يبحث لهذه المشكلات عن علاج . وما دامت الشيوعية في رأيه لا تتيح للكاتب والقارئ مثل هذه الحرية فما أبعد الشقة بينها وبينه وما أعمق هوة الخلاف ، بل ما أعجب هذا المنطق الذي يخاطبه به الشيوعيون !!

في سبيل حرية الفرد خاصم سارتر الشيوعية بالأمس فاتهمته بأن هذه الخصومة لم تكن ثمرة العقيدة ولا وليدة الإيمان ، وإنما كانت إرضاء خالصا وامتثالا صادقا لاتجاهات السياسة الأمريكية ؛ هذه السياسة التي تساعد كل استعمار على استعباد الأحرار .. تهمة عجيبة قد تجوز على الذين لا يفرقون في القضايا المنطقية بين كذب النتائج وصدق المقدمات : سارتر ليس شيوعيا ، والشيوعية الروسية ضد الرأسمالية الأمريكية ، وإذن فسارتر أمريكي العواطف بلا جدال ! هذه القضية المنطقية تصح وتستساغ إذا صحت هذه القضية الأخرى واستساغتها الأذهان : أنت لست غنيا، والغني كما لا بد أن تعرف ضد الفقر ، وإذن فأنت فقير بلا مراء ! ونترك هذا الاتهام « المنطقي » لنقول ونحن نعني ما نقول : إن سارتر الذي هاجم الشيوعية من أجل حرية الفرد قد هاجم من أجل هذه الحرية نفسها « عدالة » الأمريكيين .. عدالة الأمريكيين في معاملة الزنوج وتعريضهم لكل مظهر من مظاهر الهوان !!

خيانة لشرف الثقافة . . ومن الخيانة لشرف الثقافة أيضاً أن يتحول سارتر عن موقفه بالأمس ليكون نصيراً للحزب الشيوعي الفرنسي في هذه الأيام ! تحول عن موقفه لأنه لا يريد أن يتحول عن مبادئه ؛ مبادئه التي فرضت عليه أن يدافع عن حرية الفرد ولو كانت حرية الخصوم .. لقد وقف زعيم الوجوديين إلى جانب الشيوعيين في فرنسا حين تعرضوا لألوان متعددة من العسف وضروب مختلفة من الاضطهاد ، تمثلت في اعتقال زعمائهم تارة وتفتيش دورهم تارة أخرى ومصادرة آرائهم تارة ثالثة ! ومع هذا كله يتغالط أنصار الشيوعية محاولين أن يوهموا الناس بأن سارتر اليوم قد أفاق ؛ قد استيقظ من سبات عميق ؛ قد آمن بعد كفر واهتدى بعد ضلال ؛ قد حافظ على شرف الثقافة بعد أن خانها بالأمس خيانة منقطعة النظير .. قالوها حين دافع في فرنسا عن حرية كل فرد في الأسرة الشيوعية ، وحين دافع في فينا عن حرية كل فرد في الأسرة الإنسانية ، هناك حيث وقف في مؤتمر الشعوب ليزلزل بكلماته أفكار دعاة الحرب الأمريكيين !!

إن جان بول سارتر لم يخن شرف الثقافة ، وإنما الذي خان هذا الشرف هم هؤلاء الذين يشوهون الحقائق ، ويضللون القراء !!

فرانسوا مورياك وجائزة نوبل :

في مثل هذا اليوم من العام الماضي وفي مجلة « الكتاب » ، كتبنا مقالا عن « الأثر الفني بين الفهم والتذوق » وردت فيه هذه الكلمات :

« هل قرأت قصة Genitrix لفرانسوا مورياك ؟ إنها قصة لا تطالعك بتلك الطاقة القصصية الضخمة التي تطالعك بها آثار كاتب مثل دستويفسكي أو بلزاك ، ولا بذلك التصميم الفني الدقيق الذي يشير إلى قدرة الملكة القاصة

على السير بخط الاتجاه التفكيرى فى طريق مرسوم ، ولا بذلك « الفهم » الواسع الذى يحيط بصور الحيـاة ليفرغها بعد ذلك فى إطار .. ليس فيها شىء من هذا كله ، ولـكن فيها الفنان الذى يعيش فى موضوع قصته ؛ يعيش فيه بكل جوارحه وكل عواطفه وكل همسة روح تخفق بين حناياه . إنه القصاص الذى « يتذوق » الحيـاة فى لحظاتها النفسية النادرة ، التى لا يفطن إليهـا غير أصحاب الوعى العميق !

هناك لحظة من تلك اللحظات النـادرة التى أشرت إليها فى قصة مورياك ؛ وقبل أن أقف بك عند تلك اللحظة ألخص لك موضوع القصة بصراعها النفسى فى كلمات ، لأن موضوعها هو موضوع العلاقة « الخالدة » بين كل أم وكل زوجة ابن ، تحتــدم فى أعماقهما المعركة حول الرجل الذى تربطه بالأولى روابط البنوة وتصله بالثانية صلات الزوجية ؛ هـذا الرجل الذى يقف بين « المدوتين » موقف الحـائر المتردد الذى تتعرض حياته فى كل وقت لهبوب العواصف والأعاصير ، وتنقضى حين تنقضى وهى نهب مشاع للمتاعب والآلام .. الابن هنا وهو فرنان كازيناف ، رجل ضـعيف العزم مسلوب الإرادة يعطف على زوجته ولـكنه لا يستطيع أن يجهر بهـذا العطف ، خوفا من الأم التى بقيت له بعـد وفاة أبيه وطبعته منذ صباه الباكر بطابع الخضوع والرهبة ؛ فهو لا يستطيع أن يجادل ولا أن يعترض ولا أن يقف فى وجهها عندما تتعقد الأمور ! والأم كازيناف ، امرأة تحب ابنها برغم قسوتها عليه ، وما كانت قسوتها تلك إلا نتيجة لهذا الحب الذى تريد به الأمومة أن تملك وأن تحكم وأن تستأثر ، وألا يشاركها فى هذه العاطفة المتأججة نحو ابنها إنسان ! والزوجة وهى ماتيلد كازيناف ، فتـاة لقيت من ظلم الحمـاة وإهمال الزوج وقسوة الحيـاة ما ينوء به الطوق ويرفض معه الصبر وتخور منـه العزائم .. ومع ذلك فقـد صبرت ، واحتملت ، ولقيت متاعب العيش بالرضا القـانع والصبر الجميل !

وتمضى القصة فى طريقها لتصور لك أدوار الصراع ؛ الصراع الذى انتهى بموت الزوجة بعد عملية وضع قوضت من الجسد المنهار آخر حصن من حصون المقاومة أو آخر معقل من معاقل الـكفاح ؛ الـكفاح ضد قسوة البشر ووطأة الحياة ! ولقـد ماتت وحيدة ؛ لا همسة عطف من الابن ، ولا نظرة رثاء من الأم ، ولا موعد لقاء مع رحمة القدر . . وحين انتهى كل شىء ، وسكنت كل حركة ، ودفنت فى تراب الموت كل خصومة ، استطاع فرنان كازيناف أن يصعد إلى حجرة الشهيدة ، وأن يحس لذع النـدم ، وأن يوجه إلى أمه كلمة عتاب !!

ويا لها من لحظة تلك التى يصور فيهـا مورياك موقف الزوج النادم أمام الجثة المسجاة .. إنها اللحظة النادرة من لحظات « التذوق » العميق لمشهد من مشاهد الحيـاة منعكساً على صفحة النفس والشعور . لقد وقف فرنان أمام جثة الشهيدة وكأنه يقف أمام قديس يعترف له بمـا جنت يداه ، بما اقترف من إثم ، بما حمل من ذنوب . . رباه ! من أغمض عينيه كل تلك الأعوام فلم ير هذا الجمال ؟ ومن أغلق قلبه كل تلك السنين فلم ينعم بهـذا الصفاء ؟ وهـذا الطهر ، وهذا الصبر ، وهذا الإيمان ؛ هذه القيم الإنسانية من حال بينـه وبينها حتى لـكأنه يبصرها لأول مرة ، ويستشعرها لأول مرة ، وينكشف له منهـا فى لحظة عابرة ما غاب عنه فيما مر من أيام دنياه ؟! آه لو يستطيع أن يفعل شيئاً لهذا الجسد ؛ الجسد الذى احترق فى موقد العذاب ، وتألم ، وحمل من الشقاء فوق ما يحمل طوق الأحياء ؟ شيئا ولو كان صغيراً ضئيلا لا قيمة له ، يشعره بأنه قدم إليه فى رحاب العدم ما عجز عن أن يقدمه فى رحاب الحيـاة ؟! إنه يريد الآن أن يعبر للجسد المسجى عن عطفه ؛ عطفه الذى لم يستطع أن يعبر عنه فى يوم من الأيام ! ولقـد قدر له أن يعبر عن « هذا العطف حين خطر » لذبابة هائمة أن تستقر على الوجه النبيل » .. لقد انتفض كالمصعوق ليرد العدوان

الآثم عن تلك البقعة « الآمنة » ! البقعة التي يجب ألا « تقلقها » بعد الآن هجمات المتدين !!

هذا هو الأثر الفنى بين الفهم والتذوق ممثلا فى قصة فنية .. إن موراك فى هذه القصة كما قلنا لك ، لا يطالعك بذلك « الفهم » الواسع الذى يحيط بصور الحياة ليفرغها بعد ذلك فى إطار ، ولكنه يطالعك بذلك « التـذوق » للحياة في لحظاتها النفسية التى لا يفطن إليها غير أصحاب الوعى العميق ! تلك اللقطة النادرة فى جملة عابرة ؛ اللقطة المتمثلة فى تصوير النـدم والشعور به ، وفى الإيحاء بالذنب والتكفير عنه ؛ وتلك الزاوية الفريدة التى اختارها ليركز فيها ذلك الإيحاء ، بكلمات قليلة موجزة قوامها « الذبابة التى استقرت على الوجه النبيل » .. كل هذه القيم التعبيرية التى ارتفعت بالمشهـد النفسى إلى آفاق متسامية من الفن ، تستطيع أن تختصرها فى معنى واحد هو المحور الكبير الذى ندور حوله منـذ البداية ، ونعنى به « التـذوق الشعورى » الكامل فى الأثر الفنى حين يتحول إلى تجربة داخلية كاملة فى النفس الإنسانية ! »

هذا هو ما قلناه عن موراك فى عام ١٩٥١ ، وها نحن نعيده اليوم لأن الكاتب الفرنسى قد ظفر بجـائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٥٢ ، ولأن الأكاديمية الملكية السويدية قد خصته بهذه الجائزة « لما يمتاز به أدبه من تحليل عميق للنفس ، ولما يتسم به فنه القصصى من قدرة على التعبير عن الحياة الإنسانية » . إنك حين ترجع إلى هذا الميزان الذى أقمناه لفن موراك ونحن نتحدث عن الأثر الفنى بين الفهم والتذوق ، ثم تعود إلى هذا الميزان الآخر الذى أقامتـه له الأكاديمية الملكية السويدية وهى فى معرض التقـدير والتبرير ، لا تكاد تجـد فارقا بين الميزانين إلا فى الألفاظ المعبرة تبعا لاختلاف الصور وتنوع الأساليب !

ومع ذلك فإن هناك ضجة فى فرنسا حول هذه الجائزة الضخمة التى ظفر بها موراك ؛ ضجة يثيرهـا خصوم الكاتب الفرنسى من الأدباء والنقاد : يقول الوجوديون إنه كاتب « ذاتى » ولم يكن فى يوم من الأيام من الكتاب « الملتزمين » ! ويقول الشيوعيون إنه كاتب « رجعى » ولم يكن فى يوم من الأيام من الكتاب « التقدميين » ! ويقول فريق ثالث غير هؤلاء وأولئك إنه كاتب « متأمل » وليس بالكاتب « المفكر » ! ولهـذه الأسباب مجتمعة ومتفرقة يتهم موراك ويعترض عليه ويثار من حوله الغبار ، أما أنه كاتب ذاتى فهذا حق لا مراء فيه وإنه ليعترف بهذه الذاتية ، وأما أنه رجعى فحق آخر لا يحتمل الجدل وإن لم يشأ هو أن يعترف به لأنه خصم للشيوعية ، وحين نصل إلى المرحلة الثالثة من مراحل الاتهام لا نجد فيها شيئا من التجنى ولا شيئا من المغالاة . ولكن هذا كله لا يبرر هذه الضجة التى يقصد منها إلى أن الرجل ليس أهلا لهذا التقدير .. لقد كان أندريه جيد يلتقى معه فى كثير من هذه الخصائص التى يسلكونها فى عداد المآخذ والعيوب : كان من أدباء الخواطر والتأملات ولم يكن من أصحاب المذاهب والأفكار ، وكان من الكتاب الذاتيين الذين يدورون بأدبهم حول المشكلات الفردية ثم لا يطيلون الوقوف عند مشكلات المجتمع العام ، ومع هذا فلم يلق جيد شيئا من الاعتراض يوم أن ظفر بمثل هـذه الجائزة الضخمة التى ظفر بها موراك !

لقد عالج موراك فيما عالج من فنون الأدب نظم الشعر وكتابة القصة وانضم آخر الأمر إلى زمرة النقاد ، ولكن ملكته الناقدة لم تكن فى قوة ملكته الشاعرة أو ملكته القاصة حين توزن المواهب والملكات ... ولعل القراء يذكرون تلك القصة الطريفة التى قصصناها عليهم يوما فى « الرسالة » ، حين عمد أديبان فرنسيان ناشئان إلى طبع ديوان من نظمهما ثم نسباه إلى الشاعر الفرنسى رامبو ، حتى يضمن كلاهما للديوان شيئا من الرواج والانتشار ! لقد جازت الخدعة يومئذ على « الناقد » موراك فكتب صفحة كاملة فى « الفيجارو » يتحدث فيها عن إعجابه البالغ بفن الشـاعر الفرنسى العظيم ، على الرغم ممـا أثاره الكاتب



تدهور الفن القصصي في الأدب الأنجلوسكسوني :

هناك شبه إجماع بين النقاد على أن فن «القصة» في الأدب الإنجليزي قد تدهور في السنوات الأخيرة لافي الكمية بل في الكيفية

وتدل الإحصاءات التي نشرتها إحدى المجلات الأدبية الأمريكية أن معدل مايباع من القصة الإنجليزية الرائجة في طول أمريكا وعرضها لا يتجاوز ١٠ آلاف نسخة مع أن السوق الأدبية في بلاد الناطقين باللغة الإنجليزية يتجاوز ٢٥٠ مليون نسمة .

وتصدر المطابع الأمريكية ما لايقل عن ٤٠ أو ٥٠ قصة في كل شهر بينما تصدر المطابع البريطانية حوالى نصف هذا العدد

أما العوامل التي أدت إلى هذا التدهور في القيمة الفنية للأدب الإنجليزي القصصي فعديدة . ويختلف النقاد في التعليل الصائب لهذه العوامل؛ إلا أن الكل متفق على أن وسائل الكاتب القصصي في الأدب الأنجلوسكسوني أصبحت عاجزة عن تحليل المشاكل الروحية والعقد النفسية التي ازدادت تشعبا في عالمنا الحاضر مما ألم به من التطورات الفكرية والسياسية والاجتماعية فجعلت الحياة اليومية فيه معقدة وعرة المسالك يحتاج الكاتب لسبر غورها إلى قوة فنية خارقة لاتراعي الاتجاه التقليدي الذي كان كتاب القصة في القرنين الماضيين مغرمين باتباعه في تحليل الأشخاص والحوادث .

ويعتقد هؤلاء النقاد بأن الأدب القصصي قد قصر عن اللحاق بالفن التصويري الذي يعتمد على الريشة والألوان؛ فمدارس الرسم الحديثة قد أدركت ازدياد التعقد في مشاكل النفس والحياة المعاصرة فسعت إلى تصويرها في إطار الرمزية المجردة كما تشهد بذلك رسوم « بيكاسو » وغيره من أئمة الفن الغربي المعاصر .

وتقصير الأديب القصصي الإنجليزي تقصير في الثقافة الأنجلوسكسونية المعاصرة عن الإبداع الفني في تصوير الحوادث والأشخاص والانفعالات وشتى ألوان الاحساس الفني المطلوب في أداء الفن القصصي — هذا التقصير يعود إلى رغبة الكاتب في أن يوفر للقارئ تسلية أدبية لا متعة فنية تهدف إلى الصميم فتفرض على القارئ أن يشارك الكاتب في إحساسه الفني ومتعته العقلية .

ويشكو النقاد كذلك من أن الأدب القصصي يجب أن يكون وسيلة إلى التسلية في أوقات الفراغ ، فالواجب الفني فيه يفترض على الكاتب والقارئ معا المساهمة الجدية في تفهم مشاكل النفس والساعة كما تعكسها الانفعالات الصادقة للكاتب الفنان .

تجارب علمية جديدة لزراعة الأراضي الرملية

يعكف عدد من المهندسين الزراعيين في أربع مناطق مختلفة من مناطق العالم على التجارب العلمية لتنمية الزراعة في الأراضي الرملية الصحراوية . وقد نشرت مؤخرا معلومات عن النتائج التي وصل إليها هؤلاء المهندسون في تجاربهم هذه :

ففي ولاية (أريزونا) في الولايات المتحدة الأمريكية أعلن رئيس محطة التجارب التابعة لوزارة الزراعة الأمريكية

السيريالي أندريه بريتون حول هذا الديوان من شكوك ..

ولقد انتهت المعركة بين مورياك وبريتون حين تطوع الأديبان الناشئان برفع النقاب عن وجه الحقيقة ، وحسبهما أن الديوان قد نفدت طبعته أكثر من مرة ، وأنهما قد أصبحا في منزلة أرتير رامبو وذلك بشهادة الكاتب الكبير !

أنور المعداوي

بأن الأراضى الرملية والصحراوية التى تؤلف جزءا كبيرا من تلك الولاية ستصبح بفضل وسائل العلم الحديث قادرة على إنبات الحبوب والغلات وبعض ألوان العشب الصالح للـكلأ والمرعى .

ومن محطة التجـارب الزراعية فى ولاية (خاستان) الروسية فى آسيا الوسطى نشرت السلطات الروسية معلومات تدل على أن الأرض الرملية فى تلك المنطقة الصحراوية أثبتت بأن عقمها الزراعى لن يستطيع بعد الآن أن يقف أمام سلطان العلم الحديث ؛ فقد نبتت الحبوب والغلال فى أراض رملية بتكاليف معقولة تساعد الزارع على استغلالها بصورة تجارية .

ومن أستراليا جاءت أنباء مشابهة . واهتمام أستراليا بالأراضى الرملية والصحراوية يعود إلى تكرر أزمات الجفاف الذى يصيب مناطق الرعى فيهلك الأنعام والأغنام .

وفى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك تفرغ عدد من الخبراء لدراسة أفضل الوسائل لإخصاب الأراضى البور والمناطق الجرداء فى الصحارى والقفار . ونشرت تقريرا مسهبا عن هذا الموضوع تلبيـة لرغبـة أبدتها بعض الدول الآسيوية والإفريقية — ومنها مصر والمملـكة السعودية والباكستان والهند — التى يتوفر لها مساحات شاسعة من الأراضى الجدبة ، إذا استطاع العلم الحديث التغلب على عقمها أعان شعوب هذه المناطق وحكوماتها على زيادة الإنتاج الزراعى ورفع مستوى المعيشة بين السكان .

والأساليب التى يتبعها الخبراء لتنميـة الزراعة فى الأراضى الرملية والمناطق القفرة تستند إلى وسائل فنية تحفظ الرطوبة التى يجلبها الشتاء إلى تربة تلك المناطق ؛ وذلك بزراعة حوالى ٢٠ صنفا من أصناف النبات التى يعيش فى مناطق خط الاستواء والمناطق الحارة ، منها نبات الصرغم وبعض أنواع الذرة الاستوائية ونبات الصمغ ،

وهـذه الأنواع من النبات تضمن استمرار الرطوبة إلى مدة من الزمن كافية لزرع الحبوب وأنواع العشب الصالحة للرعى التى تستطيع أن تعيش على هذه الرطوبة الكامنة

وقد عادت هذه التجارب بنتائج طيبة . فقد نجحت زراعة القمح والشعير فى مناطق رملية لا يصيبها المطر ولا تصل إليها مياه الرى . وتنشط الآن حكومات الدول المذكورة لتقيم هذه الأساليب فى مساحات شاسعة من أراضيها الصحراوية القاحلة .

الفن والحياة كما يراهما الألمان

« أيكون الفن تصويرا لشىء يعرفه الناس أم يكون اكتشافا لحقائق جوهرية عن الحياة لا يعرف الناس عنها شيئا وإنما يكشف القناع عنها الفنان المبدع ؟ »

هذا التساؤل هو موضوع لكتاب أخرجته المطابع الألمانية مؤخرا وتلقفته الأوساط الأوربية الأخرى بالترجمة والتعليق . ومؤلفة الكتاب سيدة هى (جرلى براون — فوجلستين) وقد وضعت له عنوانا يعبر عن مضمونه وهو (الفن : مرآة الحضارة الغربية)

وتتخذ المؤلفة تاريخ الفن الغربى سجلا للتطور العقلى والحضرى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى للمجتمع فى أوربا وأمريكا . وتحاول المؤلفة كذلك أن تثبت بأن التفسير التاريخى لبعض الحوادث فى الحياة الغربية يعجز عن إظهار الحقيقة وراء هذه الحوادث ؛ بينما يكون فى مقدرة التفسير الفنى لهذه الحوادث أن يلقى الضوء الصادق فيظهر هذه الحقيقة

وتسرد المؤلفة فى لغة الفنان معادلات جبرية بين فن النحت الإغريقى وبين ظمأ قدماء الإغريق إلى معرفة الحقيقة المجردة فى النظام الكونى ثم بين هندسة الفن المعمارى فى إمبراطورية روما وبين تعشق الرومان إلى التوسع فى السيطرة والبذخ . وتلتمس المؤلفة التفسير الحقيقى لتطور النفسانى والعقلى للرجل الغربى فى القرنين الماضيين وما ألم به من

مسؤوليات جسام فى علاقته مع التطور الحضرى الذى اكتسح العالم الغربى. وتلتمس المؤلفة الحقيقة فى هذا التطور فى المذاهب الفنية الأوربية . فالتطرف الذى ألم ببعض هذه المدارس فى التعبير أو فى المظاهر الشكلية للرسم والنحت والموسيقى دليل على القلق الذى ألم بالحياة والنفس فى العصور الحديثة ، ورغبة الناس فى تلمس نوع من الاستقرار النفسى . فتشعب المذاهب الفنية تعبير عن هذا القلق وبيان عن الرغبة فى تحقيق الاستقرار بالثورة على التقاليد الفنية

تحرير التراث الأوربى فى دراسة أعلامه

تساءل المستر (ويليام باريت) صاحب مجلة « بارتيسان ويفيد» لسان الطليعة فى الأدب الأمريكى قائلا : ما هو الإنتاج الذى سيعرف به الأدب الغربى الحديث ؟ واتخذ المستر باريت أربعة من عظماء الأدب الأوربى المعاصر علما على هذا الإنتاج هم : « بودلير » و « بول فاليرى » الفرنسيان و « رينر ماريا ريلكه » الشاعر التشيكوسلوفاكى و «بنديتو كروتشى» المفكر الإيطالى الذى توفى فى الشهر الماضى

ويعتقد هذا الكاتب الأمريكى بأن من الصعب تحديد الإنتاج الخالد فى الأدب الغربى الحديث ؛ ولكن فى استطاعة مؤرخى الأدب أن يتخذوا هؤلاء الأعلام الأربعة موضوعا لهذا التحديد

أما « بودلير » فالرأى بين النقاد الكسونيين وفى طليعتهم الشاعر العظيم (ت س . اليوت) أن بودلير فى قرارته شاعر مسيحى برغم ما يشتم فى كتاباته من إلحاد . وجدير بالذكر أن «جول بول سارتر» الفرنسى يخالف النقاد الكسونيين فى «مسيحية» بودلير ويؤكد ذلك فى دراسات نشرها سارتر مؤخرا عن مواطنه بودلير . وسارتر فى دراسته الأخيرة يجرد بودلير من معظم المزايا الأدبية والروحية التى وفرت له مكانته المرموقة فى الأدب الغربى الحديث

ويصف النقاد السكسونيون « بول فاليرى » بأنه شاعر يلعب فى شعره بالمعادلات الرياضية ولذلك يتصف نظمه بالبرودة والجفاف

ولعل وصف فاليرى بالجفاف الأدبى يعود إلى الثقافة العميقة التى توفرت لهذا الأديب الفرنسى الفحل ، فطغت على إحساسه الشعرى وقيدت بعض الإحساسات الشاعرية الرقيقة التى لابد أن تنزوى فى استحياء أمام الإدراك الثقافى العميق

أما عبقرية الشاعر التشيكوسلوفاكى «رينر ماريا ريلكه» فلم تحظ بالدراسة والنقد العميق . فإذا جاز لنا أن نأخذ النقد الأدبى على أنه صنعة تهدف إلى إبراز العيوب أكثر مما تهدف إلى الإشادة بالإبداع الفنى ، فإن النقاد حين يعالجون شعر « ريلكه » يميلون إلى اتهامه بالقصور فى إبراز النواحى الدراماتيكية فى الشخصية الإنسانية . وثمة أمر يتعصب النقاد فى الغرب له عندما يدرسون شعر هذا العبقرى الأوربى وهو سلبية « ريلكه » إزاء المسيحية ودعائمها الروحية والثقافية . ومع ذلك فقد حاول مؤخرا ناقد ألمانى معروف وهو (هانس إيجون هولثوسن) بأن يثبت فى دراسة عميقة للشاعر « ريلكه » أن قصائده قد ساهمت فى تمجيد الإحساس الدينى أكثر من أى نتاج شعرى آخر

ويحظى عميد الفكر الإيطالى المعاصر المرحوم (بنديتو كروتشى) بإجلال الأوساط الفكرية وتقديرها العميق . فكروتشى علم على طلاقة الفكر والأدب والفن وانطلاقه من القيود التى يقيده بها السلطان والمجتمع . فهذا الشيخ الجليل ، الذى تحدى موسيلينى فى أوج جبروته ورفض التعاون مع من ورثوا السياسة والحكم بعد موت موسيلينى ، عنوان على صلابة الروح ومتانة الخلق حين تعتقد بما اقتنعت به عقليا وروحيا ، ولا بأس من أن تجهر بما تعتقد وتدافع عما تؤمن به حتى لو استدعى ذلك نقمة الواقفين للفكر الحر بالمرصاد

المســـلمون

شهرية جامعة

القيادة الفكرية للحركة الإسلامية

يصدرها

سعيد رمضان

* أسلوب علمى رصين
* منهج جديد فى تناول القرآن والسنه
* قانون مقارن
* اقتصاد مقارن
* مشروع دستور إسلامى
* قراءة جديدة للتاريخ
* معالجة مشكلات العصر بالفكر المستنير
* تحليل واع للاحداث والتيارات العالمية
* عرض مفصل لأحوال الأقطار الإسلامية
* منهج نفسى عذب فى التربية والتوجيه

كل ذلك فى إخراج منقى فنى أنيق

الاشتراكات : جنيه مصرى عن سنة

٦٠ قرشاً عن نصف سنة

للطلاب : ٨٠ قرشا ، ٤٠ قرشا ، ٢٥ قرشا عن ٣ أعداد (تضاف أجرة البريد خارج القطر المصرى)

الإدارة : ٣٢ شارع منيل الروضة القاهرة

(ت . ٢٤٤٥٥)

صدر العددان الأول والثانى من السنة الثانية

ولا يزال باب الاشتراك مفتوحا

من كتابها

حسن الهضيبى

معروف الدواليبى (سوريا)

البهى الخولى

محب الدين الخطيب

أبو الأعلى المودودى (باكستان)

عبد الوهاب عزام

محمد البشير الابراهيمى (الجزائر)

محمد أبو زهره

أبو الحسن الندوى (الهند)

مصطفى السباعى (سوريا)

سيد قطب

القاضى محمد محمود الزبيرى (اليمن)

محمد عبد الله العربى

محمد يوسف موسى

علال الفاسى (مراكش)

عبد القادر عوده

محمد ضياء الدين الريس

عبد المنعم خلاف

محمود حسن اسماعيل

محمد ناصر (اندونيسيا)

المجلة خاصة بالمشتركين ولا توزع مع الباعة

في عالم الكتب : نقد وتعريف

موكب الأشباح

ترجمة الدكتور عبد الحميد عنبر والأستاذ فتحي عبد الوهاب

هذا الكتاب الجديد يندرج تحت عنوانه طائفة من القصص المطولة والأقاصيص القصار ، منقولة نقلاً أميناً عن جهابذة الفن القصصي في الغرب من أمثال موباسان وسمرست موم وبيرميل وغيرهم ممن لمعت أسماؤهم في عالم القصة الزخار

والكتاب مصبوب في قالب من الأخيلة والرموز على نمط تلك الأقاصيص التي برع فيها الكاتب السويدي هانز أندرسن

وأحد المترجمين الفاضلين ، وهو الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب معروف لقراء « الرسالة » بتلك البحوث العلمية القيمة التي يطالعهم بها بين الفينة والفينة . وهو الذي تولى عن زميله تقديم الكتاب . وأعترف بأني أعجبت بهذه المقدمة أو بالجانب الأكبر منها ؛ لأنها تكشف عن كثير من جوانب الضعف الإنساني ، فنحن « نحلق في أجواء الخيال فنبني قصوراً من المخاوف ، ونخلق أنواعاً من مسوخ فرانكنشتاين ومصاصي الدم أمثال دراكيولا ، وغير ذلك من غريب ما يخلقه الفكر »

بيد أني وقفت طويلاً عند قول الأستاذ عبد الوهاب « إذا بحث باحث عن تاريخ قصص ما وراء الطبيعة يجد أن من أهم أسباب نشأته الخرافات والمعتقدات والرغبة في معرفة ما وراء الموت ثم الخوف والرهبة من الظلام » إلى آخر ما قال في هذا الباب من تفصيل يتناول المدارس المختلفة لقصص ما وراء الطبيعة

أقول إني وقفت طويلاً عند قول الكاتب هذا ، ثم أعدت تلاوة المقدمة خشية أن يكون فاتني منها شيء ، غير أني تأكدت أنه لم يفتني منها شيء ، وإنما فات الكاتب الفاضل ، فإن قصص ما وراء الطبيعة كانت بداءة ونشأة للأدب الرمزي ، ذلك أن الأدباء الأقدمين اصطنعوا الكناية ليعبروا برموزهم عن مقاصدهم السياسية التي لو أفصحوا عنها لقطعت رءوسهم وبذلت أرواحهم ، وقد سبق إلى ذلك ابن المقفع فأنشأ « كليلة ودمنة » وأورد آراءه السياسية كلها حكاية على ألسنة الحيوان والوحش والطير ، ثم قفاه أبو العلاء المعري فحلق في « رسالة الغفران » إلى السموات السبع ودخل الجنة وانحدر إلى الجحيم ، وكذلك فعل مؤلف كتاب « ألف ليلة وليلة » وإن كتاب « الكوميديا الإلهية » الذي وضعه دانتي الإيطالي في العصر الوسيط لمثل بارز على أن المؤلف أراد أن يرمز إلى آرائه الخفية في الإصلاح الديني وفي النهضة الأوربية التي كانت تتمخض في عهده

وإذن فليس الخوف من المجهول وحده هو الدافع إلى سرد قصص ما وراء الطبيعة والتخويف بالغول والعنقاء والهورلا التي ينقل المترجمان الفاضلان قصتها ، ذلك لو أننا جارينا كاتبنا الفاضل على هذا الرأي لسلبنا هذا النوع من القصص ركناً من أهم أركانه ، فهو من أهم دعائم الأدب الرمزي الذي يميل إلى التضمين الخفي والكناية البعيدة

والكتاب الأحرار في عصور الطغيان يفزعون إلى هذا النوع من الأدب فيستنطقون الحيوان ويناجون الأشباح ، وهم في ذلك إنما يومئون إيماءات ذات مغزى ويبدون آراء لها قيمة فيما يجري من الأحداث

وبعد فإن الكاتبين الفاضلين ليستحقان الثناء على ما بذلا من جهد وعلى ما قدما من صنيع

منصور جاب الله

متزيني

تأليف الأستاذ علي أدهم

متزيني علم من أعلام الجهاد الوطني ، ومثل من أمثلة الصبر على المكاره في سبيل الغاية المنشودة . وحسبنا أنه قضى أكثر من خمسين عاماً ، يقاسي آلام النفي والتشرد مكافحاً ضد استعمار النمسا لبلاده إيطاليا ، وعاملاً على تحقيق استقلالها ووحدتها . ولقد عاش حتى رأى وطنه يستقل ويتحد فكان في مقدمة بانيه . ولمتزيني من جهة أخرى اشتغال بالأدب ورأي في النقد ، ولو تفرغ لهذا لكان من

أعلام الأدباء

وقد صور لنا الأستاذ على أدهم شخصية متزيني تصويراً دقيقاً قام على التمحيص والاستيعاب ، فأنت تقرأ فى كتابه هذا عن متزيني الزعيم الوطني المجاهد ومتزيني الأديب النقادة

ولقد أحسن الأستاذ أدهم صنعا بتقديم هذه الشخصية الفذة لأبناء العربية فى وقت هم فيه أحوج ما يكونون إلى المثل فى الكفاح والصبر على المكاره

المسيح عيسى بن مريم

للأستاذ عبد الحميد جودة السحار

هذا كتاب جمع بين الدراسة والقصة فى طريقته . تتبع فيه الأستاذ عبد الحميد السحار حياة المسيح مرحلة مرحلة ؛ يصف لك بخياله الموفق بيئة المسيح عليه السلام وكيف نشأ ؛ ثم يتتبعه رسولا لبنى إسرائيل ويصف أسلوبه فى تبليغ رسالته وصلة حواريه به ، وخلاصة هذه الرسالة ، ثم يريك كيف كانت خاتمته ، كل ذلك فى أسلوب مشرق رصين ، وقصص ممتع . وقد جعل المؤلف ما جاء عن المسيح فى القرآن محور دراسته ، فهو يبدأ أكثر الفصول فى كتابه بآية من كتاب الله مناسبة لما يدور حوله ذلك الفصل ، ويرد أكثر ما عرف من حياة المسيح إلى ما تتضمنه هذه الآيات البينات فى كياسة ودقة نظر ، مما يجعل كتابه هذا جامعا بين المتعة والثقافة ومستوجبا الثناء الحق

شمس الخريف — بعد الغروب

للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

هاتان قصتان للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ؛ وقد أصبح للأستاذ عبد الحليم مكان مرموق فى مجال القصة المصرية الناشئة ، يبشر بما نأمل بمستقبل مجيد . ومن حق قصتيه هاتين أن نعرضهما فى مجال النقد ، بعد هذا التعريف الذى نبدأ به

تدور القصة الأولى حول مسألة هى : ماذا تأخذ منا الحياة وماذا تعطى ؟ وهى قصة شاب مرقته أمه وهو صغير من بيت أبيه بعد أن تزوجت برجل آخر فى الإسكندرية . وهاجر الشاب إلى القاهرة تاركا صبية له كانت فتاة ريفيه خادما هى كل من كان يحنو عليه من الناس

ولقى فى القاهرة ألوانا من العذاب والحرمان ، وما زال يخرج من شقاء ليدخل فى غيره ، وقد انقطعت الصلة بينه وبين أمه ، وبينه وبين حبيبته زمنا . وماتت أمه وتزوجت حبيبته ، وتزوج هو من سيدة قبلها على خطيئة لها فعاشت معه مكفرة عن خطيئتها ثم ماتت بداء الصدر ، وقد أنجبت له ولداً ، عاش أبوه حتى رآه طبيبا للأمراض الصدرية ، وسعد الأب بابنه وابتسم له الدهر بعد عبوس طويل

أما القصة الثانية فهى قصة الفقير الموهوب يشق طريقه فى الحياة . ابن فلاح يتخرج فى كلية الزراعة فيجد أرض أبيه وقد انتزعها أحد المصارف ، فيعمل ناظراً لأحد الضياع ويحب ابنة صاحب الضيعة وتحبه ، وتريد أن يتزوجها ولكن أباه يرفض ذلك رفضا قاطعا ، ويوصى عند موته بأن تكون ابنته لابن عمها ، وتعرض هذه الفتاة عن حبيبها تنفيذاً لوصية أبيها ومخافة من الشائعات وسوء الظن بها إذا هى تزوجته بعد موت أبيها

ويطرد ابن عمها ذلك الشاب من الأرض ، فما يزال يكدح فى سبيل رزقه حتى ينتهى به الأمر إلى أن يصبح رئيس تحرير إحدى المجلات

ويكتب قصته يصف فيها مأساة قلبه ، ويضفى على حبيبته ألوانا من الغدر وعدم الوفاء ، فتذهب للقائه وتذكر له حقيقة أمرها

ويتذكر كل منهما ماضيه ، ولا يأسف الرجل على شىء من هذا الماضى ، وإنما الذى يكدر عليه حياته حاضره الخالى من الولد ؛ وقد استبان له أخيراً أن السعادة الحقيقية إنما هى فى الولد

والأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله يكتب فى أسلوب عربى صحيح خال من التكلف ، وأسلوبه جدير بالنقد الذى لا يتسع له هذا المجال . ولعلنا نعود إلى قصتيه هاتين فى فرصة قريبة بما يستحقان من نقد وتقدير الخفيف

مسرح وسينما

صندوق الدنيا

تأليف : الأستاذ توفيق الحكيم إخراج : الأستاذ سعيد أبو بكر
تمثيل : فرقة المسرح المصرى الحديث

للأستاذ على متولى صلاح

لا أدرى من الذى أطلق على هذه التمثيليات القصيرة اسم « صندوق الدنيا » ؟ أهو المؤلف ؟ أم المخرج ؟ وسواء أكان هـذا أم ذاك فإن الشيء الذى لا شك فيه هو أنه إنما أريد بهذه التسمية جلب المتفرجين، فإن كلمة «صندوق الدنيا » كلمة شعبية لها استدعاء خاص فى نفوس سواد الناس الذين كان هذا الصندوق الخشبى يبهرهم ويستهويهم عندما يطوف بهم فى القرى والمدن وهم أطفال يدرجون

ولو أنهم سموه « صندوق العجائب » لكانت التسمية أدنى إلى الصدق ؛ فإن الذى طلع به علينا هذا الصندوق إنما هو من الخوارق العجائب حقا :

وهل نشاهد فى حياتنا الدنيـا كثيراً من أمثال « صالح بك زهدى » الذى يحتقر المـال ويزدريه وهو ومن يعولهم أحوج ما يكونون إليه ؟ أو هل نرى كثيراً من أمثال « سهام » تلك الفتاة التى ملأت نفسها شهوة القتل وتأجج بها فؤادها وملكتها « رغبـة جامحة وقوة قاهرة تدفعها إلى أن تقتل شخصاً » كما تقول ؟ أو هل نرى كثيراً من أمثال « عبد الغنى بك » البخيل الذى أربى على البخلاء العالميين الأفذاذ من أمثال « الـكندى » « وليلى الناعطيـة » بخيلى الجاحظ ، و « هارباجون » بخيل موليير ، و « شيـلوك » بخيل شكسبير ، و « أوجين جرانديه » بخيل هونوريه دى بلزاك ؟ إن هـذه الشخصيات فلتات فى الحياة الدنيا ، ولـكن الرغبة فى ازدحام المسرح بالناس هى التى أدخلتهم «صندوق الدنيا»

ولا أدرى لماذا يتشبث الأستاذ توفيق الحكيم بأن يصف هذه التمثيليات المتفرقة باسم « مسرحية » ويأبى جاهداً إلا أن تـكون مسرحيـة واحدة رغم ما بينها جميعاً من « كمال الانقطاع » كما يقول رجال البلاغة ؟ مع أن المسرحية القصيرة أكثر مشقة على المؤلف ، وأشد تضييقا عليه بحـكم قصرها وقلة أشخاصها ومناظرها عن المسرحية الطويلة ، وتوشك المسرحية القصيرة أن يكون لها القدح المعلى فى العصر الحديث ؟ أغلب الظن أن المؤلف لم يجد بدا من هـذه التسمية وهو يقدم هذه الفصول إلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، أو أنه استشعر الحرج إن هو سماها باسم جديد لم يألفه الناس فجنح إلى السلامة وتـكلم باللغـة المألوفة عند الناس — وهو يضمر غير ذلك — ثم أخذ يبحث عن الأسباب هنا وهناك ! وأخذ يؤكد للناس أن الحـكمة فى جمع هذه الصور المتعددة فى صعيد واحد أن ذلك « مما يساعد على إظهار صور المجتمع فى أوضاعه العديدة المختلفة » وذلك قول مردود ؛ فليس المهم فى المسرح أن تـكثر المعروضات وتزدحم الموضوعات فهذا ميدانه الملحمة لا المسرحية ، وقد يتناول المؤلف المسرحى غريزة واحدة أو معنى واحدا فيقيم عليه مسرحية ضخمة ، تنبثق منها العبرة ، ويفيض على جوانبها الفن والجمال، كما فعل شكسبير مثلا حيث تناول غريزة « الغيرة » فأقام عليهـا مسرحية عطيل ، وغريزة « الجشع » فأقام عليها مسرحية مكبث ، وغريزة « الانتقام » فأقام عليهـا مسرحية هملت ، وغريزة « الحـماقة » فأقام عليها مسرحيـة الملك لير ، والمسرح « لقطة » واحدة من الحياة تعيشها ساعتين أو ثلاثا متحداً مع ما تراه ، مندمجا فيه بقلبك وعاطفتك ، وليس المسرح « معـرضا » كبيرا أو « موكبا » ضخما يمـر بك وأنت منفصل عنه تراه بنظرك ولا يستطيع قلبك وعاطفتك أن يتابعاه !

ولقد كتب الأستاذ توفيق الحـكيم هذه المسرحيات بلغة أقرر أنها لغـة المسرح حقا ، كتبها باللغة العربيـة

السمحة السهلة المشرقة التي لا تعلو على أفهام السواد الأعظم من الناس ، والتي لا تزيد على ما يتكلمونه إلا خطوة ضئيلة هي أقصر خطوة — فيما نعرف — بين العامية والعربية ، وذلك أمر ليس — كما يتصوره البعض — سهلا ميسوراً ؛ فإن تقريب العربيـة إلى العامية مع المحافظة على سلامتهـا ونقائها وإمكان أن يفهمها النـاس جميعا ، أمر فوق أنه لا غنى عنه في لغـة المسرح ، فهو عسير غاية العسر ، وقد استطاعه — إلى حد كبير — صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم كما استطاعه صـديقنا الأستاذ على أحمد با كثير

هذا أمر أشهد به ويسرني أن أشهد به ، وأرجو أن يعلم المؤلفون المسرحيون أن الجزالة والفخامة وضخامـة الألفاظ وغرابتها ليست من المسرح في شيء .. وإن كنت ما أزال أرجو المزيد من الأستاذ توفيق الحكيم ؛ وآخذ عليه بعض كلمات كان الأولى أن يتجنبها ، كقوله « مقدم الصـداق » ولو قال « المهـر » لكانت أيسر ، وكقوله « إنني أثيرة عندك » ولو قال (إنني مفضلة عندك أو إنني عزيزة عليك » لكان أقرب ، وكقوله « وهـكذا دواليك » وهذه عسيرة جدا على المسرح ولوقال « وهكذا تدور أو هكذا تمضي الأيام » لكان أخف كثيرا . على أني أرجو كذلك أن يجمع الأسـتاذ إلى سهولة اللغة سلامتها من فساد قد يكون أضفاه عليها العرف، فهو يقول مثلا « إن رزقه محدود لا يكاد يكفي لفتح هذا البيت » وكلمة « فتح بيت » هذه قد أعطاها العرف معنى غير كريم فكان الأولى أن يتجنبها المؤلف ... ولقد أسلم المؤلف هذه المسرحيات بلغتها السمحة السهلة التي يقرؤها النـاس في كتابه « مسرح المجتمع » إلى ممثلين أبوا — كما حـدثنا الأستاذ المؤلف — إلا أن ينزلوا بها إلى العـامية اعتقادا منهم أنها عسيرة على أفهام الناس وأنهـم لن يستطيعوا متابعتها ، وقد ينتهي ذلك بالإعراض عنها ، ولـكنهم في ذلك جد مخطئين

أما المسرحية الأولى « دنيا المبادئ » فتقوم على رجل لا تسـتهويه المادة وهو أشد الناس حاجة إليها ، رجل يؤثر الفضيلة والأخلاق على أعراض الحياة ؛ ويؤمن إيمانا عميقا بالمثل العليا ولو جلبت له الفقر ولذوبة الحاجة والحرمان ويذكرني هذا الرجل الذي قدمه لنا توفيق الحـكيم في مسرحيته هذه وأعني به « صالح بك زهدي » رجلين قدمهما لنا من قبل الـكاتبان الشهيران : موليير وهنريك إبسن ، فقد قدم لنا الثاني (دكتور ستوكمان) وهـذان الرجلان وصاحبهما الجديد (صالح بك زهدي) يقفون من الحياة موقفاً واحداً ، ويتخذون صفات واحدة ، وإذا عرفت أحدهم فقد استغنيت عن صاحبيه !

وليس في هذه المسرحية بناء مسرحي على الإطلاق ، وإنما هي حوار طويل جداً بين رجلين استغرق في كتاب الأستاذالمؤلف اثنتي عشرة صفحة كاملة لا حركة خلالها ، ولعل الأسـتاذ المؤلف قد استشعر الملل الذي استشعره النظارة ، فأراد أن يكسر حدته بأية حركة ، فأدخل الخادم بصينية القهوة بعـد تسع صفحات كاملة ! على أن المخرج مسئول عن ذلك أيضا ، فالمخـرج ينبغي أن يكون أكثر إحساساً بعواطف الجمهور من المؤلف ، والمخـرج ليس آلة صماء في يد المؤلف ، ولـكنه متمم له يستدرك ما يفوته ، ويكمل ما ينقصه . ولم يكن بطل هـذه التمثيلية وأعني به « حمدي غيث » يمثل وإنما كان يخطب ! وتلك النزعة إلى الخطابة تلازمه كثيراً ، ويبدو أنه يجد فيهـا نوعا من التميز والتفرد والبروز على إخوانه ، وأنا أرجو أن يحد من هـذه النزعة المسيطرة عليـه ، وأن يلبس لـكل حال لبوسها قبـل أن يستحيل إلى يوسف وهبي آخر ! وإن لم يستطع فليعتزل التمثيل إلى سواه ...

وأما المسرحية الثانية « دنيا الوفاء » فتقوم على أزمة نفسية خطيرة ملأت قلب فتاة شابة هي « سـهام » ... أزمة الرغبة الجامحة في القتل ، رغبة « ليس باعثها الانتقام بل لا باعث لهـا على الإطلاق . إنها شـهوة القتل لذاتها مجردة عن أي باعث » إن هـذه الفتاة كما صورها المؤلف

« فتاة تصوم وتصلى ويتمزق قلبها رحمة بالطفل البائس ابن الـكناس فتصنع له بيدها ثوباً يكسو عريه ، فتاة حسناء وديعـة مثقفة ، لاتطيق سماع مواء قطة جائعة . ولـكنها مضطرة برغبة جامحة إلى أن تقتل شخصاً ، وما تكاد تنفرد بخادم فى المطبخ وفى يدها سـكين حتى تلمع عيناها ببريق غريب وتهم بطعنه » هذه هى فتاة توفيق الحـكيم .. فتاة يرثى لها ويشفق الإنسان عليها ، فلما تسلمها منه الممثلون أحالوها إلى فتاة مضحكة ترفه عن النظارة وتسرهم بما تأتى من حركات بهلوانية متكررة طويلة !

على أنى أسأل الأستاذ المؤلف لماذا سكنت ثائرة الفتاة فى النهاية مع أن القتل لم يتم ؟ وهل يكفى لتسـكين هذه الثورة الجامحة أنها « اعتقدت أنها قتلت » كما يقول الأستاذ مع أنها تبينت الأشـخاص الثلاثة الذين صـوبت إليهم مسدسها فوجدتهم فى سلام ؟ وتبينت كذلك أن مسدسها كان محشوا بالبارود الذى لا يقتل ؟ لو أن المؤلف جعل الفتاة تولى الأدبار عقب إطلاقها مسدسها مباشرة ودون أن تتبين شيئاً مما حدث لـكان أدنى إلى المعقول وأقرب إلى منطق الأشياء ، لأن الفتاة كانت تعتقد حقا أنها قتلت

وآخذ على الأستاذ المؤلف أنه يفسر موقف الفتاة فيقول « آه .. لقد قتلوا فيك روح الحياة ، فحل فيك حب الموت » وذلك بعد تمهيد مفتعل ليؤدى إلى هذا الـكلام . وهذا التفسير اللفظى ليس من المسرح فى شئ ، فالمسرح تفسره الأفعال لا الأقوال كما يعلم الأستاذ ، وإنما يحتاج إلى الـكلام إذا لم تستطع « الأفعال » وحدها أن تقوم بالتفسير والإفهام !

وأما المسرحية الثالثة « دنيا الأعمال » فهى أدنى هذه المسرحيات إلى واقع الدنيا ، وتقوم على صورة من الاتصالات غير الشريفة بين الشركات وبين رجال الحـكومة الذين يسترون أعمال هذه الشركات فى دور الحـكومة نظير سهرات لطيفة ، ورشاوى و « إكراميات » طريفة ، وهى مسرحية تقوم على مشاهد مألوفة كثيراً لدى رواد المسارح ، والحوار فيها حسن ، والدور الذى قامت به « سناء جميل » وهو دور المغنية المتبذلة كان شاقا وقد أحسنت القيام به إلى حد كبير ، غير أنها لم تخف تبذلها بعد حضور زوجة الرئيس وتقديمها إليها على أنها زوجة مدير الشركة رغم هذا ! وأعجب من هذا وذاك ألا تكون بهذه الشركة الكبيرة حجرة للاستقبال فتدخل زوجة الرئيس إلى حجرات صغار الموظفين والفروض أنها مشغولة بهم لولا المصادفة !

أما المسرحية الرابعة «دنيا المال» فتقوم على شيخ بخيل يذكرنى بصفة خاصة بها رباجون بخيل « موليير » .. ولا أدرى كيف ينسى هـذا البخيل العتيد أن يجعل للتليفون قفلا ويتركه لخادمه مفتوحا فى حين أنه أوثق الرتاج على البن والسكر ! ولا أدرى كيف يبقى خادمه « بسطويسى » عنده عشرين عاما متوهما بأن له فى « الوقفية » نصيباً وهو أدرى الناس بسيده وبكاذب وعوده ؟ ولا أدرى لماذا يأتى « عدلى كاسب » بحركات جسيمة كثيرة جدا لا مدلول لها فى تصوير هذا البخيل ؟ ولا أدرى لماذا لم يظهر « عبد الرحيم الزرقانى » و « كمال يس » فى صورة الـكهلين الجليلى النظر كما أرادها المؤلف ؟ ولماذا يكره الناس الـكهولة حتى فى التمثيل ؟

وبعد : فهذه كلمة عرضنا فيها المسرحيات الأربع التى ألفها الـكاتب الـكبير الأستاذ توفيق الحـكيم ، ونجمل الرأى فيها بأنها خفيفة الظل جيدة الحوار حسنة اللغة ، وأنه كان من سوء حظها أن وقعت فى يد مخرج ناشئ لا يكتفى بأن يكون ممثلا ولا يرضى إلا بأن يكون مخرجا أيضا رغم عدم توفر الوسائل لديه ، ووقعت فى يد ممثلين كانوا أضعف من المسرحيات كثيرا

على متولى صلاح

أخبار أدبية وعلمية

معهد الدراسات العربية العليا

اتفق رأى جامعة الدول العربية بعد بحث عميق شامل على أن تنشئ بالقاهرة معهداً للدراسات العربية العليا تديره وتنفق عليه، وسيكون طلابه من خريجى الجامعات ومدة الدراسة فيه سنتان. أما الغاية من الدراسة فيه فهى التخصص فى كل ما يتصل بالبلاد العربية من قوانين وآداب وتاريخ وجغرافيا، وما يندرج تحت هذه الأصول من فروع وجزئيات تمس العروبة من قريب أو بعيد فى الحاضر والمستقبل. وستوزع هذه المواد الأربع على أقسام أربعة يكون لكل قسم منها رئيس يشرف عليه ويحاضر فيه. وقد اتفق على أن يعين فيه سبعة أساتذة دائمون يختار من بينهم مديره. أما الأساتذة الآخرون فيكونون محاضرين ينتدبون كل عام من البلاد العربية أو من غيرها على حسب التخصص والكفاية والحاجة. وسيكون للمعهد مكتبة عظيمة تجمع المطبوع والمخطوط فى شتى المواد، وقد أرصد لها فى ميزانية السنة الأولى أربعة آلاف جنيه

وسيبحث مجلس الجامعة فى شهر مارس القبل ميزانية المعهد وينظر فى اختيار أساتذته الدائمين ليكون معدا للعمل فى شهر سبتمبر القبل. وقد علمنا أن من بين السبعة المرشحين للكراسى الدائمة الأساتذة عبد الرزاق السنهورى، وساطع الحصرى، وشفيق غربال، وعبد الحميد العبادى

جهاز جديد لتغذية المرضى

تمكن الأطباء فى الفرقة الطبية من الأسطول الأمريكى من استنباط جهاز جديد لتغذية المرضى فى حالة الغيبوبة والإصابات التى لا يستطيع معها المرضى ابتلاع الطعام. والجهاز الجديد بسيط التركيب يتألف من أنبوبة دقيقة تتصل بالمعدة مباشرة عن طريق الفم وتوصل الطعام إلى معدة المريض بواسطة مضخة تراعى فى نقلها الغذاء إلى المعدة حساسية الأنسجة والجهاز التكوينى المعد لمعدة الإنسان بحيث لا يتأثر هذا الجهاز المعدى بالطعام المفروض عليه فرضاً فلا يتقيأ ولا يعبأ بالشعور الواعى للمريض

العلم ومتاعب الشيخوخة

العمر طال أو قصر فى يد الله. ومع إيمان عدد من كبار العلماء فى جامعة أكسفورد بهذه القدرية الإلهية فان ذلك لم يمنعهم من تركيز جهد خاص فى السنوات الأخيرة لمعالجة متاعب الشيخوخه فى نواحيها الصحية والنفسية

وقد وجد هؤلاء العلماء أن نسبة الشيخوخة فى سكان الأرض قد ارتفعت فى الآونة الأخيرة مما جعل أكثرهم عالة على المجتمع وعلى الدولة التى تأخذ بمبدإ الضمان الاجتماعى للعاجزين والمعمرين

وقد نشر هؤلاء العلماء مؤخراً تقريرهم عن الدراسة التى قاموا بها وأوحوا إلى الذين تقدمت بهم السن أن يراعوا الإرشادات التالية إذا رغبوا فى أن تمر شيخوختهم بسلام

١ — الحرص دائما على الاعتماد على النفس وتفادى الاستعانة بالآخرين ما استطاع الشيخ إلى ذلك سبيلا. فشعور الشيخ بأنه عالة على الآخرين يخلق له أزمات نفسية سيئة ويجعل احتمال الآخرين له مشوبا بطابع التأفف والملل

٢ — من الخير للذين تقدمت بهم السن أن يحاولوا دائما القيام بعمل عقلى وجسمى ليثبت لنفسه وللآخرين رغبته فى أن يكون غير مشلول النشاط فى المجتمع الذى يعيش فيه. ويجب أن يراعى الشيوخ أن طاقتهم على العمل العقلى والجسمى محدودة بالقياس إلى طاقة الذين هم دونهم فى العمر والقوة الجسدية. ولذلك فإن نشاط الشيوخ يجب أن يراعى هذه الحقيقة فيتجنب منافسة الآخرين لئلا يجلب على نفسه لونا من النقد والتحدى الذى ينفر الناس منه

أما الإرشادات الصحية التى نصح علماء الأعصاب بها الشيوخ فهى :

— تفادى الإرهاق العصبى

— الإكثار من تناول الفيتاميات من مختلف الأنواع

— التريض الخفيف الذى لا يرهق الجسم ، والتعرض للهواء الطلق وأشعة الشمس الدافئة

اكتشاف جديد فى عالم الآثار

كان الرأى السائد بين علماء الآثار أن الأهرام التى بناها قدماء المكسيك (المايان) فى أمريكا الوسطى لم تكن تحتضن قبورا أو هيا كل دينية أو ماشا كل ذلك من طقوس الدفن التى تعرفها أهرام مصر وآثارها الفرعونية

وقد حدث منذ بضعة أسابيع أن توصل عالم مكسيكى إلى كشف دهليز سرى متفرع عن أحد الأهرام فى أنقاض مدينة (بالانك) فى جمهورية المكسيك يؤدى إلى معبد دفنت فيه ست جثث لستة من الصبايا والفتيان الذين يعتقد أنهم من كهنة المعابد فى عهد (المايان) الذى كانت حضارته تعم تلك الجزر من أمريكا الوسطى قبل اكتشاف كولومبوس لها . وسرعان ما أثار هذا الاكتشاف الأثرى اهتمام علماء التاريخ القديم فتدفقت البعثات الأثرية على المكسيك لتحاول أن تكشف ما ضمنته أهرام المكسيك القديمة من تراث يلقى ضوءا جديدا على حضارة ذلك العهد البائد

كاتب إيطالى بارز يؤلف بلغتين فى وقت واحد

ينفرد المؤلف الإيطالى (كارلو كاتشولى) بين كتاب الجيل بأنه ينشر كتبه فى لغتين : الإيطالية والفرنسية فى آن واحد ، فيبدأ بالإنشاء على الآلة الكاتبة الإيطالية مباشرة ، ثم يتوقف بعد ساعات من العمل يترجم ما كتبه إلى الفرنسية بالقلم الحبر

وكاتشولى قصصى نابه يحسن اللغة العربية ويتتبع إنتاجها الفكرى . وقد ظهر له حتى الآن عدة كتب ناجحة منها كتاب « السماء والأرض » الذى ترجم إلى عدد من اللغات الحية . وهو يحمل دكتوراه فى « إدارة المستعمرات » من جامعة نابولى . وقد خدم فى السلك السياسى الإيطالى فى مستعمرات إيطاليا الإفريقية السابقة

المكتبات العامة وكتب الدعاية

رفض مؤتمر الاتحاد الأمريكى للمكتبات العامة الذى انعقد مؤخرا قبول اقتراح عرضه عليه نفر من رواد كبريات المكتبات الشعبية لفصل الكتب التى تحمل فى ثناياها دعاية شيوعية عن بقية أجزاء المكتبة ، والإبقاء على تصنيفها فى المواضيع التى تعالجها كما هو الحال فى بقية أنواع الإنتاج الفكرى الذى تصنفه المكتبات

واستند المؤتمر فى رفضه لهذا الاقتراح إلى أن المكتبات تحتوى الغث والسمين فلا حاجة لفرض رقابة قاسية على القارئ الذى من حقه أن يكتشف لنفسه صلاح الكتاب وشره

عالم روسى يدعى الخلق الصناعى

تزعم أكاديمية العلوم الطبيعية فى موسكو أن أحد العلماء الروس قد استطاع القيام بتجربة علمية جديدة تعد من أخطر التجارب فى تاريخ العلوم الطبيعية

واسم العالم ب . بوشيان ، وقد تفرغ فى السنوات الأخيرة على التجارب فى علم الحيوان . وقد نشر فى إحدى المجلات العلمية الهامة مؤخرا بحثا ادعى فيه أنه قد توصل إلى أن يستخرج من موات المادة جرثومة تنبض بالحياة ، وأنه استطاع كذلك أن يحول هذه الجرثومة إلى مكروب . أما حجم الجرثومة التى ادعى هذا العالم الروسى أنه قد خلقها من المادة الميتة فتبلغ $\frac{1}{3}$ ٢ مليون من الليمتر — وهو حجم لا يرى إلا بأدق المجاهر

ولم يستطع العلماء خارج الاتحاد السوفييتى أن يتأكدوا من صدق هذه التجربة الخطيرة التى تعد تحديا للمعجزة الإلهية . ومن هؤلاء العلماء من يتهم الروس بترويج هذا النبأ ليهدموا ما تبقى من العقيدة الدينية فى المجتمع الشيوعى

البترول فى إفريقيا

أصدرت الجمعية الأمريكية لعلم الأرض تقريرا عن المعادن والمواد الأولية فى القارة الإفريقية جاء فيه أن بطن الأرض الإفريقية يحتوى من مواد البترول ما يفوق أهم المناطق البترولية المعروفة حتى الآن. ولدى وزارة المستعمرات البريطانية تقارير هامة عن المعادن والمواد الخام الهامة التى كشف عنها العلماء الانجليز فى أماكن عديدة من القارة الإفريقية، ولكن هذه التقارير لا تزال طى الكتمان إلا عن الشركات والمؤسسات الاقتصادية التى يتعاون معها الاستعمار على استغلال خيرات البلاد التى لا تحكم نفسها بنفسها

سيارة جديدة للذين فقدوا أيديهم

أتم أحد مصانع السيارات الأمريكية صنع سيارة من نوع جديد قصد به تسهيل القيادة للذين فقدوا أيديهم فى الحرب أو حوادث الاصطدام. وجهاز القيادة والتوجيه الذى ألحق بهذه السيارة الجديدة مركب بشكل أوتوماتيكى لا يتطلب من السائق العاجز إلا أن يضبط زرا معينا فيضمن له كل ما تقوم به اليد السليمة من حركات لضبط السيارة المتحركة. وقد أنجزت هذه التجربة بطلب من جمعية مشوهى الحرب الأمريكية التى تسعى لتوفير سبل الراحة لأعضائها

مارسل بروست

تتولى جمعية « أصدقاء مارسل بروست » الأديب الفرنسى العظيم نشر مؤلفاته وستصدر الترجمة الانجليزية فى الولايات المتحدة عند الناشرين سيمون وشوستر. وستصدر الترجمة الإيطالية عند الناشر الإيطالى إيناودى بميلانو

ولا تزال السيدة جيرار مانتى بروست ابنة أخى الأديب بروست توالى نشر بعض مؤلفاته التى لم تنشر

وستجمع كل المقالات والأبحاث التى كتبت عن الأديب بمناسبة مرور ثلاثين عاما على وفاته فى مجلد واحد يصدر بعد شهرين. وقد توفى مارسل بروست فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢

نقوش سامية ترجع إلى ٦٠٠ عام قبل الميلاد

عكف أعضاء « أكاديمية » النقوش والذخائر الأدبية على دراسة اثنى عشر ألف نقش عثر عليها فى جنوب الجزيرة العربية ويعود تاريخ بعضها إلى عهود ملوك سبأ فى القرن السادس قبل الميلاد

وقد أهدى هذه النقوش إلى الأكاديمية الأستاذ كانون رشماتز أستاذ اللغات السامية بجامعة « لوفان » وكان قد توغل منذ عهد قريب فى جنوب الجزيرة العربية مع الحاج عبد الله فلبى، وقطعا نحو ١٧٥٠ ميلا يصحبها بلجيكيان؛ ولكنهما قطعا ضعف هذه المسافة فى مناطق لم تطأها أقدام الأوربيين إلا القليل. وقد أعدت الرحلة تحت رعاية الملك عبد العزيز آل سعود

وقد نوه الأستاذ كانون فى العرض الذى ألقاه فى باريس عن رحلته بالهدوء الشامل الذى يغمر تلك الربوع والعون الذى لقياه من رجال الحكومة السعودية وموظفيها

هل تصدق أن فتاة تعيش على الهواء ؟

صرح القاضى ا . س.ب. إيار بالمحكمة العليا فى مدراس فى بيان وزعه على الصحفيين بأن (دانا لكشمى مركارا) الفتاة الهندية التى تعيش فى جنوب الهند وتبلغ من العمر ١٧ عاما وأذيع أنها تعيش بلا طعام أو شراب منذ شهر مايو الماضى تعتبر تحديا لجميع النظريات العلمية

وقال إيار الذى قابل الفتاة وتحدث اليها إنها تعيش على الهواء! وأضاف قائلا إنها منذ طفولتها لم تكن تشعر بالجوع أو العطش لفترات طويلة، ولكنها منذ شهر مايو الماضى امتنعت عن الطعام كلية. وعندما أجبروها على الأكل فى المستشفى نقص وزنها، وقد وجدها الأطباء طبيعية تماما فى كل شىء آخر

طرائف وقصص

أقصوصة مصرية

زعيم الطلبة

للأستاذ السيد حسن قرون

كان يجلس في الفصل ساكنا ساكتا ، لا يسأل ولا يسأل ، ولا يشترك في نقاش جل أو هان . فإذا نزل إلى فناء المدرسة انزوى في مكان قصي ، ونشر صحيفته ، وأخذ يقرأ قراءة المهموم ، حتى إذا عاد إلى فصله مرة أخرى جر نفسه في تباطؤ وانكسار . وكان من يراه يظنه من المتفوقين الذين حبسوا أنفسهم على الدرس واستيعاب العلوم ، وكان نجاحه على وتيرة واحدة لا ينقضها ولا يخالفها ، فقلما نجح من الدور الأول . وكان إذا أراد أداء امتحان الدور الثاني أوحى إلى أبيه في القرية أنه في حاجة إلى السفر إلى المدينة. وأبوه — والحق يقال — لا يعرف من أمره شيئا ، ولا يسأل عن نتيجته . وكان سلوكه يطمئن والده ، فالثقة فيه متوافرة ، والاعتماد على عقله الحصيف ماثل ، فليس ثمة داع إلى الريبة والظن. وماذا يرجو والده منه ؟ هو ناجح ، وينتقل من فرقة إلى أخرى ، وها هو ذا في السنة الثالثة الثانوية ، لم ير أحد منه رسوبا ولا تقصيرا

لكنه على حين غفلة أصبح زعيم الطلبة . أما كيف سار إلى هذا المركز فهذا ما يحتاج إلى حديث . لقد جاءه الوحي بالزعامة ، والمدرس يشرح الدرس ، وما من شك في أنه لم يسمع كلمة ، ولم ير أحدا ممن حوله فقد كان في شغل شاغل ، طرح به بعيدا عن المدرسة والدراسة ، فلما دق الجرس ، وطار الطلبة إلى الفناء تخلف عنهم قليلا ، ولما تأكد من خلو الفصول من طلابها صاح بأعلى صوته : ليسقط الاستعمار ! ليسقط « صمويل هور » ! ونظر الطلبة إليه وسمعوه يردد الهتاف مرة ومرة ، فهرعوا إليه يرددون نداءه ثم خطب خطبته المشهورة — كما يقال في الزمن القديم — ودعاهم إلى الثورة ، وترك العلم ، وقفز إلى خارج المدرسة ، وهتافه لا ينقطع ولا يفتر ، واندفع وراءه جمهور الطلاب ، وسارت المظاهرة تجوب شوارع أسيوط ، وتمرج من حين إلى حين على مدرسة في طريقها ، فتخرج طلابها . وهكذا تضخمت المظاهرة ، وشق هتافها عنان السماء — كما تقول الصحف — وكان الناس يرون طالبا محمولا على الأعناق يكاد يخرج من جلده ، وهو يصيح بسقوط الاستعمار .. وانتهى بزعامة جديدة تضاف إلى الزعامات القديمة . ومن هذا اليوم اشتهر الأستاذ « بهلول » وهذا اسمه ، وعرفته المدينة ثائرا لا يهدأ ، وخطيبا لا يسكت ، وزعيما سياسيا لا يعجز عن حل المعضلات . وأنت تعلم تماما أن الزعماء يشقون طريقهم إلى المجد بالعرق والدموع ، ولا يصلون إلى الصفوف الأولى إلا بعد أن يصبح النهار بسواد شعرهم ، ولكنه — أي زعيم الطلبة — خرج هكذا فكان زعيما زعيما ! مطبوعا قاد الطلاب في صباه ، وحير البوليس بأساليبه وألاعيبه ، ويقال : إن الزعيم ينبغي أن يكون قوي الجسم ، ضخم الجثة ، ريان العود ، حاد النظر ، جهوري الصوت ، حتى يسحر الجماهير . وأنا أعترف لك ولا أحلف بأن زعيم الطلبة حرم تلك الميزات ، فقد كان نحيلا ، لو تركا عليه طالب بالسنة الأولى الابتدائية لانهدم ، وقيئا تقتحمه عيون الأطفال بلا مبالاة ، وله عينان بارزتان في استحياء ، وفم انفرج من كثرة الثرثرة والنداء ، وله صوت لا يصلح للغناء ، ومع هذا كله كان نشيطا سليطا يروع حفظة الأمن ، لا يكل ولا يمل ، فهو شعلة متقدة ، تراه في ناد وبعد قليل في مقهى . واتسعت دائرة شهرته ، فلا يقام حفل إلا كان من خطبائه ، ولا يجتمع التشاور جماعة إلا كان بينهم ، وإذا تحدث إليك أفاض في الحديث ؛

فهو ملم بأخبار الـ[illegible]ـرضية دولة دولة وزعيما زعيما ، ولا بأس أن يحدثك [illegible]ان ويأجوج ومأجوج ؛ لأنه يحب الثقافة العامة ولا يقف [illegible] أمر من الأمور ، وكان يقول : إن لكل شئ موضعا

وتوالت الأحداث — ولا أحداث هنـاك — وإذا بالأستاذ بهلول يصر [illegible] الثورة والتظاهر ، وإذا بالبوليس يقف منه موقفاً شاذا ، [illegible]ـكنه لا يتراجع ، وينتهى الأمر بالقبض عليه

والقبض على زعيم الطلبة معنـاه الثورة ، والثورة الجامحة الطاغية ! وأضـرب الطـلاب احتجاجا على إهانة زعيمهم ، وسرعان ما أفرج عنه ، واستقبلوه هاتفين وحملوه على الأعناق . ونظر إلى نفسه فداخله الغرور ، أو قل إنها الثقة والطموح ، وفكر فى زعامته فوجد مدينته لا تصلح لهـا ، وأنه فى حاجة إلى أفق رحيب ومجال أوسع ، فلا يليق به بعـد ما بلغ ما بلغ أن يستقر على حاله تلك فلينتقل إذن إلى العاصمة ، فهى فى شوق إلى أمثاله

ونظر إخوانه ذات يوم فلم يجدوا زعيمهم ، وانتظروا أخباره ، ولـكنها بعدت عنهم ، وبعد حين يطول أو يقصر وصلت عنه الأنباء عاطرة بذكره ، تشيد بأعماله الكبار ، فقد دخل القاهرة دخول الظافرين ، فجاب أنحاءها ، ولمـا يسترح ، وهاجم نوادى الأحزاب ولما ينفض غبار السفر ، ولم يلتفت إلى ما حوت من جمال وحضارة ، ولم يفـكر فى متحف أو ملهى ، فالأمر أجل من ذلك خطراً ، ولم يضيع الفرصة وهى سانحة ، ولم يؤخر عمل اليوم إلى غد ، وحياة الزعماء تنفد بالدقائق والتوانى . ولما كان فى فطرته الثورة ، فقد انضم إلى حزب المعارضـة . وابتدأ العمـل ، واتخـذ الفنادق مأوى ، والمقـاهى مورداً ، ولم يستطع فى بادئ الأمر أن يزاحم خطباء الأحزاب ، فالأحزاب مليئة بالشباب الثائر الفائر ، والبلغاء الأيناء ، وما عليه أن يكون هتافا ، وهو واثق من نفسه على كل حال ، وقد عرفه الناس جريئاً يتوجه إلى رئيس الحزب ، فيهنئه بسحر البيـان ، وقوة المنطق ، ورئيس الحزب فى غنى عن إطرائه وثنائه ، ولـكن الزعامة لا تتقيد — كما كان يقول الأستاذ حافظ عوض فى ذلك الزمان

ولم يمض على الأستاذ بهـلول شهران حتى صادفتـه عقبات — كـكل الزعماء — فقـد أصبح خالى الوفاض لا يملك من المـال شيئا ، فقد انقطع بر والده به ، ووالده غير ملوم فيما فعل ، فهو مستعد للانفاق على ابنه ما طلب العلم ، أما أن يهرب من المدرسة فماله بين يديه لا يرسله إليه . وفكر فى شأن والده فرآه على ضلال مبين . لا يقدر الأمور قدرها ، ولا يحسب للوطن حسابا . إنه ذو أثرة يقدم منفعته على منفعة الوطن . وما فائدة العلم فى بلد محتل ! ومن أين علم أن ابنـه يعيش حتى يجنى ثمرة تعليمه ، لقد وهب للوطن نفسه ويود أن يسقى شجرة الحرية بدمائه ، ومع ذلك فهو على جانب كبير من المعرفة ، فهو يستطيع أن يكتب ويخطب ويجادل ، ولا يعيا ببرهان . ماذا ينقصه ؟ ولو كان والده على علم بمـا يجول بخاطره ، أو يفـكر فى مستقبل وطنه ما وقف ذلك الموقف الشائن ! ولأغدق عليه النعم ، فما هجر العلم ليلهو ويلعب ، وما لنفسه بغى الخير . إن الوطن قد ناداه فلبى النـداء ، ودعاه فأجاب الدعاء . والوطن أكبر من الوالدين ، وأسبق منهمـا وجوداً ، وأجدر بالبر والطاعة

ثم قام من مكانه . ومضى فى طريقه لا يلوى على شئ ، ولا يحفل بشئ ، تمر عليه الدور والقصور ولا يعبأ بها ، وتجرى حوله السيارات ذاهبة آيبة ، ولا تحرك منه ساكنا . إن شؤون الوطن قد ملأت شعاب قلبه ، وحاطها بشغافه ، ولم يعد هناك متسع لغيرها . وفجأة وجد نفسه أمام قصر عابدين فبهت لمرآه ، وتيقظ تيقظا شديدا ، وسمرت عيناه فى شرفته ، وأراد أن يتكلم ، فجذبه الخوف جذبة أماتت الكلمات بين شـفتيه ، وبدا له أن يطوف حوله ، فأدى

الطواف مغيظا محنقا ، ثم تابع سيره ؛ حتى ألقى بنفسه فى مقهى متواضع دخله لأول مرة ؛ واتخذ له مكانا بعيدا عن الناس فقد عاوده الحنين إلى الوحدة ؛ وحدثته نفسه أن ينقد رواد المقهى ؛ فوجد نفسه مثلهم ؛ فاعتذر لهم فى ضميره وراح يسلى نفسه . فوضع الصحف المسائية أمامه على النضد بجوار الصينية وأخذ يقرأ حتى انتصف الليل ؛ وصاح صاحب المقهى يأمر بإغلاق الأبواب . فلما أحس تلك الصيحة نهض متثاقلا يجر رجليه جرا

ماذا يفعل ؟ إن ما معه من النقد لا يقوم بأمره . أيذهب إلى صديق ليقضى عنده بقية الليل ؟ ولم لا يوافق على هذه الفكرة . أيسير فى الشوارع إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ؟ وهنا هز رأسه علامة الرضا ؛ وصار يقطع الطرقات ؛ ويحادث العسس ؛ ويرمق السيارات ورا كبيها ؛ واحتجت مبادئه السامية ؛ فلعن القدر وحياته الفاشلة . ثم سكنت المدينة وهو يدب فى أحيائها وحيدا شريدا

واستقبل الصباح خائرا كئيبا ، لا تكاد تحمله قدماه ، وعلى غير وعى ألقى نفسه فى مقهاه ، وشرب شايا ممزوجا باللبن ، وقرأ صحف الصباح بالمجان . فلما متع النهار شد جسمه إلى السير ، والسير المجهول، ومضى فى طريقه تتناوشه الأفكار السود من كل جانب . ومرت فكرة عن حزبه مر الجانب ، ففرح باحتجابها ، فقد يئس منه كل اليأس . وفجأة سمع هتافا حارا ، فاندفع نحوه بما يملك من قوة فوجد ضالته المنشودة ، وجد مظاهرة كبرى ، فاندمج فيها كأنه محركها ، وما هى إلا هنيهة حتى كان على الأعناق يهتف وينادى بسقوط الحكومة ، ولم يقف البوليس مكتوف اليدين ، بل فرق المظاهرة وقبض على زعماء الحركة وفى مقدمتهم زعيم الطلبة . وفرح جدا حين اقتحم باب السجن كأنه مجرم تعود حياة السجون ، وبات ليله يغط فى نوم عميق ، ولم ير الشمس حين أشرقت بنور ربها ، ولكنه أحس بها من داخل قلبه ، وشعر بارتياح عظيم ، وقدم إليه طعام غير طعام السجن فرضى عن نفسه وعن حزبه ، ومرت عليه خواطر بيضاء ، وأحلام حلوة . ولم يخرج من السجن إلا يوم سقوط الحكومة . وخرج ليكون من المجاهدين

لقد كان سجنه نقطة تحول فى حياته ، فقد أصبح يجد المال ميسرا ، وأصبح خطيبا يشار إليه بالبنان ، يتحدث عن الاعتقال ، والصبر على الاعتقال ، وحاجة الوطن إلى الفدائيين . وأقبلت الانتخابات نخاض غمارها داعيا وهاتفا، وامتطى الطيارة مع أحد المرشحين ، وأطل من عل على المدائن والقرى ، والرداء الأخضر الذى يتشح به النيل ، وذاق النعيم ، وصار كالفراش يتنقل على موائد العمد والأعيان ، وأخذ يواصل العمل ليلا ونهارا . حتى إذا انتهت أيام الانتخابات — وليتها لم تنته — عاد إلى القاهرة ليتخذ دار الحزب مثابة وأمنا

هل دامت تلك الحياة السعيدة لزعيم الطلبة ؟ إن الدهر حول قلب ، وخلائق الدنيا خلائق مومس — كما يقول الشريف الرضى — فقد انقطع عنه ما كان يتقاضاه ، وران على الحزب سكون رهيب ، ولم يهش لاستقبال أبطاله ، وفكر قليلا فى ركود الحزب ، ولكنه نوى الرحيل

أتضيق القاهرة على زعيم الطلبة ؟ غداً يذهب إلى المدارس والكليات علَّه يجد ما يتمنى ، ونفذ ما ارتآه . فلم يجد حميماً ولا مطيعاً ، وحمد الله أن نجا بجلده من مخالب البوليس . وماله لا يكون صحفيا ، وقد كتب مقالا فى الأهرام بإمضاء مستعار ، فليذهب إلى دور الصحف ، ومن قبله أناس حرروها وما بأيديهم شهادات عالية ، وطاف يبغى عملا فسدت فى وجهه السبل ، فلجأ إلى حياة التشرد فأخذ يبيت عند هذا ليلة ، وعند ذاك ليلة ، حتى اجتواه من كان له محباً ، ومله من كان به معجبا ، ونبا به المقام ، واعترته الهموم والأسقام ، ووسط أناساً ليصلوا

بينه وبين والده فلم يوفق ، وطفق يتوسل إلى أحد النواب ليجد له وظيفة ، والنائب المحترم يراوغه أو يتهرب منـه ، حتى عد نفسه شقيا لا مكان له فى هذه الدنيا الواسعة

وذات يوم سأل عنه ذلك النائب ليزف إليه البشرى بالوظيفة المبتغاة ، فأخبر بمرضـه فطوى البشرى ، وتركه لدائه وبلواه . لقـد أصيب بالسل ونزل المستشفى للعلاج ، وهيهات هيهات أن ينجو منـه ، ومن أين له بجسم يقاوم ذلك الداء ... وأخيراً عجز الطب والأطباء

وذات يوم حضر والده ليرى ابنه محمولا على الأعناق ، ولـكن فى هـذه المرة إلى باطن الأرض ، فقـد آن له أن يستريح من ظهرها

السيد حسن قزويه

السجن ودعاية الشاعر

« أنا لست محتالا . أنا شاعر أحب أن أداعب المجتمع . وهل دعابة الشاعر جرم ؟ »

هكذا وقف (فاومستينو فالانتين) أمام المحكمة فى إحدى مدن الأندلس منذ أيام يناشد القضاة بأن يغفروا له دعابة شعرية من نوع غريب

فقد أبى شيطان الشعر لهذا المواطن الأندلسى الشاب إلا أن ينشر فى الناس سلسلة من القصائد الرقيقة يحيى بها فتاة فقيرة من اللقطاء تخيلها شاعرنا ووريثة مال وفير تركه لها والدها الحقيقى وهو مركيز إسبانى من طبقة الأشراف . وبلغ من جمال هذه القصائد أنها رسخت فى عقول الناس على أنها قصة حقيقية . وساعد على ذلك أن الشاعر استعمل أسماء لأشخاص حقيقيين فآمنت بهـا الفتاة وآمن بهـا أحد البنوك الإسبانية فوضع تحت تصرف الفتـاة مبلغاً وفيراً من المال يساعدها على أن تهيىء نفسها لتلقى الإرث العظيم ريثما تفرغ الإجراءات الحـكومية التى تصاحب عادة نظام الوراثة فى إسبانيا

وعاشت هـذه الفتاة اللقيطة خمسة عشر يوماً عيشة المترفين من النبـلاء وأصحاب الألقاب الرفيعة بعـد أن أثبت صاحبنا الشاعر فى قصائده نبل محتدها ونسبها الرفيع

ثم تبين للبنك أن نسب الفتاة وإرثها المنتظر لا وجود له إلا فى مخيلة الشاعر . فقاضى البنك الشاعر أمام المحاكم المدنية بدعوى الاحتيال والتزوير ، وقال المدعى العام إن خيال الشاعر يجب أن يتطرف بحيث يستغل ظروفا تعسة لفتاة فقيرة ويشهر بها على أنها لقيطة ، ثم يدخل السعادة المزيفة إلى قلبها فى دعابة شعرية « شيطانية » متقنة بحيث أقنعت أشد القلوب قساوة : قلوب الصيارفة وأصحاب البنوك — فأضاعت عليهم مبلغاً من المـال قدموه للفتاة « الوارثة » فأنفقته فى ثورة ترف وبذخ طارىء

وطلبت المحـكمة قبل إصدار القرار من الفتاة أن تدلى بشهادتها فقالت : أجل لقد كذب هذا الشاعر ، ولـكن أليس من الممكن أن تكون قصته عن أصلى وفصلى وإرثى حقيقية ؟ وبعد فلم يصبنى من دعابته الشعرية أذى وإنى شاكرة له أن أتاح لى تذوق حياة الأشراف المترفين خمسة عشر يوما هى أيام لم يقو خيالى على أن يتصورها قبل أن آل إلى هذا الإرث الشعرى الجميل

ويبدو أن القضاة فى هذه المدينة الأندلسية لم يكونوا على قسط كاف من الإحساس الشعرى ، يدركون به قوة شيطان الشعر ، فحكموا على الشاعر بالسجن بضعة أشهر وبالغرامة المالية أيضا



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ١٢ يناير سنة ١٩٥٣ » السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

العربية والإسلامية

للأستاذ على الطنطاوى

سيقول القراء من المصريين : ما العربية وما الإسلامية ، وهما شيء واحد ؟ ومن قال بالعربية قال بالإسلام ؛ لأن العربية لم تكن شيئاً مذكوراً لولا الإسلام. ومن قال بالإسلام قال بالعربية ؛ لأن الإسلام دين ، نبيه عربى ، وقرآنه عربى ، وقبلته في بلاد العرب. والنداء إلى التوجه إليها بلسان العرب ؟!

لا يدرى القراء من المصريين أن هذا حديث المجالس في الشام والأندية والمدارس ، لا يمر يوم دون مناظرة فيه بين الشباب المسلمين الذين يحسبون أن من الإسلام محاربة الفكرة العربية وترك قيادها لغيرهم ، والشباب القوميين الذى يظنون أنهم يستطيعون تجريد العربية من الإسلام والدعوة إليها على أنها قومية من القوميات

وكذلك كانت الحال لما كنا ندرس في مدارس العراق حين اشتدت الدعوة القومية على عهد سامى شوكت في وكالة

وزارة المعارف . واستجاب لهـا المدرسون خوفا وطمعا . ومنهم من استجاب لها عن إيمان بهـا ، ولم يبق ثابتا على إسلاميته إلا ثلاثة : عبد المنعم خـلاف ، ومظهر العظمة ، وعلى الطنطاوى ، نقلوا جميعا إلى شمال العراق ، إلى مناطق الأكراد . فاستقال الأول وعاد إلى مصر ؛ وعاد الثالث إلى الشام بعـد شهور ؛ وثبت الثانى إلى نهـاية حركة رشيد عالى الكيلانى

غير أن الفرق بيننا وبين العراق ، أن الدعوة القومية هى الغالبة على شبابه . والقوميون الملحدون قلة فى الشام . أتباع حزب ألفه على عهد الفرنسـيين أحد شباب النصارى ووجد له أتباعا من الشبان الحائرين الذين يحبون أن يتبعوا (موضـة) العصر بالانتساب إلى حزب من الأحزاب . وأكثر أهل الشام يقولون بالإسلام وبالعربية . والـكلمتان على لسانى أنا وكتاباتى من أكثر من ربع قرن ، كالمترادفتين ؛ أقول الإسلام، أريد العربية ، وأكتب العربية، وأقصد الإسلام

لذلك أجهدت ذهنى ، وكـددت فـكرى ، حتى استطعت إدراك جوهر الخلاف بين الفريقين . وما ذاك عن جهل منى بحجج الطرفين وأقوالها ، فلقد حفظتها من كثرة ماسمعتها ؛ بل لغموض صورة الدعوة العربية حتى فى أذهان أصحابها . ولأنهم حين يكتبون فيها ، أو يجـادلون عنها ، يأتون بشئ هو إلى الفلسفة الناسعنة ، والخطابيات الفارغة ، أدنى منه إلى التعريف العلمى الواضح ؛ ولأن مورد أفكارهم ، ومنبع أقوالهم فى القومية ، ترجمة ما كتب فى القومية فى ألسن الغرب ، ولا سيما الألمانى والإيطالى

وجوهر الخلاف إنما كان على بناء الدولة . هل تـكون إسلامية ، ويكون الإسلام هو الرابطة بين أفرادها فيدخل فيها المسلمون جميعـا ويكونون أمة واحـدة . أم تـكون عربية ، وتـكون الرابطة رابطة الجنس ، فـكل عربى هو منا ولو لم يكن مسلما ، وكل أعجمى ليس منا ولو كان مسلما ؟

أي أن ثمرة الخلاف كما يقول الفقهاء ، فى العربى غير المسلم ، والمسلم غير العربى ، أيهمـا الذى يجب أن نتولاه نحن العرب المسلمين ؟

وأنا سأحاول أن أثبت فى هذا الفصل ، أنه ليس بين الإسلام والعربية تناف ولا تباين ، وأن المسلمين أمة واحدة وأنها أشد تماسكا ، وأدنى إلى الوحدة من مجموع العرب ، وأن هذا الخـلاف ليس له ثمرة ، لأن إخواننا العرب غير المسلمين ، عاشوا معنا ، وسيعيشـون معنا ، ما ضقنا بهم ولا ضاقوا بنا ، وما ظلمناهم ولا شكوا من ظلمنا ، وأن الشباب المسلمين هم أحق الناس بحمل لواء العربية المسلمة ، والدفاع عنها ، والعمل على تمجيدها وفيما يلى تفصيل هذا الإجمال :

من الوجهة النظرية

إن فى (نظرية الدولة) آراء كثيرة يدرسها طـلاب كليات الحقوق . وأشهرها وأصحها ، والذى عليـه المعول فيها هو رأى رينان . ونحن نطبقه على هـذا البحث ، لا لأننا نجد لزاما علينا أن نتبع الغربيين حتما فى مذاهبهم ، ونفكر برؤوسهم ، بل مجاراة لمن يقول بذلك من الشباب وقلبا لدليلهم عليهم ، وإلا فنحن نعلم أن لدينا من رأى الإسلام فى إقامة الدولة ماهو أصح من رأى رينان صحة ، وأكثر نفعا لنا ، وتحقيقـا لمصلحتنا ، وإن كان رأى رينان هذا لا يبعد كثيرا ، ولعله أخذه من رأى الإسلام الذى كان على إلمام بأحكامه

الدولة عند رينان لا تبنى على الأرض وحدها ، فرب دول معترف بها تـكون أرضها محتلة فيها أعداؤها . ولقد شاهدنا فى الحرب الأخيرة دولا كثيرة بلا أرض ، وكان فى مصر طائفة منهـا ، كل دولة فى جناح من فندق شبرد . ونشاهد الآن دولة عموم فلسطين . ولا تبنى على اللسان فإن أمامنا دولا فيها أكثر من لسان كسويسرة ، ودولا لهـا لسان واحد كانـكلترا وأمريكا ؛ ولا على الدين (من حيث هو صلة بين العبد وربه) فقـد تتعدد الأديان فى الدولة ،

وتتعدد الدول فى الدين ، بل على ما سماه (الإرادة المشتركة) فكل كتلة جمع بين أفرادها تاريخ واحد وأمل واحد ، وكانت موجات تاريخها ومطامعها فى مستقبلها ، متشابهة فى نفوس أفرادها ، كانت هذه الكتلة أمة وحق لها أن تنشئ دولة . وشرح هذا المتن الموجز معروف مشهور

فلنبحث عن هذه الإرادة المشتركة فى الكتلة العربية وفى الكتلة الإسلامية ؟ هل للعرب إرادة مشتركة ؟ هل تتحد موجات الماضى ومطامع المستقبل فى نفوس العرب جميعا ؟ إذا قرأت أنا وعربى جبل لبنان المارونى تاريخ الغزوات الصليبية.. فهل يكون أثر هذا التاريخ فى نفسى مثل أثره فى نفسه ؟ هل يطمع مثلى إلى الوحدة ، ويشاركنى فى المثل الأعلى الذى أتمثل المستقبل عليه ؟

من الوجهة الواقعية

بل تعالوا ننظر إلى الواقع ، هل استطاعت جامعة الدول العربية بعد هذه السنين الطويلة والمحاولات الكثيرة ، أن تجد لها هذه (الإرادة المشتركة) ؟ ألم تبد هذه الإرادة فى المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى كراتشى بصورة أوضح وأظهر على رغم أنه مؤتمر وليس جامعة دول ، وأنه جديد مرتجل تعد له العدة ولم يبذل فى سبيله جهد ؟

من وجهة المصلحة

وقد مضى عهد القوميات وأصبح تاريخا يدرس فى المدارس ، وانقسم العالم اليوم إلى قسمين كبيرين مختلفين : قسم فى شرق الأرض وقسم فى غربها . وما اختلفا فى الحقيقة على عقيدة ولا مبدإ ! ما اختلفا إلا علينا نحن الأمم الضعيفة . وما استعدا إلا للحرب فى سبيلنا أيهما يفوز غنيمة باردة أو سخنة بنا . فهل من المصلحة أن نبقى متفرقين منقسمين أو أن نتحد ونتقارب ونقيم من أنفسنا قسما ثالثا محايدا ، لا يقاتل على غنيمة ولا يدع أحدا يجعل منه غنيمة ؟

وإذا ثبت أن المصلحة فى الاتحاد (وذلك ثابت قطعا) فهل تؤلف كتلة من سبعين مليونا مشكوكا فى اتحاد أبنائها فى الذكريات والآمال والإرادة العامة ؟ أم كتلة من أربعمئة مليون ؟

هذا ومن المفهوم المعلوم من الدين ومن العقل ومن الماضى بالضرورة أننا لا نتخلى عن هؤلاء العرب غير المسلمين ولا نعدهم غرباء عنا ، بل هم إخواننا ما أحبوا اخوتنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وهذى نصوص ديننا وهذى وقائع تاريخنا ، شاهدة على دعوانا . فلا مجال لإثارة العصبيات ، والإفساد بين الإخوان ، من هذه الناحية ، فلا يطمع فى ذلك المفرقون المفسدون..

وبعد فما هى حدود الاتصال بين العربية والإسلامية ؟

من الوجهة المبدئية

أما الإسلامية فمعروفة واضحة ، وللمسلم تعريف شامل وحد منطق ، فما هو حد العربى الذى يشمل الأفراد ويخرج الأضداد ؟

إنى لم أجد لدعاة العربية إلى اليوم هذا التعريف الجامع المانع للعربى . من هو العربى ؟ أما من عرفنا من قوميى العراق ، فإن العربى عندهم هو عربى النسب ، أى أنهم على مذهب أصحاب العنصرية (Racisme) ومقتضى ذلك أن يكون بشار مثلا شاعرا فارسيا ، وابن الرومى شاعرا يونانيا ، بل إننا لو ذهبنا هذا المذهب لكان ملك الإنكليز غير إنكليزى ، ولكان من الواجب الحجر عليه خلال الحرب الماضية لأنه من رعايا الألمان ؟

ومن منا اليوم يستطيع أن يرتفع بنسبه إلى ربيعة أو إلى مضر ، أو إلى أى فرع من فروع الشجرة العربية ، إلا أن يكون نسبا ملفقا كأكثر أنساب الأشراف الذين منحوا الشهادة بأن منهم الملك الصالح ... فاروق !

وأما من عرفنا من قوميى الشام فإن لهم أقوالا أشهرها أن العربى هو من يتكلم العربية لغة أصيلة له ،

ويعيش فى بلاد العرب، ويشارك العرب آمالهم وآلامهم . وهذا التعريف كالنحاس المطلى بالذهب ، إن مسسته برفق كان ذهبا له وميضه ولمعانه ، ولكنك إن وضعته على المحك خرج نحاسا ! لأن من غير العرب الذين عاشوا فى بلاد العرب ، كالأرمن فى الشام والأروام فى مصر من ينشئ أولاده على الكلام بالعربية كأهل البلاد من العرب ، ثم إنه يعيش بينهم ! أما المشاركة فى الآمال والآلام فشئ خفى لا يعلمه إلا الله ، ولا تظهره إلا التجربة ، ولا يصح أن يكون مقياسا منطقيا . وإذا أردنا أن نحصى سكان بلدة ما من العرب ، فكيف نقيم الامتحان العام لمعرفة آمالهم وآلامهم وما يشاركون فيه وما يخالفون ؟

ثم إن من العرب من يتكلم فى بيته تظرفا أو تقليدا بالفرنسية ، ويقيم فى غير بلاد العرب ، وليس فى نفسه أمل لأمته ، ولا ألم عليها . لا يهتم إلا بخاصة أمره ، وجوالب لذته وراحته . فهل نعد هذا من غير العرب ؟ وماذا يكون : فرنسيا أو إنكليزيا أو ماذا ؟

فأنت ترى أن الدعوة العربية تنهار بذلك من الأساس ، إذ كيف نقيم البناء ولم نعد مادة البناء ؟

أما الإسلام فعقيدة يعبر عنها قول معين ، وعبادة وخلق ، فمن نطق بالكلمة المعبرة عن العقيدة ، وأدى فروض هذه العبادة ، وتخلق بهذه الأخلاق ، فهو واحد من المسلمين ، مهما كان لونه وجنسه ولسانه

من الوجهة الإسلامية

والإسلام لم يكتف بإسقاط الجنسية من حسابه ، بل لقد حاربها ، ومنع كل دعوة إلى عصبية جنسية أو قبلية ، وسماها دعوة الجاهلية . وجاء منذ أربعة عشر قرنا بما انتهى إليه العالم اليوم ، حين أسقط حواجز القوميات وأقام كلا من كتلتيه على عقيدة ومبدإ ولو ظاهراً ، فقسم الإسلام الناس إلى قسمين : الذين آمنوا ، والذين كفروا . ووجه الخطاب إليهم ، بهذا العنوان ؛ فكان من الذين آمنوا — وهم أفراد الدولة الإسلامية — رجل رومى هو صهيب ، ورجل حبشى هو بلال ، ورجل فارسى هو سلمان ، ثلاثة رموز للدول الكبرى يومئذ . وكان من الذين كفروا العربى القرشى الهاشمى عم محمد وأخو أبيه وابن جده أبو لهب. وكان لهؤلاء الثلاثة منزلة رفيعة فى الدولة الإسلامية ، فكان بلال وزير الدعاية يعلن مبادئ الإسلام (بالأذان) خمس مرات كل يوم . وكان سلمان معدودا على لسان النبى من أهل بيت النبوة . ونزل فى شتم أبى لهب قرآن فنحن نقرأ فى صلاتنا ذم أبى لهب

ولكن الإسلام لم يطمس الوقائع التى تجعل للعروبة مكانا ظاهرا فى دولته ، فالنبى عربى ، والعرب قومه ومنهم أصحابه الأولون الذين نشروا الدين ، وأبناؤه أهل المشرق والمغرب . والقرآن كتاب عربى ، والحج إلى بلد عربى ، فكل مسلم مضطر بذلك إلى حب العرب وتقديرهم ، وتعلم لسانهم ، وزيارة أرضهم

ولولا الإسلام ما انتشرت لغة العرب ، ولا أقبل الناس عليها ، حتى أن مسلمى الصين اليوم وهم خمسون مليونا كلهم يتكلم العربية . وعرب الإسلام آلاف المدن ، فهل يستطيع شباب الدعوة العربية اليوم أن يعربوا قرية واحدة تركية أو كردية باسم العربية ؟

ولما نقلت إلى شمال العراق : إلى كركوك ، كان الطلاب كارهين لدرس العربية ومدرسه ، لما كان يسوؤهم به من الدعوة إلى القومية العربية وهم أكراد وأتراك . فلما دخلت أحسست هذه الكراهية فى نفوسهم ، فخطبتهم خطبة قلت لهم فيها إن العرب كانوا أذل أمة فهداهم الله بهذا الدين الذى تتشرف جميعاً بالانتساب إليه ، والذى منع دعوة الجاهلية ، وحرم العصبية ... إلى أن قلت لهم : فتعلموا العربية لا من أجل هؤلاء القوميين من العرب ، بل من أجل محمد الذى تحبونه ، والقرآن الذى تقرؤونه ،

والله الذى تعبدونه

ففاضت العيون بالدمع ، وخشعت القلوب ، وامحت الكراهية من الوجوه ، وصار درس العربية أحب الدروس إليهم

وذهبت مرة إلى السليمانية سنة ١٩٣٨ وهى قصبة الأكراد . وأشهد أن من الأكراد صالحين وعلماء وذوى رجولة وشهامة ، فررت فى آخر السهرة على مسجد فيه عين ماء لنشرب منها ، وكانت ليلة صيف ، وكان معى شباب يجادلوننى فى العربية والإسلامية ، فوجدنا على بساط فى أرض الجامع شابين كرديين من طلبة العلم الدينى منبطحين على وجهيهما وأمام عيونهما مصباح وكتاب فى أصول الفقه ، فيه عبارة معقدة ، فهما يحاولان فهمها وتفسيرها ، ويستميتان بإعرابها ورد ضمائرها إلى مكانها …

فقلت : ألا ترون ؟ إن هذين يشتغلان بلغتكم العربية أكثر من اشتغالكم أنتم بها ، لأنها عندهما دين ! فهل تستطيعون أن تجعلوا فتى كرديا غير متدين يقبل باسم قوميتكم هذه على العربية ؟ فسكتوا

ولقد كان المسلمون أمة واحدة ، فقامت فيهم هذه الفتنة ، فتنة القومية ! قال الترك : أتراك . فقال العرب : عرب . فقال الأكراد : أكراد . فانقسمت الأمة الواحدة وتفرق الجمع ، وضعفنا وقوى العدو بضعفنا

مع الوجهة التاريخية

ثم إنى أحب أن أسأل من هم هؤلاء العرب الذين تفخرون بهم ، وتعتزون بأمجادهم . هل هم عرب الجاهلية والعهود التى كانت قبلها ، والتى لم يدركها نور التاريخ ، ولم يصل إليها علم المؤرخين إلا قليلا ؟ أم عرب دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وهاتيك المدن والمدارس والمكتبات والمؤلفات ، وذلك العلم والأدب ؟

أما الجاهلية ، فإنا لا نعرف شاعراً واحداً فيها ذكر العرب أمة ، وافتخر بالعروبة جنساً . إنما كان يفخر كل شاعر بقبيلته ، ببكر أو بتغلب أو بعبس أو بكندة ، وهذى هى المعلقات ، وهذه أشعار الجاهلية ، فهل فيها فخر بالعرب ؟

إن الذى جعل العرب كتلة واحدة من الكتل التى اندمجت فى الوحدة الإسلامية ، هو الإسلام

وكل ما كان للعرب بعد من مجد وعظم وعلم وسلطان وحضارة وفخار إنما صنعه الإسلام ، فكيف يتفق فى منطق هؤلاء القوميين أن نفخر بالفعل وننكر الفاعل ، وأن نمجد أثر الإسلام ولا نقر بالإسلام

يقول بعض المتحمسين من شباب القوميين إن فى العرب قوة كامنة انتفضت مرة فكانت الإسلام . وستكون لها انتفاضة جديدة تخرج بمظهر آخر ، ولكن لا هم ولا نحن ولا أنتم تعرفون ما هو المظهر الآخر !

وهم يعظمون محمدا ويكبرونه ، ولكنهم لفرط الحماسة (وحماسة الشباب أحيانا تقوى على حساب العقل) يسيئون إلى محمد الذى يعظمونه ويصمونه بأكبر ما يوصم به رجل وهم لا يشعرون . يصمونه بالكذب : هو يقول لهم إنه رسول من الله ، وإن هذا القرآن ليس من عند نفسه ، وهم يقولون لا بل إنه هو الذى ألف من عبقريته ونبوغه هذا القرآن

أفرأيت إلى أين تصل حماسة الشباب (وكدت أقول حماقة الشباب) بأصحابها ؟

ويأتون بكلام له رنة ودوى كدوى الطبل ، وإن كان فارغا من المعنى فراغ الطبل من الشحم واللحم . يقولون (وهذا شعار حزبهم) : أمة واحدة ذات رسالة خالدة

وما زالوا يهتفون بذلك ويرددونه حتى اقتنعوا بأنه من كلام النبوة الأولى . مع أنه لا معنى له . لأن العرب كما

بينا من قبل ، ليسوا بحالهم الحاضرة أمة واحدة ، بل المسلمون هم الأمة الواحدة . ولأن هذه الرسالة إن لم تكن الإسلام كانت مجرد كلام

من الوجهة التطبيقية

والقومية (كل قومية في الدنيا) إنما تقوم على دعائم ثلاث : اللغة ، والعادات ، والتاريخ

أما اللغة فإنها بعلومها وفنونها ، كالفلك الذي يدور على قطب واحد ، وقطبها القرآن ، وما أنشئت هذه العلوم كلها إلا خدمة له ، النحو لمنع اللحن فيه ، واللغة لتحقيق عربيته ، والبلاغة لإثبات إعجازه ، والتفسير لشرح معانيه ، إلى غير ذلك مما هو معروف

ودعاة الإسلامية كانوا ولا يزالون ، وسيكونون أبداً هم أئمة اللغة وفرسان بلاغتها ، وأرباب البيان فيها . وما عهدنا للآخرين كاتبا بينا ولا راوية ولا عالما معترفا بإمامته وتقدمه في علوم اللغة

وأما العادات العربية ، على أنه ينبغي الإبقاء أبدا على حسنها ، والتخلص من سيئها ، فما رأينا في دعاة العربية من يتمسك بها ! ولقد رأينا أكثرهم يعيش عيش الإفرنج ، ويأخذ أوضاعهم في طعامهم . وشرابهم ولباسهم بل ربما تزوج من نسائهم وكلم أهله (طبعاً) بلسانهم

وأما التاريخ فواحد . تاريخ العرب هو تاريخ الإسلام . لو حذفنا منه الإسلام وما نشأ عنه لم يبق للعرب شيء ، فالعرب ولد مجدهم وتاريخهم يوم مولد محمد

* * *

الخلاصة أن العربية والإسلامية كدائرتين : صغيرة وكبيرة ، إحداها وسط الأخرى إلا هلالا دقيقا . هو موضع الاختلاف بينهما . أي أن بينهما باصطلاح أهل المنطق عموما وخصوصاً . عاما إلا من وجه واحد ، هو مسألة المليونين من العرب غير المسلمين . والثلاثمئة مليون من المسلمين غير العرب ، أيهما أحق بأن نتولاه

وكل ما يقول به دعاة العربية (فيما عدا إنكار الوحي وقطع الأخوة في الإسلام يقول به دعاة الإسلامية) بل نحن أحق به وأولى ، نحن أعلم بالعربية وبتاريخها وأمجادها ، ونحن نعمل أكثر منهم على تمجيدها بالإسلام وإعلاء شأنها . ونحن أصدق منهم إن قلنا عن أمة محمد (أمة واحدة ذات رسالة خالدة) . والعجيب أن يظن أحد أننا تخلينا عن القيام بالدعوة إلى العربية ، لا .. ما تخلينا عنها ولكن ندعو إليها تحت راية القرآن التي عز بها العرب وشرفوا وصار لهم في التاريخ ذكر ، وفي الدنيا مقام

إننا نحب العرب لأنهم قوم محمد ، واللسان العربي لأنه لسان القرآن ، وموطن العروبة لأن فيه مشاعر الحج والقبلة التي يتوجه إليها المسلمون من أقطار الأرض ، ويدعون إلى الصلاة إليها بلسان العرب الذين نزل بلسانهم القرآن : حي على الصلاة . حي على الفلاح . ولكنا ندعو إلى عصبية ، ولا نعدل بأخوة الإسلام أخوة

ونحن ندعو إلى الوحدة العربية ، لكن على أن تكون طريقا إلى الوحدة الإسلامية ، ولا ننكر إخواننا في الوطن واللسان من النصارى ، لكنا نسألهم ألا يطلبوا منا وهم مليونان أن نقطع لأجلهم روابط أخوتنا بثلاثمئة مليون مسلم غير عربي ، ويحبوننا ونحبهم . ويشاركوننا عقائدنا وعباداتنا

وفيهم بعد دولتان من أكبر دول الأرض : باكستان وإندونيسيا ، ولا تدخر إحداها في نصرنا وسعا ، ولا تبخل علينا بدم ولا مال !

وهل قطعوا هم حبالهم من حبال البابا في إيطاليا . وغير البابا في إيطاليا ؟

دمشق

علي الطنطاوي

ترجمو، القرآن :

محمد عند أهل الغرب

للأستاذ كمال دسوقى

كان الغربيون قبل ترجمة القرآن يتحاملون على محمد والإسلام؛ ولا غرابة فى هذا التحامل على الرجل ومذهبه . فمن جهل شيئاً عاداه

ففى غمرة التعصب البغيض كتب العالم المشهود له بسعة الأفق والتمرس بالعلوم والرياضيات والآداب — (بسكال) — فيما خلف لنا من خواطره وبتناقض يفضح هذا التعصب والخلو من الروح العلمى — يقول : إن محمداً لم يكن أحد يظاهره ؛ ومن ثم وجب أن تكون حجته من القوة بحيث تستند إلى محض قوتها

ولا يلبث أن يذهب — على أثر ذلك — إلى التمييز بين القدرة على الغموض والإبهام ، والقدرة على الإثبات بسخف القول ، آخذاً ما لم يفهم من القرآن على المحمل الأول ، ناظراً إلى ما وصل إلى علمه القليل منه على المحمل الثانى — متمنياً لهذا الأخير لو أنه كان من النوع الأول حتى لا يكون فى هزؤ الثانى وسخريته — فيما يرى ! فما دام القرآن قد قال إن متى رجل طيب ، فمحمد نبى زائف ، لأنه يقول عن الأشرار إنهم أخيار ، ولا ينظر إليهم من حيث ما قالوا وما آمنوا بالمسيح !

إن كل رجل يستطيع أن يفعل ما فعل محمد ؛ لأنه — فى نظر بسكال — لم يأت بمعجزة ، ولم يوح إليه ؛ ولا أتى بعض ما جاء به المسيح . محمد قام على التقتيل — تقتيل أعدائه ؛ أما المسيح فبقتل أصحابه . محمد بالأمية وتحريم القراءة ؛ أما المسيح فبالتعليم والقراءة . ولئن كان محمد قد سلك طريق النجاح كانسان ، معنى ذلك فليس أن المسيح كان يستطيع أن يكون أكثر نجاحاً لو سار على الدرب فحسب ؛ بل إن المسيحية كان يجب أن تهلك لو لم تكن مؤيدة بعون سماوى !

وإذا كان هذا بعض ما يذهب إليه رجال العلم الأحرار من الشطط فى النظر إلى محمد والإسلام — فيحكمون على القرآن بأنه معان صبيانية فى أسلوب سماوى ! وهم لن يفهموا الأسلوب . وقد يفهمون المعانى لأنها فى معظمها واردة فى كتبهم ... نقول : إذا كان هذا بعض ما يذهبون إليه وهم علماء مهمتهم الدرس والتمحيص والحيدة والبرء من الغرض — فلا غرابة فى أن يذهب الشاعر الإيطالى دانتى إلى تصوير الرسول صلوات الله عليه هذا التصوير النابى لأنه — فيما يرى الشاعر — قد ارتكب جريمة الإتيان بدين زائف ، وادعى أنه يطلع على الناس بتنزيل سماوى جاء بما لم تأت به المسيحية

* * *

على أنه منذ ظهرت ترجمتا القرآن لأول مرة فى القرن الثامن عشر — قرن التنوير فى العلم والدين : ترجمة سال التى ظهرت سنة ١٧٣٤ وترجمة سافارى (١٧٨٢) بدأ الاعتدال يظهر على أقلام الكتاب بدءاً بأولئك المترجمين أنفسهم — وهم أقدر من يستطيع أن يفهم الإسلام فى ذلك الحين بحكم توفرهم على ترجمة كتابه المنزل . فإن ثانى هذين الرجلين يرى أن محمداً أحد هؤلاء الرجال الخارقين للعادة الذين يظهرون بين الحين والحين على وجه الأرض يغيرون معتقدات أهلها ويجروبهم فى عجلة انتصارهم . إن سافارى يرى فى محمد مثلاً أعلى لما تنتجه العبقرية الإنسانية حين

عالميا جديدا ذا عقيدة سهلة مطابقة للعقل ، ومبدأ غاية في البساطة واليسر : الإيمان بإله واحد يثيب المحسن ويعاقب المسيء

ونحا نحو سافاري في تقدير القرآن ونبيه الذي أنزل عليه كتاب أحرار لم يروا غضاضة في تمجيد دين لا يتعارض مع دينهم — منهم تيربان الذي يقول (في تاريخ حياة محمد — باريس ١٧٧٣) — وإن لم يخل من التحامل اللاذع عليه أحيانا — إنه رجل خارق للعادة . حبته الطبيعة بكل مزية يتزود بها الرجل الكامل ، وبعبقرية يتمتع بها المحظوظون من الناس (الموعودون بالأرض) ، ثم يقول : إن إخلاصه لرسالته لانزاع فيه . وإنه قد أخلص الدين لله قبل أن يحمل أصحابه على الاعتقاد به

وغالى بعض الغربيين في الانتصار لمحمد حتى ظن به الغرض وعدم البرء من الغاية ؛ وقيل فعلا إنه يرمى إلى إعلاء الإسلام على المسيحية ؛ ومن هؤلاء القليل من المنصفين دى بولانفلييه (في كتابه : حياة محمد) الذي يصور فيه النبي العربي بصورة المشرع المستنير العاقل الذي جاء بدين حكيم يحل محل عقائد اليهودية والمسيحية ، وكانت تلك قد أصبحت — فيما يقول بحق — لكثرة خلافاتها مشكوكا فيها

ولقد كانت هذه النظرة إلى محمد هي السائدة عموماً بين فلاسفة القرن الثامن عشر الذين لم يعودوا يقبلون التطرف في النظر إلى المصلحين من الرجال تطرف السابقين ؛ كما لم يقبلوا تزييف أي دين من الأديان خوفا منه على المسيحية . لهذا كان من العجيب أن يأتي فولتير .. في هذا العصر ذاته الذي اتسم بطابع التسامح الديني — فيهاجم هؤلاء الكتاب المنصفين خصوصا صال ودى بولانفليه قائلا لها (في مقدمة مأساته عن : محمد سنة ١٧٤٢) : لو أن محمدا قد ولد أميرا ، أو لو أنه ولى السلطة باختيار أمته ، إذن لوضع قوانين سامية ولاستطاع أن يحمى بلاده من الأعداء ، ولاستحق حينئذ التقدير !

تساعدها الظروف ، وأنه — وقد ولد وثنيا ! — فقد نشأ لا يعبد إلا إلهاً واحداً لأنه خلال أسفاره قد لاحظ انقسام المسيحيين وتفرقهم شيعا تتبادل اللعنات.. كما رأى اليهود حثالة تتشبث في عناد بقوانينها ؛ فأراد محمد أن ينشئ دينا

ويذهب فولتير في تهافت ظاهر إلى حد تجريح منصف محمد فيقول إن الأصل التركي والإيمان بالخرافات قد أطفأ فيهما كل نور عقلي . لماذا ؟ لأنه ما من أحد يستطيع أن يتولى الدفاع عن جمال يحدث ثورة ، ويزعم أنه يتصل بجبريل وهو الذي يقتل الرجال ويسبي النساء ليدخلهن في دينه !

ويقول النقاد تخفيفا من ضلال فولتير : لا شك أن فولتير لم يرد أن يقول إن النقائض التي وصف بها بطل روايته موجودة كلها في محمد ، وإنما كان للخيال عليه سلطان كبير . وهو نفسه يعترف بذلك ويقول تمجيدا لمحمد : إن الرجل الذي يستطيع أن يحارب قومه قادر على كل شيء

ويقولون كذلك إنه قد عاود الكتابة في هذا الموضوع قصد التخفيف من سابق غلوائه وتعصبه ، فاعترف بعظمة محمد ومواهبه

على أن خطر فولتير يتمثل فيمن جاءوا بعده متأثرين به في تناول الموضوع ، ولكن عادوا إلى الاستماع لصوت العقل في تساؤلهم : إن مائة وثمانين مليونا من البشر يدينون بهذا الدين مخلصين ويتأثرون محمدا في حياتهم ، يحركهم كالنجوم في الأفلاك . وليس من المعقول أن يظن أن هؤلاء كلهم يعيشون ويموتون مخدوعين .

هذا قول كارليل نفسه الذي يعجب في محمد في استجابته

لقانونه الذاتي وإخلاصه لمبدئه وثقته بنفسه وحقيقة وجوده وأصالة شخصيته وما وجه من أنظارنا إلى اللامتناهي واللامحدود ؛ والذي يصرح بأن محمداً - نبيا أو شاعرا - رجل غير عادي

ما هذا التناقض إذن في تفكير هؤلاء الرجال ؟ إنه كما يقول المؤرخون عصر الشك في المعتقدات عند الغربيين. وإذا نظرنا إلى هؤلاء الكتاب وجدنا بعضهم يصدر عن تعصب لدينه المسيحي ، وبعضهم يذهب به التعصب للدين إلى حد أن يهاجم ماعداه . وهؤلاء خير من آخرين ملحدين لا يؤمنون بالأديان جميعا ، ولكنهم إذ لا يستطيعون أن يهاجموا دين بلادهم الرسمي ويستمدوا سلطاتهم الدينية فهم يتطاولون على الإسلام ولو لم يعرفوه . والجميع مما نمر بآرائهم عابرين لا يستوقفنا إلا نزاهة البعض واعتداله في تقدير الأمور

والألمان خصوصا خير من يتعرض للدراسات الإسلامية بروح علمي لا يشوبه تعصب أو تطرف . وآخر من قرأت له من هؤلاء في ترجمة فرنسية ظهرت أخيرا لكتابه (محمد : حياته ونظريته) الذي نشره جان جود فروى دى مومبين بإشراف معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس العلامة تور أندريه الأستاذ بجامعة أوبسال الذي حمل المثقفين (في كتابه ظهور الإسلام) على الاعتراف بأن دراسة الإسلام تفتح آفاقا جديدة لتطور العقل البشري - كما يقول المؤرخون

وليس في كتابه « حياة محمد ونظريته » أجل من تحليله السيكولوجي لتحامل الغربيين على التاريخ الإسلامي . فهو يرجع هذا التحامل لا إلى مجرد الجهل ولا إلى الفكرة السائدة بينهم عن زيف النبي محمد ، ولا إلى عداوة الغربيين وكراهيتهم للترك فحسب ، بل هو فيما يرى أعمق من ذلك : إن أقل ما يفهم المرء نفسه - كما يقول - بين والديه . والمسيحي يرى في الإسلام أشياء كثيرة تذكره

بدينه هو ولكن في صورة شوهاء . فهو يرى مواد في الدين وآراء في العقيدة مشابهة تماما لأفكار دينه ؛ ولكنها تأخذ طريقاً آخر إلى غير دينه . وهذه المواد والآراء هي عنده من الألفة بحيث لا يريد أن يرى فيها جديداً أو يعترف لها بأية أصالة . وهو في غمرة عدم الاكتراث لما يظن أنه يعرفه وليس جديدا عليه يمر دون أن يدرك حق الإدراك ما يختفي عليه حينئذ - لعدم جدته - وهو هذا الاتجاه الروحي الذي جعل الإسلام يحتل مكانه اليوم بين الأديان لمجرد حقه في الحياة والبقاء

ولا أختم بأحسن مما اختتم به المؤلف الألماني مقدمة كتابه قائلا للغربيين : إنه قد سهل علينا أن نسيغ أفكارا دينية غاية في الغرابة والجدة علينا كعقائد الهنود والصينيين . فلكي نفهم النبي العربي وكتابه يلزمنا أفق أوسع ونظرة أدق واستقلال عقلي وروحي أكبر وأتم

كما أقول للمسلمين في جرأة : ترجموا القرآن إلى كل لغة - وترجموه كل جيل مرة - ولو ظهرت له ألف ترجمة ، فلم ينصف الغربيون الإسلام إلا إثر كل ترجمة ظهرت للقرآن ، على ما في هذه الترجمات من جمود وخلط وإساءة

كمال دسوقي

في النظم الإسلامية

من تنظيمات الاحسان

للأستاذ لبيب السعيد

لا تزال الخدمة الاجتماعيــة فقيرة إلى دراسة إسلامية متخصصة تشارك في نهج قواعد هذا الفن وتقرير أساليبه ، وترفد تاريخه بأغنى الروافد وأعذبها

وهذه الدراسة التي ننشدها والتي نرى أنها تقوم على التنقيب الصابر والجمع البصير ، ثم التحقيق الواعي والدرس الدقيق ، حرية أن يجرد لها المسئولون في معاهد الخدمة الاجتماعية عندنا وفي جامعاتنا كتيبة من الباحثين لهم بصر بالإسلام وقدرة عليــه على سير تاريخه وفقهه وأدبه وسير أعلامه . ولقد بلونا أغلب أساتذة الخدمة الاجتماعيــة في مصر يعجزون عن التحرر من الاتجاهات الغربية في تفكيرهم بل في تعبيرهم ، فحرى بالكتيبة المرجوة أن يكون لأفرادها من الاستعداد والاجتهاد والإخلاص الأمين للمعرفة ما يكفيهم هذا العجز

ولعل من أمثلة الإهمال الغليظ الذي يشهده المتصلون بدراسات الخدمة الاجتماعيــة في مصر أن هذه الدراسات حين تتناول تنظيم الإحســان تسكت عن خطة الإسلام في هذا الشأن سكوت الجاهل ، أو تذكر — وقلما تذكر — وشلا من محيط ، بينما تفيض أيما إفاضة في النظم الأوربية . والامريكية : فهي تتحدث مثلا عن إرشادات سنة ١٥٢٩ في همبرج التي صدرت للمشرفين المحليين ليتعرفوا أحوال الفقراء ويتيحوا العمل لمستحقيه ويقرضوا المعوزين قرضا حسنا ويساعدوا المريض ؛ أو عن أوامر شارل الخامس سنة ١٥٠١ بجمع الإعانات في الاراضي المنخفضة وتوزيعها على الفقراء وتعليم اليتامى وتشغيلهم ومساعدة الكسالى والشردين ، أو تسترسل في الحديث عن قوانين الفقر الإنجليزية التي صدرت في القرن السادس عشر ؛ أو تردد الكلام عن نظام المزارع الريفية الأمريكية التي تضم الفقراء وضعاف العقول والسكيرين ... إلى آخر هذه النظم

والحق أن المسلمين سبقوا إلى تنظيم الإحسان على نحو لا تكاد النظم الغربيــة تتشرف إلى سمو مكانته . فالصدقات — وهي في الإسلام المصدر الأول للاحسان ، والركن الثالث من الأركان التي بني عليها الدين — تكرر في الصحاح أن النبي أوفد من رجاله من يجمعونها . والأخبار على أن الخلفاء بعده عينوا الموظفين لجمعها ، وأنه في مختلف العصور كان لجبايتها عمال متخصصون يدخل فيهم الساعي والكاتب والقاسم والحاشر الذي يجمع الأموال وحافظ المال والعريف ... [1] ولقد اقترح « أبو يوسف » على « هرون الرشيد » تعيين موظف خاص للصدقات في جميع البلدان . يقول أبو يوسف للرشيد : « ومره بالموجه فيها أقواماً يرتضيهم ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم يجمعون إليه صدقات البلدان » [2]

أما توزيع الإحسان ، فكان مخصصاً له أيضا موظفون ودواوين ، وهذا دليل على أنه كان إجراءه ترتيب مقدور وله صفة النظام والدوام

جاء في تضاعيف أحد الأخبار أن « المنصور » ولى عامله بالبصرة الإجراء على القواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن وعلى العميان والأيتام [3] . ويذكر « الطبرى » عن الخليفة « المهدى » أنه أمر في سنة ١٦٣ أن يجرى على المجذمين وغيرهم [4] . كما يذكر « القدسي » عن نفس

(١) الشوكاني : نيل الأوطار جـ ٤ ص ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٩ والمسعودي : التنبيه والإشراف ص ٢٣٩ وابن عساكر الشافعي : التاريخ الكبير جـ ١ ص ١١١

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٩٦

(٣) التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ص ٢٠٧

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٩ ص ٣٤٢

الخليفة أنه أجرى على العميان والمجذومين والضعفى (٥) .
وكذلك يذكر « الجهشياري » عن « الرشيد » أنه أمر بإجراء القمح على أهل الحرمين وغيرهم ممن ذكرهم تفصيلا (٦) ويروى « ابن مسكويه » في كتابه « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » في ذكر ما دبره « علي بن عيسى » في وزارته سنة ٣١٥ وما جرى في أيامه أنه قلد رجالا سماهم دواوين متعددة ، منهم «أبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن» الذي تولى « ديوان البر والصدقات » . (٧) « وطاهر ابن الحسين » في النهج الشهير الذي رسمه لولده « عبدالله » حين استعمله « المأمون » على « الرقة » ، يدعو ولده إلى « تعاهد أهل البيوتات ممن دخلت عليهم الحاجة فيحتمل مؤنتهم ويصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا » ، ويقول له : « وتعاهد ذوى البأساء وأيتامهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين (يريد المأمون) في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة » (٨) . ويروى « ابن خلكان » أن « ابن الفرات » كان يعطى الفقهاء والعلماء والفقراء وأهل البيوتات أكثرهم مائة دينار في الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك . (٩)

* * *

والإسلام — قبل النظم الحديثة — يكره أن يغرى الإحسان غير المحتاجين بالتكفف والاعتماد على عطف المحسنين ويصرفهم عن طلب الرزق ، فهو يحب للناس أن يستغنوا بالعمل عن الحاجة الملجئة للسؤال . يقول النبي (ص) «اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة» (١٠) . وهو ينهى عن المسألة الملحفة : « لا تلحفوا في السؤال ، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته » (١١) .
بل هو يخوف من المضى في السؤال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم » (١٢)

والإسلام ، مع بليغ رفقه بالمحاويج يحرم سؤال التكثر ويشدد النكير والمؤاخذة على محترفيه ، فالرسول (ص) يقول : من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » (١٣) وإنه ليتحدث عن آخذ الصدقة بغير حق فيقول إنه « كالذي يأكل ولا يشبع ، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » (١٤)

ومن مصاديق هذه النظرة الإسلامية أن الرسول نفسه يترفع بأسرته وأقربائه عن التدلى إلى مستوى قابلى الصدقات ، فهو يحرم عليهم الصدقة ولا يجعلهم في صف ذوى الفاقة ؛ يقول : « إن الصدقة لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس » (١٥) . وقد أخذ سبطه الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي : كخ كخ ، ليطرحها ثم قال : أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة ؟ (١٦) بل إنه ليحرم الصدقة على موالى آله ، ولو كان الأخذ على جهة المهنة (١٧) . والمسلمون يتأثرون النبي ويقتدون به ، فيرون التعالى عن الصدقة واجبا محتوما على المستغنى : شرب عمر بن الخطاب لبنا فأعجبه ، فسأل الذى سقاه : من أين هذا اللبن ؟ فأخبره أنه ورد على ماء قد سماه « فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا لى من ألبانها ، فجعلته في سقائى ، فهو هذا » فأدخل عمر يده

(٥) المقدسى :
(٦) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١٧٧
(٧) ج ٥ ص ٢٥٦ منقول بالتصوير الشمسى ، ونشره « مرجوليوث »
(٨) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٣٨
(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٢
(١٠) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٢٤
(١١) نفس المصدر ص ١٢٨
(١٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٤٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٣٠
(١٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٣٠
(١٤) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٤٤
(١٥) مختصر لأحمد ومسلم — انظر الشوكانى ج ٤ ص ١٦٤
(١٦) متفق عليه رواه البخارى — انظر الشوكانى ج٤ ص١٧٢
(١٧) الشوكانى ج ٤ ص ١٧٤ .

فاستقاءه (١٨)

والإسلام فى إبائه أن تتسرب الصدقات لغير المستحق، يعين مصارفها ، بحيث يفيد منها الفرد والجماعة والدولة والدين . « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » (١٩) . ويقول النبى فى شأن تعيين هذه المصارف : « إن الله تعالى لم يرض فى قسمة الأموال بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه » (٢٠)

ويحبب الإسلام فى العمل المنتج مهما يكن شأنه ضئيلا، ليس فحسب ليعول المرء نفسه فى ظل الكرامة والاستقلال ولا يكون كلا على الدخل القومى ولا يدخل على المسئول ضيقا فى ماله ، ولكن أيضا ليسهم فى التقدم الاجتماعى للأمة ويحرز شرف التصدق « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » (٢١)

ومن جميل ما أشارت إليه السنة أن الأنبياء مع علو درجتهم كانت لهم حرف يكسبون منها الحلال الخالى عن المنة ، فآدم احترف الزراعة ، ونوح التجارة ، وداود الحدادة ، وموسى الكتابة كان يكتب التوراة بيده ، وكل منهم قد رعى الغنم . (٢)

ويجعل الرسول عدم السؤال أمراً يطلب إلى المسلمين مبايعته عليه : حدث عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ وكنا حديث عهد ببيعته ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا — وأسر كلمة خفية — ولا تسألوا الناس شيئا ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدا يناوله إياه (٢٣)

والإسلام حريص على كل الناس ألا يتعطلوا ، ولذلك يتيح لمن لا مال لهم التعاقد مع أرباب الأموال الذين يعجزون عن تثميرها على تولى التثمير بشرائط خاصة تحقق نفع الطرفين كليهما . فالفقه الإسلامى يبسط أحكام المضاربة ، وهى شركة فى الربح يكون المال فيها من جانب والعمل من جانب آخر (٢٤)، والمزارعة وهى شركة فى إنتاج الأرض بين صاحب الأرض والعامل (٢٥) ، والمساقاة وهى شركة فى الثمر بين صاحب الشجر والعامل (٢٦) . كما يضع الفقه الإسلامى أحكام الإجارة وهى عقد تمليك المنافع أو هى بيع المنافع (٢٧)

وتنشيطا للحياة الاقتصادية ، لا يحب الإسلام حبس المال عن الاستغلال ، ولذلك أعطى القاضى حق إقراض مال الوقف والغائب واللقطة ، بل إن مال اليتيم — وحرص الإسلام عليه هو ما هو — يستطيع القاضى أو الوصى إقراضه بشرائط ، وكذلك مال المسجد للمتولى إقراضه (٢٨)

وتحديم المتعطلين الغرباء من التقاليد الإسلامية . يروى « ابن بطوطة » فى رحلته أن كل من كان ينقطع بجهة من جهات دمشق « لا بد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة ... » إلى أن يقول : « ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب

(١٨) رواه مالك فى موطئه
(١٩) سورة التوبة — ٦٠
(٢٠) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ، وانظر الشوكانى ج ٤ ص ١٧١
(٢١) متفق عليه ، رواه البخارى ، انظر الشوكانى ج٤ ص١٦٢
(٢٢) راجع السيوطى : فيض القدير — شرح الجامع الصغير للمناوى ج ٤ ص ٥٤٤ ، ٥٤٥

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٣١
(٢٤) الكاسانى : بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ج ٦ ص ٧٩ وما بعدها ، والشوكانى ج ٥ ص ٢٦٤
(٢٥) انظر ابن عابدين : حاشيته على الدر المختار ج ٥ ص ٢٦٧ وما بعدها ، وانظر ابن الهمام : فتح القدير ج ٨ ص ٣٢ ، والكاسانى ج ٦ ص ١٧٥ وما بعدها ، والشوكانى ج ٥ ص ٢٧٢
(٢٦) انظر الكاسانى : ج ٦ ص ١٨٥ وما بعدها ، والشوكانى ج ٥ ص ٢٧٢
(٢٧) انظر ابن الهمام : القدير فتح ج ٧ ص ١٤٦ والشوكانى ج ٥ ص ٢٨١ وما بعدها
(٢٨) ابن عابدين : ج ٤ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ ، وابن الهمام ج ٨ ص ٤٦

آخر : من حراسة بستان أو أمانة طاحون أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح » ... الخ (٢٩)

والتصدق على الجناة متيسر في الإسلام ما صلحت نية المتصدق وما أريد بالصدقة رد الضال وإقامته على الطريق . والنبي في هذا الشأن يروى قصة محسن وقعت صدقته عند زانية وعند سارق وعند غني . فقبلت صدقته « أما الزانية فلعلها تستعف به من زناها ؛ ولعل السارق أن يستعف به عن سرقته ؛ ولعل الغني أن يعتبر فينفق مما آتاه الله عز وجل » (٣٠)

وفي تنظيم الإحسان ، يسبق النبي غير مأموم بأسوة أو متبع لسابقة ، إلى تقرير (بحث الحالة) الذي هو من أنفع ما تقرره الخدمة الاجتماعية الحديثة : عن « قبيصة بن مخارق الهلالي » قال : تحملت حمالة (الحمالة هي المال الذي يستدينه الإنسان وينفقه في إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك) فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسأل فيها ، فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، قال : ثم قال : يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ، أو قال سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه ، لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً (٣١)

فالنبي يرى ألا يأخذ سائل بدعوى الفاقة شيئاً حتى يتحرى أمره ، فيشهد بإعساره لا فرد واحد قد يكون له هوى في المنع أو الإعطاء بل ثلاثة ، وليسوا ثلاثة كيفما اتفق فيكون منهم من لا نظر له أو من لا فهم له ، وإنما ثلاثة يكونون جميعاً من ذوى اليقظة والعقل ، حتى تكون شهادتهم حيث يريد التحرى من القبول والتقدير ، ولا يكون هؤلاء ممن لم تربطهم بالسائل علاقة تقفهم على حقيقة ماله — والمال مما يخفى عادة ولا يعلمه إلا ألصق الناس بالمرء — وإنما يكونون من أهل الخبرة بحاله باطنه وظاهره حتى لا يشهدوا بما لم يحيطوا بعلمه . والإحسان بعد كل تلك الحيطة ليس شيئاً غير ممنوع ولا مقطوع ، وإنما هو بالقدر الذي يتيح قواما من عيش ، فإن تجاوزه فهو حرام لا يحل كسبه ولا أكله

والإسلام في تعريف المسكين الذي تحق له الصدقة ثاقب النظر دقيق التقدير واسع الرحمة . يقول النبي (ص) : « ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان ، ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي أو لا يسأل الناس إلحافاً » . وفي رواية مسلم : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان » قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً » (٣٢)

* * *

أما بعد . فهذه إلمامة يضيق المقام عن الغوص فيها إلى الأعماق . وما نبغى من استهداء الإسلام إلا توجيهاته الراشدة لفن الخدمة الاجتماعية بمجرد الإشادة بأمجاده والتحليق في الآفاق بتراثه . ولكننا نبغي أيضاً بعض البر بالعلم وبعض الإخلاص لذلك الفن ذاته

لبيب السعيد

(٢٩) ابن بطوطة : تحفة الأنظار في غرائب الأمصار ج١ ص٦١

(٣٠) راجع الشوكاني : ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٤

(٣١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ١٣٣ و ١٣٤ وانظر الشوكاني ج ٤ ص ١٦٨

(٣٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٤٨

(٣٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ١٢٩

الدعوة الوهابية وأهدافها

أسرار الحرب بين أسرة محمد علي وآل سعود

للأستاذ محمد كامل حته

آن أن يكتب التاريخ من جديد ...

هكذا قلت لصديق ونحن نسمر في فندق مصر بمكة، ونستعرض تاريخ تلك الحروب الدامية التي نشبت بين مصر والحجاز في عهد محمد علي الكبير

واتصل بنا الحديث فتناول تاريخ الدعوة الوهابية، التي تعتبر إحدى انتفاضات ثلاث كان لها شأن كبير في تاريخ الحركات الدينية والسياسية في العالم العربي: الوهابية في جزيرة العرب، والسنوسية في شمال إفريقية، والمهدية في السودان ...

فما هي البواعث الحقيقية لتلك الحروب التي شنها محمد علي وأولاده على الحجاز ؟

وما هي حقيقة الدعوة الوهابية وأهدافها الدينية والسياسية ؟

أما هذه الدعوة، فهي — كما قلت — إحدى الانتفاضات الدينية التي انفعل بها العالم العربي، والتي كانت منبعثة من صميم الإحساس بما وصلت إليه حال المسلمين من الجهل بحقيقة الإسلام، وتدهور العقيدة وتحلل مقوماتها في النفوس، مما تخلف بهم عن مكانهم الطبيعي في الصدارة، وجعلهم خولا للأجنبي، يطأ أعناقهم ويستولي على بلادهم، ويسلبهم ما بقي من مقومات حياتهم، ميراث تاريخهم ...

وفي قرية «عيينة» من قرى نجد ولد محمد بن عبد الوهاب صاحب هذه الدعوة، في مطلع القرن الثامن عشر. وقضى صدر شبابه مرتحلا إلى الأحساء والحجاز والبصرة وبلاد فارس. وتتلمذ على ما كتبه ابن تيمية وأتباعه، وخاصة ابن القيم وابن كثير، وهم من الأئمة السلفيين الذين كان لهم في تاريخ التوحيد الإسلامي جهود ضخمة، ردت إليه اعتباره وجددت شريعته السمحة البيضاء.

إذن فقد اجتمع للرجل في اتصاله بحياة المسلمين في كثير من الأقطار، وفي فقهه لأسرار الشريعة الإسلامية؛ ما ملأ قلبه غيرة على حال المسلمين، وحسرة على ما وصلوا إليه من جهالة وضعف وانحلال. وحفزه ذلك إلى الجهاد في سبيل تجديد إيمان هذه الأمة، وتسديد عزائمها إلى مواطن العزة والشرف.

وكانت الجزيرة العربية لذلك العهد ممزقة الأوصال، متعددة الولايات والولاة؛ لا تهدأ بينهم نار الحرب، ولا تخبو الإحن والثارات. وكذلك كان الشأن بين البدو والحضر، وبين القبائل بعضها وبعض، بل وبين أبناء البيت الواحد ممن يتنافسون على المناصب والمغانم. حتى أن أحد أشراف مكة لم يتورع عن قتل أخيه ثم طبخ لحمه وقدمه إلى بقية إخوته في وليمة ساهرة!

وكانت الخرافات والعقائد الضالة قد استحوذت على العقول، حتى لأوشكوا أن يرتكسوا في جاهلية عمياء، هي شر من الجاهلية الأولى؛ لأن أهلها يزعمون مع ذلك أنهم مسلمون ...

وبدأت دعوة محمد بن عبد الوهاب بالعمل على إصلاح العقيدة الدينية. وهل إلى ذلك من سبيل غير الرجوع إلى منابعها الصافية: الكتاب والسنة!

ومن خصائص العرب في جميع العصور، أن طبيعتهم السمحة القوية، وبيئتهم البادية المتصلة بالكون، المتفاعلة فيه، هي أقرب الطبائع البشرية إلى روح الإسلام وطبيعته. وليست كذلك طبيعة الأمم التي أغرقتها الحضارة، واستغرقتها العقائد المادية، وأنهكها الترف المتلف، وخدرتها أوهام التصوف وتهاويل الفنون ...

ولذلك استطاع الإسلام أن يحقق بأولئك العرب، بعد أن زالت عن طبيعتهم السمحة القوية أدران الجاهلية، وتطهر جوهرها النقي مما شابه من عقائد وأفكار — استطاع

أن يحقق بهم أروع وأسرع معجزة فى فتح الأمصار ونشر كلمة الله

فلما اتصلت حياتهم بتلك الأمصار ، وتذوقوا ما فيها من ألوان الحياة الحضارية، وبهرتهم دنياهم الجديدة بما فيها من زينة وزخرف ومتاع ، تأثروا بذلك كله ، فضعفت قواهم المبدعة الغلابة، ولم يستطيعوا أن يتابعوا جهادهم بعد الفتح فى تطوير عقائد تلك الأمصار، وانبعاث صور جديدة للحياة فى شتى مناحيها العقلية والاجتماعية ، يتصل إلهامها بروح الإسلام وطبيعته ، فكان أن ذرت العقائد الموروثة التى حاربها الإسلام بقرونها من جديد ، فى صور موشاة بألوان تخيل للرائى أنها صور إسلامية، وإن كانت فى مادتها ووحيها بعيدة كل البعد أو بعضه عن مادة الإسلام ووحيه ...

وانظر معى الآن — ولا تجزع — إلى ذلك التراث الضخم الذى خلفته العصور الإسلامية منذ انحسر عنها مد العروبة المسلمة أو غاض ، وانطلقت غرائزها تبنى للاسلام حضارته العمرانية والعقلية ، فى مصر وفارس والهند وتركيا وغيرها من الأمصار؛ فتنشئ العمارة ، وتمارس العلم والفلسفة ، وتصوغ فنون الحياة ... أترى معى حقيقة — إذا تجردنا من أوهام ذلك التاريخ الذى نعيش فيه ، وتحررنا مما رسب فى أعماقنا من معايير وموازين — أن هذه الحضارة الإسلامية فى ماضيها وحاضرها ، وذلك التراث الضخم الذى نزهو به ، وتلك الحياة التى أبدعت هـذه الحضارة وذلك التراث ، والتى نحياها الآن على نمط قريب مما كان يحياها أولئك الآباء والأجداد ؛ أتراها معى حقيقة ، حضارة إسلامية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى؛ أم أنها حضارات متعددة تمتد جذورها إلى أعماق الأمم التى صنعتها ، فى مصر ، وفارس ، والهند ، وتركيا ، وغيرها من الأمصار ؟

قد تتهمنى بالمغالاة والتجنى على مقومات الحضارة الإسلامية . وقد تقول : إن هذا التعدد فى ألوان الحضارة الإسلامية لا يتصل إلا بمظاهرها ، وبالقدر الذى تختلف به طبيعة كل أمة ومؤثراتها الخاصة ، وأنها فى جوهرها ومجموعها تنبع من معين واحد هو معين الإسلام ...

وفى هذا الاعتراض نوع من المغالطة؛ فإن هذه الألوان المتعددة فى معالم الحضارة الإسلامية ، لا يقتصر تعددها واختلافها على المظهر فحسب ، ولا يرجع ذلك التعدد والاختلاف إلى تأثير البيئة واختلاف الطبيعة — وإذن لهان الأمر ؛ ولكنه أعمق من ذلك جذوراً وأبعد أساً ؛ ذلك لأن هذا الاختلاف فى الظاهر لا يقاس إلى ما بين العقائد والأفكار والمشاعر التى تكمن وراءها من تباعد واختلاف.. وبالقدر الذى يباعد بين هذه العقائد والأفكار والمشاعر الموروثة، وبين الإسلام فى حقيقته الأولى وتمثله للكون والحياة

وفى هذا الاعتراض كذلك شبهة لا يمكن إزالتها إلا بالاحتكام إلى الإسلام ذاته ؛ لا عن توهم أنه دين تأبى طبيعته التطور، وينكر حق العقل فى بحث أسرار الكون وإخضاع نواميس الطبيعة؛ ولكن عن إدراك طبيعة الإسلام باعتباره ديناً يقوم على « التوحيد » فى كل شىء : التوحيد الذى يسمو بالإنسان عن كل عبودية إلا لله، ويجعل المسلم قواماً على الحياة والكون، يسيطر عليهما ويسخرها لتحقيق الرسالة التى جاء بها الإسلام لخير الفرد والمجتمع ؛ لا أن يكون عبداً للكون والحياة ، تستخدم مواهبه فى الفنون حتى يكاد يعبد ما خلق، وتستغرق عقله بالفلسفة حتى تصرفه عن العمل . .

* * *

على أنى أرانى قد أبعدت كثيراً فيما أعالج من أمر الدعوة الوهابية وبواعثها وأهدافها ، فلندع هـذا الحديث الذى لا توفيه هذه الإلمامة حقه من الحجة والبيان . ولنعد إلى حديثنا عن صاحب الدعوة محمد بن عبد الوهاب :

أراد هذا الإمام أن ينهض بدعوته . وهل لها إلا تلك « الخامات » العربية التى تنطوى على عناصر الحرية ، والاتصال المباشر بالكون ، والاستواء على أقطار الحياة يبرئها مما أصابها من غشاوة الجهالة ، ويردها إلى فطرتها السمحة ، ويغذيها بوحى الكتاب والسنة ؛ ثم ينطلق بها

خفيفة مؤمنة صابرة ، تحمل أعباء الدعوة ، فتنشر الهدى المحمدى ، وتقر الأمن المضطرب ، وتحمى البيت الذى يتخطف الناس فيه ، ثم تمضى برسالتها إلى أبعد الآفاق ...

تلك كانت دعوة محمد بن عبدالوهاب . وهذه وسيلته ..

ولقد نجح هذا الداعية فى المرحلة الأولى – مرحلة الانتصار على أهواء الجاهلية ، وأدواء الجهالة ، واستنفار « الإخوان » للدعوة إلى سبيل الله – نجاحا كاد أن يتجاوز حده فيقع بهم فى السرف ، أو قد كان.

وكانت دعوة محمد بن عبد الوهاب تسير جنبا إلى جنب مع مراحل الدولة السعودية ، فلما دانت الجزيرة العربية لآل سعود فى مطلع القرن التاسع عشر ، كانت هذه الدعوة تزلزل قلوب كثير من السلاطين والولاة فى البلاد الإسلامية ، ويرون فيها خطراً جائحا يخشى أن تمتد آثاره فتقضى على الأوضاع الظالمة والعقائد الفاسدة التى يقوم عليها كثير من العروش والتيجان ...

أحس بهذا الخطر سلطان تركيا ، وكان يعيش فى تلك الأسطورة التى توهمه ، أو يوهم هو بها الناس ، بأنه ظل الله فى أرضه !

وأحس به محمد على فى مصر ...

وكان إحساس سلطان تركيا بخطر الدعوة الوهابية مزدوجا ؛ لأنه كان يحس فى الوقت نفسه بخطر محمد على فى مصر . فأراد أن يضرب الضربة يصيب بها الاثنين معا ، فطلب إلى محمد على أن يغزو الحجاز ؛ وأن يقضى على أولئك المتمردين العصاة !

ووجدها محمد على فرصة يضرب بها ضربته ، باسم خليفة المسلمين ؛ ظل الله فى أرضه ...

ثم كانت الغزوات والحروب التى ذهب وقودها مئات الألوف من أبناء مصر ، وعشرات الألوف من أبناء الجزيرة العربية . والتى خلقت فى نفوس الشعبين تلك الموجدة التى تذكو نارها تارة وتخمد أخرى ...

وكتب التاريخ الزائف قصص البطولة والنصر لجيوش الخليفة وولاته فى مصر ، على الدعوة الثائرة المتمردة فى جزيرة العرب . هذه الجيوش المغلوبة على أمرها ، والمسخرة لأطماع الولاة وأهوائهم . والتى حبست عشرات السنين عن أن تؤدى واجبها الحق حين كان أشراف مكة يرشون السلاطين والولاة : ثم يعيثون فى الأرض المقدسة فسادا ، فيقتلون ويسلبون ، ويغرون سفهاء البدو فيهدرون دماء الحجاج ، وينهبون أموالهم ، ويهتكون أعراضهم ، ولا يرسلون من هذه الجيوش إلا كتيبة لحراسة « المحمل » وهى تحدو ركبه بالطبول والمزامير

* * *

ويبدو أن لتلك الحروب أثراً كبيرا فى توقف الدعوة الوهابية عند خطوتها الأولى ، وهى المناداة بالشريعة الإسلامية لتكون أساس الحكم ، والرجوع إلى الكتاب والسنة فى كل أمر ، واستنفار أهل البادية ذوى الحمية والبأس للاضطلاع بأعباء هذه الدعوة . أما ماوراء ذلك من خطوات تتصل بتدعيم هذه الدعوة بالعلم ، وتخريج أفواج الدعاة الذين لا يقتصرون على سورة الحماس الدينى ، دون البصر بشريعة الإسلام فى الحياة ؛ وتعبئة قوى الأمة للتحرر الدينى والسياسى – فذلك ما قصرت عنه الأسباب ، وما انتهى بالدعوة إلى أضيق الحدود

ولقد كان من أثر ذلك أن الملك عبد العزيز ذاته ، حين أراد أن يخرج قليلا من نطاق تلك الحياة الجامدة الراكدة ، وأن يدفع بلاده خطوات يسيرة فى سبيل الحياة ؛ انقلب عليه أشد أعضائه وأنصاره من « الإخوان » أعداء ألداء ، ووقعت بينه وبينهم فتنة دامية ، انتهت بغلبته عليهم ، ووقوع زعيمهم فيصل الدويش أسيرا فى يده ، وعندئذ تنفس الملك عبد العزيز الصعداء ، وقال : من اليوم سنحيا حياة جديدة !

محمد كامل حته

صديقى الشاعر

للأستاذ حبيب الزحلاوى

طالما سمعتك يا صديقى تقول : إن الشعر أسمى أنواع الأدب وأعلاها ، وإن الشعراء يسمون بالإدراك الإنسانى إلى مراقى معرفة الحياة ، وإنهم مصابيح النفوس ، ومنارات الأفئدة ، ومشاعل الأذهان ، ولهب الأرواح ؛ وإن الحياة بغير الشعر وبدون الشعراء ليست إلا صحراء تصفر فيها أبالسة المادة وترقص شياطين الشهوات على عاصف رمالها

وكنت تقول : إن الشعراء جبلوا من دموع الأسى والأحزان ، ومن بسمات الفرح والغبطة ، وإنكم كونتم من أنفاس الثكالى ومن مرح الفتيات المرحات . وإن قلوبكم بقدر ما هى لينة يذيبها الوجد ، هى صلدة صارمة ، إن تأثرت من النظرة الحنون ، أو من الحدث الاجتماعى ، أو من أى أمر يمس الحرية ، أو مسألة تدنو من الإنسانية ، تغرد أو تزمجر . إن غردت سحرت الإنس وأسكرت الجن ، وإن زمجرت طوحت بالتيجان والعروش ، وأودت بالطغاة والجبابرة إلى الدرك الأدنى فى أودية الجحيم

وقلت يا صديقى إن الشاعر يسبق جيله ، يحس بما تختلج به الأفئدة ، وتدرك بلمحة خاطفة من لمحات ذهنك اللامع ما يجول فى الصدور ، فتصور ببراعة العبقرى أحاسيس النفوس فى شتى انفعالاتها ، وترسم بنظمك الموسيقى الموزون مشاعر أمتك فى مختلف أحوالها

إن ادعاءك هذا هو الحق المبين ؛ ولكن هل علمت يا صديقى الشاعر ، أعزك الله وأبقاك ، ماذا حدث فى مصر وما طرأ عليها من طوارئ وأحداث منذ هل عام ١٩٥٢ حتى أدركه المحاق ؟ هل نقل لك الرواة خبر ثلة من العسكريين قامت بعمل من الأعمال ؟ هل دريت أن فاروقا الذى طالما سخرت من القمر بدرا إذا شبهته بسناه ، ومن الزهر عطرا نضرا إذا قورن بشذاه ، فاروق ذلك الذى قلت فيه « إن أخلاقه الشخصية قدوة للمصريين » وإنه مثال للأخلاق العالية والنفوس الرضية ! إنه أصبح أحدوثة يتندر العالم بأفاعيلها ! وسطوراً فى سجل التاريخ ، وإنه لن يرى مصر أبدا ولن تضم رفاته أرض مصرية قط !

لست أدرى يا صديقى الشاعر إذا كنت أحسست طغيانا وقع ، أو شعرت بالحرية مست ، أو بالحقوق ديست ، أو بالأعراض استبيحت ، أو بالأرواح أزهقت ، لا بأيدى زبانية فاروق بل بيد فاروق وبأمره . أكبر ظنى أنك لا تدرى شيئا من ذلك

أنت يا صديقى الشاعر فى واد ، والأمة التى أنت منها فى واد آخر . فإذا خفيت عليك فعال اللواء محمد نجيب ، وهان عليك إنكار أعوانه الضباط ذواتهم فى سبيل الوطن ، وشغلت عن التفاف عشرين مليونا من المصريين حوله وقد أنزلوه فى حبات قلوبهم ، وذهلت عن مئة مخلوق كسالى وألف قعيد سفهاء من مالكى آلاف الفدادين انتزعت منهم لتوزع على فالحى الأرض وزارعيها ، ولم تلتفت إلى شعب كانت سمته تتمرغ فى الأوحال فانقلب فصار العالم يتطلع إليه يرمقه بعين الإكبار والإعجاب ، إذا كان هذا بعض ما وقع بين سمعك وبصرك وأنت ذاهل أو غافل ، أيصح لك بعد اليوم أن تدعى الشعر وتتكلم فى الشعور ؟

لقد انصرمت شهور منذ طرد الطاغية ودك عرشه . لقد انقضت هاتيك الشهور فى العمل الجدى المجدى ، فقد زالت من عالم الوجود أحزاب وأذناب ، وانمحت من سجلات التقاليد ألقاب وأرباب ، وطرت الأداة الحكومية وانعدم الفساد والرشوة والوساطات والمحسوبيات ، وشرعت محاكم الأمة تطهر مصر من الخونة والغادرين ، وقع كل هذا بين سمعك وبصرك يا صديق الشاعر ، ألم يكن بعض ما وقع كافياً لتحريك رواسب نفسك الشاعرة ؟

ألم تستثك قدماك إلى طريق عابدين ؟ ألم تر المهانة والذل والانكسار تجلل القصر بوشاح أسود ؟ ألم تنصت إلى

صراخ حجارة القصر ، إلى قاعاته وجدرانهـا ، إلى كل ركن وناحيـة ، إلى كل سرداب ودهليز ومخبأ ، تجأر فى طلب التطهير بالنار المحرقة مما دنسها من مخاز من إسماعيل الفاجر إلى فاروق الداعر ؟

من الشـعراء يا صـديق الشاعر من يعيش بنصف وجدان ، وثلث حس ، وربع شـعور ، وجزء من بصر وسمع ، وبعض جزء من الوعى والإدراك . هـل أنت من هذا النوع من الشـعراء ، أو مجرد حتى من الكليات والجزئيات ، أو أنك مستجم فى قوقعـة تنتظر وسوسـة شيطان ؟

عهدنا لـكل شاعر شـيطانا يوحى إليـه الشعر ، ألم يجل فى خاطرك ياصديق الشاعر أن تستلهم الرحمن الرحيم مرة نظم القوافى ، أو أنهما تركاك كما مهملا ونبذاك قصيا لا تصلح إلا لتعيش بنصفك البشرى الأسفل ؟

أقلب الصحف اليوميـة والأسبوعية والشهرية أيضا فلا تتعـثر قدماى بشاعر أو نصف شاعر أو شويعر واحد حى يعيش بين الأحياء فى هذ العصر !

ليس فى شـعراء مصر اليوم من يعيش مع « نجيب محمد » ولا أقول محمـد نجيب ، لأن الشعر قد مات بعـد شوقى وحافظ

هل أقول إن دولة الشعر دالت كما دال عرش فاروق ، أو أنى إذا تلمسـت وفتشت وفى يدى مصباح ديوجين أجد « محمود عماد » آخر بين الشعراء الأحياء ؟

حبيب الزحلاوى

بلزاك

للكاتب الكبير ستيفان زفايج

للأستاذ على كامل

(يعتبر ستيفان زفايج من أعظم كتاب التراجم المعاصرين كما أنه فى مقدمة كتاب القصة . وكتابه عن القصصى الفرنسى الخالد أونوريه دو بلزاك من أحسن ما كتب عن الأديب الكبير . ولقد كان كتاب « البرازيل أرض المستقبل » هو آخر كتاب أصدره زفايج فى حياته . وقد وضعه بعد رحيله إلى البرازيل عام ١٩٤٠ هربا من الطغيان النازى . أما كتابه عن بلزاك فقد مات زفايج منتحرا ، كما هو معروف ، قبل أن يتمكن من نشره وكان قد أعد كل محتوياته . فلم تكد تضع الحرب أوزارها حتى سعى ناشره إلى الحصول على أصوله وتوصل إليها ونظم أبوابها بعد مجهود مضن ثم أصدر الكتاب منذ عهد قريب وكان بذلك آخر كتاب ظهر لزفايج فى عالم الأدب)

كانت والدة بلزاك تصغر أباه باثنين وثلاثين عاما ، ولم يكن زواجها منه عن حب ، بل كان نتيجة إرغام من جانب أسرتها التى رأت فى مركز برنار فرانسوا بلزاك ما يشجع على قبول هذا الزواج . كانت عصبية المزاج حادة الطبع تسئ معاملة ابنها أونوريه . ولم ينس أونوريه ، حتى بعد أن شب عن الطوق وأصبح رجلا وكاتبا تطبق شهرته الآفاق ، إساءات والدته إليه . فقد كتب فى أحد خطاباته إلى آخر عشيقاته وزوجته فيما بعد مدام دوهانسكا يقول : « آه لو عرفت أى نوع من النساء والدتى . إنها الرعب والهول مجتمعين . إنها الآن فى سبيل القضاء على شقيقتى بعد أن قضت على جدتى . إنها تكرهنى ، تكرهنى حتى قبل مولدى . إن والدتى هى سبب كل ما حل بى من مآسى الحياة »

ولقد كانت هذه الحياة العائلية الشاذة سببا فى أن يكرر بلزاك فى كثير من المناسبات بأنه « قاسى أفظع طفولة رآها إنسان على الأرض » . ولا شك أن هذه الطفولة المعذبة قد اشتركت فى توجيه مستقبل حياته فيما بعد

لم يكن بلزاك فى حياته المدرسية مجدا . وكان كثيرا ما يشرد بفكره أثناء الدرس ، مبديا عدم الاهتمام بما يلقيه أساتذته من الدروس . وقد نسب هو ذلك فيما بعد إلى أن امتلاء ذهنه بالأفكار جعله يرى فيما يلقى عليه أقل من المستوى الذى يتطلبه ذكاؤه وطموحه واطلاعه ، ذلك الاطلاع الذى انكب عليه كوسيلة للعزاء فى البداية ، قبل أن يكون وسيلة للتثقيف

وظل بلزاك طول حياته الدراسية محروماً من العطف العائلى حتى بلغ العشرين وحصل على إجازة الحقوق ، ولكنه بدلا من أن يسير فى الطريق الذى أهلته له دراسته وكما تبغى أسرته ، استيقظت فيه فجأة الرغبة فى مزاولة حرفة الأدب ، واستطاع أن يقنع أسرته بعد كفاح مستميت أن تمده بمبلغ من المال للذهاب إلى باريس ليجرب حظه مدة معينة لا تزيد على سنتين إذا فشل بعدها عاد إلى موطن الأسرة ليزاول الحياة التى أهلتها له دراسته القانونية

ورحل بلزاك إلى باريس ؛ وأقام فى رقم ٩ شارع ليديجويير فى غرفة فى سطح المنزل ، غرفة صغيرة تماما النفس ، اختارتها له والدته بنفسها خصيصا لتبغض إليه الحياة التى يطمع فيها . بيد أن بلزاك احتمل حياته الجديدة بعزم وعناد . فكان ينظف الغرفة بنفسه ويذهب لشراء الطعام الرخيص كل يوم حتى يوفر ما تكلفه إياه المطاعم . حتى الماء كان يذهب لإحضاره من نافورة سان ميشيل كى لا يتكلف ثمن شرائه . ولم يكن كل ذلك ليثبط من عزيمته ، وكان يتعزى عن شقائه بالتطلع من نافذة غرفته الصغيرة إلى أضواء باريس ، متأملا سحرها ، حالما بذلك المجد الأدبى الذى يصبو إليه ليكون اسمه علما بين كتاب تلك المدينة التى أضاءت سماءها أسماء أعاظم رجال الأدب والفكر فى مختلف العصور

فإذا ما أراد بلزاك أن يخرج من سجن غرفته ذهب إلى الأحياء الشعبية يتأمل ساكنيها ويدرس نواحى الحياة

بين أرجائها . وكان لا يجد غضاضة أو غرابة أثناء تجواله إذ كانت ملابسه كما يقول ، لا تلفت إليه الأنظار لأنها لا تفترق فى بساطتها عن ملابس العمال والبسطاء من ساكنى تلك الأحياء ، فوق أن مشاعره كانت تتجاوب مع مشاعرهم ، فيرثى لضروب تعاستهم ، متضامنا وإياهم فى سخطهم على رؤسائهم الذين يستبدون بهم ويرهقونهم فى مقابل لقمة العيش . ولقد كانت هذه الفترة من حياة بلزاك حاسمة فى تحديد تفكيره وإدراكه لنفسية الطبقات الكادحة وما يختزن فيها من مواهب إذا اكتشفت وأحسن توجيهها أخرجت للنور الكتاب والمخترعين والفنانين وسائر القادة فى مختلف ضروب الفكر الإنسانى

وانقضى شهران دون أن يعرف بلزاك ماذا يكتب وقد تكدست فى ذهنه المشاريع المختلفة . وأخيرا استقر رأيه على كتابة مأساة شعرية بعنوان (كرومويل) فبدأ توا فى كتابتها وكان يريد أن ينتهى منها سريعا قبل أن تجئ إليه والدته لتحاسبه على ما أعطته من نقود وعلى ما إذا كان قد استطاع أن يوفى بوعده فى أن يصبح أديبا ؟ !
وانهمك بلزاك فى الكتابة وحيدا فى غرفته ، لا يغادرها مرة كل بضعة أيام حتى انتهى منها . وحمل بلزاك مأساته إلى أسرته واتفق الجميع على عرضها على صديق للأسرة ملم بأصول الأدب والنقد . وبعد أن قرأها أبدى رأيه بعدم صلاحيتها . ولم يحاول بلزاك أن يناقش أو أن يجرح كبرياءه بعرضها على أشخاص آخرين أو على أحد المسارح فألقى بها فى زاوية مكتبه ولم يخرجها من مكانها حتى مماته !
على أن هذه المسرحية : رغم فشلها ، قد أنالته شيئا من الثقة من جانب والدته فى أن يكون يوما من الأيام أديبا يلمع اسمه بين رجال الأدب فى فرنسا

لم ييأس بلزاك من عدم نجاحه فى عمله الأدبى الأول . وكان إيمانه بنفسه كافيا لأن يدفعه ليواصل صراعه . لكن المشكلة الكبرى التى أمامه الآن هى أن المال الذى منحته إياه لأسرته يوشك أن ينفد ، ولذا يجب أن يجد طريقة للحصول عليه حتى يستطيع أن يبقى فى باريس ويواصل هذا الصراع . وأخيرا اتفق مع أحد أصدقائه ويدعى أوجوست لو بوانفان على أن يتعاونا معا على كتابة قصص يوقعانها باسم مستعار

وانتقل بلزاك من غرفته إلى المنزل الذى كانت تسكنه شقيقته لور بعد أن هجرته بعد زواجها وجعله مقرا له يكتب فيه القصص المتوالية بمعاونة صديقه أوجوست .
ولا شك أن هذه الفترة من حياة بلزاك لا تشرف تاريخه الأدبى . فقد كان يسعى إلى كتابة أى نوع من الكتابة سواء كان قصصاً أو غيرها ما دام يدر ربحا ماديا . وكان يلجأ إلى اقتباس الموضوعات من أى مصدر يصادفه .
ولقد كان عذره الوحيد أمام ضميره فى ذلك الوقت هو السعى لأن يكسب حياته بأى سبيل حتى يستقل عن الحاجة إلى معونة أسرته ، وليستطيع البقاء فى باريس تمهيداً لمجده الأدبى الذى لم يتنازل عن العزم على الوصول إليه . ولقد أدى هذا التهافت من بلزاك على كسب حياته بأية طريقة إلى أن لا يتروى فى كتابته فكان يؤجر قلمه لكتابة كل ما يطلب منه فى مقابل أجر معلوم . ولم يغتفر له مؤرخو حياته فيما بعد هذه الزلة التى استمر عليها بضعة أعوام رغم سعيه إلى تبريرها بمنطقه البليغ وقدرته الفذة فى الإقناع

على أن أعجوبة بلزاك الكبرى أنه رغم هذا الإسفاف الأدبى خلال تلك السنوات قد استطاع أن يتطهر منه فيما بعد ، وأن يكون فى أدبه عالى الضمير ، يتأنق فى فنه ويعيد تصحيح ما كتب بعد إرساله إلى المطبعة عدة مرات حتى ضج منه الناشرون إلى درجة أن قاضاه بعضهم من أجل ما يتحملون من نفقات نتيجة تصحيحاته وتغييراته التى لا تنتهى

وبلغ بلزاك الثالثة والعشرين وهو فى أوج كفاحه المضنى بمعاونة صديقه أوجست فى سبيل التحرر من إعالة أسرته والبقاء فى باريس . وإلى هذه السن لم يكن يعرف

عن العلاقات النسائية شيئا .فقد كان شديد الخجل ، مهمل الهندام ، لا يجذب إليه نظر الجنس الآخر لبدانته وبعده عن كل جاذبية وانطوائه على نفسه . ولطالما شعر بالألم عندما كان يرى شبانا فى عمره يعبرهم أقل منه ذكاء وشأنا فى صحبة فتيات جميلات لا يستطيع هو أن يصل إلى معرفتهن .
وفى ذات يوم هيأت له الظروف رؤية مدام دوبيرنى صديقة عائلته وكانت فى عمر والدته إذ كانت فى الخامسة والأربعين بينما هو فى الثالثة والعشرين . فوقع فى غرامها وظل يمطرها بخطاباته الملتهبة . ورغم صدها له فى البداية فقد انتهى الأمر بها إلى الاستسلام والسماح له بلقائها ذات ليلة فى منزلها فتحقق له حلم فى التمتع « بتلك الليلة الصاخبة الممتلئة باللذة ، تلك الليلة التى لا يستطيع التمتع بها إلا مرة واحدة ذلك الطفل الذى بلغ مرحلة الرجولة والتى يسعد بها عندما يصادفها لأول مرة فى حياته »

ولقد دامت صداقة بلزاك لمدام دوبيرنى قرابة عشر سنين . وحتى بعد هجره لها وإنشائه علاقات أخرى مع غيرها فقد بقى وفيا لذكرى صداقتها ، يراسلها بين وقت وآخر ويسترشد بآرائها . فقد كان يرى أن على يديها وحدها تفتحت أمامه أبواب السعادة النفسية وعرف الحب الأول مرة فى حياته وفى وقت بلغ به اليأس مبلغا جعله يفكر فى أن الموت هو السبيل الوحيد للخلاص من عذابه

ولقد كان التفاوت الكبير بين عمريهما مما سهل التغلب على سذاجته العاطفية ومشكلة خجله المرضى . ألم يكن يتمثل مدام دوبيرنى أمام ناظريه حين قال كلمته الخالدة : « ليس إلا الحب الأخير للمرأة الذى يستطيع أن يرضى الحب الأول للرجل » ؟ ! ولقد رسم هذا الحب الأول لبلزاك طريق ميوله الغرامية طول حياته ونوع المرأة التى تستطيع فى نظره أن تملأ فراغ قلبه وتروى ظمأ حواسه الملتهبة المتدفقة ؛ فالحبيبة النموذجية فى نظر بلزاك هى تلك المرأة التى تخطت الثلاثين والتى تكون منه بمثابة الأم لطفلها المدلل ، تغمره بعطفها وتحنو عليه وقت الشدة ، وتمده بالمعونة المالية وقت الحاجة . هى تلك المرأة الواعية التى ترتفع بتجاربها عن الأنانية التى تريد أن تجعل من الرجل وسيلة لا غير لتحقيق أطماعها وإطفاء لهيب نزواتها . هى تلك المرأة التى أوشكت بحكم سنها ان تفقد الأمل فى صداقة جديدة والتى تشعر بالسعادة الجمة إذ أتيحت لها تلك الفرصة النادرة التى تشعرها بأنه لا يزال هناك من الرجال من يعجب بها ويرغب فى صداقتها . وما بطلتا قصتى (المرأة المهجورة) و (المرأة ذات الثلاثين ربيعا) إلا صورتان عن بطلات حياته الغرامية اللواتى خلدهن فى قصصه العديدة ومنحهن حق التمتع بالحياة رغم العرف السائد فى ذلك الوقت على الخصوص الذى يحرم عليهن بعد هذه السن التمتع بهذا الحق

ولقد كانت هذه الصور الخالدة للمرأة التى تخطت الثلاثين فى قصص بلزاك سببا فى أن يخلق حوله طبقة من المعجبات لم يتمتع بها غيره من كتاب القصة فى القرن التاسع عشر . وفى جو هذه الصور الحية كان بلزاك يبشر بفلسفته الجديدة على لسان أبطاله كقوله « إن المرأة ذات الأربعين تعطيك كل شئ . أما ذات العشرين فلا شئ إطلاقا » . ولقد طبق بلزاك طوال حياته الغرامية هذه العقيدة فكان « شديد الكره للفتيات » لأنهن يأخذن كثيرا ويعطين قليلا . كما أنه لم يلجأ إطلاقا فى علاقاته إلى بائعات الحب أو إلى ذلك النوع من الغانيات اللعوبات المغرورات . وما كانت صداقته بعد مدام دوبيرنى كصداقته لدوقة ابرانتيز ومدام ريكاميه ومدام رولما كارو ودوقة كاسترى ثم أخيرا مدام دوهانسكا إلا تطبيقا لتلك العقيدة التى كونها لنفسه على ضوء حبه لمدام دوبيرنى وهو أن تكون المرأة له أما وشقيقة وصديقة وعشيقة فى وقت واحد ، يلوذ بها أيام المحن والكوارث فتغمره بتشجيعها وسلواها وتهرع إليه فى ليالى الشقاء كما كانت تفعل مدام دوبيرنى التى كانت « تأتى إليه كل يوم كما يأتى النوم الكريم يسكن وقر الآلام »

***

بقي بلزاك حتى الثلاثين من عمره يكافح بعناد دون أن يخرج عملا أدبيا ذا قيمة إلى أن أصدر أول قصة طويلة له (التعويذة) la peau de chagrin فكانت فتحا جديدا في الفن القصصي من حيث قوة التحليل ودقة الوصف وكان نجاحها بداية فجر مشرق. فمنذ ذلك الوقت رسم بلزاك لنفسه هدفا رئيسيا لموضوعات قصصه وهي أن تكون دراسة للمجتمع بكافة نواحيه يختلط فيها كل من الغنى والفقر، السعادة والشقاء، الطبقة العليا والطبقة السفلى، قوة المال وضعفه، وبالاختصار كل ما يموج به المجتمع من متناقضات. ذلك أن بلزاك كان يعتبر أن هذه المتناقضات أشبه ما تكون بالعناصر الكيميائية التي يتوقف كل منها على الآخر. فثراء طائفة من الناس سببه فقر الآخرين. والفقر المميت لا ينتج إلا لأن البعض قد استحوذ على معظم الثروات.. وسعادة البعض كثيرا ما تكون على حساب تعاسة الآخرين وهكذا. ولقد كانت حياة بلزاك الخاصة في باريس.وما عركه بنفسه بين مختلف طبقاتها هو المصباح الذي أرشده إلى حقائق المجتمع الإنساني في عصره. وما قصصه (الأوهام الضائعة) و (لويس لامبير) و(سيزار بيروتو) و(الأب جوريو) و(أوجيني جرانديه) وغيرها إلا ثمرة دراساته الشخصية وحياته العاصفة التي جعلت منه الأديب المؤرخ لعصره والمصور الصادق والطبيب البارع للمجتمع الباريسي الصاخب والمجتمع الإنساني بوجه عام

ولقد استطاع بلزاك خلال هذا الكفاح العنيف في سبيل تأدية رسالته وفي سبيل «أن يحقق بعلمه ما حققه نابليون بحسامه» كما قال — أن يكتب في مدة عشرين عاما — عدا المسرحيات والمقالات والقصص القصيرة — أربعا وستين قصة طويلة وأن يخلق في هذه القصص ألفي شخصية إنسانية، كل منها نموذج قائم بذاته للطبيعة البشرية بفضائلها ورذائلها، محققا بذلك حلمه في أن يرسم صور المجتمع الإنساني بكافة ألوانه وطبقاته في قالب قصصي في سلسلة أطلق عليها فيما بعد ذلك العنوان الخالد على الدهر (المهزلة الإنسانية)

ولقد ارتفع بلزاك بإنتاجه الأدبي إلى أن يكون كما كان يتمنى «على رأس الحياة الأدبية في أوربا» وأن يكون «خليفة بيرون ووالتر سكوت وهوفمان». والواقع أن بلزاك قد فاق الأدباء الذين كان يتخذهم في شبابه مثلا أعلى له؛ فقصته (لويس لامبير) التي تعتبر أعمق وأقوى ما كتب كانت بمثابة فتح جديد في الفكر الأوربي عندما كشفت العلاقة الخفية بين العبقرية والجنون قبل أن يكتشفها علماء النفس في أوائل القرن العشرين بعشرات السنين. ولقد كان بلزاك يريد أن ينافس بقصته (لويس لامبير) قصة (فاوست) للكاتب الألماني جوت! ورغم أنه وصل إلى ما يبغي إلا أننا ندهش حين نعلم أن بلزاك كتب قصته في ستة أسابيع بينما لم يفرغ جوت من كتابة (فاوست) إلا بعد ستين عاما من بدئه فيها

وإذا كان بلزاك لم يحقق كل حلمه ولم يتم برنامجه إلى آخره فقد حقق معظمه وكتب أربعة أخماس (المهزلة الإنسانية) قبل أن يعاجله الموت في الثانية والخمسين. بيد أن بلزاك قد دفع الثمن غاليا من صحته التي أنهكها السهر الطويل المضني. ولعل العجب يتولى كل من يعرف طريقته في العمل التي تفوق طاقة البشر! إذ كان يقضي في كثير من الأحيان أسبوعين أو ثلاثة أسابيع لا يغادر أثناءها شقته الصغيرة في شارع كاسيني. وكان يبدأ الكتابة عند منتصف الليل حتى إذا ما طلع الصباح تناول إفطاره ثم شرع في تصحيح النماذج التي ترسلها إليه المطبعة فيغير وينمق وكثيرا ما يعيد كتابة صفحات بأكملها. فإذا ما حل المساء لجأ إلى سرير نومه حتى منتصف الليل ليستيقظ ويواصل الكتابة. ولقد ذكر طبيبه وصديقه الدكتور نا كار أن سبب موته يرجع إلى أن قلبه كان متعبا بسبب الإرهاق في العمل والمبالغة في شرب القهوة ليستعين بها على مقاومة النوم. ولقد أحصى أحد المقربين إليه عدد فناجين القهوة التي احتساها في حياته فبلغ خمسين ألف فنجان!!

* * *

ولقد كان موت بلزاك مأساة أخرى تختتم بها مآسى طفولته المعذبة وكفاحه الفكرى المنيد . كان منذ سنوات قد وقع فى غرام مدام دوها نسكا . وكانت سيدة روسية غنية متعجرفة تتعالى عليه وتعتز بأصلها الأوستقراطى وتجعل من صداقتها له ملهاة لغرورها . وكان بلزاك لسوء حظه ضعيفا مع النساء ، شديد الإحساس بالنقص تجاه كل سيدة رفيعة المقام : وبسبب هذا الإحساس تضخمت فى ذهنه فكرة الزواج من مدام دوها نسكا لما سيناله بزواجها من شرف ومال فيحقق بذلك حلمه القديم فى الحصول على « امرأة وثروة » تستقر بها حياته المضطربة ليتفرغ بعد ذلك فى هدوء لإتمام رسالته الأدبية الضخمة

وكان زوج مدام دوها نسكا عندما تعرف عليها بلزاك لا يزال على قيد الحياة . فظل بلزاك صبورا على علاقته بها سنوات حتى مات زوجها وحانت بذلك فرصة الزواج . إلا أن مدام دوها نسكا كانت تسوف فى وعدها ، مختلقة الأعذار دون أن تقطع علاقتها بالكاتب الكبير الذى كانت رفعة مكانته الأدبية فى أوروبا بأسرها تضفى على من تصادمه رجلا مثله هالة من الرفعة والمكانة

وكانت صحة بلزاك قد أخذت فى الانهيار وأجمع الأطباء على أن حالة القلب لديه لا تسمح له بحياة طويلة. عندئذ. وعندئذ فقط وافقت مدام دوهانسكا على أن تحقق للرجل الذى صبر السنين الطوال يعفر وجهه فى الثرى تحت قدميها لينال يدها الأمنية الكبرى التى يجيش بها صدره . فما الذى ستفقده بهذا الزواج وقد أجمع الأطباء أنه لما يبق له فى الحياة إلا شهور معدودة !

وسافر بلزاك إلى روسيا رغم اعتلاله ليعقد أخيراً زواجه فى مارس عام ١٥٨٠ فى هدوء وصمت تحقيقاً لرغبة مدام دوهانسكا التى كانت تعتقد أن فى هذا الزواج انتقاصا من مقامها . ولهذا كتب العقد بغير احتفال ولم يشعر به أحد ولم يدع إليه إنسان وتمت مراسيمه فى الساعة الرابعة صباحا قبل أن يستيقظ النيام من نومهم !

وفى مايو بدأ الزوجان رحيلهما إلى باريس ليقيما فى ذلك البيت الذى ظل بلزاك منذ وقت طويل يعده فى شارع فورتونيه بكافة ألوان الترف والنعيم فى انتظار ذلك اليوم الموعود . وكانت الرحلة شاقة على صحة بلزاك حتى خيف ألا يستطيع أن يتمها سالما ، ذلك أنه لم يكد يصل إلى درسدن حتى انهارت قواه وتضاءلت قوة إبصاره ولكنه قاوم إرادته. فكل ما يأمله الآن هو أن يصل مع مدام دوهانسكا إلى منزل فورتونيه ليعيش فيه بين ذراعيها ولو بضعة أيام

وقبل أن يصل بلزاك إلى باريس كان قد أرسل بكل تعليماته إلى والدته التى كانت تقوم بكل الترتيبات فى منزله الجديد . فطلب منها ألا تكون بالمنزل عند وصوله إليه لأنه يعلم أن مدام دوهانسكا لا تريد رؤيتها . كما طلب أن يكون فرانسوا خادمه الخاص فى انتظاره أمام المنزل بعد أن يضئ جميع أنواره . وعندما وصل الزوجان أمام المنزل الموعود لم يجد بلزاك فرانسوا فى انتظاره فظل يطرق الباب دون مجيب . وانتظرت مدام دوهانسكا فى العربة حتى استدعى أحد المختصين لفتح الباب عنوة . وعندما دخل العروسان وجدا فرنسوا فى إحدى الغرف وقد أصابه الجنون فجأة فنقل فى نفس الليلة إلى إحدى المصحات

كان حلم بلزاك أن يعيش فى هذا المنزل خمسة وعشرين عاما يكتب أثناءها خمسين كتابا يتم قائمة مؤلفاته التى تكون (المهزلة الإنسانية) والتى يبلغ مجموعها مائة وأربعة وأربعين مؤلفا . وكان قد أعد لذلك غرفة مكتب فاخرة إلى جانب غيرها من الغرف الحافلة بأفخم أنواع الأثاث؛ فإلى أى مدى تحقق هذا الحلم ؟ لم يخط بلزاك حرفا فى غرفة المكتب الفاخرة . ولشد ما يبدو أن بلزاك كان يحس بما يخبئه له المستقبل النادر فجعل من نفسه ومن أحلامه الفاشلة الشخصية الرئيسية لقصته (الأوهام الضائعة)

نعم ! لقد أراد القدر أن يأتى بلزاك إلى هذا المنزل ، موطن خياله الذى صبر من أجله طويلا ، لتنهار صحته نهائيا بمجرد وصوله . فمنذ اليوم الأول لم يعد يقوى على

وفاء طائر

للأستاذ أحمد زكي أبو شادي

كان شقيق الكاتب الشهير و . ه . هدسن W. h. hudson يمتلك مزرعة منفردة في الأرجنتين . وكان ينفق كل عام أربعة أشهر في السهل بكوخ وحيد . وكان يرى في شهر أغسطس أفواجاً عظيمة من إوز النجود طائرة نحو جزر الماجلانياك the magellanic isles في الجنوب. وفي أحد الأيام بينما كان راكباً رأى زوجاً من الإوز عشيان كأنما تخلفا عن فوج رحل ، وكانت الأنثى ذات ريش بني والذكر أبيض الريش . وكان الذكر يرفرف أمامها ، طائراً بين حين وآخر نحو مائة يارده ثم يعود إليها ويسايرها . كانت الأنثى كسيرة الجناح ، فأبى الذكر أن يتخلى عنها ، ولو أن خاتمتها المحتومة لا ريب فيها ، إذ لا بد من أن تنقض عليها الطيور الجارحة ، ولا مفر في النهاية من طيران رفيقها بمفرده إلى الجنوب

— عن كتاب System of Animate nature الجزء الأول المطبوع سنة ١٩٢٠ م من تأليف O.A. Thomson

* * *

الأدب الأديب من عاش للفن ومن صاحب الحياة وفيا
من تملى كل الذى وهبته وتغذى به قرواً مريا
ما تحاشاه مرة كيفما كان ، ولو فاض لوعة بالمآسى
ينعم الفن بالمآسى وحيناً يجزع الفن من حبور الناس!

* * *

وهو عند الخالين يسعده الصدق بمرأى الوجود أو تفسيره
مثلما يزدهى بتعبيره الحر وإن مض فى مدى تعبيره

* * *

هكذا كان حال حر أديب ... سكن الكوخ في البراري وحيدا
حين أوفى الخريف أو كاد والوز أتى راحلا ليمضى بعيدا
هارباً من تهجم البرد كالحق إذا شاء قتله الباغونا
طامعاً فى الجنوب دفئاً وحبا آبيا أن يخان أو أن يخونا
وبيوم رأى من الوز زوجا قد تخلى عن فوجه وتبقى
سائراً كالذى تقيد بالماضى وقد خاف تركه حين رقا !
تلك أنثى بريشها الأسمر الفخم تمشت كسيرة للجناح
حينما خلها ترقرق فى النور بياضا كأنه من أقاح
كان يمشى مرفرفا قبلها حينا وحينا يعود رهن خطاها
آبيا أن يفوتها وهو يدرى بشعور مؤصل عقباها
إذ من الحتم موتها حين تهوى فوقها تلكم الجوارح يوما
حين تلقى ظلم النهاية فى العيش وإن لم يعد للعيش ظلما
ومن الحتم أن يعود وحيدا لاحقا بالقطيع نحو الجنوب
مفنيا عمره حزينا كقربان ، كموت الضياء عند المغيب !

* * *

هكذا شاهد الأديب المآسى صامتات ومفصحات أمامه
فطوى قلبه عليها شجونا ورأى فى شجونها أيامه !

نيويورك أحمد زكى أبو شادى

القراءة أو الكتابة ، ولم يلبث أن لزم فراشه لا يستطيع منه حراكا . وعندما أقبل ملاك الموت فى ليلة ١٧ أغسطس ١٨٥٠ لم يكن بجواره إلا والدته فقد كانت زوجته مدام دوهانسكا قد غادرت المنزل قبل ذلك بمدة أسابيع

ودفن بلزاك فى مقبرة بيير لا شيز . تلك المقبرة التى كان يحبها والتى طالما تأمل بطله راستنياك من أعلاها إلى باريس التى تحدى جبروتها وسطوتها . ورسم جمالها وتعاستها ، وخلد عبقريتها على صفحة الفكر البشرى ليتغنى بها الأبناء جيلا بعد جيل

علي كامل

شعر مختار

خريف ...

إلى من كنت أراها كل صباح .. مستندة إلى شجرة حاملة حقيبتها المدرسية في انتظار العربة

للأستاذ محمد محمود عماد

ويمك أين يا شجره ؟ أراك .. ولا أرى أثره
أرى عشا .. ولا طيرا أرى غصنا .. ولا زهره
وأين فتاتك العذرا ء .. أين اليوم منتظره
فتاتك .. هل ذكرت لها بظلك وقفة خفره
وقد مستك نضرتها فكنت بقربها نضره

***

فتاتك .. هل ذكرت لها بجنبك ميلة حذره
فكانت فيه . وهو بلا ثمار .. خير ما ثمره
وقد ألقت حقيبتها إلى خصر ثنى وتره
وما في الكتب .. نعلمه وما في القلب .. من خبره ؟
خريف فيك .. أم حزن على أيامها العطره ..

***

ويا من كنت أرقبها مصبحة ... ومبتدره
صباحك كنت ألقاه كما يلقى امرؤ يسره
صباح كان يستجلى صباح الخير .. من نظره
وقبل طلوعه سحر يطالع من يرى سحره
ترى لو عاد للدنيا ربيع ... عدت للشجره ؟

محمد محمود عماد

أحلام العصفور الأخضر

للشاعر عبد المنعم عواد يوسف

نشوان يحلم بالدفء الكامن في قلب الغابه
فهناك العيش وبهجته وهناك يقابل أحبابه
والشمس تبعثر أنوارا
والورد تنفس أعطارا
والعشب تبسم أزهارا من أجل العصفور الأخضر

***

وهناك الزنبقة الوسنى حسناء الطلعة عذراء
سيروح ويلثم وجنتها مسرورا والكون غناء
والصبح تثاءب وسنانا
نشوان ينفث ريحانا
والطير يوزع ألحانا يمنا بالعصفور الأخضر

***

أشواق العاشق أزهار والحب يرفرف منسابا
والطل مدامع رهبان قد تخذوا الدوحة محرابا
والوجد صلاة ودعاء
وتوسل صب وبكاء
والصبح الحالم أصداء لصلاة العصفور الأخضر

***

همهمة الغابة أدعية وغناء الطير تراتيل
والدوحة معبد أرواح ونثار النور قناديل
والراهب في إغفاءته
تصغي الأزهار لأنته
فيهز الروح بصيحته لدعاء العصفور الأخضر

عبد المنعم عواد يوسف



الاتجاهات الحديثة في الأدب الانجليزي

استعرض (ف . س . بريتشت) الناقد الأدبي لمجلة (نيوستيتمان اند نيشن) الإنجليزية الاتجاهات الحديثة في الأدب الإنجليزي فأبى أن يعترف بأن هناك اتجاها أو اتجاهات معينة تشوب الإنتاج الأدبي في الجزر البريطانية . والواقع أن المستر بريتشت حذر من دراسة الأدب على أساس « الاتجاهات » . وقال إن الروائع الأدبية في معظم العصور الأدبية لم تكن جزءا من اتجاه أدبي معين وإنما كانت وليدة الإبداع الفني الخالي من أي اعتبار آخر

وذكر المستر بريتشت على سبيل المثال ثلاث قصص من أروج القصص في بريطانيا اليوم تعالج موضوعات مختلفة لا يمكن أن ترتبط باتجاه معين في حاضر الأدب الإنجليزي . من هذه القصص « prisoner of grase » من تأليف القصصية المعروفة (جويس كيري) ، وهي قصة تعالج الحياة الخاصة والعامة لأحد رجال السياسة البريطانية في عصر الملك إدوارد . ومنها قصة من تأليف (بازيل دافيدسون) بعنوان « The golden horn » ومحورها الجاسوسية في منطقة النفوذ السوفييتي

إلا أن المستر بريتشت يقول بأن في السوق الأدبية رواجا للقصص التاريخية — وهذا لا يعني أن هناك اتجاها معينا بين الأدباء الإنجليز لمعالجة التاريخ في قالب قصصي . ويشهد المستر بريتشت لقصتين من هذا النوع بالتفوق الأدبي والإبداع الفني . هما « The golden warrior » من تأليف (هوب مونتز) و The man on a donkey للكاتب المعروف (هـ . ف . م . بريسكوت) وهي صورة فنية ممتعة للحياة البريطانية في عصر الملك هنري الثاني

والاتجاه الوحيد الذي يعترف به المستر بريتشت يتصل باللغة — وعلى الأخص لغة الترجمة — فقد شاع في الأوساط الأدبية الإنجليزية في الآونة الأخيرة اتجاه واضح لإعادة ترجمة الروائع الأدبية الكلاسيكية في لغة مبسطة يصفها المستر بريتشت بأنها أقرب إلى الابتذال اللغوي منها إلى البساطة وسهولة التعبير . ويضرب مثلا على ذلك بالترجمة الجديدة « لفاوست » التي أفقدت هذا السفر النفيس كثيرا من جلاله الأدبي وروعته الفنية . وكذلك الترجمة الجديدة لأنيادة فرجيل التي لم تضمن للنص الأصيل جلالته الفنية

وهذا الميل إلى تبسيط الروائع الكلاسيكية بلغة الكالة الحديثة لم تقتصر على الترجمات من روائع الأدب الأجنبي وإنما شملت الأدب الكلاسيكي الإنجليزي نفسه . فهناك نشاط أدبي لإعادة كتابة « قصص كنتربري » ، وهناك رغبة لدى بعض الكتاب ودور النشر للاعتداء حتى على حرمة الأدب الشكسبيري . وإذا علمنا أن المستر بريتشت يكتب لمجلة يسارية عرفت بآرائها المتطرفة في السياسة والأدب أدركنا مبلغ استيائه من هذا الاتجاه لتبسيط لغة الروائع الكلاسيكية على حساب قيمتها الفنية

حاضر الأدب الهندي

نشرت جريدة النيويورك تايمس في ملحقها الأدبي استعراضاً سريعاً لاتجاهات الأدب في الهند بقلم أحد الهنود . جاء في هذا البحث أن من غير الصواب تصنيف الأدب الهندي على أنه « وحدة أدبية » تنطوي على ما تنطوي عليه الوحدات الأدبية في الثقافات الحية من اتجاهات وتيارات . وذلك لأن الإنتاج الأدبي في الهند يصدر في عدد كبير من اللغات المحلية المتفرعة من السنسكريتية

ويؤكد واضع البحث أن حاضر الأدب في الهند لا يشير إلى ازدهار ؛ فالازدهار صفة لازمت عصور الأدب الهندي التي سبقت عصرنا الحاضر ، فلم يقو كتاب الجيل الجديد في الهند على منافسة نتاج رابندرنات طاغور

ومسرحياته ، وقصص (سارات شاترجى) وغيرهما من أئمة الأدب فى الجيل المنصرم

ويعلل الكاتب أسباب هذا القصور بأن الجيل الذى يمثله طاغور كان يرزح تحت أعباء عاطفية شديدة — أعباء الصراع لتحقيق الحرية السياسية — مما فرض عليه انفعالات قوية للتعبير عن صور الحياة ومشاكل النفس والمجتمع فيما عبر عنه ذلك الجيل من شعر وقصص ومسرحيات

ومع هذا التبرير لا يجد هذا الكاتب عذراً للجيل الجديد فى تقصيره عن الإبداع الفنى . خصوصا وأن لديه موردا غزيرا من تراث جيل طاغور والأجيال التى سبقت ومن ذخائر الثقافة والأدب الإنجليزى الذى يحتل الآن مكان الصدارة كمورد للغذاء الفكرى فى الهند

ويشير الكاتب إلى أن أبرز كتاب الجيل المعاصر ، الذين يحملون تراث الأجيال السابقة ويبشرون بها هو الأديب الهندى الكبير (سوميترا براساد بانت) ، وهو يكتب بالهندية hindi ويتعمد تصوير ألوان من حياة الطبقة الكادحة

وهناك القصصى البنغالى (جوبال هالدار) الذى لقيت قصصه الطويلة وأقاصيصه القصيرة رواجا كبيرا . ويقول واضع البحث إن الإبداع الفنى لدى هذا القصصى البنغالى محدود ، وإنتاجه يدور فى إطار فنى جماله وروعته لا تتعدى صورا قليلة العدد ، يميل الكاتب إلى تكريرها فى معظم إنتاجه الفنى

ويمثل هذا المرض يصف واضع البحث إنتاج القصصى الهندى المعروف (ياشبال) الذى « يجد لقمة الخبز فى كل مشكلة وحالة من حالات النفس ومجتمعها »

ويقول الكاتب إن هيمنة التفكير السياسى على الأدباء والمثقفين فى الهند جعلهم مغرمين بالأدب السياسى أكثر من أى لون آخر من ألوان الإنتاج الفكرى . ولذلك فإن حاضر الأدب الهندى يطفح بالدعوات المقتبسة من أنظمة الفكر المعاصرة التى تتطاحن الآن فى المعترك الدولى

وفى مجال الشعر يسيطر (مايثيلى ساران جوبتا) على زعامة القريض . فهو لا يكتب إلا شعرا . والغريب أنه قادر على الارتزاق من كتابة الشعر الفنى المحض ويعيش فى إحدى قرى الهند . ويتصف شعر (جوبتا) بالمحافظة وتمجيد العقيدة الهندوكية فى ألوانها الدينية والسياسية . ولشعره رنة موسيقية وعمق ، وفيه صورة صادقة لإحساسات المجتمع الهندى التقليدى الذى لم تفسده كثرة الاتصال والتشبه بالثقافة الإنجليزية وغيرها من الثقافات التى تجد فى الهند مجالا للرسوخ . ولهذا الشاعر رأى فى قرض الشعر . فهو يعتقد أن الشاعر يخاطب الروح وأن الفيلسوف يخاطب العقل . وبما أنه شاعر وليس بفيلسوف فإنه يتفادى أن يصوغ قصائده فى قالب فلسفى كما يميل إلى ذلك عدد كبير من الذين يتعاطون نظم القريض فى الهند

ويمتاز الناشئون من كتاب القصة فى الهند بأنهم يقتدون فى مستهل حياتهم الفنية بالاتجاهات التى يمر بها كتاب القصة فى إنكلترا على وجه الخصوص ، وفى أوربا وأمريكا على وجه العموم . فهم يبدأون بمعالجة مشاكل « القلب » والعشق والغرام وألوان الحب من وصال وهجران ، وأكثرهم يستمر فى هذا النوع من الأدب العاطفى ، ولكن البعض الآخر يميل فى سنوات النضوج العقلى إلى الاستفسار عن صلة المرء بالمجتمع الأكبر وأهمية الدور الذى تلعبه الشؤون الروحية فى هذه الصلة

ويروج فى الهند أدب المقال والنقد ، ويقبل عليه القراء بشغف

وللأدب الهندى وجه جديد هو ما كثر فى الآونة الأخيرة إنتاجه من أدب إنجليزى من أدباء هنود ، ولهذا الإنتاج سوق فى الهند وفى خارج الهند

الشعوبية الثقافية وموقف الاتحاد السوفييتى منها

هل تسمح الوحدة السياسية التى تجمع بين مختلف الولايات الأوربية والآسيوية التى تؤلف الاتحاد السوفييتى بنمو الثقافات المحلية لهذه الولايات؟ أم إن الوحدة السياسية

تحمل فى ثناياها الانصهار الشامل لهذه الثقافات المحلية فى بوتقة الثقافة السوفيتية المـاركسـية وما تنطوى عليه من أسس مرسومة للأدب والفن وشتى ألوان النشاط الفكرى؟

هذا سؤال عالجه مؤخرا بعض الكتاب الذين يتتبعون تطور الأدب الروسى فى ظل الحكم السوفيتى . واتخذوا حاضر الأدب والفن فى أكرانيا (أكبر ولايات الاتحاد السوفيتى الأوربية مساحة وأهمية) نموذجا لأبحاثهم

وقد استعرض أحد الكتاب الأكرانيين المقيمين فى المنفى حاضر الأدب والفن فى أكرانيا فى مقـالة ظهرت مؤخرا فى إحدى المجلات الأدبية الأمريكية فقال : ازعجت الحكومة الروسية المركزية للاتجـاهات « القومية » الانفصالية التى أخذت تبدو فى إنتاج أكرانيا الأدبى والفنى إثر الرواج الهائل الذى صادفته قصيدة قومية عنيفة نظمها أعظم شعراء أكرانيا المعاصرين بعنوان «أحب أكرانيا» وبلغ من أهمية هذه القصيدة أن كانت موضوع افتتاحية فى جريدة « رافدا » أعظم صحف موسكو اليومية نفوذا وانتشارا . والقصيدة وإن كانت مقصورة على تمجيد التراث الأكرانى والتغنى بمـآثره أثارت انتقـاد موسـكو لأنها لم تصغ فى قالب الأدب السوفيتى ولم تتطرق إلى مدح المهمة الثقافية التى تقول موسكو بأن الماركسية السوفيتية قد نشرتها فى سائر أنحاء الاتحاد السوفيتى بما فيه أوكرانيا

وقد ذكرت جريدة رافدا فى افتتاحيتها عن الشعوبية فى الأدب والفن الأكرانى أن الملامة فى هـذه الشعوبية تقع على عاتق الإدارة المركزية للحزب الشيوعى الأكرانى . وقالت « رافدا » إن الاتجاهات البرجوازية التى بدت فى بعض أوساط الفن والأدب فى أكرانيا وأخـذت تمجد الثقافة الأكرانية الوطنية متجاهلة الأسس الجوهرية للفكر السوفيتى — هذه الاتجاهات ليست إلا الجهل بأهـداف المهمة السوفيتية ومراميها فى تنمية الثقافات الروسـية الإقليمية فى الولايات الأوربية والآسيوية التى تصهر الاتحاد السوفيتى فى بوتقة الفكر الماركسى الشامل . وأشـارت رافدا إلى أن تسامح موسكو إزاء نمو الثقافات المحليـة هذه الولايات السوفيتية لايعنى التغاضى عن صهر هـذه الثقافات فى بوتقه الفكر السوفيتى الشامل

وانتقدت رافدا كذلك فقـدان الكفاية العلميـة والأدبية بين زعمـاء الحزب الشيوعى الأوكرانى وما يتبعه من معاهد علمية ومؤسسات أدبية وفنية ، وأشارت رافدا على سبيل المثال إلى عضوية «أكاديمية العلوم الأكرانية» وقالت بأن ٧٠ فى المائة من أعضائها مفتقرون إلى الثقافة العالية التى توفر لهم المقدرة الفكرية لاستيعاب المبادىء الماركسية فى أبواب العلم والأدب والفن

ومن جراء هذه الحملة التى شنتها جريدة رافدا (لسان حال الكرملين فى موسكو) أن أدخلت تعديلات على عضوية اللجان الثقافيـة التى يوجهها الحزب الشيوعى فى أكرانيا ، ويسيطر بواسطتها على الحيـاة الأدبية والفنية فى ذلك الجزء الهـام من الاتحاد السوفيتى . وقد منعت السلطات فى أكرانيا بإيعاء من موسكو تمثيـل أوبرا « بودهان خاملنتسكى » لمـا تضمنته من تمجيد للقومية الأكرانية . وكانت هـذه الأوبرا قد لقيت رواجا منقطع النظير عندما عرضت لفترة قصيرة فى العاصمة الأكرانية

وقد حاول الأستاذ لينوند ماكينوف نائب ستالين فى أكرانيا أن يبرر هـذه الرقابة السوفيتية على الإنتاج الأدبى والفنى فى أوكرانيا فأصدر بيـانا مسهبا استعرض فيه المنافع الثقافية التى حققتها الإدارة المركزية للحكومة السوفيتية فى أوكرانيا . فقال إن أكرانيا قبل قيام العهد السوفيتى كانت مفتقرة إلى أبسط وسائل التعليم والإنتاج الأدبى والفنى . أما اليوم فإن أكرانيا تعيش فى خيرات ثقافية لا مثيل لها . ففى البلد أكثر من ١٥٨ جامعة ومعهد للدراسات العالية . وفيها ٧٥ مسرحا ودار للأبرا . ولها ٢٦ فرقة موسيقية و ٢٨ ألف منتدى أدبى وثقافى . ويصدر فى أكرانيا ١٢٠٠ جريدة يومية و ٦٤ مجلة أسبوعية وشهرية

هذا لون من الصراع الفكرى فى روسيا السوفيتية لعل فى التعرف عليه نوعا من المتعة والفائدة

محاضرات ومناظرات

حياتنا الاجتماعية على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

ألقى الأستاذ محمد حسن العشماوى وزير المعارف الأسبق بقاعة « يورت » بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة الأسبق محاضرة فى هذا الموضوع استغرقت ساعة ونصف ساعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

دعتنى الجامعة الأمريكية لأحدثكم عن المشكلات الاجتماعية التى تتغلغل فى حياتنا ، فأبادر قبل أن أسترسل فى الحديث إلى أن أعلن أننى لست فى هذا الميدان إلا هاويا ولست فيه من المتخصصين . ولقد كنت وقفت من فوق هذا المنبر منذ عامين أبشر الناس بقرب انبلاج فجر جديد يشرق علينا بأوضاع اجتماعية سليمة ، وكان الناس يعجبون لهذا التفاؤل منى لأن الظلام الحالك كان يشتملهم ويحيط بهم من كل جانب ، فكنت أجيبهم بأن هذه الحلوكة الشديدة ، وهذا الظلام الشامل هما مصدر تفاؤلى ، فإن الفجر الصادق يجئ عادة على أثر هذه الحلوكة الشديدة !

وإذا رجعتم إلى الوراء قليلا ، إلى ما قبل هذا الانقلاب المبارك رأيتم عجبا ! ورأيتم صورة شائهة ممسوخة للمجتمع فى مصر ! كانت هناك أمة وكان هناك دستور وحكومة وبرلمان ومؤسسات صحية وثقافية واجتماعية وما إلى ذلك . . كان هذا فى ظاهر الأمور ، ولكن الباحث المتغلغل لا يجد وراء هذه الظواهر شيئا ، بل يجد الفساد والجهل والفقر والمرض والظلم الاجتماعى الشديد

يجد نسبة المرضى إلى الأصحاء فى أريافنا هى ٩٦ ٪ ويجد نصيب كل ريفى خمسة أمراض ! ويجد العناية تبذل لمواشى هؤلاء الفلاحين أكثر مما تبذل لهؤلاء الفلاحين أنفسهم ، لأنهـا تجلب لأصحاب الثروة مالا يجلب الفلاحون ! .. ويجد ٨٠ ٪ من أبناء الشعب لا يقرءون ولا يكتبون ، ويعيشون فى أمية تامة ، ليست أمية قراءة وكتابة فقط ، ولكنها أمية ثقافية وزراعية وصحية وخلقية ودينية ، تسودهم الخرافات وتطمس عقولهم طمسا . ويجد الأرض المزروعة هى ٣/٢ من مساحة البلاد ، والشعب يزيد ويتكاثر وهى لا تزيد ، حتى أصبح نصيب كل مصرى ربع فدان فقط ! .. ويجد الدولة وقد حالت دون تصنيع الريف ليظل مزرعة لكبار الملاك الذين يمتصون دماء المواطنين من الفلاحين ليسكبوها ذهبا وخمرا على سيقان الغانيات فى أوربا

تلك بعض مظاهر حياتنا الاجتماعية إلى الأمس القريب ، ولولا يقيننا بأن محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين لدعونا الله أن يرسل فينا — من جديد — رسولا !! ولكننا اليوم ومنذ هذا الانقلاب المبارك بدأنا فى العلاج ، وعلينا أن نحقق للعلاج وسائل نجاحه ، وأن نساعد على استئصال شأفة المرض ، فما هى الدعائم التى يجب أن يقام عليها مجتمعنا الحديث بعد هذه الوثبة الجريئة الجيدة ؟

١ — يجب أن نجعل هدفنا دائما سواد الأمة ، فنضمن لكل فقير غذاء ، ولكل عار كساء ، ولكل مريض دواء ، فلا تظل نسبة وفيات الأطفال ٥٠ ٪ كما هى اليوم ، ولا يعيرنا الأجانب بقولتهم الشهيرة « إن النساء فى مصر يلدن للقبر ! »

٢ — يجب أن نيسر المرحلة الأولى من التعليم لجميع المصريين على السواء ، وألا تقتصر مدارسنا — كما هى اليوم — على ربع الذين هم فى سن التعليم ويظل ثلاثة أرباعهم هائمين فى الطرقات !

٣ — يجب أن يفرض على الشباب أن يؤدوا للدولة خدمة عامة من أى نوع قبل أن يلوا أية وظيفة ، وأن تحرم عليهم الوظيفة قبل أن يؤدوا هذه الخدمة كما يفعل الكثير من الدول

٤ — يجب أن نفرض التربية الدينية الروحية فرضاً من البيت إلى الجامعة ، فإن مرد كل ما نراه من فساد الضمائر والنفاق والخوف والذل إلى ضعف الثقة بالله وموت العاطفة الدينية القوية فى النفوس

٥ — يجب أن نعنى بالطفولة عناية كبيرة ممتازة ، وأن نعمل بكل الوسائل على تعليم الأمهات مبادئ التربية والتمريض وشيئاً من الثقافة العامة

٦ — يجب أن ننبه الناس إلى أن يلغوا الألقاب والفوارق فى قلوبهم ونفوسهم بعد أن ألغتها الدولة فى الرسميات والبروتوكول ، وأن نلقنهم أن الناس أمام القانون سواء وأنه لا فضل لواحد منهم على أخيه إلا بالعمل الصالح لخدمة الوطن

تعليمنا العام على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

وألقى الأستاذ إسماعيل القبانى وزير المعارف بنفس يوم الجمعة السابق محاضرة فى هذا الموضوع وهى إحدى حلقات هذه السلسلة التى نظمتها الجامعة الأمريكية ، استغرقت ساعة ونصف ساعة كذلك ، ويمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

تحدث الأستاذ المحاضر فى أهداف العهد الحاضر ، وبين أن جماع هذه الأهداف هو الديمقراطية ، وتساءل عن معنى الديمقراطية ، وذكر أنها تنصرف أول ما تنصرف إلى المساواة وإلى الحرية ، واستطرد فقال : —

ولكن ما هى الحرية وقد أسيء فهمها كثيراً ؟ هل معناها أن الناس جميعا يكونون رؤساء لا مرءوسين ؟ أو يصيرون قادة لا مقودين ؟ إننا لو أخذنا بهذا المعنى لكانت الفوضى الشاملة : لأن كل عمل لا بد لنجاحه من القيادة الرشيدة والرياسة الحكيمة التى توفق بين حريات الجميع لتخرج بأعظم نتيجة . والفارق بين النظام الاستبدادى والنظام الديمقراطى أن الجماعة الديمقراطية تعمل لتحقيق أغراض مشتركة بين أفرادها جميعاً وتعمل عن اقتناع بما تعمل ، لا عن خوف ولا عن ضعف ، ولكن عن إيمان بالهدف الذى تسعى لتحقيقه

فإذا فهمنا أن أساس وجود الديمقراطية هو وجود أغراض مشتركة تسعى الجماعة لتحقيقها ، كان لا بد من وجود ميول ودوافع مشتركة بين الأمة جميعها ، ولا بد أن تتفاعل هذه الميول بين أفراد الأمة ، وأن تأخذ وتعطى بعضها من بعض ... فكيف نستطيع إيجاد هذه الميول والدوافع المشتركة التى تتحقق بها الحياة الديمقراطية الصحيحة ؟ لن نستطيع ذلك إلا بأن نتيح قدراً مشتركاً من التعليم لكل أفراد الأمة حتى تصير الأمة وحدة مشتركة ، قدراً يمكنهم من فهم بلادهم ، وفهم القيم والنظم التى تعيش فى ظلها بلادهم ، وفهم الأغراض التى تعمل على تحقيقها .. فما هو القدر المشترك الذى يجب أن نوفره لكافة الأفراد ؟ عندى أنه لا بد أولا مراعاة طاقة الدولة وإمكانياتها ، وأظنكم تعلمون أن مدارس المرحلة الأولى عندنا تضم مليونا وربع مليون من الأطفال ، وأن ثلاثة ملايين لا تتسع لهم هذه المدارس ، وأن عندنا فى التعليم الثانوى مائة وخمسين ألف طالب ، وفى الجامعات أربعين ألف طالب . وننفق على هؤلاء ٢٧ مليون جنيه كل عام !

فإذا أردنا أن نعلم ثلاثة الملايين من الأطفال الذين لم تتسع لهم المدارس بعد فسنحتاج إلى ثمانين أو تسعين مليونا من الجنيهات ، فكيف إذا أردنا أن نرفع سن المرحلة الأولى حتى نهاية التعليم الثانوى ؟ وكيف إذا أنشأنا الجامعات تباعا فى مختلف عواصم البلاد ؟

يجب أن ننظر طويلا فى طاقتنا وإمكانياتنا ، وألا نسرع بإنشاء المدارس الفجة المبتسرة الناقصة الاستعداد ، يجب ألا تكون سياستنا التعليمية من ساعة لساعة أو من يوم ليوم ؛ وإنما يجب أن ننظر إلى المستقبل البعيد ، وما عدا ذلك فهو خيال ليس المقصود بالتظاهر به إلا خداع الأمة ! وأجاهر بأننا لو استطعنا أن نحقق هذا القدر من التعليم لجميع المصريين فى عشر سنوات لكان نجاحا كبيراً

ويجب ألا يصرفنا هدف عن هدف ، فتنحصر جهودنا على تعميم المرحلة الأولى ولا يصرفنا عنها التعليم الثانوى مثلا ، فإن الطاقة لا تحمل الأمرين معا ، ويجب أن يكون التدرج فى نشر التعليم تدرجا هرميا قاعدته المرحلة الأولى وقمته مرحلة الجامعات ، كما فى إنجلترا مثلا حيث تجدون

فى المرحلة الأولى ٥ر٦مليون، وفى مرحلة التعليم الثانوى نصف مليون أو أكثر قليلا، وفى الجامعات خمسين ألفا فقط ! وأحب أن أشير إلى أمرين خطيرين : أولهما أن المدرسة الثانوية ليست وظيفتها أن تمد الجامعة فقط ؛ ولكنها تمد رجالا مكونين تكوينا اجتماعيا وروحيا وعلميا يجعلهم عنصرا صالحا للحياة . وثانيهما أن التعليم الجامعى يجب أن يراعى فيه الكيف دون الكم ، والبلاد التى تقدم الكم على الكيف فى التعليم الجامعى إنما هى بلاد تنتحر ! فلن يكون التعليم جامعيا حقا إلا بالتفاعل بين الأستاذ والطالب ، ولن يكون هذا التفاعل إلا إذا كان عدد الطلاب بالقدر الذى يتمكن معه الأساتذة من هذا التفاعل ، وإلا إذا كان الأساتذة أنفسهم معدين أحسن إعداد

ثقافتنا النسوية فى العهد الجديد

وفى يوم الاثنين الأسبق ألقت الدكتورة درية شفيق محاضرة فى هذا الموضوع بدار نقابة الصحافة ، وقد استغرقت ساعة كاملة ، واستغرق المعقبون عليها ساعتين ! وحمى وطيس الجدال بين الطرفين حماسا بالغا .. ونلخص المحاضرة فيما يأتى : —

إننا اليوم فى مفترق الطرق ، فى ثورة جاءت لتحقيق العدالة التامة بين المواطنين ، وفى هذا العهد الأغر تريد المرأة أن تأخذ مكانتها الملحوظة ، وتنال حقوقها الطبيعية فى المجتمع ...

وأرجو أن تسمحوا لى أن أرجع بكم قليلا إلى عهود الإسلام الأولى لتروا ما كانت عليه المرأة من شأن جليل الخطر ، فأنتم تعلمون أن « نسيبة » أم عمارة وقفت فى غزوة « أحد » تقاتل دون النبى صلى الله عليه وسلم غير حافلة بالسهام المسددة إليها والتى جرحتها اثنى عشر جرحا وفى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما التفت يمينا أو شمالا يوم أحد إلا ورأيتها تقاتل دونى » . وأنتم تعلمون أن ذات النطاقين « أسماء » عرضت نفسها للهلاك فى سبيل منجاة النبى وصاحبه من المشركين ، وأن السيدة « عائشة » كانت الزوجة المثقفة التى تروى الكثير من الأحاديث ، والتى نزل فيها الكثير من الآيات ..

كان هذا بعض شأن المرأة والدعوة الإسلامية فى مهدها ، وكان هذا من عوامل نجاح هذه الدعوة . وليس ذلك بدعا فى الإسلام ؛ فكل دعوة لا تنجح إلا إذا آزرتها المرأة المثقفة التى تعرف واجباتها وحقوقها .. وأعود بكم إلى المرأة المصرية اليوم وإنكم لأدرى الناس بما هى عليه من جهل مطبق بلغ ٩٠ ٪ من نساء مصر ، وإنكم لتعلمون خطر هذا على كيان الأمة ، فالأم هى التى تقرر مصير الأمة إذ تلقن الطفل فى سنواته الأولى وقبل دخوله المدرسة المبادئ التى ترسخ فى ذهنه ، وهذه السنوات الأولى — كما يقرر علماء النفس — هى التى تحدد عقل الإنسان طوال حياته ! وإنكم لتشاهدون كيف تعالج الأمهات فى مصر أبناءهن بالرقى والتمائم ! وإنكم لتشاهدون الأمهات اللائى يأبين أن يمس الماء أجسام أبنائهن العام كله خوف البرد والزكام ! وإنكم لترون النسبة الهائلة فى وفيات الأطفال التى هى معرة لمصر بين الأمم ! .. إن مرد ذلك كله إلى جهل الأمهات ، والنبى الكريم يقول « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » !

إن المرأة المصرية اليوم تطالب برفع كابوس الجهالة عنها ، تطالب بأن تكون كالرجل فى ذلك سواء بسواء ، فتخفف من أعبائه ، وتكون عاملا من عوامل ارتفاع المعيشة فى البلاد ، وتطالب — كما يطالب العالم كله — بإبطال دور « الحريم » وتحريرها منها ...

إن المرأة قد كسبت ميادين جديدة منذ قاسم أمين ، ولن تجلو عن هذه الميادين ، بل لن تهدأ حتى تضيف إليها ميادين جديدة . ألم تروا إلى أفلاطون وهو يطالب بأن يكون نصف جيش الدولة من النساء ؟ ألم تروا إلى النبى الكريم وهو يعتز برعاية أمه ويقول « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » ؟

علي متولى صلاح

آراء وأنباء

فيجايا لاكشيمى باندت نهرو

للأستاذة زينب الحكيم

وردت القاهرة فى الأسبوع الماضى السيدة الهندية العظيمة فيجايا لاكشيمى باندت نهرو التى رأست وفد بلادها فى دورة هيئة الأمم الأخيرة ، وقد مثلت بلادها بنجاح منقطع النظير ، وكانت سفيرة للهند لدى الولايات المتحدة مدة طويلة ، وكانت قبل ذلك وزيرة للصحة، والآن تعمل فى سلك السياسة الخارجية بمقدرة وفهم :

ولهذه السيدة مبدأ حساس ، فهى داعية للسلام العالمى ، مشجعة على بث روح الإنسانية ، وتمنى رؤية الناس كطبيعة حية ، أكثر من عنايتها بالمتاحف والآثار ، شجاعة فى الحق ، قادرة على تمحيص الأمور

نملت تعلما منظما ، وأكسبتها بيئتها ونشأتها وكثرة تنقلاتها ثقافة واسعة ، وهى ذات أناة وصبر ، فكم شهدتها تصغى لشتى الأسئلة من الصحافيين وغيرهم ، وتجاوب بدقة على ما تريد الإجابة عنه ؛ فهى ممثلة سياسية بارعة ، ومرشدة اجتماعية ممتازة . يشع سمو روحها على وجهها الحسن ، وتدل جميع حركاتها وتصرفاتها على الدوحة العظيمة التى تفرعت منها

هبطت أرض مصر فهب كثير من أهلها يستقبلونها بما يليق بها من حفاوة وتكريم ، وأجهدت نفسها بزيارة عدد وفير من مؤسساتنا الاجتماعية ، كمدينة تحسين الصحة ، وجمية الهلال الأحمر ، ومدرسة الاتحاد النسائى ، كما اجتمع لفيف كبير من نساء القاهرة ورجالها فى حفل شاى أقيم على شرف تكريمها بنادى الزعيمة الراحلة هدى شعراوى ؛ وألقت فيه كلمة أبانت فيها عن بعض العلاقات الدولية والمجهودات العظيمة التى بذلتها فى الدفاع عن قضايا بلادها وبلاد الشرق عامة ، كما زارت جامعة القاهرة وألقت خطابا سياسيا شاملا . وزارت نقابة الصحفيين زيارة ود وشكر ، وكان يزين الحفل وجود الرئيس اللواء محمد نجيب ، وكان لكلماته أجمل وقع فى نفوس الجميع . وأهابت بالمصريات لزيارة الهند ليشهدن مجهودات نسائه العملية ، وليكن رسل سلام يقوين روح التعارف والتحاب بين البلدين

وتفضلت فصرحت بأن المرأة الهندية لم تصادف أى عناء بالنسبة لنيلها الحقوق السياسية ، ذلك لأنها أثبتت جدارتها عمليا ، لاستمتاعها بتلك الحقوق . ولهذا فقد حصلت عليها برضا تام من الرجال

وأكدت أنها وبنات جنسها مشاركات للمرأة المصرية رقيق عواطفها ، معضدات لمطلبها العادل ، ومشفقات كل الإشفاق من روح بعض المتطرفين بالنسبة لقضيتها . وإننا إذ نودع السيدة نهرو العظيمة تتمنى لها عودا حميدا لبلادها ونحملها أحسن تحياتنا لمواطنيها ومواطناتها جميعا

رسالة المرأة فى العهد الجديد

المرأة هى الدعامة الأولى التى يتوقف عليها تقدم الأمة أو تأخرها ، وسلاح الشعب أو فساده ، وبفضل رعايتها الصحيحة للأسرة يستقيم حال الرجل أو ينحرف ، وتصلح تربية النسل أو تفسد ، ومن ثم يبين تأثيرها الحق فى الشعب وفى البيئة المحيطة به ، والأمم التى تنبهت إلى خطورة مركز المرأة فى الدولة ، جعلت فى رأس برامجها الإنشائية الإصلاحية مسألة العناية بتربية المرأة وتثقيفها حتى تأمن العثار ، تلك المخلوقة العجيبة التى لا يقف فى سبيل إرادتها شئ (إن هى أرادت) أن تنفذ أمرا ما

ومن أجل هذا .. كانت المرأة المستنيرة من أول وأهم

ملاحظة : فيجايا لاكشيمى = الاسم الأول باندت = اسم القبيلة أو السكت وهو البراهمى وهو من أعرق قبائل الهند وارقاها ونهرو = اسم العائلة

عوامل الإصلاح والتقدم فى البلاد ، ومصر بحمد الله قد قطع نساؤها شوطا بعيدا سليما فى ميدانى التعليم والاجتماع ، وبذلت جهدا غير منكور فى ميدان السياسة

ومن واجب العهد الجديد أن يعتمد على المرأة المستنيرة فى الحدود السالفة الذكر فى سبيل نشر رسالته ، ومن واجبه أن ينقب عنها ، ويسعى إليها ، حتى يستطيع أن يكل إليها ترشيد أكبر عدد ممكن من بنات جنسها وأسرهن فى مقاصد وغايات العهد الجديد . ولا سيما وأن المرأة أسرع قابلية لفهم النهضة والجيل الجديد ، وأسرع إلى تنفيذ الخطط الإصلاحية الراهنة ، لأنها أقل من الرجل اندماجا وتأثرا بظروف العهد البائد وأكثر ما اشتمل عليه . وهى تعمل غير مغرضة ، فليست تطمع فى المناصب الحكومية ، ولا تنظر إلى المراكز الرفيعة ، ولا تشغلها الدرجات والترقيات بالصورة التى ينشغل بها الرجال . ولم تتأثر المرأة بطغيان الإقطاع كالرجال بحيث تقف موقف المعارضة والنضال ، ولهذا فهى أكثر استيعابا واستجابة لمبادئ العهد الجديد ، وأقوى تأثرا به ، وأشد رضاء عن نتائجه

فعلى المرأة أن تتقدم بدون إبطاء بعرض مساعداتها فى الفن أو التخصص الذى تحسنه ، ولا تنتظر التنقيب عنها ، فليس فى مقدور القيادة أن تشم على ظهر يدها كما يقول المثل السائر

وأن تبدأ حملة عملية على الكماليات ؛ فتتنازل عن كثير منها كالسيارات الفخمة والفراء النادرة ، والأحذية البالغ فى أثمانها وعددها ، والثياب اللافتة غير العملية

وبمعنى آخر يجب على المرأة أن تتقشف ، ولا أود أن تسترجل ، وإنما تعتدل كثيرا فى مطالبها من كماليات الترف ، حتى تدفع التهمة الخطيرة التى طالما اتهمت بها ... وهى أنها أسيرة الموضات وعبدة المساحيق ووسائل التزين . وعليها منذ اليوم أن تشهد العالم أجمع على أنها بدأت عهد الجد والحزم والعزم فتستهلك منتجات بلادها أولا ، من منسوجات ومأكولات ومعادن ، ومنتجات صناعية . وأن لا تأنف من استعمالها مهما كانت درجة بساطتها وعدم جودتها — حتى نتقدم بها إلى أحسن الدرجات من الجودة والارتقاء

وأن تهجم هجوما عنيفا على الجهل والفقر والمرض

فيكون من واجب كل امرأة متعلمة سواء فى المعاهد أو فى المنازل ، أن تعلم عددا من الأميات فى أقصر وقت

وأن تبذل من اقتصادياتها (ولا أقل من نصاب الزكاة) لأوجه البر المنظم ، لتساعد على تحسين حال المعدمين لا بإقامة مطاعم الشعب التى عملنا على هدمها لما لمسناه من أنها تريق ماء وجوههم ، وحرصنا على تنبيه أولى الأمر فى حينه إلى خطورة رد الفعل السيئ الذى تسببه أشباه هذه المشروعات المسكنة فقط والتى ليس من شأنها أن تنشئ أجيالا نشيطة مستكملة الرجولة ، وإنما تربى جيلا جبانا متواكلا تحلو له الراحة ويستهويه الكسل . لذلك كان لزاما أن توضع التبرعات والإعانات كرءوس أموال لإنشاء مصانع وعمارات وأعمال حرة تجارية أو زراعية وما إليها ، حتى ينتفع المعوزون ويشعروا بأنهم يأكلون بعرق جبينهم ، وأنهم لا يستجدون ، فالاستجداء مسقط للكرامة وللانسانية . وعلى كل سيدة قادرة على الإرشاد الصحى أن تبذل كل ما فى طاقتها لتأخذ بيد المريض ، وتساعده على اتباع طرق العلاج ، والنظافة ، وتشجعه على الالتجاء إلى المستشفيات والوحدات العلاجية

وأن يقمن من أنفسهن رقيبا أمينا على رعاية كل هذه الأوجه الإصلاحية لنأخذ بيد قادة العهد الجديد — عهد الإصلاح والإحسان فى تعاون واتحاد مع إخواننا الرجال .

زينب الحكيم

أخبار أدبية وعلمية

أسبقية الروس إلى اكتشاف سر تركيب المعادن

ادعت أكاديمية العلوم الروسية في أوائل شهر أغسطس على لسان أحد أعضائها السابقين (ر.س.ياكوبى) بأن الروس هم أول من اكتشف سر صناعة المعادن من السوائل بتسليط تيار كهربائي عليها، وهو اكتشاف أدى إلى ميلاد فرع جديد في العلوم الطبيعية يطلق عليه اسم « جالفونوتكنولوجى »

وقد قام ياكوبى بتجاربه في أواسط القرن المنصرم وتسربت أنباء هذه التجارب إلى العالم الخارجي فالتقطها عالم بريطاني واحتفظ لنفسه بحق اكتشافها زورا وبهتانا

وقالت أكاديمية العلوم إن آثار « ياكوبى » في طلاء كنيسة القديس إسحق بطرسبرغ بالذهب السائل المتولد عن تيارات كهربائية مسلطة عليه هو شاهد على أسبقية هذا العالم في اكتشاف سر هذا النوع الجديد في العلوم الطبيعية

الفشل يصاحب الباحثين عن سفينة نوح

أعلنت البعثة العلمية الفرنسية التي تقوم بالبحث عن آثار سفينة نوح في جبل أراراط من الشمال الشرق من تركيا عن فشلها بعد جهد استمر بضعة أشهر . فقد عجز رجال البعثة وهم من علماء التنقيب عن الآثار عن الصعود إلى قمة (اتربداك) في أعالي جبل أراراط وهي قمة يبلغ ارتفاعها ١٧ ألف قدم مغطاة بالثلوج الكثيفة . وتدعى مصادر علم الآثار وبعض المصادر التاريخية أن هذه القمة هي التي ألقت عليها سفينة نوح مرساها في فترة الطوفان الذي أشار إليه القرآن الكريم

وقد سبق لبعثة أمريكية أن فشلت في مثل هذه المحاولة لتي قامت بها في صيف عم ١٩٤٩

تخليد ذكرى الشاعر الروسي بوشكين

احتفلت روسيا في هذا الشهر بذكرى انقضاء مائة وثلاث وخمسين سنة على ميلاد الشاعر الكبير ألكسندر بوشكين فأزاحت الحكومة السوفيتية الستار عن لوحات تذكارية ، وتماثيل من النحاس والمرمر أقيمت في عدد من الأماكن التي أقام الشاعر فيها وعمل إبان حياته الداخرة بالإنتاج الرفيع

والمعروف عن بوشكين أنه كان مغرما بمدينة موسكو إغراما لاحد له . فقد ولد في هذه المدينة وأنفق صباه وشيد بيته فيها وظل يعود إليها بين آونة وأخرى ليستوحى من حياتها اليومية صورا فنية لقصائده الشهيرة

وقد وضعت إحدى هذه اللوحات التذكارية في بيت متواضع لا تأخذه العين في وسط مدينة موسكو يطلق عليه اسم « بيت الشعراء » . فقد كان هذا البيت مسكنا لناقد أدبي معروف اسمه (أ. فايازمسكى) آخاه بوشكين وتوطدت بين الشاعر والناقد صداقة ندر أن تسود بين الشعراء والنقاد

وكان بوشكين يتردد بكثرة على هذه الدار في أعوام ١٨٢٦ — ١٨٣٢ . وفي هذه الدار تعارف بوشكين والشاعر البولندى الشهير (ادام ميكيفيتش) الذي تأثر بعبقريته وتأثر هو بعبقرية الشاعر الروسي

وأقيمت لوحات وتماثيل تذكارية أخرى في عدد من الفنادق والمطاعم وأماكن النزهة التي كان يفضلها بوشكين خلال إقامته في موسكو وإبان زيارته العديدة لها في سنواته الأخيرة

رداءة الموسم المسرحي الروسي لهذا العام

يبدو أن موسم المسرح الروسي هذه السنة كان رديئا إلى درجة لم تستطع الحكومة السوفيتية أن تختار مسرحية من مسرحيات الموسم لتمنحها جائزة ستالين الأدبية التي تعطى كل سنة للمبرزين في شتى ألوان النشاط الثقافي والعلمي

وقد أصدرت لجنة الكتاب التابعين للحزب الشيوعي الروسي الذي يسيطر على الحكم الآن في الاتحاد السوفيتي

بيانا انتقدت فيه رداءة الإنتاج المسرحى هذا العام ؛ ووصفت المسرحيات الجديدة التى صدرت هـذا العام بأنها « من النمط التقليدى وبأنها خالية من الواقعية » التى أصبحت فى رواسب السوفييتية ميزانا للابداع الفنى والأدبى

ونشرت جريدة برافدا فى صفحتها الأدبية نقدا مماثلا لنقد لجنة الكتاب المتفرعة عن الحزب الشيوعى . وحللت « برافدا » القيمة الأدبية لمسرحيـة « الصيف الجميل » أكثر مسرحيـات الموسم فى موسكو رواجا ، فلم تجد الجريدة فيهـا ما يستحق أن يحظى بالشرف الذى توفره جوائز ستالين الأدبية

وقد انتقدت الجريدة كذلك الكـسل الذى اعترى كتاب المسرحيات فى الآونة الأخيرة وناشدتهم بأن يسعوا فى جد وحماس لرفع مستوى الإنتـاج المسرحى الروسى ليتفق مع مكانة الفروع الأخرى للنشـاط العلمى والأدبى فى حاضر الثقافة السوفييتية

طبعة جديدة للموسوعة الروسية

أتم البرفسور بوريس فيدنسـكى المحرر الرئيسى لدائرة المعارف الروسية إعداد الطبعة الجديدة لهذه الموسوعة الهـامة التى تزهو بها الأوساط الأدبيـة والعلميـة فى الاتحاد السوفييتى

وقد أنجز حتى الآن المجلد الثامن من الطبعة الجديدة إنجازا تاما وظهر فى الأسواق . وفى هذا المجلد وحده ١٢٥٠ مقـالة وبحث عن مختلف الموضوعات التى تتضمنها عادة الموسوعات التى من هذا القبيل

ويمتاز هذا المجلد الثامن بأنه يحـوى بحوثا جديدة فى الفنون العلمية ذات الصلة بالشؤون العسكرية

الأدب فى خدمة الشيوعية فى الصين

أنفذت الحكومة الشيوعية فى الصين حملة جديدة لتنسيق الأدب والفن الصينى لخدمة المبادئ الماركسـية التى اتخذها حكام الصين نبراسا لهم

وقد أطلقت على هذه الحملة اسم « حركة تعديل الآداب والفنون » ويرأسها الكاتب الصينى المعروف (كو.مورجو) مؤلف كتاب (صبى ويكشـاو) وهو من روائع الأدب الشيوعى فى الصين الجديدة

وتهدف هذه الحركة إلى تطعيم أرباب القلم والفنانين الصينيين بدقائق الماركسية لينقلوها إلى الشعب فى مختلف المعاول التى يوفرها الأدب والفن

ترجمة نصوص الهرم

ظهر بحث هام جديد من دراسـات أهرام الجيزة ، بصدور مؤلف كتبه العلامة صمويل ا.ب مرسر ، وهو يقع فى أربعة مجلدات وأسماه « ترجمة نصوص الهرم » والتعليق عليها

وهذا المؤلف هو أول ترجمة إنجليزية كاملة للنصوص الدينية التى اكتشفت فى عام ١٨٨٠ وهو أيضـا الترجمة الكاملة الوحيدة وشرحها فى أية لغة من اللغات

والترجمة صحيحة وعصرية وشرح النصوص مبنى على مراجع معتمدة ، وهو شرح شامل يعين على فهمها ، ويعد هذا المؤلف لأول مرة المرجع الذى يجـد فيه المشتغلون بالدراسات الدينية مجموعة كاملة من الوثائق المصرية القديمة التى يستطيعون الاعتماد عليها فى أبحاثهم

والمجلد الرابع من الكتاب يتناول ثمانيا وعشرين رحلة قام بها الأسـتاذ مرسر وستة من علماء الآثار المصريين ومجموعة نفيسـة من العبارات والكلمات التى يحتاج فهمها إلى تفسير وفهارس ذات قيمة علمية وتاريخية

سويسرا تحتفل بأديبها الأكبر

يحتفل الشعب السويسرى هذا العام بعيد الميـلاد الخامس والثمانين لعميد الأدب السويسرى المعاصر والقصصى المعروف : أرنست زاهن « Ernest Zahn » فقـد ولد هذا الأديب الكبير فى مدينة « ماجن » السويسرية عام ١٨٦٧ . واشتغل بالأدب فأنتج أكثر من ٦٠ مؤلفا

كان أكثرها رواجا قصصه البديعة التى درت عليه مكافآت مادية وأدبية فنال عددا من أهم الجوائز الأدبية السويسرية والأوربية ومنحته بعض الجامعات شهاداتها الفخرية اعترافا بمساهمته فى إعداد نشأة الأدب السويسرى المعاصر

وقد أعدت الحكومة السويسرية والمحافل الشعبية فى مختلف أنحاء البلاد برامج منوعة للتنويه بالمجهود الأدبى الذى خلده هذا الشيخ الأديب

القومية « اللغوية » فى النمسا

أصدرت المطبعة الحكومية الرسمية فى فينا معجما جديدا يسجل مفردات اللغة « النمساوية » ويحاول أن يجعل منها لغة خاصة مستقلة عن اللغة الألمانية

وهذه القومية « اللغوية » التى تعمل على نشرها الحكومة النمساوية هى وليدة التعددات السياسية التى ألمت بأوربا الوسطى فى عالم ما بعد الحرب بعد أن نال النمسا وبقية دول أوربا الوسطى ما نالها من ذيول الحرب النازية مشاكل سياسية واقتصادية عويصة

والمعروف أن لغة النمسا هى الألمانية ولكن هناك لهجات محلية نمساوية (كما هو الحال فى جميع المناطق الجغرافية التى تتكلم لغة من اللغات العالمية) أحب أولو الأمر فى النمسا أن يعززوها ويجعلوها نواة للغة « نمساوية » مستقلة عن اللغة الألمانية

ويبلغ عدد كلمات المعجم النمساوى الجديد ٢٠ ألف كلمة وقد عم انتشاره فى الأوساط العلمية والشعبية

طرائف وقصص

ليلة عيد الميلاد

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ حسن نديم

كتب إلى الجنرال برامبل يدعونى إلى قضاء عطلة عيد الميلاد فى قريته وأردف يقول : إننى لم أدع هذا العام سوى اللورد تيلوك شقيق زوجتى والسيدة قرينته ، ولا أحسب السامر سيكون بهيجا بالقدر الذى تنشده فأسألك المعذرة . وعلى كل حال إذا كنت لاتبرم بحياة العزلة ولا تخشى شتاء إنجلترا فتفضل بالمجىء وسيسعدنا لقاؤك والترحيب بك والتحدث معا عن الأيام الخوالى وطيبها .

كنت أعلم أن هؤلاء الأصدقاء قد رزئوا فى غضون العام الماضى بفقد ابنة لهم فى الربيع الثامن عشر ماتت على إثر سقطتها من صهوة جواد أثناء الصيد فرثيت لحالهم وتأثرت لمصابهم. ولما كنت تواقا الى رؤيتهم لأواسيهم وأسرى عنهم فقد قبلت الدعوة .

شعرت بادئ الأمر بالهيبة من اللورد تيلوك وزوجته؛ غير أننى سرعان ما أنست إلى صحبتهما عندما عرفتهما . كان فى مقدور مضيفى الجنرال برامبل أن يظل صامتا مدة ثلاث ساعات لايفوه خلالها بكلمة واحدة وهو جالس يدخن غليونه على مقربة من نار المدفأة وكذلك كانت حال زوجته تجلس فى صمت وهدوء فتعمل أو تطرز . أما اللورد تيلوك فهو ثرثار لطيف ، عمل سفيرا لبلاده فى عدة أقطار ويدل حديثه على أنه شاهد حقيقة تلك الأقطار على غير ما أثر عن أنداده من السفراء ، وكانت زوجته على دمامة خلقتها تفيض ظرفا وخفة وإن ارتدت من الثياب أرخصها مما لايتفق ومكانتها فى المجتمع .

لقد خلف الدمع والأسى آثاره واضحة على وجه السيدة برامبل غير أنها لم تحدثنى عن فجيعتها ومصابها ، اللهم إلا فى أول مساء عندما صعدت برفقتها إلى جناح النوم فقد توقفت لحظة أمام الحجرة السابقة لغرفتى وقالت لى : كانت هذه غرفتها ... ثم استدارت ومضت فى سبيلها .

قضينا سهرة عيد الميلاد فى قاعة المكتبة على مقربة من مدفأة تندلع منها ألسنة اللهب . لم يكن يضئ تلك القاعة سوى عدد من الشموع ، فكان المرء يلمح فى ضوء القمر خلال زجاج النافذة منظر الحديقة وقد ابيض أديمها وغطتها الثلوج . كان الجنرال برامبل يدخن غليونه وزوجه تعمل بإبرها عندما بدأ اللورد تيلوك يتحدث عن ليلة عيد الميلاد .

قال اللورد : منذ خمسين عاما كان كثير من فلاحى مقاطعتى يعتقدون أن الحيوانات ينطلق لسانها فى ليلة الميلاد فتنطق كالبشر سواء بسواء . وأذكر أننى سمعت مرضعتى تقص حكاية عن حارس مزرعة كان يأبى أن يصدق هذه الخرافة . اختبأ هذا الحارس داخل حظيرة الخيول فى تلك الليلة ليتحقق من صحة الأسطورة، حتى إذا مادقت الأجراس مؤذنة بانتصاف الليل رأى الحارس أحد الجياد يميل برأسه على رفيقه ويقول له : سنساق إلى مهمة شاقة بعد ثمانية أيام. فيجيبه الآخر : نعم ولا تنس أن الحارس ثقيل الوزن فيعقب الجواد الأول : حقا إنه ثقيل الوزن والطريق إلى المقابر وعر . ومات حارس المزرعة بعد ثمانية أيام ! قال الجنرال برامبل : إن هذا لعمرى هراء . وهل كانت مرضعتك تعرف حقا هذا الرجل ؟

فأجاب اللورد تيلوك : إنها تعرفه حق المعرفة ياسيدى وحسبك أن تعلم أنه أخوها .

لبث محدثنا صامتا زمنا وأخذت أتأمل ألسنة اللهب المندلعة وهى تزمزم فى الأتون كما تدوى الأعلام فى مهب العاصفة . لم يبد الجنرال حراكا أما زوجه فكانت تطرز خطوطا بارزة ذات ألوان زاهية على قطعة من القماش . ثم

استأنف اللورد حديثه قائلا :

وفي السويد كثيرا ما رأيت الفلاحين في قرية «داليكارلي» يعدون العشاء للأرواح في ليلة عيد الميلاد ، إذ يعتقدون هنالك أن الموتى يعودون في تلك الليلة إلى الدور التي كانت مسرحا لحياتهم . ولهذا يشعل أهل القرية مساء قبل أن يفترقوا نارا كبيرة من لهب الشموع اللدنة ويضعون على المائدة غطاء ناصع البياض وينظفون القاعد ثم يخلون المكان للأطياف حتى إذا ما تنفس صبح اليوم التالي وجد القوم أن شيئا من الوحل قد تناثر على الأرض وأن الآنية والأكواب قد تحركت من أماكنها وأن الجو يعبق برائحة غريبة .

فقال الجنرال بصوت خفيض : وذلك أيضا لغو وهراء

أيقنت عند ذاك أن محدثنا يفتقر إلى الكياسة والفطنة وتأملت السيدة برامبل فإذا هي ساكنة وادعة ؛ بيد أني رأيت أن أغير موضوع الحديث فقلت : أما أنا فأرى في ليلة عيد الميلاد نفس ما رآه واعتقده شكسبير .. أتذكرون ما قاله في هذا الصدد ؟

« ليلة لا تجرؤ الأرواح فيها أن تعصف في الفضاء . الجن مكتوف اليدين ، والساحرة لا ينفع لها سحر ، والليل ساج لا يغشاه أنين ولا شكوى »

فقالت الليدي تيلوك في لهجة ملؤها الجد والإصرار : أما نحن فنعتقد أن شكسبير قد خانه الصواب فيما ذهب إليه . هل لك يا عزيزي إدوار أن تقص علينا ذلك الحادث الذي وقع لك في قصر تيلوك ؟

فهتفت قائلا : يسعدني جدا أن أستمع إلى هذه المغامرة

حسنا — قال اللورد تيلوك — منذ خمسة أعوام كاملات أي في ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٢٠ أحسست بصداع خفيف . ولما كان الجو جميلا يغشى برودته جفاف فقد رغبت في السير قليلا في الهواء الطلق . كان الليل قد انتصف أو كاد عندما غادرت منزلي ومشيت بضع خطوات حتى إذا ما جاوزت سور المتنزه سلكت الدرب الصغير الذي يحف به من على الجانبين سياج من الحسك الطويل ، وكان يضيئه في تلك الليلة بدر مكتمل وسماء وشتها النجوم . كنت قد قطعت في سيري مسافة تبلغ نصف ميل عندما لحت على بعد فوق الصقيع الأبيض آثارا قاتمة عبر الدرب . اقتربت من هذه الآثار فرأيت لفرط دهشتي أنها خيط دماء . طفقت أبحث عن مصدر هذا السيل الرفيع فوجدت أن السياج الحسكي ينحرف في هذا الموضع فينشئ مع الدرب زاوية .. وأن جسدا مستلقيا دون حراك قد قبع في ركن الزاوية

اقتربت من المكان وحدقت النظر فيه فإذا بي أمام جثة قتيل فعدت أدراجي راكضا إلى الدار وناديت خدمي . أرسلت بعضهم لإخطار السلطات وأمرت الآخرين أن يحملوا مشاعلهم ويتبعوني . سلكنا نفس الدرب الذي أتيت منه ومشينا مدة طويلة بل خيل إلي أنها طويلة جدا . ولكننا لم نر شيئا وانبريت أبحث عن الأثر الدامي دون جدوى . وأخيرا وبعد ما قطعنا ميلين على الأقل قلت لمن حولي : هذا لعمري مستحيل ، فلم أبتعد بهذا القدر ولا بد أننا تخطينا المكان فلنعد

ذرعنا الدرب مرة ثانية وقلت لمن معي إنه ليس من العسير عليهم أن يهتدوا إلى المكان . فهو في البقعة التي ينحرف فيها السياج وينشئ مع الدرب زاوية . غير أن أحدا من الخدم لم يتذكر أنه رأى الموضع الذي وصفته . وسرنا حذاء السياج من جديد وانطلقنا إلى أبعد ما استطعنا أن ننطلق فوجدنا السياج مستقيما لا انحراف فيه

وأمسك اللورد تيلوك عن الكلام لحظة . كانت الثلوج تتساقط في الخارج وئيدا ، وكنا لا نسمع في جوف هذا السكون الموحش سوى خشخشة الخيوط الحريرية في قطعة القماش وزفرة النيران المستعرة في المدفأة

سألت محدثي : ربما كنت إذ ذاك واقعا تحت تأثير نوبة من الهلوسة ؟!

استدار الجنرال برامبل نحوي وحدق في طويلا وإن ظل ساكنا لا ينبس ببنت شفة ، وقال اللورد تيلوك وكأنما يرد على استفساري : لقد لبثت بالفعل طويلا وأنا أعتقد

ما تقول ، فقد استجوبت العسس والسارة والجيران ولم أتوصل إلى شيء ، فلم ترتكب أية جريمة في تلك الليلة في طريق قصري ولم يحدث في هذه النقطة ما يكدر الصفو . وبعد انقضاء أربعة أعوام على هذا الحادث ، وكنت قد سلمت بأن لوثة من الملوسة قد أتلفت حواسي في تلك الليلة فتهيأت لي هذه الجريمة ، جاءني خطاب من صديق لي يمتهن التنقيب عن الآثار ويعني بدراستها ، لقد سررت بهذا الخطاب أيما سرور وإليكم ما جاء فيه :

عزيزي اللورد تيلوك

بينما كنت أجري أبحاثي هذا الصباح في المتحف البريطاني تكشفت لي حقيقة هامة تتصل بقصة غريبة كنت قد رويتها لي في آخر عطلة أسبوعية سعدت بقضائها في ضيعتك . كنت أتصفح بعض الصحف المحلية القديمة التي كانت تصدر في مقاطعتك لاستيفاء بعض الأبحاث فقرأت الخبر التالي :

« في يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٢٠ وعلى بعد سمائة ياردة من قصر آل تيلوك اغتال بعض قطاع الطرق السير جون لامي من وجهاء الكاثوليك بينما كان يسير بمفرده لحضور قداس نصف الليل . كان هؤلاء الأشقياء يتربصون بالمارة مختبئين خلف السياج الذي ينحرف في عدة مواضع فيحدث مع الدرب زوايا ، وهنالك أيضاً أخفوا الجثة بعد ما جردوا صاحبها مما كان يحمل من نقود . وعلى أثر هذا الحادث أمر سيد المقاطعة بإزالة هذه الزوايا ، ومن هذا التاريخ أصبح السياج الذي يحاذي الدرب مستقيماً لا التواء فيه »

قالت الليدي تيلوك : آه لو كنتم معي ورأيتم آيات الفوز والابتهاج مرتسمة على وجهه إدوار وهو يتلو على هذا الخطاب

فأجاب الجنرال رامبل في جد ووقار : هذا جد مفهوم وأمنت زوجه بصدق على عبارته

حدقت فيهم جميعاً في دهش وقلت :

— لماذا ؟ أتعتقدون أن الميت قد بعث في مكان الحادث لمناسبة الذكرى الثوية لمصرعه ؟

فأجابني اللورد في قلق وضجر : وهل تعتقد يا صاح بغير ذلك ؟

نظر إلى الجنرال رامبل وزوجه نظرة كلها استنكار ولوم ، فسكت على مضض ، وأيقنت أن قصتي الجواد الناطق وغذاء الأطياف لا بد قد وجدتا من هذه العقول الساذجة تصديقاً واقتناعاً . فنهضت واستأذنت في الذهاب إلى المخدع

كانت بغرفتي مدفأة موقدة تضطرم فيها نار وقودها خشب الصنوبر أشبعت جو المخدع بدخان شفاف بينما اكتست النوافذ من الخارج بطبقة من الثلج الرخو كندوف القطن . أطفأت شموع الغرفة ، فصارت ألسنة اللهب المتراقص في المدفأة تشيع وحدها الحرارة في ضباب دافئ وضيء ، وشعرت بقيظ لم أستطع معه النعاس ، وأخذت تجول بخاطري قصص غريبة . وبعد هنيهة ، سمعت في الغرفة المجاورة دقات ساعة صداحة تعلن انتصاف الليل . كنت متعباً مضطرب الأعصاب بعض الشيء .. غير أني شعرت في الوقت ذاته بارتياح إلى ما أصابني من أرق .. وأحسست كأنما حلت بغرفتي روح وادعة تنفث فيها جوا من العذوبة والصفاء . سمعت الصداحة تدق جميع ساعات الليل إلى أن بانت تباشير الفجر فنمت

نزلت في الصباح لتناول الإفطار متأخراً بعض الوقت فسألتني السيدة رامبل — وهي واقفة أمام المائدة الزاخرة بألوان الطعام في قاعة المآدب — كيف قضيت ليلتي

— إن شئت الصراحة يا سيدتي أخبرك بأني نمت من الليل أقله ، غير أن السهاد لم يضرني في شيء ، فقد كان لي من رنين ساعتكم الصداحة خير رفيق أنيس

فانتفض الجنرال بغتة وقال : ماذا ؟ أتقول إنك سمعت دقات الساعة ؟

ثم صاح بحدة في زوجته : هل فهمت يا إديت ؟

أجبت الجنرال بالإيجاب وأنا دهش من هذه اللهجة

المنيفة التي نطق بهـا عبارته الأخيرة وكانت أطول عبارة سمعتها تخرج من فيه . وعندئذ حدقت فى السيدة رامبل وقالت فى تأثر عميق وعيناها مغرورقتان بالدمع : يجدر بى يا سيدى أن أوضح لك جليـة الأمر . هناك فى الحجرة المجاورة لمخدعك ساعة مداحة أهديت إلى ابنتى وهى طفلة فـكانت تحبها كثيرا وتملؤها بنفسها كل ليلة . ومنـذ قضت عزيزتنا لم يمسها أحد ، وآلينا على أنفسنا ألا يمسها أحد ، وكنا نظن أن تنم تلك الساعة قد سكن إلى الأبد غير أن ليلة الأمس كانت — كما ترى يا سيدى العزيز — ليلة عيد الميلاد

حسن نعيم



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٦٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٠ « القاهرة في يوم الاثنين غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ١٩ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

الأدب الشعبي

للأستاذ محمود تيمور

جرى الاصطلاح بإطلاق صفة «الشعبي» على الوضيع والرخيص أو ما دون المستوى الرفيع

نقول : فكرة شعبية ، أي أنها مشوبة بمطاوعة الأهواء والنزوات ، لا سلامة فيها ولا سداد

ونقول : نكتة شعبية ، نريد أنها لا تخلو من تبذل وإسفاف

ونقول : طعام شعبي ، نعني أنه ساذج في مظهره ، غير متقن ولا مستساغ

ونقول : ثوب شعبي ، للدلالة على أنه من نسيج غير فاخر ، ولذلك يرخص ثمنه ، ولا يعز على القليلين شراؤه

ونقول : مسرح شعبي ، فيفهم عنا السامع أنه مسرح لجمهور العامة ، لا يتذوقون فيه شيئا من الأدب السري والفن الرفيع

فكل ما هو منسوب إلى الشعب محمول عليه مجانبة

السمو والأصالة والجودة ، مفروض فيه الابتذال والتفاهة والهوان

فهل صحيح ذلك فى ميدان الأدب على وجه خاص ؟

هل «الشعبية» فى الأدب أن يتصف بالابتذال والضعة ، وأن تجانبه خصائص الأدب الرفيع فى التفكير والتصوير والتعبير ؟

أما الأمر الواقع فبين ظهرانينا نتاج أدبى يشيع الآن فى بعض طبقات الشعب بقدر كثير أو قليل ، ومعظم هذا النتاج ضئيل الحظ من رفعة الفن وسموه ، سقيم الأداء ، لا يخلو من تبذل وإسفاف ، ولكن تسميته بالأدب الشعبى ظلم عظيم ، فإن صفة هذا الأدب تلحق بأصحابه لا بالشعب ، ثم بالذين تقف بهم ملكاتهم وقرائحهم ومواهبهم فى مستوى محدود ، فتتقاصر عن أفق الفن الرفيع ، فإن دل أدبهم على شئ فإنما يدل على مستوياتهم ومزاجهم لا على مستوى الشعب ومزاجه

حقا إن هذا اللون من النتاج الأدبى يلاقى من أفئدة السواد هوى ، ويصادف من الجمهور مزيد إقبال . ولكن هذه الظاهرة ليست فيها حجة على الشعب ، فالنفوس بطبيعتها يستهويها ما يرضى بعض الغرائز القريبة الاستجابة وما يلائم النزوات التى تتساور الإنسان فى أطوار حياته ، فإذا قدم لها شئ من ذلك فى مختلف شؤون الحياة أقبلت عليه ، وانساقت معه ، إلا أن يعصمها من ذلك حسن التنشئة والترويض . ولا ريب أن الرياضة الأدبية والعمل على السمو بالأذواق والتوجيه التهذيبى العام ، خليق أن يجعل من الشعب عنصرا صالحا يستعصم على الابتذال فى الأدب ، فيعف ما يقدم إليه مما ينطوى على شذوذ وانحراف أو تهافت وإسفاف

والقول الذى يجب أن يكون مردودا على صاحبه ، هو القول بأن الشعب لا يستطيع استساغة لون من الأدب ، إلا هذا اللون التافه الوضيع ، فالطعام الجيد الصنع الكريم العنصر : من يأنفه ؟ ومن لا يألفه ؟

لقد آن لنا أن نصحح الوضع فى معنى الأدب الشعبى ، فما ذلك الأدب الشعبى فى الحق إلا الأدب الفنى الرفيع الذى يستلهمه الفنان من روح الشعب ومن مختلف بيئاته ، فيعبر به عن مشاعر هذه الأمواج المتدافعة من الناس فى ملتطم الحياة ، وإن هذا الأدب الشعبى ليمثل الجانب الأكبر من الأدب الحى الخالد فى كل أمة من الأمم ، وفى كل عصر من عصور البشر

تلك هى روائع الأدب العالمى الباقية على الزمن ، ليست أصولها إلا أساطير الشعب وأقاصيصه ، فالإلياذة والإنيادة والمهابهاراتا والشاهنامة وألف ليلة وليلة ، إنما هى كتب شعبية تعبر عن نفسية الشعب فى مجموعه ، وتسجل أصداء صوته ، وتصور ماظهر وما بطن من نزعاته ونزواته . وما خلدت هذه الأعمال إلا بأن بينها وبين الناس وشائج موصولة مع الوشائج الإنسانية الخالدة .

وما نجح « شكسبير » و « جوته » و « دانتى » و « موليير » و « تاجور » و « تشيخوف » وأضرابهم من أفذاذ الأدب فى الأمم إلا بأنهم يخاطبون الشعب كله ، ويجلون مايختلج فى قلبه ، فى أداء صادق وإستلهام أمين ، فهم فنانون عظماء بأنهم استطاعوا أن يتملكوا ناصية الجمهور الزاخر ، وأن يندسوا إلى أعماق نفسه ، فيكون بينهم وبينه تجاوب عميق .

وإليك « القرآن » العظيم مثلا رفيعا للعمل الفنى ، ففيه تصوير رائع لهذه البشرية فى متباين عواطفها ومختلف منازعها ، فيه تجد كل نفس مناها ، وقد هبطت آياته على الشعب بلغة الشعب ، وعمت رسالته الناس كافة ، فكان له وقع السحر ، وظل على الدهر رمزا خالدا للأدب الحى ، لا يفتأ يثير فى نفوس الناس على تباين مراتبهم ألوان المشاعر والأحاسيس .

ما تعريف الأدب ؟

إن هو إلا تعبير فنى بالكتابة والقول ، مثله كمثل

التصوير والغناء والموسيقى والرقص ، فالتصوير تعبير فنى بالرسم والتلوين ، والغناء تعبير فنى بالتنغيم والتطريب ، والموسيقى تعبير فنى بالجرس والرنين ، والرقص تعبير فنى بالحركة والإيقاع .

تلك هى الفنون التى يعد فى جملتها الأدب ، فالأدب فن والأديب فنان ، والفن للروح لا للعقل ، وللنفس لا للذهن. ومن ثم كان الأدب لونا من الألوان التى تخاطب العاطفة والشعور والوجدان ، والناس أجمعون قادرون على أن يفهموا هـذا الخطاب ، فهم سواء فيما انطوت عليه جنوبهم من وجدان وشعور وعاطفة ، وإنما يمتازون فى العقول والأذهان ، ويتفاضلون بالمنطق واستظهار الحقائق ، وليس شئ من ذلك يتعلق به الأدب أو يتخذه له هدفا

القارئ الذى لا تسمو عقليته ، ولا تكتمل ثقافته ، يتعاصى عليه أن يأخذ فى شئ من العلم الذى يقوم على استقراء واستنتاج ، مما يخاطب العقل ، ويتطلب جودة الذهن ، وسعة النظر ، ولكنه لا يتعذر عليه أن يتأثر بالأدب الفنى الرفيع ، مادام فن الأدب تعبيرا عن الحياة فى صورة تتصل بالنفس وتساير العاطفة وتخاطب الوجدان .

ليس الأديب بمكتشف حقيقة من الحقائق ، أو مبتدع حكمة من الحكم ، أو مزاول تجربة من التجارب ، فالحقائق والتجارب والحكم متماثلة متمارفة ، لا يزيدها الأديب شيئا ، ولا يضيف إليها جديدا ، وإنما هو يستخلص شذورها من بين الأخلاط والشوائب ، ويلم شملها من فرقة وشتات ، ويحسن انتزاعها والتقاطها من مضطرب الحياة فى صور فنية جميلة ، كما يلتقط الجهاز الكهربى ذبذبات صوتية معينة فى أفق عريض يعج بأمواج متلاطمة من الأصوات .

لا ضرورة ثمة إلى أن يكون الشعب مثقفا لكى يفقه الأدب الفنى ويستسيغه ويتأثر به ، فحسب الشعب أن يكون سرى العاطفة ، قوى البصيرة ، ذكى القلب ، نقى الذوق ، وأذن يسمعه أن يتقبل الأدب الفنى بقبول حسن ، ويحله منه المحل الكريم .

ورب فلاح أمى فى بطن الريف يعقب على الأحداث بجملة فإذا هى مثل سائر ، ويخوض فى الحديث بكلمة فإذا هى من جوامع الكلم ، ويهزه الطرب أو يروعه الفزع فيرسل الأنشودة فإذا هى فن ، ويدنيها فإذا هى لحن ... ولا شئ من ذلك يبعث على عجب . فما الأغنية أو الأنشودة أو الحكمة أو المثل إلا تعبير عن الحياة من فيض العاطفة ووهج الروح وهذه الروح والعاطفة كلاهما هبة الله للبشر لا يفتقران إلى معاناة العلم ، ومكابدة الدرس ، ولا يتوقفان على إكتساب الأقيسة المنطقية التى تحقق بها ظواهر العيش وطبائع الأشياء ، وتتألف منها صنوف المعارف والعلوم .

الأدب لا يقول لك : إعلم هـذا واعرفه ، ولكن يقول لك : تأثر بهذا واستشعره . وعبثا تطلب من الأدب إن ابتغيت عنده أن يزيدك علما ومعرفة ؛ وإنما أنت راغب إليه فى أن يشيع فى أقطار نفسك الروعة والاهتياج ، ويملك عليك عاطفتك بالاستهواء ، فيهرب بك من حاضرك وينسيك ما أنت فيه ، ويمضى بك محلقا فى آفاق من الأخيلة والتصورات ، فأنت عنده طالب سلوة وتعزية ، أو مقتبس فرحة وابتهاج ، أو ملتمس لوعة وبكاء ، وساعة أنت تطلب منه أن تفكر أو أن تحلم ... وفى ألوان الأدب ما ينيلك هذه المطالب جميعا

غاية الأدب إذن أن يروع ، ونعنى بالروعة إثارة المشاعر ونفض الإحساسات . ولا يكون هـذا إلا إن كان العمل الأدبى فنيا ، أى جميلا ، أى رائعا ... والأدب الفنى إنما يجمل وتكتمل فيه الروعة حين يتوافر له عنصر اللذة والإمتاع ، أو التسلية والترفيه ، فبهذا العنصر تحمل القارئ على أن يقرأ ، وتحبب إليه أن يتابع . فالاستجابة بين الكاتب والقارئ شرط التواصل بينهما ، ولن يستجيب القارئ لكاتب إذا فقد عنده ما يسعده ويمتعه ويؤنسه ،

والقصود من الإيناس والإمتاع أن يبعث الـكاتب عند القارئ نشطة الفكر وأن يلمس مشاعره ، وأن يثير فيه الإعجاب بالجمال

وإنك لا تبلغ مبلغ الاستجابة من نفس القارئ إذا جلوت له الواقع الذى يحيط به أحداثا كما هى فى مجمع الناس، فأرواقية البحث لا تخرج بالقارئ عن مشهوده المبذول ومسموعه المملول ، وكذلك لا تبلغ من نفسه ذلك المبلغ المنشود إذا نأيت به عن مألوفه فى دنياه ، وباعدت بينه وبين آفاق أفكاره وأخيلته ، وإنما أنت مصيب غرضك متى بعثت فى الواقع الميت حياة ، وصبغت الأحداث الجامدة صبغة الخيال ، فبذلك يسمو العمل الأدبى إلى المستوى الفنى ، فإذا هو فتنة تثير وجمال يروع

وربما عن لسائل أن يقول :

أنى للجماهير أن تستجيب للأدب الفنى الرفيع ، وهى محدودة الوعى والإدراك ، متخالفة الأذواق ؟

والجواب غير بعيد ، فالصورة الأدبية الفنية يأنس فيها كل ذوق ما يلائمه ويجد فيها كل امرئ ناحية يتأثر بها ويستجيب لها ، حسبما تعينه ملكاته ومداركه

الفنان العبقرى يرفع مصباحه الدرى ، مرسلا منه نورا أبيض وهاجا صافى الإشراق . وإن هذا النور الأبيض لينطوى على مختلف الألوان حينما يتحلل بالمنشور . والنفس البشرية منشور بلورى يتحلل به ذلك النور الوهاج ، فكل امرئ يشهد ما يرتاح إليه ، أو ما تستطيع عينه أن تراه . وفى أدب الفنان العظيم نور كامل تكمل فيه الأطياف جمعاء

وإنما يتفاوت الفنانون درجات عما يعوز أدبهم من ألوان هذه الأطياف ، فمنهم من يعوزه الكثير ، ومنهم من يعوزه القليل ، ولذلك نرى تأثير الفنان مقصورا على طائفة مخصوصة من الناس إذا كان أدبه مقصورا على بعض الأطياف التى تلائم تلك الطائفة وحدها . فأما الفنان الذى نفحته « عبقر » فإن أدبه تتكامل فيه أطياف النور على اختلاف الألوان ، فيه لكل طائفة أرب ، وعنده لكل ذوق متاع

وليس بكاف أن تبعث النور وهاجا متكاملا لكى تطمئن إلى إمكان الاستنارة به ، فلا بد من رعاية الطريقة التى يتجلى بها النور للعيون . لا بد من رعاية الزجاجة التى تنظم انبعاث الشعاع ، أعنى بها اللغة والأسلوب . وهنا تنجم عندنا مشكلة العامية والفصحى ، فالعامية لغة التخاطب فى الجمهور ، والفصحى لغة التدوين للأدب الفنى ، ولا تتحقق الاستجابة بين كاتب وقارئ إلا إن فهم القارئ ما دون الكاتب ، والواسطة بينهما لغة وأسلوب ؛ وذلك هو الحجاب بين الأدب الفنى والجمهور العام . وعلاج هذه المشكلة فى ناحيتين : الأولى تطويع اللغة حتى تكون صالحة لمخاطبة الشعب كله . والأخرى تعميم التعليم حتى تلتقى الأداتان : أداة الإسماع وأداة الاستماع ، أو كما يقول المهندسون : أداة الإرسال وأداة الالتقاط

***

حين يصدق الأديب الفنان فى استلهامه يخرج عملا فنيا . وهو فى هذا العمل الفنى يجلو صورة الشعب . ولا غرو أن الشعب يستهويه أن يرى نفسه فى المرآة ، كما يلذ لكل امرئ أن يشهد شخصه فى رسم أو صورة . وأنت إذا صنعت تمثالا فنيا جميلا لفلاح فى حقل أو عمدة فى قرية ، وجدت من يروقه التمثال ومن يعجب به بين الفلاحين والعمد . وفى المتحف الزراعى المصرى قاعة ملئت بالتماثيل الملونة التى تصف مشاهد الفلاحة ومجالس الريف ، وإن الزوار والمتفرجين من المصريين ليقفون عندها طويلا بما يرونه من أبطالها ، ولعلهم هم أنفسهم أولئك الأبطال الماثلون

فالأديب الفنى فى مستطاعه أن يقدم عملا فنيا معبرا عن روح الشعب ، مستجيبا لما يجرى فى وليجة نفسه ، ولزام على الأديب إذا هدف إلى شئ من ذلك أن يكون من الشعب على مقربة . بل لا بد أن يحيا بين جوانحه ،

ويتدسس في صميمه . ويستجيب لذلك كله في صدق وإخلاص وإيمان . فهو من الشعب يأخذ ، وإياه يناجي . وما الشعب إلا نموذج من النفس البشرية بما حوت من نوازع وخصائص وأطوار

حقاً أن العمل الأدبي الفني لا بد أن تتجلى فيه فكرة أو رأي أو هدف ، ولكن هذه الفكرة في العمل الفني يجب أن تكون وثيقة الصلة بالنفس الإنسانية على وجه عام؛ فهي تفهم بالبصيرة لا بالعقل ، وما دامت الفكرة نابعة من قرارة النفس، منتزعة من صميم الحياة ، ملتقطة من جو البيئة ، فهي فكرة قديمة قدم الغرائز والعواطف والنزعات. وليس للأديب الفنان فيها إلا فخر إثارتها ، وفضل بعثها في ثوب جديد، والتذكير بها على نحو طريف . ونحن حين نعجب بفكرة أدبية جميلة فإننا لا نعجب بها إلا لأن الكاتب يزفها إلينا في إطار فني ، ويصورها لنا في معرض جذاب ، وقديما انتبه الشاعر العربي لذلك في قوله :

إنما تنجح المقالة في المرء إذا صادفت هوى في الفؤاد

إذا مس الأديب من النفوس وترا أرنت النفوس له واستجابت . وإذا أصابت المعاني شغاف القلوب خفقت القلوب لها واهتزت . وهذا « الراديو » ينقل لنا صورة صوتية لمجلس غنائي أنشدت فيه « أم كلثوم » قصيدة « لشوقي » وأهل المجلس من شتى الطبقات ، فهم نموذج شعبي صادق التمثيل للشعب ، وإنهم ليستمعون إلى الغناء فيبدو إعجابهم بقدر ، وما تكاد الشادية تبلغ في إنشادها قول الشاعر :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

حتى تسمع « الراديو » قد أرعد بتصفيق هذا الحشد الزاخر إرعادا يصم الآذان ويشق العنان. وما كان ذلك إلا لأن هذا المعنى بخصوصه قد أصاب من الشعب شغاف قلبه ، ومس وترا حساسا في نفسه . فهذا الشعب قد عانى في دهره الأطول استلاب حريته ، واغتصاب حقوقه ، فهو مظلوم مهضوم ، تمنى العدل والإنصاف حتى سئم التمني، وطالب به حتى مل المطالبة ، وإنه لواجد في هذا البيت الشوقي الحكيم مناجاة له في محنته ، وتأييدا له في عزمته ، وحضا له على أن يبلغ ما يريد بقوة المصاولة والغلاب، لا بمنطق المناقشة والحجاج .

لا يقولن الكاتب إن الجمهور لا يفهم عني، وإنه أدنى مداركه مني ، فالكاتب إن استوعب في أدبه إحساس جمهوره ، وعبر عما يعتمل في بيئاته ، فالجمهور فاهم عنه ، مدرك منه . وعلة الجفوة بين الكاتب والجمهور أن يكون الكاتب قد اقتنص شعورا ليس بالشعور القوي في طوايا النفوس ، أو ليس بالشعور العام الذي ينتظم جماعات الناس، وإذن لا يحس الجمهور ما أحس الكاتب، ومن ثم لا تكون بينهما استجابة ، فلا تنبت بينهما ألفة .

ما أكثر ألوان الموضوعات التي تعرض للكاتب الأديب ، يجري بها قلمه ويبعث إليها أضواء فنه . وإن من هذه الموضوعات ما هو خاص أو أخص ، تتمثل فيه نزعات كثرة من الناس أو قلة .. فهو عند هؤلاء الكثيرين أو القليلين أثير وهم إليه في الاختيار يجنحون ، ولكن ثمة موضوعات شاملة ، فيها تلتقي أشتات المطامع والميول، ولها من مختلف مشكلات الحياة وطرائق العيش نصيب ، فهي متصلة أوثق الاتصال بتلك التيارات العميقة العامة التي تجري في أوصال البشرية كلها ، لا تقتصر على جيل من الناس ولا تختص بعصر من عصور التاريخ فهذه الموضوعات الشاملة إذا زاولها الأديب الفنان امتد أثرها في كل جانب، وانبسط ظلها على كل ناحية ، واستوى في استثمارها بدوي وحضري ، وربما استجاب لها السويدي قريبا من القطب حين يستجيب لها الزنجي في خط الاستواء . فهي إلى العالمية أقرب ، وإلى الخلود أدنى

كلما عالج الأديب ناحية ينفسح نطاقها في مجتمع الناس

فى فضل محمد (ص)

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

قرأت بشيء من التعجب مقال الكاتب الإسلامى محمد عبد الله السمان فى « المعانى الحية فى رسالة محمد » فإذا هو فى صميمه مقال فى شخصية الرسول (ص) وفى عظمته ، وإذا تحمسه لبعض النواحى العظمى للرسالة يحمله على إنكار بعض نواحى أدلة تلك الرسالة التى هى أيضاً بعض مظاهر عظمة الرسول ، فى غلو فى التعبير جاف فيه ما لا أشك أنه يعلمه من أدب الإسلام فى الدعوة ، ثم هو بعد ذلك لا يصيب حقيقة عظمة الرسول

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه متعدد نواحى العظمة ، والإسلام الذى هو رسالة الرسول متعدد نواحى الدعوة تعدد نواحى الفطرة التى هو دينها . وليس الناس سواء فى تقدير تلك النواحى ، فمنهم الخواص الذين يكبرون ما أكبر الأستاذ ، ومنهم العوام الذين يقصرون عن ذلك ولا يكبرون ما دعا إلى إكباره من تحرير الإسلام العقول والنفوس إلا عن طريق إيمانهم بتلك النواحى التى لم يأبه هو بها والتى نعى على خطباء المساجد والسرادقات الإشادة بها فى احتفالات ذكرى ميلاد الرسول ، وأكثر شهودها هم العوام الذين أمر الرسول صلوات الله عليه أن يخاطبوا على قدر عقولهم وإلا كان مخاطبوهم فتنة عليهم

ولو غير الأستاذ السمان نعى على المسلمين ما يثنون على الرسول صلى الله عليه وسلم بما أجرى الله على يديه من الخوارق لقلنا غير مؤمن بالخوارق والمعجزات ، ولكن الأستاذ والحمد لله مؤمن مجاهد يؤمن بالقرآن وبما أثبت للأنبياء من معجزات أكرمهم الله وأيدهم بها لم تكن لتثبت لهم فى عصرنا هذا إلا بالقرآن . والقرآن نفسه أثبت لمحمد صلوات الله عليه من المعجزات — إذا أغفلنا شرط التحدى فيها — ما شاء الله . أثبت له الإسراء فى سورة الإسراء ، والمعراج فى سورة النجم ، وانشقاق القمر فى سورة القمر ، إذا أخذنا الآيات على ظاهرها كما ينبغى ولم نلجأ إلى التأويل تهربا من إثبات إلا الأقل الذى لا بد منه من المعجزات ؛ فالتأويل لا يجوز إلا بقرينة حاملة ، والقرينة غير موجودة ، والحديث الشريف الصحيح يفسر تلك الآيات ويصف من تفصيلها ما أجمل القرآن . فهل تلك المعجزات يا ترى ليست من مظاهر عظمة الرسول ؟ بلى !

كان صوته أندى ، وأثره أشمل وأعمق . وذلك هو أدب الحب يستأثر بالحظوة العزيزة فى القصة وفى الشعر وفى غير ذلك من ألوان الأدب ، وهل كانت للحب تلك الحظوة إلا بأنه عاطفة إنسانية تلائم كل نفس ، وتطاوع كل هوى ، وأنه بضعة أصيلة فى الطبع البشرى ينجم عنه كثير من العواطف والتأثرات ، فهو دعوة مستجابة ونداء مسموع ، وهو عند الجمهور العام مكفول له القبول

والتعويل كل التعويل على منهج المعالجة لأمثال هذا الموضوع الإنسانى العام ، فقد يتناول موضوع الحب أديبان أحدهما غير فنان والآخر فنان أصيل . فأما غير الفنان فإنه يطرق الموضوع فى تصنع فيقلب الحقائق ويزور الواقعات ويجتلب زائف المؤثرات ، ويفوته التهدى إلى بطائن القلب البشرى حين تعتمل فيه عاطفة الحب فإذا هو يخرج لنا صورة شوهاء لأنها صورة مكذوب بها على الحياة والأحياء . فأما الأديب الفنان فإنه يطرق الموضوع عينه ، ولكن على بصيرة وهدى ، وفى أمانة وإخلاص ، فيخرج عمله صادق الوحى خالد الأثر .

محمود تيمور

البقية فى العدد القادم

فإن الله الذى لا يقدر على إجرائها غيره أجراها تأييداً له أو تكريماً . وفى كل تعظيم للرسول أى تعظيم

والحديث الصحيح أثبت للرسول صلوات الله عليه خوارق كثيرة كمعجزات الأنبياء والرسل من قبله . منها حنين الجذع الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل اتخاذ المنبر . ومنها تكثير طعام جابر حتى أشبع جيش الخندق ، وتكثير اللبن حتى أروى أهل الصفة من قدح استقله أبو هريرة لنفسه وللرسول ، وتكثير الماء فى الإناء حتى استقى منه جيش تبوك . ومنها رد عين أبى قتادة فى غزوة أحد أو بدر ، وإبراء عين على رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين فى غزوة خيبر . وما من هذه إلا قد شهده الجم الغفير من الناس . فليت شعرى لماذا تؤاخذ الوعاظ إذا ذكروا الناس بما أكرم الله به نبيهم من تلك المعجزات فى ذكرى مولده الشريف ؟ أو لماذا ينعى على الناس استشعارهم السرور والفخر بنبيهم الذى أكرمه الله تلك الكرامة وأنزله تلك المنزلة ! لو أن أمثل الأستاذ السمان انتهزوا اهتزاز الناس ذلك وذكروهم بوجوب العمل بما أهملوه ونسوه من رسالة الرسول لكان خيراً للناس وأعظم أجراً له ولأمثاله . أما النعى على من يذكر الناس بناحية من نواحى عظمة الرسول يرى هو غيرها أكبر منها ، أو النعى عليهم إذا خرجوا من تلك الذكرى يمددون ما ذكروا به وازدادوا به إيماناً من تلك المعجزات ، ففيه من الغلو والإسراف وتحجير الواسع ما فيه

وأعجب من هذا وأوغل فى الإسراف نعيه على « صنف » من المسلمين يفضلون محمداً على الرسل ، ويجعلونه إمامهم ويجعلون رسالته فوق رسالاتهم والمسلمون كلهم ذلك الصنف الذى زعم الأستاذ ومنهم الأستاذ السمان نفسه بما كتب فى مقاله من الناحية التى يعظمها ويكبرها . وإلا فأى الرسل أصلح الله به ما أصلح بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ؟ وأى الرسالات بلغت مبلغ الإسلام وحققت ما حقق الله ، من تحرير العقول والنفوس فى الماضى ولا يزال يدعو إلى تحريرها من كل سلطان غير سلطان الله سبحانه خالق الكون وفاطر الناس ؟ وإذا كان الأستاذ يستشهد على من ظنهم خصومه من المسلمين بأن أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس أفلا يكون الرسول الذى أخرج الله على يديه تلك الأمة خير الرسل ؟

إن محمداً صلى الله عليه وسلم جمع الله له ما فرق فى الرسل . آتاه من المعجزات مثل الذى آتاهم ، وخصه صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم معجزة خالدة لا تضارعها معجزة ، وبدين شهد الله له بما لم يشهد به لدين قبله . شهد له بالكمال حين أنزل عليه فى الموقف فى حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » . وشهد له صلى الله عليه وسلم بما لم يشهد به سبحانه لنبى قبله من عموم الرسالة وعموم الرحمة به فى قوله تعالى من سورة سبأ «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقوله تعالى من سورة الأنبياء « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وأمثال الآيتين فى القرآن الكريم كثير

والرسالة نفسها ليست مما لمحمد فضل فيه فإنه لم يأت بشىء منها . والآيات التى استشهد بها الأستاذ من قول الله لا من قول محمد كما يعلم الأستاذ طبعاً . فلو لم يشغله الحماس عن التدقيق لما خفى عليه أن مبادئ الإسلام نفسه ليس لمحمد فضل فيها إذ لم تكن من عنده ، وإذا كان هو مأموراً بالإيمان بها كغيره ، وإذ عاش فى قومه أربعين سنة قبل الرسالة لم يؤثر عنه أنه دعاهم فيها حتى إلى التوحيد ، وإن أثر أنه لم يسجد لصنم وأنه كان قبل الرسالة من الموحدين . فالثناء الذى أثنى به بعض المستشرقين عليه أنه كان من عظماء المصلحين ثناء مدخول كان

لا ينبغى أن ينخدع به الأستاذ لأن مبعثه اعتقادهم أن القرآن من تأليفه وأن الإسلام من وضعه . وكل ثناء عليه صلى الله عليه وسلم بغير النبوة والرسالة هو فى الواقع دون مقامه الكريم ولو كان ذلك الثناء أنه بطل الأبطال وأعظم المصلحين

إن حقيقة عظمته صلى الله عليه وسلم ليست فى الرسالة نفسها ولكن فى أنه أدى الرسالة على وجهها . فالرسالة من عند الله ليس لمحمد ولا لغيره منها شئ ولا له فى مبادئها فضل ، وإنما الفضل كله أنه أداها كما ينبغى أن تؤدى ، وتحمل فى أدائها كل ما تحمل ، ونهض بأعبائها نهوضا لم يكن لينهضه إلا من بلغ غاية كمال البشرية . وهذا هو ما يقصده الذين يقول الأستاذ أنهم يرفعون محمدا فوق مستوى البشر . وما مستوى البشر الذى يعرفه الأستاذ أو يمكن أن يعرفه فى تاريخ البشرية إذا قيس بالمستوى الذى بلغه سيد البشر وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ؟

إن أعجب العجب أن يقوم فرد بأعباء دين أعجز البشرية أن تحمله وتقوم بأعبائه إلا مجتمعة ! والترقى داخل حدود الإسلام ليس له نهاية ، لأن حدود الفطرة نفسها ، إذ هو دين الفطرة بل نفس الفطرة التى فطر الله عليها الناس ، بشهادته سبحانه فى سورة الروم . وكل ما يمكن البشر أن يبلغه من الرقى فى الفطرة قد حققه الله للبشرية فى محمد ابن عبد الله رسول الإسلام الذى لا ينطق عن الهوى ، والذى صار كل عمل له سنة ، وكل قول له حجة لله على عباده ، لا عملا أو قولا لم يقره الله عليه فى حوادث معدودة نطق بها القرآن وأحاطت بها سنة الرسول . فكأنما أعد الله محمدا من بين البشر فى تاريخ البشرية المتطور للقيام بأعباء دين الله الكامل ؛ تلك الأعباء التى تفرق القيام بها فى الناس ، فى الصالحين وأولى العزم من المسلمين حتى صار المتأسى به صلى الله عليه وسلم عن اجتهاد وصدق فى صفة من صفاته مثلا يضرب فى مكارم الأخلاق إلى اليوم كما ضرب المثل فى أبى بكر وعمر وعلى ومن إليهم من الصحاب وممن تبعهم بإحسان . فالكمال البشرى قد جمعه الله لمحمد الفرد كى يستطيع أن يقوم بدين الله دين الفطرة والبشرية الكاملة . أفلا يكون صلى الله عليه وسلم لذلك أكمل البشر على الإطلاق

هذه نتيجة منطقية ليس عنها محيص ، وليس فيها انتقاص لأحد من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالله سبحانه قد فضل بعض رسله على بعض كما أخبرنا سبحانه فى آية تلك الرسل ؛ والحديث الذى ساقه الأستاذ السهان يشهد بذلك التفاضل . والأفضلية فى صفة غير الأفضلية فى مجموع الصفات . والنهى فى الحديث الكريم عن التخيير بين الأنبياء موجه فى الأصل إلى ذلك اليهودى لأنه هو الذى خير كما يتبين الأستاذ إذا رجع إلى الحديث . وجاء النهى عاما لحكمة غير نهى المسلم عن التعصب لأن المسلم فى الحديث لم يزد على أن أنكر أن يكون موسى أفضل من محمد . وما يوهمه الحديث خلاف ذلك ليس على إطلاقه ولكنه محدود بما ذكر فى الحديث . والثناء على موسى صلوات الله عليه بصفة تميز بها هو مثل فى التواضع ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته ليكون تشريعا فى مثل حادثته وهو يؤيد ما ذهبنا وتذهب إليه مع جمهور المسلمين من أنه صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للبشرية حققه الله للناس تاريخا واقعا . والمثل الأعلى يقترب منه المجتهدون فى بلوغه اقترابا يطرد ما اطرد اجتهادهم من غير أن يبلغوه مهما اجتهدوا

وصلوات الله وسلامه على الرسول الكامل الذى حقق الله به وفيه الفطرة الإنسانية الكاملة محمد بن عبد الله

محمد أحمد الغمراوى

أبصر طريقك

للأستاذ محمود محمد شاكر

منذ ظهر دين الله في الأرض، وتدافعت أمواجه شمالا وجنوبا وشرقاً وغرباً، وضرب تياره أسوار العالم المحيط به، وطهر بلاداً كثيرة وغسلها مما فيها من الشرك والكفر والإهلال لغير الله سبحانه، أخذت تتجمع في أطرافه عداوة لا تنام، وبقيت هذه العداوة تنازل جنود الله عاماً بعد عام في ثغور الإسلام. ثم احتشدت هذه العداوات المتفرقة في الثغور حشداً واحدا، بدأت به الغزوات المتلاحقة التي عرفت في التاريخ باسم الحرب الصليبية. وظلت هذه الحروب مشبوبة قرونا طويلة، وأداتها السلاح والجيوش والمواقع

ثم انتهت حرب السلاح والجيوش، إذ وضع العالم الإسلامي سلاحه، بل أصح من ذلك، أن العالم الإسلامي يومئذ لم يكن معه سلاح يضمه أو يرفعه. وإذا كان فيه سلاح، فهو سلاح لا يغني عنه في لقاء هذه الأسلحة الجديدة، التي جاءت مع الغزاة. ومن يومئذ انتقلت الحرب الصليبية من ميادين القتال، إلى ميدان آخر: هو الحياة نفسها!

كانت خطة الحرب الصليبية الجديدة، هو دك الحياة الإسلامية كلها: تدك بناء هذه الحياة، وتدك علمها، وتدك آدابها، وتدك أخلاقها، وتدك تاريخها، وتدك لغتها، وتدك ماضيها. وفي خلال ذلك ينشأ بناء جديد لهذه الحياة، بعلم غير العلم الأول، وأدب غير الأدب، وأخلاق غير الأخلاق، وتاريخ غير التاريخ، ولغة غير اللغة، وماض غير الماضي. ويأتي يوم فإذا الهزيمة واقعة كما وقعت في الميادين. ويصبح العالم الإسلامي وليس معه من الحياة التي كان بها عالما صحيحا، إلا بقايا لا تغني عنه، كما أصبح يوما في ميدان الحرب، ومعه بقايا أسلحة لا تغني عنه شيئا

جاءت الغزوات الصليبية الجديدة متلاحقة سريعة نفاذة تنشر طلائعها الأولى في كل مكان، مزودة بالفهم والإدراك والمعرفة، بطبيعة هذا الميدان الجديد، فلاقى قوما قد سلبوا الفهم والإدراك والمعرفة لطبيعة هذا الميدان. ولكنهم كانوا بفطرتهم يعلمون أن هذه الطلائع عدو لهم، فقاومهم من قاومهم بما تستثيره الفطرة من بغض العدو والشك فيه، وإن جاء في ثوب المسالم والناصح. وتهاوى آخرون، فوقعوا في حوزة العدو، إذ غرتهم مسالمته وخدعهم نصحه، وظلت هذه الحروب دائرة بيننا وبينهم أكثر من مئة وخمسين عاما، في سكون وصمت، ولجاجة وحرص، وقوة وحذر، ومعرفة وبصر، حتى بلغ العدو منا ميلانا لم يكن في أول الأمر يظن أنه ينال. فقد تهاوى البناء كله فجأة. وأصبحت الحياة الإسلامية أطلالا يناديها الفناء فتجيب بلا مقاومة ولا عناد

ذهب كل شيء يكون للحياة البشرية قواما وعمادا: ذهب العلم والأدب والأخلاق واللغة والتاريخ، وجاءه الغزاة بما يحل مكانه من علم وأدب وأخلاق ولغة وتاريخ. ذهب الذي كان ينبع نبعه من كتاب الله، ومن حياة الأمة المسلمة، وسنة رسوله، وجاء الذي ينبع نبعه من الحياة الوثنية القديمة، ومن المسيحية المحدثة. ذهب الذي كان يتحدر إلينا كما تتحدر الوراثات من أصلاب الآباء إلى أصلاب الأبناء، وجاء الذي يتحدر إلينا كما يتحدر السيل الجارف لا يبقي ولا يذر. ذهب شيء وجاء شيء، فتغير نظرنا وفكرنا، وتغير إدراكنا ومعرفتنا، وتغير شعورنا وإحساسنا، وتغير لساننا وبياننا. فعدنا ننظر في الكتاب الذي هو كتابنا، وأخبار النبي الذي هو نبينا، وآثار الماضين الذين هم آباؤنا. فأنكرنا ما وجدنا في ذلك كله،

فطرحه منا من طرحه وراء ظهره ولم يبال به ، وتهيب منا من تهيب فوقف لا يدرى ماذا يفعل ، وبقيت طائفة لا تطرح ولا تهيب ، فطلبت مخرجا من هذا الشيء الذى تنكره إنكاراً خفيفا ، وهو فى هذه الصورة التى جاء عليها من التراث الماضى . فرأت المخرج فى تجديد التراث الماضى تجديدا مقاربا ، يطابق الحياة الجديدة من وجوه ، وينكر الحياة القديمة من وجوه أخرى

ومن يومئذ انقسم العالم العربى والإسلامى إلى طائفتين: طائفة منكرة لا تعبأ شيئا بالحياة الماضية كلها ، وطائفة لم يبلغ بها الإنكار أن لا تعبأ ، فالتمست تجديد الحياة الماضية على أسس جديدة . وإذا هذه الأسس التى تريد أن تؤسس عليها ، هى فى جوهرها مستمدة كلها من الحياة التى أنشأها الغازى الصليبى بين ظهرانينا

* * *

هذه صورة مصغرة للحياة فى العالم الإسلامى الحاضر . لا يعركها المرء حتى يعلم أن العالم الإسلامى مقبل على خطر أبشع من خطر الغزو الصليبى الأول بالسلاح ، مقبل على هزيمة منكرة تكون عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا حتى لا يبقى له من ظل الحق إلا ما بقى من ظل المسيحية الحقة فى العالم المسيحى الحاضر

ودعاة هذا التبديل ، علموا أو لم يعلموا ، قد تعاووا فى كل مكان باسم الدفاع عن الإسلام ، وباسم إحياء الإسلام ، وباسم تجديد الإسلام . وهم يعملون جاهدين على أن ينشروا دينهم الجديد — كما ينبغى أن يسمى — بجميع الوسائل التى يظنون أنها تفضى بهم إلى الدفاع عن الإسلام أو إحيائه أو تجديده . وهم على مر الزمن ، سوف يتركون آثارا عميقة فى حياة العالم الإسلامى الحاضر ، وسيتبعهم تابعون يقتفون آثارهم ، مبعدين عن النهج الأول الذى بنى عليه هذا الإسلام الذى يدافعون عنه أو يحيونه أو يجددونه ! بل إن هؤلاء أنفسهم قد كانوا خلفاء لجيل سبق من قبلهم ، أعمته الحياة التى بهرت عينيه وزلزلت عقائده ، فطلب كما يطلبون ، الدفاع عن الإسلام وإحياءه وتجديده ، على أسس لم يستمد أصلها من الحق الذى فى دينه ، بل من أصل بعيد هو الحياة التى يحياها العالم الصليبى الذى غلب وقهر وظهر مجده فى هذه الأرض

إن هذا الوباء الذى يجتاح العقل الإسلامى والحياة الإسلامية ، قد نفذ إلى كل ركن فى هذا العالم ، وسارت حمياه سورة مستبدة بكثير من رؤوس الدعاة . وانطلقت الألسنة مسرعة تريد أن تبنى بناء عقليا جديدا لهذا الإسلام الذى تهدم بناؤه القديم ، فما تجد لسانا إلا وهو يرسل طوفانا من الكلام بلا حذر ولا توقف ، وكل لسان يرى فى الذى يرسله مادة صحيحة لبناء هذا العالم المتهدم . وأصبح كل داعية إماما يقتدى به . والمقتدون به لا يعلمون شيئا إلا أن هذا السيل المرسل عليهم ، ليس إلا أصلا صحيحا من أصول هذا الإسلام الذى يدعوهم إليه . وكل داعية يظن نفسه ينبوعا يروى الظامئين ، يسألونه فيجيب ، فيطوفون به طواف الوثنى بالصنم . مادة علمهم أن يستمدوا منه ما يجود عليهم به . ولا يجد أحدهم مقنعا أن يلتمس علمه إلا من فيض لسان هذا الإمام الداعى . والإمام مشغول بالتماس المعانى التى يفيضها عليهم ، وهم لا يسألونه من أين يأتى بها . وكل داعية مشغول بإعداد المادة لمن يتبعه ، لا يحذر ولا يخاف ولا يتحرى . وكل داعية مشغول عن الداعية الآخر ، لا ينظر فى أمره ولا يتعقبه ولا يقول له من أين جئت بهذا . بل لعله يغفل عن أفسد الفساد فى قوله وعمله ، وأقبح القبح الذى يبثه فى أتباعه ، لأنه يقول لنفسه إننا مشغولون جميعا برم هذا البناء الذى تهدم ، بل ببناء شيء هو خير من الذى تهدم . وكل داعية منهم هو فى الحقيقة منكر للحياة الأولى للاسلام ، ولكنه يريد أن يقاوم الفناء بأن يستخرج من نواحى هذه الحياة ما يقنع هو به ، ويقنع بعض الناس به : أن فى ماضى

من تاريخ الحروب الصليبية

صلاح الدين يفاوض الإنجليز

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

استعاد صلاح الدين بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، بعد أن ظل في أيدي الصليبيين زهاء تسعين عاما، وقد أثارت عودتها إلى حظيرة الإسلام ثائرة فرنج أوربا، وبذل رجال الدين كل جهد، ليوقظوا غضب الجماهير، وليشركوا ملوك أوربا وأمراءها في حرب صليبية جديدة، وأرسل صاحب صور صورة القدس في ورقة، وصور فيها صورة كنيسة القيامة التي يحجون إليها ويعظمون شأنها، « وفيه قبة قبر المسيح، وصور على القبر فرسا، عليه مسلم قد وطىء قبر المسيح، وبال الفرس على القبر، وأبدى هذه الصورة وراء البحر في الأسواق والمجامع، والقسوس يحملونها ورءوسهم مكشوفة، وعليهم المسوح، وينادون بالويل والثبور... » وقد كللت جهودهم بالنجاح، فأقبل على القتال جند كثيف، على رأسه أعظم ملوك أوربا، وهم إمبراطور ألمانيا فردريك باربروس، وملك فرنسا فيليب أوغسطوس، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد

أقبل الصليبيون على فلسطين من كل مكان بالبر والبحر والتأم شملهم في صور، التي أوى إليها الصليبيون من جميع أنحاء سوريا وفلسطين، وقر رأيهم على مهاجمة عكا، لحصانة موقعها، ولأن الطريق إليها شاطئ البحر، حيث تحميهم سفنهم، وكان البحر أعظم مساعد لهم، يحمل إليهم المواد الحربية والمؤن والرجال، وقد وصلوا أمام عكا في ١٥ رجب سنة ٥٨٥ هـ، ووضعوا عليها الحصار

عندما سمع صلاح الدين بحركة الفرنج جمع أمراءه للاستشارة، وكان رأيه أن يهاجمهم في الطريق قبل أن يصلوا إلى عكا، ولكن أمراءه أقنعوه بأن الخير في أن تدور المعركة أمام عكا. وعندما ذهب صلاح الدين إلى عكا وجد

الإسلام ما يمكن أن يكون مماثلا للحياة الحاضرة، أو تصحيحا لبعض أخطاء الحياة الحاضرة. بيد أنه لا يصل إلى ذلك إلا بنظره هو، وتفكيره هو، بصورة يرتضيها هو، ولا يبالي أن يكون استدلاله في غير موضعه، ولا أن يكون فكره قد فسر الأشياء على غير ما ينبغي أن تكون عليه، أو على غير ما كانت عليه

فأعمال هؤلاء الدعاة، ليست في الحقيقة إلا ضربا من هذيان هذا الوباء المقرون بالحمى، ليس له أصل إلا فورة الدم في المحموم. فإذا استمر أمر الإسلام على هذا الذي نراه، فقد انتهى كل شيء. وإذا قدر لهذا العالم الإسلامي أن تعتزل طائفة منه هذا الخبل الخابل، لتعيد النظر في الأصول الصحيحة لدينها، والتي لقي بها هذا الدين عالم الشرك والكفر فدكه ومزقه، وأقام فيه بناء قاوم الفناء ثلاثة عشر قرنا، فيومئذ تبدأ المرحلة الأولى لجهاد طويل شاق، يتحدى طواغيت الكفر بإيمان صحيح، لا تشوبه شائبة من هوى أصحاب الأهواء، بل هو طاعة لله ورسوله، لا يغني غيرها شيء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

وأعود فأقول: من ظن هذا تشاؤما وتثبيطا فليظن ما شاء له الظن! وليس يغني عن الأعمى شيئا أن تقول له أنت مبصر بعينين لماحتين، ولا عن المغرور في حومة الهلاك أن تقنعه بأنه خالد ليس للموت عليه سلطان

محمود محمد شاكر

الفرنج قد أحاطوا بها ، ومنعوا كل اتصال بهـا ، فعسكر صلاح الدين فى مواجهتهم . ويقول المؤرخون : لو أن صلاح الدين عمل تبعا لرأيه الخاص ، وهاجم الصليبيين قبل أن يحاصروا المدينة لأنقذها ، ولـكن تلك إرادة الله

صمدت عكا أمام الفرنج زهـاء عامين ، نال أهلها فيهما الضر ، وأنهك الضعف فيهما رجالها ، وبلغ منهم العجز إلى غاية لم يجدوا بعدها بدا من التسليم ، وكانت قوى صلاح الدين يومئذ مبعثرة ، فى البلاد ؛ فكان جيش يراقب بوهمند أمير أنطاكية ، وآخر مقيم فى الرها مواجه لطرابلس للدفاع عن الحدود ، وثالث يراقب صور ، ورابع فى دمياط والإسكندرية ، ليحتاط ضد الصليبيين القادمين من البحر ، ولذلك كان جيش السلطان أقل عددا من الصليبيين ، ورغم طول الحصار لم ير صلاح الدين أن يسلم البلد للعدو ، وعمل أهل عكا ما استطاعوا للاحتفاظ بمدينتهم ، ولـكنهم أمام كثرة العدو اضطروا إلى أن يصالحوه على أن يسلموا إليه البلد وجميع ما فيــه ، ويقدموا إليه ضريبة ماليــة كبيرة ، ويخرجوا بأنفسهم سالمين هم وذراريهم ونساؤهم . ولما علم صلاح الدين بذلك أنكره إنكاراً عظيما ، وعزم على أن يحول بين أهل عكا وبين التسليم ، ولـكن ما راعه إلا أعلام الفرنج تنصب على أسوار المدينــة يوم الجمعــة ١٧ جمادى الآخرة سـنة ٥٨٧ هـ ، ولم يف ملك الإنجليز بمـا وعد به أسرى المسلمين ، بل أحضرهم مكبلين بالحبـال ، وحمل عليهم هو وجنده حملة الرجل الواحد ، فتناولهم ضربا وطعنا بالسيف ، ولم يطق ملك فرنسا المقام مع ريتشارد ، فعاد إلى بلاده ، وبقى ريتشارد يعمل وحده

لما فرغ الفرنج من إصلاح أمر عكا ساروا مع شاطئ البحر إلى حيفا ، وخرج المسلمون بإزائهــم يضايقونهم ، حتى وصـلوا إلى يافا فملكوها ، وكانوا على أن يملـكوا عسقلان والقدس ، فجمع صلاح الدين أمراءه ، واستشارهم فيما يفعل ، فأشاروا عليــه بتخريب عسقلان ، وقالوا له : قد رأيت ما كان بالأمس ، وإذا جاء الفرنج إلى عسقلان ، ووقفنا فى وجوههم نصدهم عنهـا فهم لا شك يقاتلوننا ، لننزاح عنها وينزلون عليها ، فإذا كان ذلك عدنا إلى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الأمر علينا ، لأن العدو قد قوى بأخذ عكا وما فيها من الأسلحة وغيرها ، ونحن قد ضعفنا بمـا خرج عن أيدينا ، ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها ، فوافق صـلاح الدين على تخريبها مرغما ؛ وتركها صلاح الدين إلى القدس ، وأمر بعمارة سوره وتجديد مارث منـه . وأما الفرنج فرحلوا إلى الرملة وأخـذوا يجددون عسقلان ، وأجمعوا أمرهم على السير إلى بيت المقدس

بدأ حديث الصلح يومئـذ بين ملك الإنجليز وصلاح الدين ، وكان العدو هو الذى بدأ بطلب الحديث فى هـذا لصلح ، إذ أراد أن يتحدث إلى الملك العـادل ، وكان أول ما دار من حديث بين الفريقين أن قال الفرنج : « إنا قد طال بيننا القتـال ، وقد قتل من الجانبين الرجال الأبطال ، وإنا نحن جئنـا فى نصرة إفرنج السـاحل ، فاصطلحوا أنتم وهم ، وكل منا يرجع إلى مكانه » ، ولمـا علم ملك الإنجليز بمقدم الملك العادل ، واجتمع به وأبدى له الرغبة فى الصلح ، فقـال له الملك العادل : أنتم تطلبون الصلح ولا تذكرون مطلوبكم فيــه ، حتى أتوسط بينكم وبين السلطان . وهنـا بدأ ريتشارد بذكر أعلى شروطه للصلح ، مظهراً صرامة وقوة إذ قال : « القاعدة أن تعود البلاد كلها إلينا وتنصرفوا إلى بلادكم » ، ولم تكن هذه القاعدة بطبيعة الحال مما يقبله الملك العادل ، فأخشن له فى الجواب ، وجرت بينهما منافرة ، انصرفا بعدها على غير اتفاق . ثم دارت بين الفريقين بعض المعارك ، عاد بعدها ملك الإنجليز يعجم عود الملك العـادل فى أمر الصلح عله يلين ، على غير جدوى

طلب ريتشارد إلى الملك العادل مرة أخرى أن يرسل رسولا من لدنه ليتفاوض معه فى أمر الصلح ، فأرسل إليه

رسولا يثق به ، ظل يفاوض الملك حينا طويلا ، ومع ذلك لم يتزحزح الملك إلا قليلا عن موقفه ، فقد عاد الرسول وأخبر العادل بما دار بينه وبين ريتشارد الذى قال للرسول : لا أرجع عن كلام أتحدث به مع أخى وصديق — يعنى العادل — فكتب العادل رقعة أنفذها إلى السلطان تتضمن شروط الصلح التى عرضها ملك الإنجليز وفيها : « إن المسلمين والإفرنج قد هلكوا ، وخربت البلاد ، وخرجت من يد الفريقين بالكلية ، وقد تلفت الأموال والأرواح من الطائفتين ، وقد أخذ هذا الأمر حقه ، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد ، والقدس متعبدنا ما نزل عنه ولو لم يبق منا إلا واحد . وأما البلاد فيعاد إلينا ما هو قاطع الأرد ، وأما الصليب فهو خشبة عندكم لا مقدار له ، وهو عندنا عظيم ، فيمن به السلطان علينا ونصطلح ، ونستريح من هذا التعب »

ولما وصلت الرسالة إلى السلطان استدعى أرباب المشورة فى دولته ، وشاورهم فى الأمر ، وانتهى التشاور إلى موقف حازم ، إذ أرسل السلطان فى جواب الرسالة يقول لملك الإنجليز : « القدس لنا كما هو لكم ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فإنه مسرى نبينا ، ومجتمع الملائكة ، فلا تتصور أن ننزل عنه ، ولا نقدر على التفريط بذلك بين المسلمين . وأما البلاد فهى أيضا لنا فى الأصل ، واستيلاؤكم كان طارئا عليها ، لضعف من كان فيها من المسلمين فى ذلك الوقت ، وما يقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائما ، وما فى أيدينا منها نأكل بحمد الله مغله وننتفع به ؛ وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة . لا يجوز لنا أن نفرط فيها إلا لمصلحة راجعة للإسلام هى أوفى منها »

وفشل مشروع آخر للصلح عرضه ملك الإنجليز على العادل ، إذ أراد أن يتزوج العادل بأخته ، على أن يعطيها أخوها بلاد الساحل التى بيده من عكا إلى يافا وعسقلان وتكون ملكة الساحل ، على أن يكون مستقر ملكها بالقدس ، ويكون العادل ملك الساحل ، وأن يسلم إليه صليب الصلبوت ، وتكون القرى والحصون لطائفتين من فرسان الإفرنج هما الداوية والاسبتار ، وأن يطلق أسرى الفرنج والمسلمين . وإذا استقر الصلح على هذه القاعدة رحل ملك الإنجليز على بلاده . وقد قبل صلاح الدين هذا المشروع ، إذ به تكون بلاد الشام كلها تحت سيطرة صلاح الدين وأخيه . ويقال إن سبب الفشل يعود إلى أن أخت الملك لم تقبل أن تتزوج من العادل لأنه مسلم ، وظن ريتشارد أن العادل يقبل أن يتنصر ليتمم هذا الزواج ، ولهذا أبقى باب المفاوضات مفتوحا

وبرغم أن العادل لم يتنصر ، ولم يتم الزواج ، توثقت صلة المودة بين الملكين ، وحدث فى اجتماع تم بينهما أن سأل ريتشارد الملك العادل أن يلتمس من السلطان صلاح الدين الاجتماع به ، فلما وصلت هذه الرسالة شاور السلطان الجماعة فى الجواب عنها ، وبدا له رأى ناجح موفق ذلك أنه قال : « الملوك إذا اجتمعوا يقبح منهم المخاصمة بعد ذلك ، فإذا انقطع أمر حسن الاجتماع ، والاجتماع لا يكون إلا لمفاوضة فى مهم ، وأنا لا أفهم بلسانك ، وأنت لا تفهم بلسانى ، ولابد من ترجمان بيننا نثق أنا وأنت به ، فليكن ذلك الترجمان رسولا حتى يستقر أمر وتنتب قاعدة ، وعند ذلك يكون الاجتماع الذى يعقبه الوداد والمحبة »

قال الرسول : ولما سمع ملك الإنجليز هذا الجواب استعظمه ، وعلم أنه ليس من الهين أن يظفر بما يريد من السلطان . وكان صلاح الدين لا يرى الصلح مع الفرنج ، ويؤمن بأن المصلحة فى دوام الجهاد حتى يخرجوا من الساحل ، ويعتقد أن الفرنج لا تؤمن غائلتهم ، ويرى أن هذا واجبه فى الحياة وتحدثه نفسه بأنه لو حدث به حادث الموت لا تكاد تجتمع هذه الجيوش التى تحت قيادته

مضت الرسل بين الفريقين تتحدث فى الصلح لتقرير

قواعده ، مع قيام الحرب بينهما ، ولم يستطع الطرفان أن يصلا إلى حل حاسم برغم كثرة الرسل ، وكثرة ما عرض من مشروعات . وقر رأى العدو على مهاجمة القدس والاستيلاء عليها ، ومضى يعد العدة لذلك ، فأحضر السلطان الأمراء عنده ، وقر رأيهم على الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت . غير أن الفرنج وقد أشرفوا على القدس حدث بينهم خلاف ، دفعهم إلى أن يعودوا ناكصين على أعقابهم ، وفرح المسلمون بهذه العودة

وتجدد حديث الصلح كرة ثانية ، وأرسل ملك الإنجليز رسولا يقول : قد هلكنا نحن وأنتم ، والأصلح حقن الدماء ، ولا ينبغى أن تعتقد أن ذلك لضعف منى ، بل للمصلحة ، ولا تغتر بتأخرى عن منزلى ، فالكبش يتأخر لينطح »

وأرسل رسالة أخرى فيها رفق وخضوع ونزول عن كثير مما كان يطمع فيه ، ويقول له فى هذه الرسالة : « إنى راغب فى مودتك وصداقتك ، وأنه لا يريد أن يكون فرعون يملك الأرض ، ولا يظن ذلك فيك ، ولا يجوز لك أن تهلك المسلمين كلهم ، ولا يجوز لى أن أهلك الإفرنج كلهم ، وهذا ابن أختى الكندهرى قد ملكته هذه الديار ، وسلمته إليك ، ليكون هو وعسكره تحت حكمك ولو استدعيتهم إلى الشنق سمعوا وأطاعوا . ويقول : إن جماعة من الرهبان المنقطعين قد طلبوا منك كنائس فما بخلت عليهم بها ، وأنا أطلب منك كنيسة ، وتلك الأمور التى كانت تضيق صدرك مما كان يجرى فى المراسلة مع الملك العادل تركتها وأعرضت عنها ، ولو أعطيتنى خربة قبلتها » . فلما سمع السلطان هذه الرسالة جمع أرباب مشورته فأجمعوا على المحاسنة وعقد الصلح لما كان قد أخذ المسلمين من الضجر والتعب . فكتب صلاح الدين إليه : « إذا دخلت معنا هذا الدخول فما جزاء الإحسان إلا الإحسان . إن ابن أختك يكون عندى كبعض أولادى ، وسيبلغك ما أفعل معه . . وعسقلان وما وراءها يكون خرابا لا لنا ولا لكم .. » وقد كاد الصلح يتم لولا إصرار ملك الإنجليز على أن تبقى عسقلان وبعض البلاد عامرة بيده ، فقد أرسل إلى صلاح الدين رسالة يقول له فيها : « إن الملك يسأل ويخضع لك أن تترك له هذه الأماكن الثلاثة عامرة ، وأى قدر لها فى ملكك وعظمتك ، وما من سبب لإصرار عليها ، إلا أن الإفرنج لم يسمحوا بها ، وقد ترك القدس بالكلية ، فلا يطلب أن يكون فيه رهبان ولا قسوس ، إلا فى القيامة وحدها ، فأنت تترك له هذه البلاد ، ويكون الصلح عاما ، فيكون لهم كل ما فى أيديهم من الداروم إلى أنطاكية ، ولكم ما فى أيديكم ، وينتظم الحال ، وإن لم ينتظم الصلح فالإفرنج لا يمكنونه من الرواح ، ولا يمكنه مخالفتهم » . وانقطعت مفاوضات الصلح عندما أعلن الملك أنه لا يمكن أن يخرب من عسقلان حجرا واحدا

استعد صلاح الدين للحرب ، ومضى بجيشه إلى يافا وافتتحها وكانت قلعتها على وشك أن تسقط فى يده لولا أن أنجدها جيش الفرنج ، وقد أعجب ملك الإنجليز بالسرعة التى استولى بها صلاح الدين على يافا ، وقال : ما ظننت أنه يأخذ يافا فى شهرين ، فكيف أخذها فى يومين . وأرسل رسولا إلى السلطان يقول له : « بالله عليك أجب سؤالى فى الصلح ، فهذا الأمر لابد له من آخر ، وقد هلكت بلادى وراء البحر ، وما فى دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم » فأجابه السلطان : « إنك كنت طلبت الصلح أولا على قاعدة ، وكان الحديث فى يافا وعسقلان ، والآن قد خرجت يافا ، فيكون لك من صور إلى قيسارية » ؛ فجاء رسول الملك يقول : « إن قاعدة الإفرنج أنه إذا أعطى واحد لواحد بلدا صار تبعه وغلامه ، وأنا أطلب منك هذين البلدين : يافا وعسقلان ، وتكون عساكرهما فى خدمتك دائما ، وإذا احتجت إلى ، وصلت إليك فى أسرع وقت ، وخدمتك كما تعلم خدمتى » ، فأجابه صلاح الدين : « حيث

دخلت هذا المدخل ، فأنا أجيبك بأن نجعل هذين البلدين قسمين : أحدهما لك ، وهو يافا وما وراءها ، والثانى لى ، وهو عسقلان وما وراءها » ؛ فأرسل إليه الملك يشكره على إعطائه يافا ، ويجدد السؤال فى عسقلان ، ويقول : « إنه إن وقع الصلح فى هذه الأيام سار إلى بلاده ، ولا يحتاج أن يشتى هاهنا » ، فأجابه السلطان فى الحال إجابة المؤمن الواثق بقوله : « أما النزول عن عسقلان فلا سبيل إليه وأما تشتيه هاهنا ، فلابد منها ، لأنه قد استولى على هذه البلاد ، ويعلم أنه متى غاب عنها أخذت بالضرورة ، كما تؤخذ أيضا إذا أقام ، إن شاء الله تعالى . وإذا سهل عليه أن يشتى ها هنا ، ويبعد عن أهله ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب فى عنفوان شبابه ، ووقت اقتناص لذاته ، أفلا يسهل على أن أشتى وأصيف ، وأنا فى وسط بلادى ، وعندى أولادى وأهلى ، ويأتى إلى ما أريد ، وأنا رجل شيخ ، قد كرهت لذات الدنيا ، وشبعت منها ، ورفضتها عنى ، والعسكر الذى يكون عندى فى الشتاء غير العسكر الذى يكون عندى فى الصيف ، وأنا أعتقد أنى فى أعظم العبادات ، ولا أزال كذلك حتى يعطى الله النصر لمن يشاء » . .

ومضى السلطان يطلب فرصة يحارب فيها العدو ، ولكن الملل كان قد دب إلى عسكر الفريقين ، وكانت قد جدت أمور تستدعى عودة ملك الإنجليز إلى بلاده ، فأرسل رسولا إلى الملك العادل ، وقال له : قل لأخى الملك العادل يبصر كيف يتوصل إلى السلطان فى معنى الصلح ، ويستوهب لى منه عسقلان ، وأمضى أنا ، ويبقى هو فى هذه الشرذمة اليسيرة يأخذ البلاد منهم ، فليس لى غرض إلا إقامة جاهى بين الإفرنج ، وإن لم ينزل السلطان عن عسقلان ، فيأخذ لى منه عوضا عن خسارتى على عمارة سورها –

فلما سمع السلطان ذلك سيرهم إلى الملك العادل ، وأسر إلى ثقة عنده أن يمضى إلى الملك العادل ، ويقول له : إن نزلوا عن عسقلان فصالحهم ، فإن العسكر قد ضجروا من ملازمة القتال ، والنفقات قد قلت

وانتهت المفاوضات بين العادل والملك بالنزول عن عسقلان ومن طلب العوض عنها ، وتم توقيع المعاهدة على أن يسود السلام ثلاث سنين من تاريخها وهو الأربعاء الثانى والعشرون من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادى فى الأسواق : ألا إن الصلح قد انتظم فى سائر بلادهم ، فمن شاء من بلادهم أن يدخل إلى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل إلى بلادهم فليفعل . قال ابن شداد وكان حاضرا ذلك اليوم : « وكان يوما مشهودا ، غشى الناس من الطائفتين فيه من الفرح والسرور مالا يعلمه إلا الله تعالى »

أما موقف صلاح الدين من الصلح فقد أوضحه ابن شداد بقوله : « إن الصلح لم يكن من إيثاره ، فإنه قال لى فى بعض محاوراته فى الصلح : أخاف أن أصالح ، وما أدرى أى شىء يكون منى ، فيقوى هذا العدو ، وقد بقيت لهم هذه البلاد ، فيخرجوا لاسترداد بقية بلادهم ، وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد فى رأس تلعته، يعنى حصنه، وقال : لا أنزل ، فيهلك المسلمون . هذا كلامه ، وكان كما قال . لكنه رأى المصلحة فى الصلح ، لسآمة العسكر ، وتظاهرهم بالمخالفة ، وكانت مصلحته فى علم الله تعالى ، فإنه اتفقت وفاته بعيد الصلح ، ولو كان اتفق ذلك فى أثناء الوقعات لكان الإسلام على خطر ، فما كان الصلح إلا توفيقا وسعادة له »

أمضى صلاح الدين معاهدة الصلح مرغما ، لما شاهده فى الجند من ملل ، دل عليه إحجامهم عن منازلة العدو فى مواقف عدة ، وكان يأمل أن يجدد قواه فى هذه المدة من السلم ليستخلص ما بقى فى يد الفرنج ، وبرغم طول الجهاد ومشقات القتال هذه المدة الطويلة فى حرب الفرنج ، وقف

ذكرى الدكتور مشرفة

أول عميد مصري لكلية علوم فؤاد

للدكتور عطية مصطفى مشرفة

دار الفلك دورته وتعاقبت الأيام والليالي فنسج منها الزمن سنة أخرى؛ ففي مثل هذا اليوم (١٦ / ١) منذ ثلاث سنوات استرد الله وديعته الغالية عندما اقتحم الموت باب عالم مصر الفذ وهو يرتشف قدحاً من الشاي ويستعد لمواصلة أبحاثه التي لم تحتجب نورها إلا بموته

لم يتعب الموت في أن يفك عن روحه قيد الجسد لأن الجسد كان ممزقاً من طول ما أنهكه صاحبه من نضال مر سببه ضمير حي ونشاط جم وذهن موهوب فصعدت روحه إلى ربها في سلام يشبه وميض البرق

وعند هـذا الباب الذي دخله الموت وخرج في ثوان معدودات يقف التاريخ طويلا ليسجل آثاره ومناقبه ومكانته العلمية المرموقة

كان الفقيد الكريم أول رئيس لاتحاد الجامعة فبث في برلمانه الصغير المثل العليا فتخرج فيه أعضاء عديدون كان منهم الوزراء الصالحون وأعضاء البرلمان المتحون في برلمان الأمة

وقد لمست جهده في أولئك الرجال الذين كونهم ووجهم وبث فيهم من روحه

وكان رحمه الله يرى أن الدراسة الجامعية يجب أن تعتمد على مجهود الطالب في البحث والكلام. وما الأستاذ إلا مرشد وموجه وموضح، لذلك كان الاطلاع هو الطريق الصحيح لميادين العلوم وآفاق البحث والكشف في رأيه؛ فربى في طلبته ملكات حب العلم والتعمق فيه وحب البحث العلمي، وبذلك أخرج للبلاد فيلقا من العلماء الباحثين الذين يطلبون الحقائق العلمية لذاتها. وكثيرا ما سمعته يقول «خير للكلية أن تخرج عالما كاملا من أن تخرج كثيرين أنصاف العلماء» وكانت خسارته على البلاد في تلك النهضة العلمية التي غرس شجرتها في كلية العلوم فتغلغلت جذورها وامتدت أعوادها وانتشرت ظلالها فنهضت حتى وصلت إلى مكانها المرموق في الأوساط العلمية بما أفاض عليها من عبقريته وسعة إطلاعه وخصب ثقافته والتي لم يرض — طيب الله ثراه — أن يكون لأحد عليها من سلطان سوى التقاليد الجامعية الحرة مما زاد فيها مشعل العلم تألقاً وتوهجاً وجعل هـذه التقاليد النبراس المضيء والشعلة الوهاجة؛ وبذلك أنشأ جيلا من غرس يديه لا يمكن أن يثبط أحد من همته وعزيمته أو يثنيه عن حماسته وبنيته لأنه قد اتخذه قدوة له

واستطعت أن أرى مجهوده في الحركة العلمية التي بناها على أكتافه وتمهد مراحل تطورها مرحلة بعد مرحلة ورفع اسمها فيما وراء البحار بما بث فيها من روح البحث الصحيح وبذلك أنشأ مدرسة في البحث العلمي العميق يرجع إليها الفضل في شق الطريق لايجاد طبقة فريدة من العلماء ورجال الفكر المتازين لأنه بناها على أساس من الدأب والجد والاستقامة وشيدها بوسائله المنتجة المثمرة فسارت على السنن القويمة ونهجت النهج الكريم فوسائلها

صلاح الدين للفرنج وقفات عنيفة حطمت آمالهم، فلم يظفروا بغير امتلاك عكا، واضطروا إلى النزول على ما شرطه السلطان، وفي ذلك يقول ابن الساعاتي يمدح صلاح الدين:

سل عنه قلب الأنكتير، فإن في ... خفقانه ما شئت من أنبائه
لولاك أم البيت غير مدافع ... وأسال سيل نداه في بطحائه
وبكت جفون القدس ثانية دما ... لترنم الناقوس في أفنائه

وكان إعجاب مؤرخي المسلمين عظيما بصبر الإنجليز، وسياستهم في اللين حينا والشدة حينا آخر، ولكن غلب سياستهم إيمان صلاح الدين وقوة ثباته ورباطة جنانه.

أحمد أحمد بدوي

مقصورة على صحة الحجة وسلامة البرهان ووضوح الدليل وبذلك أحدثت هزات عنيفة فى المجتمع العلمى من الحيوية والنشاط وأصبحت كالنور الذى يشق حجب الظلمات

ومن كلماته المأثورة التى تعتبر دستوراً للتقاليد الجامعية قوله — رحمه الله — « إنى لا أطلب من القادة والحكام فى مصر سوى ترك الجامعة تؤدى رسالتها السامية بعيدة عن الميول السياسية وترك الطلبة لإتمام دراستهم فى هدوء واستقرار »

وقوله « إن أفضل الزعماء والكبراء عندى هو من يؤدى للجامعة مساعدة ويشد أزر العلم ويعاون العلماء على أداء رسالاتهم فى هدوء ويحفظ لهم كرامتهم واستقلالهم » وتلك مبادئ سامية سطع نورها فى عهدنا الجديد

وترن الآن فى أذنى بعض ما أورده بعض أعلام الفكر والرأى فى جنبات قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة فى حفلة تأبينه فأستميد منها قول أستاذى الجليل الدكتور طه حسين أطال الله بقاءه « فارقنا مشرفة فلم نمتحن فيما كان قلوبنا تضمر من ود وحب ، ولم نمتحن فيما كنا نستمتع به من زمالة وإخاء فحسب ، ولكن مصر كلها امتحنت فى علم من أعلامها ومن أعظم أعلامها ارتفاعاً وبعد ذكر فى الآفاق ، وشر المحن هو هذه المحن التى لا سبيل إلى تعويضها ولا إلى العزاء عنها ، فأمثال مشرفة من النابغين النابهين الذين يرفعون ذكر أوطانهم والذين يضيفون إلى الكنوز الإنسانية فى العلم والمعرفة ، أمثاله قليلون إذا خسرهم الوطن فلا بد من صبر وانتظار متصل قبل أن نظفر عن بخلفهم ، وإذا فقدهم العلم فلا بد له كذلك من انتظار حتى يجد ما سيتم ما بدأه »

ولا تزال كلمة أعضاء مجلس كليته ترن فى أذنى عن الفقيد العظيم اعترافاً بجميله على كلية العلوم حيث يقولون « وكلية العلوم التى بذل الفقيد من أجلها الكثير لإعلاء شأنها وتدعيم أركانها لن تنسى فضله عليها ، وستبقى مبادئه وتعاليمه التى رسمها لها نبراساً تهتدى به ، وسيظل اسمه خالداً رمزاً على النبوغ والتضحية ، ومثلا رفيعاً للقيام بالواجب وتحمل المسئولية والتفانى فى خدمة العلم والعلماء »

ويكفى للدلالة على مكانة الفقيد الرفيعة بين مصاف العلماء فى الدنيا أنه كان أحد الباحثين القلائل فى الذرة ، ومن العلماء القلائل الذين يفهمون النظرية النسبية حتى أن السير أوين رتشاردسون البحاثة الكبير فى العلوم الرياضية قال عقب موت الفقيد « إنه كان من أعظم علماء الطبيعة الرياضيين البارزين فى العالم وإن وفاته فى هذه السن المبكرة جاءت خسارة لا تقدر للعلم لا فى مصر وحدها بل فى جميع أنحاء العالم أيضا »

فإن غاب نجمه عن الناظرين فهو لا يزال من وراء الأفق سيبث أشعته فى قلوب من آمنوا برسالته ، وهو وإن همد قلبه فإن ذكراه العاطرة لا تزال تملأ الوجود

فلتذهب سيرته العاطرة فى التاريخ قدوة مثلى يفخر بها المصريون جيلا بعد جيل لأن اسمه سوف يبقى خالداً ما بقى فى مصر جيل يؤمن بالبحث العلمى وفائدته

وفى ذمة الله هذا الطراز النادر الكريم من الرجولة والوفاء والعلم

دكتور عطية مصطفى مشرفة

الرسالة وإصلاح الأزهر

للأستاذ محمد رجب البيومي

كتبت بالعدد الممتاز الماضي كلمة موجزة عن أثر الرسالة — مدى سنواتها العشرين — في العالم العربي أدبيا واجتماعيا ودينيا ، وكان من الحتم الأكيد حينذاك أن أوضح ما قامت به من جهود في إصلاح الأزهر ، فهو معقل الإسلام ، ومنارة الأدب ، وموئل العروبة ، غير أني أردت أن أفرد لذلك مقالا خاصا ، إذ أن الحديث عن هذا الموضوع المتشعب يحتاج إلى بعض التفصيل

والحق أن الرسالة وقد أنشأها صاحبها لإيقاظ الوعي الأدبي ، وبعث الروح الإسلامي ، وإحياء المجد العربي ، كانت ترى الأزهر حقلا خصيبا لتنمية ما ترمى إليه من غايات ، فهو أفسح ميدان لتربية الشباب المسلم ، المعتز بأرومته العريقة ، وتقاليده الكريمة ، ودينه الأصيل ، وهو عدو الاحتلال الجاثم على ربوع الشرق الإسلامي ، يناوئه بسلاح الدين ، ويهدمه بمعاول الأدب ، ويغزوه بمنطق الثقافة ، ويزعجه بإذكاء الحمية والغيرة والإباء في النفوس ، فلابد لمصلحين أن يساهموا في بنائه الراسخ ، ليستكمل أداة التعليم ، ويساير حاجة العصر ، وإذ ذاك ينهض بالشرق — كما يقول الاستاذ الزيات — نهضة أصيلة حرة تنشأ من قواه ، وتقوم على مراياه ، وتتغلغل في أصوله !

وهناك صلة قوية ثابتة بين الرسالة والأزهر ، فالرسالة وهي في جوهرها صحيفة الأدب العربي الأصيل ، ترى « أن الدين الإسلامي ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب ، وقيام معجزته على البلاغة ، والدين الإسلامي والأدب العربي متلازمان تلازم المعنى واللفظ والفكر والأداء ، ولا يتسنى لرجل الهداية والإصلاح أن يبلغ دعوة محمد ، إلا إذا تمكن منهما تمكن الجاحظ ومحمد عبده وغيرهما من أئمة الأدب والدين [1] » وإذا كان الأزهر قائد الدعوة إلى الإسلام فهو يلتقي بالرسالة في حلقة البأس وميدان الجهاد

وأنت تتصفح أعداد الرسالة في سنواتها العشرين فلا تكاد تجد سنة تمر دون أن تثار على صفحاتها معركة الأزهر والإصلاح . ولو أن باحثا عكف على دراسة هذه البحوث الخاصة بالأزهر ، لأمكنه أن يقدم — على ضوئها البصير — لولاة الأمر في مصر ، دستورا دقيقا للاصلاح الأزهري المأمول ، قد اشتركت في تقنينه عقول ممتازة ، وأقلام حرة جريئة . والرسالة بعد أحفل الصحف الأدبية في الشرق آثار أدباء الأزهر وشعرائه ، ولا يخلو عدد من أعدادها التي تربو على الألف رغم تنوع مشاربها ، واختلاف مناحيها ، من أقلام أزهرية تعالج شؤون الأدب والدين والتاريخ ، مما يشهد بأثرها الواضح في تنشيط العقل الأزهري وتوجيهه

وإذا كانت آراء الكتاب قد اختلفت قربا وبعدا في توجيه الإصلاح الأزهري على صفحات الرسالة ، فإن صاحبها الكبير قد وضع للمشكلة الأزهرية حلولا مختلفة ، أخذت تتبلور وتتضح ، حتى اجتمعت أخيرا في حل حاسم جهر به ودعا إليه ، وكان لحلوله المختلفة — في سنواتها المتفرقة — صداها القوى المجلجل ، فقد تناولها الكتاب بالنقد والتعليق ، ودفعت كثيرا من الأقلام إلى المعارضة والتأييد ، وسنعرض اليوم موجزا دقيقا لهذه الحلول ، ليلم بها القارئ في أضيق نطاق ، وله أن يرجع إلى أعداد الرسالة السابقة إن أراد الإسهاب والتفصيل

لقد بدأ الأستاذ الزيات يجدد رسالة الأزهر ، ووجهها إلى ثلاثة مناح [2]

---

(١) الرسالة ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٠ للأستاذ الزيات

(٢) الرسالة ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩

(١) تنقية الإسلام من العقائد الواغلة ، والمذاهب الباطلة ، والعادات الدخيلة ، وسبيل ذلك ما يأتى :

(ا) تفسير القرآن على هدى الرواية الصحيحة ، وفى ضوء العلم الصحيح، تفسيرا يجمع ماصح من أقوال السلف وماصلح من أقوال الخلف

(ب) تأليف كتاب يجمع ما لاريب فيه من أحاديث الرسول ، ويستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والفلسفة والاجتماع

(ج) تصنيف كتاب شامل للمذاهب الفقهية الصحيحة ، فيوضع متنه مواد كالقانون ، ثم يشرح شرحا يستوعب الأصول والفروع (على أن تكون هذه الكتب الثلاثة مادة الدراسة ، ومصدر الفتوى ، ومرجع القضاء)

(٢) إعداد الوعاظ والدعاة فى الشرق الإسلامى من أهل اللسن والخلق والعلم وسبيل ذلك ما يأتى :

(ا) إمدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية فوق التكوين الأزهرى

(ب) إيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مواطن العروبة ومهبط الوحى

(ج) العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية فى الأزهر ، فأصحابها أقدر على إرشاد قومهم باللغة والقدوة والنفوذ

(٣) جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم فى الأرض لغتان ، لغة لوطنه الأصغر ، ولغة لوطنه الأكبر . وسبيل ذلك :

(ا) أن تحمل مشيخة الأزهر أقطاب الرأى فى البلاد الإسلامية بالمفاوضة والائتمار على أن يجعلوا تعلم اللغة العربية إجباريا فى مراحل التعليم المختلفة (ب) أن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين بالأزهر ليضطلعوا بهذه الرسالة

هذه هى رسالة الأزهر كما حددها الأستاذ الزيات ، وقد كان المظنون أن هذه الجامعة العريقة ستسعى إلى تحقيقها ، لتتم لها الهيمنة الروحية على العالم الإسلامى ، وخاصة أن الأستاذ المراغى كان يتقلد مشيخة الأزهر ، وفى وسعه أن يرتفع به إلى الأوج ، لو خلصت النية ، وصحت العزيمة ، فقد عقد الشباب الأزهرى على جهوده المرتقبة ، آمالا واسعة عريضة ، واندفع الشباب والشيوخ — إلا قليلا — يؤيد حركة البعث فى الصحف والمجلات ، ورأى الأستاذ الزيات أن الفرصة موانية لحركة الإصلاح ففسح لها فى صحيفته مكانا طيبا ، واندفع مرة أخرى يحلل ويعلل ، ويمهد أسباب الوثوب والتقدم والاستقرار ، وقد لخص علاجه فى أمرين اثنين ينهضان بالأزهر الحديث ، وينقذانه مما يتكاءده من التقاليد البالية ، والجمود الميت ، هذان الأمران هما : إعداد العلم وتأليف الكتاب

والعلم كما يقول صاحب الرسالة (٣) لا بد أن يكون متمكنا فى علوم الدين وصاحب ملكة فى الفقه ، وأن يكون متبحرا فى فنون العربية ، وصاحب قريحة فى الأدب ، وأن يأخذ بعد هذا وهذا من ثقافة الغرب بأوفر نصيب . أما الكتاب فلا يتيسر إلا بعد إعداد العلم ، لأنه هو وحده الذى يدرى كيف يؤلفه ويدرسه » ومتى توفر للأزهر العلم والكتاب فى ظل هذه الإدارة البصيرة ، صح لك أن تقول إن مصر ظافرت بجامعتها الصحيحة التى تدخل المدنية العربية فى الإسلام ، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب ، وتصفى الدين من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

ثم مضت الأيام خلف الأيام !! والأزهر على حالته الراهنة لا يأخذ بإصلاح ولا ينهض إلى رسالة . ومن الإنصاف للتاريخ أن نقول إن الأستاذ المراغى قد نحى بالأزهر فى هذه الآونة ناحية عصفت بآماله ، وبددت شمله ، فقد اندفع به التيار الحزبى البغيض لينصر فريقا على فريق ! ولم يلتفت إلى إصلاحه وتوجيهه ، بعد أن عقدت عليه الآمال ، وامتدت إليه الأعناق !! وأصبح الشباب الأزهرى المتوثب إلى الرقى والنهضة حائرا لا يجد من يأخذ بناصره ،

(٣) الرسالة ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٠

ويتولى زمام أمره ، سوى أفراد من رجاله لا يملكون غير الخطب والمقالات ، بل إنه وجد من يفت في عضده ويثبط همتـه ، « من شيوخ غاية أمرهم أن يتزيوا بالورع[٤] ويتقعروا في العلوم ، بتشقيق الجدل ، وتوليد الألفاظ ، وتمديد الفروض » وما زال الفساد السياسي من جهة ، والعصبية المهدية بين الأزهر والجامعة من جهة أخرى ينهشان في في هذا المعهد التليد ، ويفرقان أبناء الثقافة الواحدة شيعا وأحزابا ، حتى تأكد المفكرون أن الأزهر لا يستطيع أن يصلح نفسه بنفسه ، وأنه محتاج إلى خلق جديد ، وسيطرة خارجية ، ترفعه عن النزوات الشخصية ، والإسفاف الحزبي ، وتعود به إلى حظيرة الدرس والفضيلة والتثقيف ، لذلك قام الأستاذ الزيات بدعوة جريئة إلى إصلاح الأزهر ، فتقدم على صفحات الرسالة [٥] باقتراح حاسم يتضمن ما يلي :

١ — أن يلغى التعليم الابتدائي من جميع المعاهد الدينية ، ليلقى بعناليده إلى وزارة المعارف فتقسمه على الوجه الذي تراه ، وذلك بدء الوحدة الثقافية

٢ — أن تتحول المعاهد الثانوية الدينية إلى مدارس ثانوية لحاملي الشهادات الابتدائية العامة ، وتعلم فيها الرياضيات والعلوم وفق منهج الوزارة ، وفي أول السنة الثالثة يتجه طلابها اتجاهين مختلفين : إما إلى الدين وعلومه ، أو إلى اللغة وفنونها ، فإذا انقضت السنوات الخمس تقدم طلاب الشعبتين إلى امتحان الشهادة الثانوية مع سائر إخوانهم في جميع المدارس ، يمتحنون معهم فيما يتفقون فيه ، وينفردون انفراد شعب التوجيهية فيما اختصوا به

٣ — أن يقتصر في التعليم الجامعي بالأزهر على كليتين اثنتين : كلية الدين وتشتمل كليتي الشريعة والأصول ، وكلية اللغة وتشمل كلية اللغة العربية ودار العلوم

وقد أثار هذا الاقتراح جدلا كبيرا بين الأقلام ما بين مؤيد ومعارض ، وقد هاجمه من كبار رجال الأزهر المغفور له الأستاذ النمراوي بمجلة الرسالة[٦] مهاجمة خطابية عاطفية ، كما عارضه الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر الآن بمجلة رسالة الإسلام [٧] معارضة تقوم على الرفض والإنكار ، دون أن تحلل البواعث الشافية ، والأسباب المقنعة . وأدلى غيرهما كالأستاذ العقاد [٨] والشيخ المدني [٩] بآراء تتفق وتختلف ، وتلين وتشتد . وتتلخص اعتراضات المعارضين في شبه يسيرة أوجد لها الأستاذ الزيات ما يلزم من الحلول والتفنيد

فهناك من يقول إن المواد المدنية على نهجها المعروف بمدارس الوزارة ستطغى على المواد الدينية . وهناك ثان يقول إن تحفيظ القرآن الكريم لا يمكن أن يتم على وجهه الأكمل ، إذا كان القسم الابتدائي عاما للجميع . وهناك ثالث يقول إن هذا الاقتراح سيحرم الطالب ست سنوات كان يقضيها في دراسة اللغة والدين . ورابع يرى أن الاعتماد على الشهادة الابتدائية العامة ، في تغذية الأقسام الثانوية الأزهرية ، يعرضها للهزال والجدب ، لانصراف التلاميذ عنها إلى المدارس الأخرى !!

هذه هي الاعتراضات الموجهة إلى الاقتراح . وقد أجاب عنها الأستاذ الزيات إجابة شافية بالرسالة [١٠] ، فبين أولا أنه لا خوف من طغيان المواد المدنية على غيرها ما دام الوقت متسعا ، والأستاذ كفؤا ، والكتاب مهذبا . وبين ثانيا أن القرآن الكريم يمكن أن يحفظ بسهولة إذا فرضتـه إدارة الأزهر على كل طالب في كل سنة من سني الدراسة في المدارس الأزهرية الثانوية . وأوضح ثالثا أن المعاهد الدينية التي ستصير مدارس ثانوية ستظل

(٤) الرسالة أول إبريل سنة ١٩٤٠

(٥) الرسالة ٨ إبريل سنة ١٩٤٦

(٦) الرسالة ٦ مايو سنة ١٩٤٦ وما بعدها

(٧) رسالة الإسلام السنة الثانية العدد الرابع أكتوبر سنة ١٩٥٠

(٨) الرسالة ١٥ إبريل سنة ١٩٤٦

(٩) الرسالة ٢٩ إبريل سنة ١٩٤٦ وما بعدها

(١٠) الرسالة ٦ مايو سنة ١٩٤٦ م

تابعة للأزهر ، خاضعة لإدارته ، فله أن يفرض عليها ماشاء من الدراسـات الدينيـة . كما بين أخيرا أن الاقتراح يقصر وظائف تدريس اللغـة العربيـة والدين والأدب فى جميع مدارس الأمة على الأزهر ، فكل من يرغب فى ممارسة أمر من هـذه الأمور يجب أن يدخل الأقسـام الثانوية الأزهرية ، ليحقق رغبته ؛ ولئن يتعرض بعد ذلك للهزال والجدب .

وإذا كان صاحب الرسالة قد تقدم باقتراحه منذ سبع سنوات قبل أن تتم المجانية التعليم الثانوى بالمدارس ، فإننا نرى أن الواقع الملموس بعد تعميم المجانية يدعو معارضى الاقتراح إلى النظر فيه من جديد نظرة عملية ، إذ أن الأزهر بمجانية التعليم قد تعرض إلى زلزلة عنيفة صرفت عنه كثيرا من الطلاب ، وأصبح يتسامح فى شروط الانتساب تسامحا جعله لا يدقق فى حفظ القرآن جميعه ، بله السن والقواعد الأولية للمعلومات . ولئن وجد فى العامين الماضيين من توجه إليه ممن استعدوا لدخوله منذ طفولتهم الباكرة ، فإنه لن يجد بعد ذلك من يسارع إليه ، إلا إذا منح ميزات كثيرة تبرر تفضيله على المدارس فى نظر أولياء الأمور ، وهيهات أن يكون ذاك ، وهو بوضعه الراهن بعيد كل البعد عن الثقافة الحديثة ، واللغات الحيـة ، التى تفتح أبواب المستقبل ، نوافذ الأمل للشباب

على أن كثيرا من أساتذة الأزهر ورجاله يشاركون الزيات رأيه بكل قوة وتعضيد . وأذكر أن الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى قد كتب مقالا حارا بالأهرام (صيف سنة ١٩٥٠) يقترح فيه ما سبـق أن اقترحته الرسالة بشأن الأزهر ، ففتح مجالا كبيرا للمناقشة وتلقت جريدة الأهرام سيلا من التأييد والمعارضة يوحى بالاهتمام والتقدير ، بل إن الدكتور محمـد يوسف موسى قد أعلن رأيه هذا فى مجلة الأزهر [١١] ، وهى الصحيفة الرسميـة للأزهريين ، فلم يثر اعتراض الشيوخ آنذاك ، أما خارج الأزهر فأكثر رجال التربية والتعليم يضجون من الثنائية الحمقاء ، التى تبدد وحدة الثقافة بين أبناء الأمة الواحدة .

وقد دعا وزير المعارف الأستاذ إسماعيل محمود القبانى فى كتابه الذى أصدره أخيرا عن سياسة التعليم إلى توحيد الثقافة ، وتحويل المعاهد الأزهرية إلى مدارس ابتدائيـة وثانوية ، لتتم الوحدة الثقافية فى وادى النيل ، وأنا أرى أن السبيل ميسر إلى ذلك كل التيسير ، إذ أن مدرسى اللغة العربية والدين — وهم أكثرية — فى مدارس الوزارة من الأزهريين ، كما أن مدرسى المواد المدنية فى المعاهد الدينية من رجال التعليم بالوزارة ، فلم يبق إلا أن تتحـد البرامج وتتفق المناهج . وإذا كانت عناية المدارس الآن باللغة العربية والدين الإسلامى واهنة ضعيفة ، فلنشد أزرها شدا قويا متواصلا ، ليكون جميع التلاميذ مثقفين فى دينهم ولغتهم دون تمييز بين فريق وفريق

وأخيرا .. هل من سميع ؟!

محمد رجب البيومى

(١١) مجلة الأزهر : المحرم سنة ١٣٧٠ هـ

شعر مختار

الإبريق

ألا أيها الإبريق مالك والصلف ... فلا أنت بلور ولا أنت من صدف
وما أنت إلا كالأباريق كلها ... تراب مهين قد ترقى إلى خزف
أرى لك أنفاً شامخاً غير أنه ... تلفع أثواب الغبار وما أنف
ومسته أيدى الأدنياء فما شكا ... ومصته أفواه الطغام فما وجف
وفيك اعتزاز ليس للديك مثله
ولست بذى ريش تضاعف كالزغف
ولا لك صوت مثله يصدع الدجى ... وتهتف فيه الذكريات إذا هتف
وأنصت استوحيه شيئاً يقوله
كما يسكت الزوار فى معرض التحف
وبعد ثوان خلت أنى سمعته ... يثرثر مثل الشيخ أدركه الخرف
فقال «سقيت الناس» قلت له: أجل
سقيتهم ماء السحاب الذى وكف
ودمع السواقى والعيون الذى جرى
وماء الينابيع الذى قد صفا وشف
فقال: ليذكر فضلى الماء وليشد
بمدحى، ألم أحمله؟ قلت: لك الشرف
فقال: ألم أحفظه؟ قلت — ظلمته
فلولاه لم تنقل ولولاك ما وقف!

إيليا أبو ماضى

غزل!

دنوت فقلنا رؤى الحالمين ... فلما بعدت اتهمنا النظر
وحامت عليك بأضوائها ... مصابيح مثل عيون الزهر
تيمن خطوك عبر الطريق ... كما يتحرى الدليل الأثر
مشى الحسن حولك فى موكب ... يرف عليه لواء الظفر
تمثل صدرك سلطانه ... كجبار واد تحدى الخطر
بنهدين يستقبلان السماء ... كأنهما برضمان القمر
تساميت عن لغة الكاتبين ... وروعة كل قصيد خطر
وجئنا إليك علاك الهوى ... وعرش القلوب وحكم القدر
بأنشدة، مثلما عربدت ... يد الريح فى ورقات الشجر
وأنت بأفقك ساجى اللحاظ ... تطل على سبحات الفكر

علي محمود طه

هى .. والفراشة

حطت على غصن الشجيرة حين حطت من عل
ورقبتها .. فوجدت مشبهة لمن لم تقبل ..
شقراء .. قبلها الصباح على جناح مرسل
مشغولة بكيانها .. عن عاشق متطفل
مزهوة .. فى ثوبها الفل التقى .. بقرنفل
ورشيقة .. إن تستقر هنا .. وإن تتنقل
لهفى عليها وهى نافرة .. ولم تتمهل
لهفى عليها .. بل عليك تلهفى .. ولتسألى ..
ولتسألى عينى التى عن «ساعتى» لم تغفل
علقت بعقربها .. تضيق بسيره المتمهل
ترنو .. وترنو .. ثم تكشف أنه لم ينقل!
ولتسألى الترب الذى أبليته بتنقلى ..
ولتسألى نظراتهم .. لما وقفت بمعزل
يلقونها فى حدة .. وكأنهم من عذلى!

* * *

أ «فراشتى» .. عودى إلى .. فوقفتى لم تكمل
عندى رحيق البرعم الحانى .. وهمس السنبل
عندى رفيف النسمة النشوى .. وشدو الجدول
عندى من الفجر الندى مشاعر .. لم تجهل!
عندى الربيع .. وما الربيع سوى صباى .. فأقبلى ..

محمد محمود عماد

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

بودلير فى رأى سارتر

فى العدد الأسبق من الرسالة فى باب « من هنا ومن هناك » كلمة عن « تجديد التراث الأوربى فى دراسة أعلامه » للكاتب الأمريكى وليام باريت .. قال الكاتب الأمريكى فى سياق هذه الكلمة وهو يشير إلى الشاعر الفرنسى شارل بودلير : « أما بودلير فالرأى بين النقاد المكونين وفى طليعتهم الشاعر العليم ت . س إليوت أن بودلير فى قرارته شاعر مسيحى برغم ما يشتم فى كتاباته من إلحاد . وجدير بالذكر أن جان بول سارتر الفرنسى يخالف النقاد المكونين فى « مسيحية » بودلير ، ويؤكد ذلك فى دراسة نشرها مؤخرا عن مواطنه بودلير . وسارتر فى دراسته الأخيرة يجرد بودلير من معظم المزايا الأدبية والروحية التى وفرت له مكانته المرموقة فى الأدب الغربى الحديث ! »

هذه الفقرة التى نقلتها الرسالة عن الكاتب الأمريكى وهو فى معرض الحديث عن رأى سارتر فى بودلير ، كانت مسرفة فى الإيجاز بحيث لا يخرج منها القارئ بتلك المقدمات التى بنى عليها الكاتب الفرنسى رأيه فى مواطنه الشاعر .. لماذا خالف سارتر النقاد فى « مسيحية » بودلير ولماذا جرده من معظم المزايا الأدبية والروحية ؟ هذا هو السؤال الذى يحتاج الجواب عنه إلى شئ من الإفاضة أو شئ من الإسهاب ! أما نحن فقد تناولنا هذا الموضوع يوما بالتحليل والعرض وكان ذلك منذ سنوات ثلاث ، حيث قدمنا إلى القراء تلخيصا أمينا لتلك الدراسة النفسية المحلقة التى تضمنها كتاب سارتر عن بودلير .. ولا مناص من أن نعود اليوم إلى بعض ما نقلناه بالأمس ، لأن هناك فريقا من القراء لم يطلع على هذا الكتاب أو هذه الدراسة ، ولأن هناك فريقا آخر قد فاته أن ينظر فيما قدمناه من عرض لها وتحليل .. وكلا الفريقين يستطيع فى ضوء هذه العودة التى تطوى بها الأعوام أن يفتح باب المعرفة من جديد ؛ معرفة رأى الكاتب الفرنسى فى مواطنه الشاعر وهو الرأى الذى يخالف به كل ما ذهب إليه النقاد !

من هو بودلير فى رأى سارتر ؟ إنه الرجل الذى كان يفتش عن الآلام فى كل مكان ، ويسعى إليها سعيا متواصلا يثور عليها آخر الأمر تلك الثورة السلبية العاجزة التى لا تدفع شرا ولا تدرأ خطيئة .. كان مثاليا بينه وبين نفسه ، ولكنها المثالية القاصرة على عالم الذهن وحده لا تكاد تتعداه . وهو فى « وجوده الذهنى » إنسان مترفع عن كل ما يخدش الكرامة ويشين الخلق ويهبط بالسمعة إلى حمأة الموبقات ، وهو فى « وجوده الواقعى » إنسان غارق فى لجج الإثم ضال فى متاهات الغى متخبط فى ظلام الوزر والمعصية ! يدعو إلى الشئ ولا ينفذه ، ويرسم الطريق ولا يسير فيه ، ويضع لحياته خط سير هو أول المنحرفين عنه والخارجين عليه .. يحب الوحدة ويتوهم أن فى ظلالها راحة نفسه ونعيم دنياه ، ولكى يظفر بها فلا بأس من أن ينفر منه الناس وأن ينفضوا من حوله ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يرمى شخصه بأقبح التهم ويمت خلقه بأشنع النعوت ، ولا ضير من أن يشيع عن نفسه أنه قتل أباه وانحدر من الشذوذ الجنسى إلى أدنأ بؤره وأحط مهاويه .. كل هذا ليحقق لنفسه تلك الوحدة المنشودة التى يخلو فيها إلى هواجسه بعيدا عن الناس !

ومع ذلك فما أكثر ما يضيق بهذه الوحدة ويفزع من أشباحها الرهيبة ويفر من ظلالها الخانقة ! وهو ، ذلك المخلوق الذى يسمو « بأفكاره » إلى مدارج العلاقة الجنسية النظيفة ، تراه يهبط « بأعماله » إلى أقذر ما يمكن أن تلحقه تلك العلاقة بإنسان .. تراه يتصل بإحدى العاهرات ذلك

الانحلال الشائن الذى يخرج منه بأخبث الأمراض وأفدح العلل ثم لا يحـاول أن يقصد إلى طبيب ليلتمس لجسمه المنهك ، أى وسيلة من وسائل البرء والشفاء ! وهو، ذلك الرجل العاجز عن تصريف أموره ، المشـلول الإرادة فى معركة الحياة ، يسعى عن طيب خاطر إلى من يشرف عليه ويرعاه ؛ حتى إذا وجد « مجلس العائلة » أو مجلس الوصاية ليشرف على هذا الرجل الذى يفر من المسئوليات الضخام وغير الضخام ، تراه يثور على هؤلاء « الجلادين » الذين يذيقونه الذل ويسومونه سوء العذاب ! هو ، ذلك الفنان الذى كان يتطلع إلى أن يظفر بمكانه بين الأعلام من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، تراه يعبر كل درب يمكن أن يباعد بينه وبين المكان المرموق . و أعجب العجب أنه كان ينشد من كل قلبه مثل هذا الإخفاق ! وهو ، ذلك الشاعر الذى يخرج للنـاس يوما ديوانا من الشعر يطلق عليه « أزهار الشر » ليقف بسببه فى ساحة القضاء . ترى أ كان يهدف من وراء هذا الشعر إلى مؤازرة الذين ينادون بمذهب « الفن للفن » أم كان يهـدف إلى شئ آخر تتردد أصداؤه بين جنبيه وترسب فى قرار سحيق ؟ أغلب الظن أنه كان يحب أن يكون منبوذا من الناس تلاحقه اللعنة فى كل عمل من أعماله الأدبية والإنسانية .. وإلا لما تعمد أن يطالع الناس بهذا الشعر الذى عرضه للادانة من جانب القضاء الفرنسى ؛ وهى إدانة مادية ومعنوية !

هو إذن فى رأى سارتر رجل عاجز مضيع يحرك يديه فى شتى الاتجاهات ليثير من حوله الزوابع والأعاصير ، حتى إذا هبت عليه من ناحية وعصفت بكيانه وزلزلت وجوده، وقف حيالها مكتوف اليدين .. رجل عاش ولكن لم يستطع أن يفسر لنا تلك الحياة التى عاشها ولا أن يكيف لنا هذا الوجود الذى خلق فيه ! رجل كون مزاجه بنفسه واختار مصيره برضاه ، ثم خانته القدرة على أن يخرج من أخطائه وآثامه بمذهب يحدد ذاتيته فى زحمة الوجود أو يبرر مكانه فى غمار الحياة ! هذه الشخصية العجيبة الغريبة المتقلبة تحتـاج إلى مفتاح يعالج أبوابها المغلقة على فنون من الطلاسم والأسرار . وليس هناك من كاتب غير سارتر يقدم إلينا هذا المفتاح .

بودلير الذى كان يفتش عن الآلام كان يريد أن يتعذب والدليل على ذلك يمكن أن يستخلص من أخباره وآثاره ؛ أخباره الخاصة وآثاره الفنية ، ولا عجب فى ذلك من رجل كان يقول عن نفسه ويردد ما يقـول : « أنا الجرح وأنا السكين » ! .. كان يسعى إلى صهر روحه فى بوتقة الألم والعذاب ، وكان يحلو له أن يتأوه كلما أحس فى نفسه حاجة إلى الثورة . كان يبغى أن « يضطهد » نفسه ليكون اضطهاده لنفسه عقابا لها ؛ عقابا على عجزه وضياعه وما اقترف فى حقها من أخطاء وآثام ! أ كان ذلك من جانبه لونا من العقاب الذاتى الناتج عن تغلغل النزعة الدينية المسيحية بين جوانحه كما ذهب إلى ذلك معظم النقاد ؟ إن سارتر ينبذ هذا التفسير المتهافت الذى لا يستطيع أن يقف على قدميه ؛ لأن هناك أدباء أشربت نفوسهم تلك النزعة الدينية منذ المولد وخلال النشأة والتربية ثم ساروا ردحا من الزمن فى نفس الطريق الشاذ الذى سار فيه ، ومع ذلك فما أبعد الشقة بينهم وبين بودلير فى لقاء الحياة بمثل ما لقيها به من عقبات للنفس واضطهاد للذات !

إن المشكلة إذن ليست مشكلة تلك النزعة الدينية من قريب ولا بعيد ، ولـكنها المشكلة التى تتمثل بمركب النقص ومركب التعويض .. رجل كان يشعر فى أعماقه أنه لا وجود له أو أن وجوده كان أشبه بالعدم ؛ ومن هنا راح يلتمس شتى السبل ليقنع نفسه أو ليخدعها بأنه موجود . وهذه الخطوط المتنافرة التى كانت تحدد اتجاهات مصيره فى الحياة تعود آخر الأمر لتلتقى فى نقطة ارتكاز « وجودية » عمادها الـكبرياء .. كبرياء الذات المهزومة !

ما أشبه جوانب الشخصية البودليرية بعدد من « الغرف النفسية » التى تفتحها كلها بمفتاح واحـد : غرفة للإثم ،

وتسلمك هذه إلى غرفة أخرى للعذاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة ثالثة للعقاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة رابعة للسخط والثورة ، وتسلمك هذه إلى غرفة خامسة للكبرياء .. نعنى أنه رجل يريد أن « يجد » نفسه لأنه تائه مضطرب، وهذا هو الطريق الذى سلكه ليصل إلى ما يريد : بحث عن ألوان الشذوذ حتى اكتظت بها حياته ، وحين تحقق له ما يبتغيه بدأ يتعذب ، ثم طاب له أن يتخذ من هذه المرحلة معبرا إلى العقاب الذاتى الذى يتيح له أن يتبرم ويثور ،وفى هذا تحقيق لكبريائه ، وجوهر تلك الكبرياء الموهومة آهة حانقة على المجتمع ساقطة على الوجود .. لتشعره بينه وبين نفسه بأنه موجود !

هذه هى خلاصة رأى سارتر فى شارل بودلير ؛ خلاصة تلك الدراسة النفسية التى ترفع السجف المدلاة على نوافذ هذه الشخصية المغلقة ، ليندفع الضوء إلى شتى الجوانب والأركان .. وارجع بعد ذلك إلى كلمة الكاتب الأمريكى التى تفوح منها رائحة الاتهام ؛ اتهام سارتر بأنه قد تجنى على مواطنه الشاعر . ارجع إليها لتدرك الفارق البعيد بين نظرتين فى الحكم على بودلير : نظرة عابرة عند إليوت تؤثر الوقوف على السطح دون أن تتغلغل إلى الأعماق، ونظرة متأنية عند سارتر تميل بطبيعتها إلى رفع الحجب لتنفذ إلى ما وراء المجهول !

حول الأدب الفرنسى بلزاك

فى العدد الماضى من الرسالة مقال عن القصاص الفرنسى بلزاك ، وهو تلخيص بقلم الأستاذ على كامل لكتاب ألفه الكاتب النمسوى ستيفان زفايج .. إنه تلخيص موفق على الرغم من أننا نود أن نضيف إليه أشياء وأن نعترض فيه على أشياء ! إننا نعترض مثلا على قول الأستاذ بأن « بلزاك كان يتأنق فى فنه ويعيد تصحيح ما كتب بعد إرساله إلى المطبعة عدة مرات ، حتى ضج منه الناشرون إلى درجة أن قاضاه بعضهم من أجل ما يتحملون من نفقات ، نتيجة تصحيحاته وتغييراته التى لا تنتهى » .. صحيح أن بلزاك كان كثير التصحيح والتغيير لما يكتب ، كلما بعث إليه الناشرون با « لبروفات » بقصد الاطلاع والمراجعة ولكن هذا لا يفسر بأن بلزاك كان يميل إلى التأنق شأن كتاب الصنعة البيانية .. لقد كان أبعد الناس عن التنميق والتزويق لسببين : أولهما أنه كان كاتبا مكثرا إلى حد لم يعرفه تاريخ الأدب الفرنسى فى يوم من الأيام ، ومثل هذا اللون من الإكثار لا يتيح لصاحبه أن يحتشد للتعبير أو يتأنق فى الصياغة . أما السبب الآخر فهو أن بلزاك كان رائد « الواقعية » الأول فى عصره وهو العصر الذهبى للرومانسية ، ومن طبيعة الكتاب الواقعيين أنهم يضيقون بتلك الأساليب الرقيقة الحالمة التى لا تناسب غير أجواء الخيال .. كان بلزاك يمثل الأسلوب الواقعى فى الكتابة مبتعدا عن تلك « الحذلقة » اللفظية التى كان يزهى بها كاتب مثل تيوفيل جوتييه ، ذلك الرومانسى الحالم الذى كان يضم بلزاك إلى قائمة الكتاب السخفيين ! لم تكن كثرة التصحيح والتغيير إذن عند الكاتب الفرنسى نتيجة الميل إلى التأنق وإنما كانت نتيجة السرعة التى يفرضها الإكثار .. كان يكتب ويكتب ويكتب وهو غارق فى أفكاره تائه بين أوراقه ، لا يكاد يشعر بأى شئ - وله غير إبريق القهوة الذى كان بالنسبة إليه قبسا من أقباس الوحى والإلهام ! وحين ينتهى من الكتابة ويلقى نظرة إلى أكداس الورق التى سطرها منذ حين فلا يجدها بجواره ، يدرك بمألوف عادته أن عامل المطبعة قد حضر وجمع الورق وانصرف خلال تلك الغيبوبة العبقرية .. وحين تعاد إليه « البروفات » لا يجد بدا من أن يتناولها بالتعديل والتبديل لأن السرعة الفائقة تكون قد أخرجت هذه العبارة عن خط اتجاهها الفكرى ، أو انحرفت بتلك عن طريقها النفسى الذى يريد لها أن تسير فيه ، عند رسم نموذج من النماذج البشرية أو نقل مشهد واقعى من مشاهد الحياة !

هذا شئ وهناك شئ آخر ، وهو قول الأستاذ فى موضع آخر من تلخيصه لكتاب زفايج : « وما كانت صداقته بعد مدام دى بيرنى كصداقته لدوقة ابرانتيز ومدام ريكاميه ومدام زولما كارو ودوقة كاسترى ثم أخيراً مدام دى هانسكا إلا تطبيقاً لتلك العقيدة التى كونها على ضوء حبه لمدام دى بيرنى ، وهو أن تكون المرأة له أما وشقيقة وصديقة وعشيقة فى وقت واحد » .. إن الذى نعلمه ونؤكده أن علاقة مدام ريكاميه ببلزاك لم تكن علاقة حب وإنما كانت علاقة إعجاب ، وأن مدام ريكاميه لم تعرف الحب الجسدى ولا العلاقة الجنسية فى يوم من الأيام ! وحسبها أنها قد عاشت عذراء وماتت عذراء ! صحيح أنها قد أحبت فى أواخر حياتها الكاتب الفرنسى شاتوبريان ، ولكنه الحب الروحى البرئ الذى يقتصر على أن يربط بين قلبين بروابط الود والصداقة .. ولكم حاول نابليون أن يظفر بها عشيقة فما استطاع ، ولكم حاول شاتوبريان أن يظفر بها زوجة فما استطاع ، وكل هذا يؤكده تاريخ حياتها الذى سجلناه فى كتابنا « نماذج فنية » ! إن كل ما كانت تحمله مدام ريكاميه لبلزاك هو الشعور بالإعجاب، ولقد كانت بداية هذا الشعور يوم أن قدم إليها قصته الرائعة « المرأة ذات الثلاثين » .. كان بلزاك يومئذ يصعد أول درجة فى سلم المجد الأدبى فاستطاع أن يصعد الدرجة الثانية ، حين قدمته مدام ريكاميه هو وقصته إلى صاحب « عبقرية المسيحية » تقديماً يحفل بالتقدير ويزخر بالثناء ، ولم يخب ظنها فيه وهى تقول عنه لشاتوبريان إنه عبقرى وموهوب !

وبقى شئ ثالث وهو قول الاستاذ بأن قصة « لويس لامبير » هى أقوى وأعمق ما كتب بلزاك .. إن الذى نعلمه ونؤكده أيضاً على ضوء قراءتنا المتواضعة وعلى ضوء تقدير النقاد ، أن قصة « الأب جوريو » هى التى يمكن أن توضع فى المكان الأول ثم تليها بعد ذلك قصة « أوجينى جرانديه » ، وإن كان دستويفسكى قد خص هذه القصة الأخيرة بالحب والإعجاب وقام بترجمتها إلى اللغة الروسية وتتلمذ عليها فى بدء حياته الفنية .. وبمناسبة الحديث عن هذه القصة نود أن نقول للأستاذ على متولى صلاح إن « أوجينى جرانديه » لم تكن « بخيل » بلزاك كما ورد فى مقاله بالعدد الأسبق من الرسالة ! إن «أوجينى جرانديه » لم تكن رجلا وإنما كانت امرأة ، ولم تكن بخيلة وإنما كانت فتاة على شئ غير قليل من كرم النفس وسخاء اليد ، وكم لقيت فى سبيل ذلك من أبيها «البخيل» ألواناً من الظلم والقهر والاضطهاد .. إن البخيل فى قصة بلزاك هو مسيو جرانديه ، أما أوجينى جرانديه فهى ابنة البخيل كما تشير إلى ذلك قصة الكاتب الفرنسى !

أنور المعداوى

مسرح وسينما

غروب الأندلس

تأليف : الأستاذ عزيز أباظة
إخراج : الأستاذ فتوح نشاطى
تمثيل : الفرقة المصرية

للأستاذ على متولى صلاح

كان خيرا كبيرا لو عرضت هذه المسرحية على الناس قبل حركة الانقلاب لا بعدها ، إنها كانت تكون عندئذ « سابقة » لأوانها وليست « بعد » أوانها كما هي اليوم ، فهي تصور الفساد الذى استشرى فى دولة العرب بالأندلس والانحلال الذى دب فى أوصالها مما يشبه إلى حد كبير الحال التى كانت بمصر قبل الانقلاب . ولو أنها عرضت قبل هذا الانقلاب لكانت إرهاصا له أو عاملا من عوامله ، ولكان لعرضها شأن غير الذى لها اليوم ، ولكن القطار فاتها !

كنا نود جاهدين أن نسمع — والملك فى أوج طغيانه وجبروته — من يقول : —

الملك يلهو والحوادث حوله   متظاهرات والخطوب سراع
والقصر تفهق بالخنا قاعاته   وبيت يروى إثمها ويذاع
والحكم فوضى .. لبه وقوامه   ذمم تسام — رخيصة — فتباع

وكنا نود جاهدين أن نسمع أن الملك المطلق السنان يقول لأمير الجيش عن الجيش : —

هو جيشى ألست مولاه ؟ ؟ فيجيبه أمير الجيش فى كبريائه بقوله : —

كلا . . . ليس مولاه من سقاه السماما
واجتبى الناشقين منه الأذلين ونحى أبطاله الأعلاما

وكأنما الشاعر كان يطل على نافذة الغيب فيعلم ماقيل تماماً بعد أيام معدودات ! . . ولا أدرى سبب ذلك الإمهال والشاعر يؤكد أن الرواية كلها كتبت قبل يوم ٢٣ يوليو الماضى !

أما أن تعرض هذه المسرحية التى تصور « الغروب » بعد أن يبدأ عندنا « الشروق » — وأعنى به طبعاً حركة الانقلاب … فقد جعل المسرحية ظلا للحركة الكبرى التى يعيش الناس فيها ، أو صدى لصوت القوى الذى يملأ أسماعهم ، ومن وجد البحر استقل السواقيا !

على أن المسرحية لم تخل — على الأقل — من تعديل كبير أصابها بعد حركة الانقلاب أريد به « تمييز » بعض الحوادث ، والإشارة إلى مايزحم قلوب الناس من عواطف ؛ فالأستاذ المؤلف مثلا كان قد ألف مسرحيته « شجرة الدر » عام ١٩٥١ م وقال فيها موجهاً الكلام إلى « أقطاى » أمير الجيش بصريح العبارة :

… ولكن السياسة مهنة   إزاؤها جيش هوى وتحطما
«أقطاى» دع مالست تحسنه لمن   عرك الأمور وساسها متعلما

فإذا به اليوم فى مسرحية « غروب الأندلس » يجعل « أزبك » أمير جيش مصر يقول عنها — فيما سمعناه من الممثلين — بصريح العبارة :

إذا أهل السياسة ضللوها   فإن الجيش يهديها السبيلا !!

وليته لم يفعل فإن الفن يجب أن يحتضن الحقيقة المبذولة بين أيدى الناس ويسمو بها ويكون أبعد منها شأواً . لا أن تحتضنه الحقيقة بين جناحيها وتجعل منه — كما قلت — ظلا أو صدى لها

وأنا أقرر — قبل أن يتشقق الحديث — أن الأستاذ عزيز أباظة شاعر من أكبر شعرائنا ، وأن الأمل المرجو منه كبير ، ولكننى لا أتحدث عنه شاعراً وإنما أتحدث عنه مؤلفاً مسرحياً ، وليس الشعر — كما يعلم القراء — غاية فى المسرح وإنما هو وسيلة ، والوسيلة التى

لا تصل بصاحبها إلى الغاية ، أو التي تكون حائلا بينه وبين الوصول إلى هذه الغاية ، أو التي تستنفد كل جهده فينبت من الوصول إلى الغاية ، وسيلة يجب تحطيمها . والمسرح اليوم يقوم — في العالم كله — على نظرية «الحائط الرابع» فما هذه النظرية وما أصلها ؟ أصل هذه النظرية افتراض أن الشاهد عند ما ابتاع تذكرة الدخول إلى المسرح أخذ على مؤلف المسرحية عهداً بأن يعرض عليه جوانب من الحياة كما هي لا كما يتخيلها الفنانون ! ... إن الشاهد الحديث رجل فيه فضول كثير ، إنه يريد أن يستطلع أحوال الناس وأخبارهم ، فهو ينظر إلى خشبة المسرح نظره إلى غرفة حقيقية في منزل حقيقي بها ناس حقيقيون يناقشون مسائلهم الحقيقية ، وليسوا ممثلين مهرة يزيفون له الحياة ويجملون الخيال حقيقة ، فيجب إذن أن يزول ما بينه وبينهم من حائط يحجبهم عنه ، ذلك الحائط الذي يحول دون رؤية ما يقع في بيوت الناس ، والذي نسميه نحن الستار ! فإذا ارتفع فقد ظهرت الحياة حقا وصدقاً ! ظهرت مناظر حقيقية وإضاءة حقيقية وموضوع حقيقي أو في حكم الحقيقي ، ولغة حقيقية مما تجري بين الناس فعلا في حياتهم العادية المألوفة

هذا هو المسرح منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم ، منذ (هنريك إبسن) . (برنارد شو) ومن جاء بعدهما . فأين « غروب الأندلس » من هذا ؟

لقد صاغها الشاعر عزيز أباظة الشعر الجزل الرصين ولم يكن يستطيع إلا أن يصوغها بالشعر ؛ فالشعر فيه أصل وطبيعة غلابة ولكن لمن صاغها بهذا الشعر الجزل الرصين ؟ من من الشاهدين يقدر على فهم مثل قول الشاعر عن الإسلام مثلا : —

تكاد عراه في الجزيرة تنضوي وتنقد أشطان له وطنوب !

ومن من الشاهدين يقدر على فهم قول الشاعر في خطاب موسى إلى الملك مثلا :

إذا ند عنك اليوم بارح كيدهم فإنك مغروس غداً فتبير

وإن مطاياهم لتكرم وسقا فإن أبلنتهم جدلوها وعقروا

أو مثل أقواله (ولأنت من قوم إذا انأطر القنا) أو (هل كان إلا صدى ضعف خذلت له) أو (لآزروا الموت قعصاً) أو سوى ذلك وهو كثير وكثير

ولأول مرة نرى مسرحية تذيل صفحاتها بشرح لمعاني الكلمات الصعبة مما برئت منه حتى مسرحيات شوقي ! وإذا كان القراء وهم يقرءون في مهل وأناة ، وهم إلى ذلك الصفوة المختارة من الشاهدين ، فكيف بالشاهدين الذين يستمعون الأقوال وهي تمر بهم مريعة خاطفة ، ثم هم أخلاط من الناس لا يشترط فيهم إلا أن يدفعوا ثمن تذكرة الدخول ؟ .. إن للشعر مكانه العالي في الغنائيات والملاحم وما إليها ؛ أما المسرح الذي يراد به تصوير الحياة والأحياء ، والذي هو مدرسة للناس جميعاً ، فليس لمثل هذا الشعر العالي فيه مكان . وإن كان لا بد من الشعر في المسرح — وهو ما لا أراه — فليكن شعراً مخففاً ممزوجاً بالماء ، شعراً سهلا ميسوراً يفهمه الناس جميعاً ؛ لأن الناس جميعا يشاهدون المسرح أو يجب أن يشاهدوه ، ليكن من بحر « الرجز » دون سواه وهو البحر الذي يقابل تفعيلات « الأيامب » عند الأوربيين يوم كان لا يزال مسرحهم يقول شعراً ! أما اليوم فقد خفت صوت الشعر في مسرحهم خفوتاً كبيراً ولم يبق فيهم إلا مثل (ت . س . إليوت) وهو رجل متشائم حزين ضيق بالحياة يحن إلى يوم الخلاص منها يقول فيما يقول (نحن أشكال بلا قوالب ، نحن ظلال بلا ألوان ؛ نحن قوى مشلولة ، نحن إشارات بلا حركة .)

وأريد أن أدفع وهما قد يتبادر إلى بعض الناس من أن شهود جمهور الناس لمثل هذه المسرحية دليل على وعيهم وارتفاع مستواهم ، فهذا قول مردود ؛ لأن مثل هذه المسرحية — بما احتشدت به من العظات والخطب والحكم الغوالي — إنما تخاطب في الناس غرائزهم الأولى وعواطفهم المجردة ، عواطفهم الدينية والوطنية والخلقية

وما إلى ذلك ، إنهم لا يتعمقون فهمها واستكناه بواطنها ولكنهم يفهمونها فهما عاما كله ضباب وظلام ، إنهم يرقصون من جرس ألفاظها كما يرقص الزنوج تماما على دقات الطبول ، وليس هذا من وظيفة المسرح في شيء !

والمسرحية تدور حول الأيام الأخيرة لدولة العرب في الأندلس ، وليس فيها موضوع متصل يسرى فيها وينفخ الحياة في جوانبها ، ولكنها صور متلاحقة متتابعة — وإن كانت قليلة إلى جانب ما يكتنفها من كلام كثير — تتعاقب وتترى كما تقلب تماما صفحات من كتاب في التاريخ .. الأميرة « بثينة » تغرى الأمير « يحيى » بإطلاق السجناء من ذويها ، فيطلق الأمير هؤلاء السجناء ، ثم يجتمع هؤلاء الطلقاء ويجنحون إلى « بنى سراج » فينضمون إليهم ، ويتكالبون على الملك ، ثم يعتزل الملك ملكه ؛ ثم يتولى ابنه ؛ ثم ثم ثم الخ ؛ وتنسدل الستارة في نهاية كل فصل ببيت من طراز الخطب المنبرية التي تصفق لها الجماهير طويلا، فينتهى الفصل الأول — مثلا — بقول الشاعر :

من لم يدعم بالأسنة ملكه والحزم ... بات مفزعا لم يسلم !

وينتهى الثاني بقوله :

فإن تدبر الأقدار فالصبر جنة وإن تكبر الأحداث فالله أكبر !

وينتهى الثالث بقوله :

واضيعة الإسلام إن لم تقهروا أهواءكم ... واضيعة الإسلام

وهكذا تمضى المسرحية وكأنها ديوان شعر ، فلا نرى موضوعاً ينبض بالحياة ، ولا نرى شخصيات قد رسمها لنا المؤلف رسماً تبدو ملامحه وقسماته في وضوح وامتياز ... لقد عالج شكسبير المسرحية التاريخية ولكنه استطاع في مسرحية « هنرى الرابع » مثلا إلى جانب الموضوع القوى أن يخلق لنا شخصية « فولستاف » الحية الممتازة التي تجمع بين الجد والفكاهة جمعا بلغ الذروة في كل منهما ، واستطاع في مسرحية « يوليوس قيصر » أن يخلق لنا شخصية « بروتس » الخالدة التي ما انفكت تثير في النفوس عاطفة الانتقام .. ولكن شخصيات عزيز أباظة شخصيات باهتة لا نعرف لها ملامح ولا قسمات ولم يلق الأستاذ عليها من الأضواء ما يجلوها للناس ، بل لم يلق باله إليها إطلاقاً وإنما كان كل باله إلى الشعر دون سواه ، على أن شاعرنا الكبير يقع في أمور كنت أود ألا يقع فيها ، فهو يقول « أخ الملك النوى » والصواب أن يقول « أخو الملك النوى » ويقول « ركبنا الهوى والأثام الشنيعا » يريد الإثم ، وليس الأثام هو الإثم وإنما جزاء ذلك الإثم والله يقول « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » وغير ذلك مما لا يجوز من شاعر كبير كالأستاذ عزيز أباظة .. ولو أن الأستاذ عنى بحادثة الغرام الحقيقى بين بثينة ومحمد بن سراج والغرام الوهمى بينها وبين الأمير « يحيى » لجعل منه مسرحية ، ولو اختزل شيئاً من حوادث التاريخ واستبدل به صورة حية أو صورتين تنبضان بالحياة لخلق لنا مسرحية ، ولكنه لم يفعل ! وأشهد لقد أنفق الممثلون مجهوداً جباراً شديداً . ولقد كنت أشفق على « أمينة رزق » وهى تبذل من ذات قلبها ومن ذات نفسها لتنفخ الحياة في دورها واستطاعت ذلك إلى حد كبير رغم العقبات اللفظية التي كانت تنوء بحملها ، وأشهد لقد استطاع « فؤاد شفيق » واستطاع « حسين رياض » أن يلونا كلامهما ويعلآه بالحياة والمعانى ، وقد كان دور ثانيهما مما لا ينبض به إلا أولو العزم . أما « فردوس حسن » فقد كانت جامدة كالتمثال وتأبى إلا أن تكون أميرة في كل الأوقات ! ونسيت أنها كانت تقوم بدور العاشقة المخادعة لخاتلة !

وبعد : فهذه كلمة عابرة في مسرحية « غروب الأندلس » وليس الذى سقنا فيها بمانع أن ننوه بما ينفق الأستاذ عزيز أباظة من جهد جيد للشعر والأدب ، ولكننا نريده للمسرح أيضاً . إن الشعر أفضل ما فيه ، فهل يجمع إليه الفن المسرحى الذى هو اليوم جماع الفنون جميعاً ؟ وعند ذلك تسقط حجتنا ولا نستطيع أن نقول له يومئذ ما نستطيع أن نقوله له اليوم من أن إلهة الشعر قامت عن ميامنه ولكن ربة المسرح لم تقم عن مياسره ؟

على متولى صلاح

آراء وأنباء

إلحاقاً بكلمتى المنشورة بالعـدد ١٠١٦ عن الأدب المصرى القديم والتى أشرت فيهـا إلى انقطاع الصلات الثقافية والحضارية بين شعب مصر اليوم وبين القـدماء المصريين أسوق هـذه الملاحظات الموجزة حول ما خاض فيه بعض الـكتاب فى بعض الصحف اليومية من حديث عن الألقاب « الفرعونية » بمناسبة ما ثار حول إلغاء الألقاب من كلام :

ادعى بعض الـكتاب الأفاضل أن لقب «سى» للرجل ولقب « ست » للمرأة هما من بقايا اللغة المصرية القديمـة على ألسـنة المصريين اليوم وأن هذين اللقبين كانا مستعملين ذلك الاستعمال عينه وبهـذين اللفظين عينهما فى مصر الفرعونية .

وعندى أن فى نسبة هذين اللفظين إلى اللغة المصرية القديمـة كثيرا من النظر؛ فالمعروف أن لفظ « سى » هو تحريف لـكلمة سـيدى » العربية الصحيحة . وكذلك لفظ « ست » فهو تحريف لـكلمة « سيدتى » على ماجرى عليه لسان العامة من اختصار الألفاظ بحذف بعض حروفها

ومما يدحض دعوى الفرعونية عن هـذين اللقبين ذيوعهما فى جميع الأقطار العربية اليوم وبصفة خاصه فى المغرب : ولا أظن أن هناك من يزعم أنه كانت للفراعنة بالمغرب صلة من شـأنها أن تحفظ على ألسنة أهله ألفاظاً فرعونية حتى اليوم؛ إنما هى ألفاظ عربية صحيحة وإن نالها التحريف الذى يصاحب اللهجات العامية دائما .

هـذا وإن لفظى « سى » و « ست » قد وردا فى نصوص عربية قديمة يحضرنى منها الآن البيت الذى رواه أبو العلاء فى رسالة الغفران على لسان ابن القارح يخاطب إحدى جوارى السيدة فاطمة الزهراء مستعينا بهـا على عبور الصراط :

ست إن أعياك أمرى فاحمليني زقفونه

(وزقفونه أن يحمـل الشخص شخصاً آخر وبطن المحمول إلى ظهر الحامل ويداه على كتفيه)

والواقع أن ورود هذين اللقبين فى كلام عربى قديم ، مضافاً إليه انتشارهما فى كافة الأقطار العربية لا فى مصر خاصة لهو مما ينفى عنهما شبهة الفرعونية التى لم يقم عليها — على أية حال — دليل مقنع

جمال مرسى بدر

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها

أى ومن سعى فى إثارتها وعمل على إذكاء نارها وحمل لواء الخلاف بعد ما انطوى أعواما طويلة . وهو يريد من وراء ذلك نفعا شـخصيا أو ماديا أو أن يظهر على مسرح الحياة بعد ما تخرج من أكرم دار على حساب هـذه الحزازات القديمة

إن الأزهر ودار العلوم — منذ وجدت دارالعلوم — صنوان يعملان لغاية واحدة ويهدفان إلى هدف واحد وإن تفرقت بهما السبل قليلا . فهذه تسير بجوار ذاك

كان يكفى لإقناع إخواننـا الأزهريين رد الدكتور حامد عبد القـادر وهو رجل خبير منصف لا يتكلم إلا الحق . ولا إخال إلا أن إخواننـا الأزهريين قد اقتنعوا بوجهة نظره وكان يكفى فى النقاش أن يوجه الأمر إلى ذوى الرأى فيردوه إلى نصابه . وأظن أنه ليس هناك داع لأن تثير كل هـذه الإشكالات . وما الذى يضيرك أن يطالب محقون بحقهم وأن يسعى إخوان لك فى اللحاق بك والسير معك على قدم المساواة ؟

ومرة أخرى أقول : إن بيننا وبين الأزهر وشائج لا نريد قطعها ، وبيننا وبين إخواننا الأزهريين مودة لا نريد إفسادها ، وبيننا وبينهم صلات يستحيل أن

تنساها أو تجحدها . ومرة ثالثة أقول لك إن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها

عمر عبد الرحيم الزيات

أحلام العصفور الأخضر

من خمس سنين أو تزيد طالعت بمجلة « الكتاب » عدد أكتوبر ١٩٤٧ م الخاص بذكرى شاعرى النيل والعروبة « شوقى وحافظ » طالعت مقالا لأحد كتاب هذا العدد يتعقب فيه الكاتب أمير الشعراء على عثراته الموسيقية . ومن جملة مآخذه عليه مأخذ فى قصيدة «النيل» ص ١٦٧ حـ ٤ . عند قوله

جار ويرى ليس بجار لأناة فيه ووقار

لقد تنكب شوقى جادة الوزن العروضى فى التفعيلة الثالثة وفى التفعيلة السابعة من البيت والناقد على بصيرة فى نقده

واليوم تطالعنى الرسالة العدد « ١٠١٩ » بقصيدة للأستاذ (عواد) بعنوان « أحلام العصفور الأخضر » والقصيدة من « بحر المتدارك » ذلك البحر الذى أنشأ منه أمير الشعراء قصيدته الآنفة الذكر

ولقد أبى شيطان الأستاذ (عواد) إلا أن يمثر تلك العثرات التى منى بها أمير الشعراء وزيادة . وتفصيلا لما أجمل نبدأ قصيدته أو موشحه مقطعا مقطعا

لندع المقطع الأول فيوشك أن يخلو من الهنوات ولكن على حساب ضرورات يبيح الوزن العروضى ومراعاته اقترافها

أما المقطع الثانى فقد عثر فيه قلمه عثرتين : الأولى فى التفعيلة السابعة من البيت الثانى وهو :

سيروح ويلثم وجنتها مسروراً والكون غناء

والمثرة الثانية فى كلمة « نشوان » فالإعراب يقتضى نصبها والعروض يحتم تنوينها والرسم الإملائى لا يدل عليهما

وفى المقطع الثالث عثرات ثلاث الأولى فى التفعيلة الخامسة من البيت الثانى عند قوله (قد تخذوا . . .)

والثانية فى التفعيلة الثالثة من قوله (والوجد صلاة ودعاء)

والثالثة فى التفعيلة الثالثة من قوله (وتوسل صب وبكاء)

أما المقطع الرابع فعثرة واحدة فى أول تفعيلة من البيت الأول منه . وهى فى كلمة (همهمة ... ...) قد دار عليها ما دار على أخواتها من قبل

ومع صادق تقديرى للأستاذ الشاعر فرجائى أن يقع منه نقدى أجمل موقع والسلام .

محمد محمد أحمد الناجى

ديك الجن

كتب الأستاذ محمد رجب البيومى بمجلة الثقافة الغراء العدد (٧٠٠) بحثا جميلا عن الشاعر العباسى المعروف « ديك الجن » وقد شعرت بعد قراءتى للمقال أن هناك سؤالا هاما لم يتفضل الأستاذ رجب بالإجابة عنه ، وهو لماذا سمى الشاعر بديك الجن ؟ وما علاقته بالديك ، تلك التى لم تقف لها على أثر فى قصة الشاعر ؟ ولعل الأستاذ البيومى وهو معروف باطلاعه الواسع على الأدب العربى حديثا وقديما يتفضل بالإجابة الشافية على صفحات الرسالة التى تشرق علينا دائما بأبحاثه الطلية المفيدة .

محمود راشد الحنفى

الأستاذ سيد قطب

اضطر الأستاذ سيد قطب إلى الاعتكاف طوال الأسبوعين الماضيين بسبب وعكة مرضية شديدة والامتناع عن كتابة مقالاته فى الرسالة وغيرها من صحف العالم الإسلامى وقد تماثل الآن للشفاء ولكنه لا يزال فى دور النقاهة وفى حاجة إلى فترة راحة طويلة

أخبار أدبية وعلمية

مصر تلعب دورا هاما فى ترقية القارة السوداء

من أخبار لندن أن فريقا من العلماء المشهورين فى الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة عقدوا سلسلة من الاجتماعات أصدروا بعدها تقريرا قالوا فيه إن المدنية مهددة بخطر جسيم ولا سيما إذا خرجت الدول الكبرى من حالة ضبط النفس التى تسير عليها الآن لصون السلام العالمى. ولكنهم أجمعوا على ما يلى :

(١) أن إفريقية هى التى سترث المدنية الحديثة وإليها ينتقل مركز الحضارة كما كانت الحالة فى عهد الفراعنة الأوائل، وكان محتملا أن يشاطرها جنوب آسيا ذلك لولا الثورات التى قد تنشب فيها بسبب كثرة السكان وقلة الموارد وإصرار الدول الاستعمارية على الاحتفاظ بسيطرتها على عناصر تختلف عنها فى اللغة والدين والجنس

(٢) أن مراكز الصناعات الكبرى ستتحول بعد أى حرب مقبلة إلى الأماكن القريبة من موارد المواد الأولية وما زالت إفريقية قارة بكرا لم تستغل مواردها بعد ولهذا ستنتقل إليها مراكز الصناعات الكبرى فى العالم

ونشرت جريدة نيوزكرونيكل مقالا لأحد هؤلاء العلماء هو السير فيليب منشل السياسى العالم الرحالة الكبير عن دراساته فى إفريقية ومجاهلها البعيدة عن العمران، وكان عنوان مقاله « أفريقية فى سنة ٢٠٠٣ أى بعد خمسين عاما قال فيه :

(١) فى هذه القارة أنهار عظيمة، ولها سواحل طويلة غنية بالمواد الأولية تشرف على المحيطين الأطلنتى والهندى. ومن العجيب أن يظل أكثر سكان هذه القارة أميين إلى الآن وأن يهمل أمرهم إلى هذا الحد

(٢) فى هذه القارة ثلاث طبقات، إحداها ما زالت تعيش وكأنها فى عام ١٩٥٣ قبل الميلاد، والثانية تعيش وكأنها فى أول القرن الأول من الميلاد، والثالثة وهى القلة تعيش فى العصر الحاضر

(٣) تتداعى اللهجات الإفريقية بسرعة أمام اللغات الأوربية، الإنجليزية والفرنسية والبلجيكية والبرتغالية وسبب ذلك أنه ليست للهجات الإفريقية معاجم ولا كتب نحو ولا حروف هجائية وهى تختلف اختلافا كبيرا فى كل دولة أو مستعمرة واحدة، بل قد تكون فى الغابة الواحدة عدة لهجات متباينة

٤ — لاشك فى أن إفريقية ستزيد من إنتاجها ومطاراتها وسكك حديدها وموانئها وطرقها العامة الواسعة فى خلال النصف الثانى من القرن العشرين، فلا يبزغ فجر القرن الحادى والعشرين حتى تصبح إفريقية أهم وأعظم قارة فى العالم، ولاسيما إذا أدت الحرب القادمة إلى إحداث تخريب كبير فى أمريكا وأوربا وآسيا.

٥ — إذا لم تحدث حرب يدمر العالم الغربى بها نفسه فانه سيضطر رغم ذلك إلى تقصير المواصلات بين المنجم والمصنع ويستغل بمصانعه الجديدة الكبيرة فى إفريقية ما تحويه هذه القارة من ذهب ونحاس وأورانيوم واسبستوس (مادة مقاومة للحرائق) والكروم والحديد والفحم والخشب والشاى والسكر واللحوم، وإلى جانب هذا ستنشأ أسواق كبيرة ومراكز تجارية هامة، ثم تكثر الجامعات والمعاهد العلمية والهندسية والصناعية الضرورية لهذه الصناعات.

٦ — ستسترد الدول المتقدمة فى إفريقية، ولا سيما مصر نفوذها الدولى الواسع وتسيطر على القارة كلها بآدابها وعلومها وفنونها، إلى جانب إنتشار الثقافة باللغات الأوربية التى تدرس بها العلوم فى المدارس الحالية فى شرق إفريقية وغربها وجنوبها.

الإذاعة اللاسلكية والإحياء الديني في باكستان

قررت حكومة باكستان استخدام الإذاعة اللاسلكية الحكومية في مختلف المناطق والولايات التي تؤلف هذه الدولة الإسلامية الكبيرة لتعزيز الاحياء الديني وربط المجموعات الإسلامية التي تقطن شرق باكستان وغربيها في روابط روحية وثقافية متينة ، نبراسها الإسلام وتعاليمه الخالدة

وقد عقد مؤخرا مديرو محطات الراديو الباكستانية مؤتمرهم السادس في (كراتشي) وكان أمامهم جدول زاخر بالأعمال

وقرر المؤتمر إعادة النظر في البرامج الدينية بغية تقويتها وتنويعها واستنباط الوسائل الفنية لتقوية الوعي الديني في هذا البلد المسلم وجعله أشد صلة بالحياة اليومية والسلوك العام

وقرر المؤتمر كذلك خطوطا جديدة لمشروع واسع يرمي عن طريق الإذاعات اللاسلكية إلى التقريب بين مختلف اللهجات واللغات المحلية التكلم بها في مختلف مناطق باكستان

صناعة الكتب الحلية

أحصت مجلة « الناشر الأسبوعية التي تصدر في أمريكا إنتاج الكتب للنصف الأول من العام المنصرم في الولايات المتحدة الأمريكية فوجدت أنه بلغ ٦١١٢ كتابا بالقياس إلى ٥٦٩١ كتابا للمدة نفسها من العام الذي سبقه

وقد نالت القصة النصيب الأكبر من هذا الإنتاج إذ بلغ عدد المنشور منها ١١١١ قصة

وجاءت كتب الأطفال في المرتبة الثانية فبلغ عددها ٥٠١ . وتلا هذين النوعين من الإنتاج المواضع التالية: أدب التراجم ، التاريخ ، علم الاجتماع والشؤون الاقتصادية .

وقالت المجلة معلقة على هذه الإحصاءات: إن تجارة الكتب كانت رابحة في العام المنصرم ولكن مستوى الإنتاج العلمي والفني كان ضعيفا بالقياس إلى إنتاج الأعوام السابقة

٤٠٥٨

مؤتمر التعليم الحر والإلزامي في بومباي

قامت اليونسكو برعاية مؤتمر إقليمي خاص بالتعليم الحر والإلزامي في منطقة جنوب آسيا والمحيط الهادي ، انعقد بمدينة بومباي من ١٢ إلى ٢٣ ديسمبر الماضي ، واشترك فيه حوالي أربعين خبيرا يمثلون أفغانستان واستراليا وبورما وكامبوديا والهند واندونيسيا ولاووس وزيلاندا الجديدة وباكستان والفيليبين وتايلاند والفيانتام ، كما ضم ممثلا عن دولة (النيبال) وإن لم تكن عضوا في هيئة اليونسكو ، وممثلين عن فرنسا وهولاندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ، وهي الدول المشرفة على بلاد غير مستقلة

وقد اعتبر هذا المؤتمر خطوة جديدة من اليونسكو نحو تعزيز التعليم الحر الإلزامي وتحقيقه في النطاق الاقليمي ، وفق ظروف البلاد وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاثوية . وقعت هذه المهمة على عاتق المندوبين ، فاستعرضوا أحوال بلادهم أمام المؤتمر ، كما انقسموا إلى ثلاث لجان عنيت الأولى بالمشاكل الإدارية والمالية والتشريعية التي تتعلق بالتعليم الإلزامي . واهتمت اللجنة الثانية بمشكلة تدريب المدرسين ونظامهم الإداري ، أما اللجنة الثالثة فتولت مناقشة برامج التعليم الابتدائي وتكييفها حسب ظروف كل بلد واحتياجاته الخاصة بكتب الدراسة وأجهزة التعليم

تعميم الثقافة الفرنسية كوسيلة من وسائل الدعاية

تقدر الحكومة الفرنسية أشد التقدير المكانة الهامة التي تحتلها الثقافة الفرنسية في سائر أنحاء العالم ، وتحاول الحكومة الفرنسية أن تنذي دعاياتها السياسية والاقتصادية من طريق الدعاية الثقافية .

ومن أمثلة ذلك ماتقوم به المؤسسة الثقافية الفرنسية المعروفة باسم « جمعية نشر الثقافة الفرنسية » ومركزها الرئيسي في باريس . وتصدر هذه المؤسسة سجلا شهريا يحتوي على استعراض موجز لجميع الكتب والمجلات التي

تصدر باللغة الفرنسية لا فى فرنسا وحدها وإنما فى سائر أنحاء العالم .

وهذه النشرة مبوبة بحيث تخصص لفروع الثقافة أبوابا خاصة . فباب يعالج الآداب ، وثان للترجمة وثالث للعلوم ورابع للشعر ، وخامس للدراسات الاقتصادية ، وسادس للاجتماعات . وهناك كذلك باب خاص يستعرض أنواع المقالات التى تصـــدر فى مختلف المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية

وتطبع هذه النشرة فى عدد من اللغات الحية وتوزع على مختلف الشعوب بواسطة السفارات والبعثات الدبلوماسية فى الخارج .

مجلة للتربية الأساسية تصدرها اليونسكو باللغة العربية

أصدرت منظمة اليونسكو العدد العربى الأول من مجلة (التربية الأساسية) التى مازالت تنشرها منذ أكثر من عامين باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية ، وتعالج فى مقالاتها أهم مشاكل التربية الأساسية ، ووسائل النهوض بمستوى الأميين والشعوب المختلفة عقليا واقتصاديا واجتماعيا حتى يصبحوا عروقا نابضة فى المجتمع الإنسانى .

ويقع هذا العدد الخاص فى ١١٥ صفحة ، تبدأ بمقدمة وافية بقلم الدكتور متى عقراوى مدير دائرة تبادل المعلومات فى التربية باليونسكو ، وتنتهى بقائمة بالمراجع العامة ، وتضم فى طيها طائفة من المقالات والبحوث التى تناول فيها الخبراء العالميون تجاربهم وآراءهم فى التربية الأساسية ومكافحة الأمية . ونذكر من هؤلاء : الدكتور أحمد حسين .

واليونسكو إذ تنشر هذه المجلة باللغة العربية ، إنما تخطو بها خطوة جديدة نحو إفادة المختصين بالتربية الأساسية من الشعوب الناطقة بهذه اللغة ، وأمل المنظمة أن يقبل عليها أبناء العربية ، حتى يشجعوا على نشرها بصورة دائمة .

العثور على الحلقة المفقودة فى نظرية التطور

أعلن جون تالبوت روبنسون ، من أمناء متحف الترنسفال ، أنه عثر على بقايا خمسة من الهيا كل تمثل نوعاً بدائيا جدا من الإنسان فى أولى مراحل تطوره ، وقد أسمى هذا النوع إنسان (تال انثروبس)

وقد اكتشف روبنسون هذه البقايا فى شفارتسكرانز ، فى الترنسفال ، تقريبا فى نفس المكان الذى كشف فيه الدكتور روبرت بروم ، أستاذ انثروبولوجيا فى جنوب أفريقيا فى عام ١٩٥١ إنسان جنوب أفريقيا البدائى

ويقول روبنسون إن إنسان (تال انثروبس) أقدم نوع من الإنسان عثر عليه حتى يومنا هذا . وهو يمثل نوعا خليطا من إنسان جنوب أفريقيا البدائى وإنسان جاوه القديم المعروف باسم (بيثك انثروبس اركتاس) وإنســان الصين القديم (صين انثروبس)

ويقول روبنسون : إن إنسان (تال انثروبس) كان يعيش فى فترة سابقة للزمن الذى كان يعيش فيه إنسان جاوه بما يتراوح بين ربع مليون أو نصف مليون سنة . والمعروف أن تقدير العلماء للزمن الذى عاش فيه إنسان جاوه يتراوح بين نصف مليون أو مليون سنة مضت .

ويترتب على هذا الكشف العلمى الخطير أن ينتهى التمسك بالنظرية القائلة بأن الوطن الأول للانسان كان فى آسيا ، وإن كان من المحتمل أن الإنسان فى أفريقيا وآسيا تطور فى خطوط متوازية .

وأضاف قائلا : إن هذا الكشف يسد الثغرة المعروفة باسم «الحلقة المفقودة » فى سلسلة التطور الإنسانى على ظهر الأرض . ويتوقع أن ينتهى البحث ، بعد هذا الكشف الخطير ، إلى إكتشاف الحلقة المفقودة كلها .

وبهذا الكشف يقطع الطريق على كل النظريات المعارضة لنظرية التطور . وقد اتسح أن هذا الإنسان كان بدائيا



سفينة نوح بين العلم والسياسة

وصلت إلى تركيا مؤخرا بعثة من علمـــاء الآثار الفرنسيين لمتابعة البحث عن «سفينة نوح» فى منحدرات جبـــال «أراراط» فى موقع يسمى (إكرى داك) تغطيه الثلوج . ويبلغ ارتفاع هذا الجبل حوالى ١٧٠٠ قدما . ويقع فى القسم الشرقى من شمال تركيا

وستقوم البعثة الفرنسية بجمع النماذج من المناصر التى تؤلف طبيعة الأرض هناك والمميزات « الطبيوغرافية » الأخرى التى يتخذها علماء الآثار عادة معاول لتتميم المعلومات التى توفرها لهم كتب التاريخ القديم وحوادثه المدونة

ويقع جبل أراراط فى صميم المنطقة التى وصفتها التوراة بأنها المكان الذى دفنت فيه زوجة نوح (عليه الصلاة والسلام) والبقعة التى زرع فيها سيدنا نوح أول كرم للعنب عندما انتهى به وبسفينته المطاف إلى ذلك الجزء من العالم كما تذكر التوراة ومفسروها

ويضم متحف اسطنبول نماذج من صخور جبل أراراط حلل عناصرها بعض علماء طبقات الأرض وقالوا بأنها تؤيد النظرية القائلة بأن هذا الجبل كان فى فترة من الأزمنة القديمة مغمورا بالماء إلا من قمة العليا التى أسفت نوحا (عليه الصلاة والسلام) فى أن يرسى سفينته على منحدرها عندما دهم الطوفان العالم كما تشير إلى ذلك كتب التاريخ القديم والمصادر الدينية . ويدعى هؤلاء العلماء بأن نوحا قد التجأ بسفينته ونماذجه البشرية والحيوانية إلى أعلى قمة الجبل ليبدأ من جديد فى تنمية الأجيال للبهائم ولبنى آدم

وقد سبق أن قامت بعثات أجنبية أخرى للبحث عن سفينة نوح فى منطقة جبل أراراط منها بعثة أمريكية أنفقت فى عام ١٩٤٩ وقتا وجهدا ومالا كثيرا دون أن تعثر على ما ترغب إثباته من حقائق تاريخية

ويؤكد علماء الآثار استنادا إلى المصادر اليهودية والمسيحية بأن السفينة كانت فى حجم هائل طولها ميل واحد وعرضها ٧٥٠ قدما وعلوها ٤٥٠ قدما

وجدير بالذكر أن تردد البعثات الأجنبية على جبال أراراط وتخومها القريبة من الحدود الروسية الجنوبية كان مثار احتجاج السلطات الروسية الشيوعية التى ادعت بأن الغرض من تكرار هذه الزيارات هو التقاط الإشعاعات الذرية التى تنبعث من محطات التجارب الذرية الروسية لتقدير مدى استعداد روسيا الذرى . ويدعى الروس أن هذه البعثات الأجنبية ليست مكونة من علماء الآثار والتاريخ القديم فحسب، بل أنها تضم بعض خبراء الذرة العسكريين الذين يستعملون أجهزة خاصة تركب على أعالى جبال أراراط القريبة من الحدود الروسية فتلتقط أولا فأولا أشعاعات التجارب الذرية التى تنبعث من محطات التجارب ومصانع الإنتاج الذرى الروسى المنشأ بعضها فيما وراء جبال الأورال الروسية فى منطقة لا تبعد كثيرا عن الحدود التركية

وقد نفت المصادر التركية والبعثات الأثرية هذا التفسير الروسى

البعث الإسلامى فى تركيا

كتب الأستاذ برنارد لويس أستاذ تاريخ الشرق

جدا لدرجة أنه لم يكن يصنع أو يستخدم أية آلة حجرية لأنه لم توجد معه مثل هذه الأدلة الحضارية .

والمعروف أن روبنسون كان يعمل مساعدا للدكتور بروم فى حفائره، ثم تولى مكانه بعد وفاته .

وقد طار الدكتور كنيث أوكلى، مدير المتحف الطبيعى فى لندن ، إلى جنوب أفريقيا ليساعد فى فحص الهياكل الجديدة

الأوسط فى جامعة لندن ومؤلف كتاب « العرب فى التاريخ » مقالا تحليليا فى مجلة « الشؤون الدولية » عن البعث الإسلامى فى تركيا . وكان الأستاذ قد أنفق مؤخرا بضعة أشهر فى تركيا يدرس عن كثب

يقول الأستاذ لويس إن نجاح القومية « الطورانية » فى تركيا إبان عهد أتاتورك لم يستطع أن تقضى على العناصر القوية فى تركيا التى كانت ولا تزال متعلقة بفكرة القومية الإسلامية . ومما ساعد هذه العناصر الإسلامية على الاحتفاظ بقوتها الكامنة تأثرها بالأفكار التقدمية التى نشرها جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده والسيد أمير على وغيرهم من قادة الفكر الإسلامى الحديث فى الهند والشرق العربى

وقد وجدت هذه العناصر الإسلامية التركية نفسها مقيدة فى دعوتها إلى الوحدة الإسلامية فى أوائل عهد أتاتورك بسبب انكماش الامبراطورية العثمانية واقتصار سيادة الأتراك على الحدود الجغرافية الطبيعية لتركيا

ويعتقد البرفسور لويس أن أتاتورك وجماعته فى حملتهم على الإسلام وفصلهم بين الدين والدولة — هذه الحملة لم تكن فى مثل النجاح الذى يطيب للحكومة التركية أن تنشره فى الرأى العالمى . فى عنفوان السيطرة الأتاتوركية كانت الدولة التركية تتبع سياسة « إسلامية » فى المناصب الإدارية وفى الجيش « وكانت الحكومة التركية رغم صبغتها المدنية تتعمد أن تختار كبار المسؤولين فى المراكز الوزارية والعسكرية من الأتراك المسلمين . وقد ازداد هذا الاتجاه فى أواخر أيام أتاتورك عندما أقصيت عن المناصب الإدارية الهامة عناصر تركية غير إسلامية

وكانت حكومة أتاتورك تعامل الأقلية المسيحية من الروم الأرثوذكس المستوطنة فى الأناضول معاملة تختلف عن الأقلية العربية والكردية التى كانت تشارك الأتراك الطورانيين فى العقيدة الإسلامية وتشاركها مشاركة تامة فى الحقوق والواجبات المدنية

ولما توفى أتاتورك وزالت هيبته القاسية على الحياة الإسلامية فى تركيا نشطت العناصر الإسلامية هناك نشاطا ملحوظا . ففى سنة ١٩٤٠ اضطرت الحكومة التركية برئاسة عصمت أنونو أن تعيد إلى الجيش التركى نوعا من الحياة الدينية فسمحت لرجال الدين بأن ينضموا إلى الجيش فى شكل أئمة ووعاظ على نحو ما كان متبعا فى إبان العهد العثمانى

وفى نفس الوقت شرعت وزارة المعارف التركية فى ترجمة « دائرة المعارف الإسلامية » وزيادة موادها . وخصصت الوزارة لذلك مبلغا عظيما من المال كافأت به الكتاب والعلماء الأتراك الذين ساهموا فى الترجمة والبحوث والدراسات الإسلامية التى أضيفت إلى الطبعة التركية من دائرة المعارف الإسلامية »

ولكن العناصر الإسلامية من حفظة الدين لم ترض عن عمل وزارة المعارف التركية وانتقدت مشروع ترجمة « دائرة المعارف » على أساس أن واضعى هذه الموسوعة هم من خصوم الإسلام الأجانب الذين لا يقصدون خدمة الإسلام وإنما يهدفون إلى تفسيره تفسيرا يتلاءم مع أهدافهم كمبشرين ومستشرقين أجانب يخدمون الاستعمار الأوربى فى الشرق الإسلامى . ولم تكتف هذه العناصر الإسلامية بالنقد فحسب بل نشطت بزعامة الزعيم الدينى « أشرف أديب » لوضع موسوعة إسلامية أسموها « الإنسكلوبيديا التركية الإسلامية »

وصاحب هذا النشاط للعناصر الإسلامية التركية اتجاه جديد فى الحكومة التركية التى جاءت فى أعقاب أتاتورك — اتجاه أزال كثيرا من معالم الديكتاتورية التى اتصف بها عهد أتاتورك . ومن ثم توفر للعناصر الإسلامية فى تركيا فرصة ذهبية لمضاعفة حماسها فى بعث الحياة الإسلامية من جديد فى البلاد التركية

وفى سنة ١٩٤٦ نجحت هذه العناصر فى حمل البرلمان التركى على مناقشة مشروع التعليم الدينى الألزامى فى المدارس الحكومية . وبعد مناقشة وجدل فى البرلمان والصحافة والمحافل العامة والخاصة توصلت الحكومة التركية فى سنة ١٩٤٩ إلى سن مشروع يوفر لجميع المدارس حصتين فى الأسبوع للتعليم الدينى فى أصول الإسلام وفقهه وتعاليمه . وترك الخيار لآباء الطلبة فى حمل أبنائهم على المشاركة فى هذه الحصص الدينية . ولكن الأكثرية الساحقة من الآباء تحمسوا لتربية أبنائهم تربية إسلامية . وعلى أثر ذلك شرعت وزارة المعارف التركية فى تأليف الكتب الدينية لطلبة المدارس . وجدير بالذكر أن هذه الكتب وضعت فى قالب جديد يختلف اختلافاً بيناً عن كتب التدريس الدينية المستعملة فى مدارس الشعوب الإسلامية الأخرى

ثم خطت الحكومة التركية فى سنة ١٩٥٠ خطوة جديدة فجعلت التعليم الدينى فى المدارس الحكومية والأهلية إلزاميا لا يتقيد بمشيئة الطلبة وآبائهم

وكان من الطبيعى أن تخلق هذه المشروعات أزمة فى المعلمين الدينيين ؛ ولذلك أسرعت وزارة المعارف التركية بإنشاء معاهد خاصة لتخريج المعلمين الدينيين . وألحقت بالجامعات التركية أقساما خاصة بالتعليم الدينى ولم تبخل بالمال على إنشاء المكاتب ونشر المطبوعات والكتب الدينية للعامة والخاصة . ثم سمحت باستعمال اللغة العربية فى الأذان وأخذت تذيع القرآن الكريم من محطات الإذاعة أسوة ببقية الشعوب الإسلامية الأخرى

وجدير بالذكر أن العناصر الإسلامية التقليدية فى تركيا أخذت تساهم فى الحياة السياسية مساهمة عملية . فناصرت هذه العناصر الحزب الوطنى على الحزب الديمقراطى (حزب الحكومة) . وذلك لأن الحزب المعارض كان يعد فى براجه الانتخابية بمشروعات واسعة للبعث الدينى فى البلاد التركية

ويعتقد الأستاذ لويس أن موجة البعث الإسلامى فى تركيا لم تؤثر فى اتجاهات الشعب التركى نحو حلفاء الغرب ولم تؤثر بعد فى سياسة تركيا الخارجية . فبينما تقف الصحافة فى جانب العرب فى قضية فلسطين تقف الحكومة التركية فى جانب إسرائيل. وسبب ذلك أن زعماء الحركة الدينية فى تركيا جماعة تنتمى إلى العهد القديم المحافظ الذى لا يرضى عن الشيوعية السوفيتية ومطامعها فى البحر الأسود والقطاعات التركية المجاورة لروسيا .

ولما كانت الحكومة التركية تبنى سياستها نحو الغرب ونحو إسرائيل على أساس الخوف من التوسع الروسى، فان العناصر الإسلامية فى تركيا لم تعد تستطيع أن تثبت وجودها بتغيير سياسة تركيا نحو إسرائيل كما فعلت العناصر الإسلامية فى إيران بزعامة آية الله كاشانى .

ولكن برغم هذه التيارات السياسية التى تحد من نشاط العناصر الإسلامية فى تركيا ، وبرغم عشرات السنوات من السيطرة الأتاتوركية والحد من نشاط الإسلام فى الحياة التركية فان الأستاذ لويس يعتقد بأن جذور الإسلام فى تركيا أثبتت بأنها راسخة متمكنة لم تزعزعها الرياح والزوابع.

ولا يستغرب الأستاذ لويس أن يتطور هذا الاتجاه الإسلامى فى تركيا إلى وسيلة توفق بين مبادئ الدولة الحديثة وبين تعاليم الإسلام على نحو التجربة الهامة التى تجرى الآن فى باكستان .

طرائف وقصص

عروس البحر

للشاعر الهندى رابندرانات طاغور

كان شاباً فتياً ، فى مرآه قرة العين ، وابتهاج القلب ، وغبطة النفوس ...

وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له أعطافهم ويمهدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب والإيناس

وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث الزواج وما فيها للقلب من متعة ، وما فى الطبع إليها من طمأنينة وارتياح

قال واحد من رسل الملوك إليه : «أما أميرة بهليك.. فما أجلها ! إنها لكالباقة من أزاهير الربى فى الربيع ! »

ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكأن لم يلق الحديث منه بشئ — وما أجاب

وقال آخر : « وتلك هى أميرة كندهار . . زهرة أنيقة ، وضاءة بهية ، كمثل وضاءة المنقود النضيد ! »

ولكن الأمير الشاب ينساب فى الغابة لا يخرج منها إلا بعد حين ...

وقال وصيف من سراى الملك — أبيه —: « ..جميلة أميرة كامبوج جمال قوس قزح عند انبثاق أضواء الفجر وأنواره ... وعيناها ... وعيناها ناعستان حالمتان ، تلتمعان التماع قطر الندى الوضاء ! »

ولكن الأمير الشاب يستغرق فى كتابه تصفحا فلا يرفع عنه عينيه ولا يفيق !

* * *

واختلى الملك الوالد بنجى (١) ابنه وعشيره يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبغضه إليه !

فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد زهد الأمير فى الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ، ولقد أقسم فى سره لتكونن زوجه من عرائس البحر ، بنات الماء ... »

وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئا ، فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن أهل العلم لم يروا فى كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً ! إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات..وكذلك قال رواد البحر من الهنود التجار !

فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه يسأله عمن قص على ابنه هذا الخيال الموهوم ، فأجاب : إنه رجل يضرب فى الآفاق مجنون ... وقد سمع منه الأمير ما سمع فى الغابة حين كان يصطاد !

فأرسل الملك أعوانه فى البحث عن هذا المتشرد المجنون ليحضروه إليه ... حتى وجدوه فجاءوا به إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن مملكة عروس الماء أين تكون ؟

قال المجنون : إنها فيما يلى حدود الشمال من مملكتك أيها الملك العظيم ... وعند سفح جبل « شيتراهى » حيث تنبع بحيرة « كاميا كا » ...

فقال الملك : وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟

فأجاب الجائل المخبول : نعم ! فى إمكان المرء رؤيتهن ... ولكنه لا يكاد يعرفهن لما يحطن به أنفسهن من إبهام وغموض ... غير أنى أعرف العرائس الفاتنات بأصوات مزامبرهن الرائعة ... أو بقبس من شعاع لحن وهاج !

(١) النجى الصاحب أو الصديق

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه لمجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرد والتجوال فاطردوه »

غير أن الأمير كان قد أصغى إلى ذلك الهذيان الجميل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى طرده من سبيل ...

* * *

وجاء الربيع يكاد سنا حسنه يستلب العقول ... وانبثقت أزاهيره في الغابة تملأها حسناً وعطراً ! فركب الأمير جواده وخرج ... فيسأله الأهل : إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجميل ؟ ولكن الأمير ساكت لا يجيب

السيل يتدفق منحدراً من أعلى الجبل ثم ينصب في البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل في المعبد المهجور كان الأمير يقيم !

ومر شهر ، والأمير في معبده يترقب ، وفي الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست بوشاح من الزبرجد الزاهي الجميل !

وإن هذا الشهر الجديد يكاد ينصرم .. والأمير في مكانه لا يريم !

وفي ليلة من ليالي هذا الشهر أصغى الأمير الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى النائي البعيد ...

وفي اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت الشعري الرخيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس » (٢) حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات

إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من زهور « السيرش » (٣) في مفرقها الجميل

* * *

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية في استحياء وطلب منها تلك الزهرة الجميلة العبقة .. فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها وقدمتها قائلة : « إنها لك »

ثم سألها الأمير : وأي مليكة أنت ؟

فبدت على وجهها علامات الدهش والانكار ثم قهقهت في ضحكات متزنات كالأنغام .. كان لها رنين في قلب الأمير الشاب . . لقد ظن الناس تلك الضحكات مزامير . لشد ما يخطئون ...

ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى يحث السيرا

وهما على ظهر الحصان همس الأمير في أذنها أن اخلعي عنك النقاب .. واذكري اسمك الكامل

فأجابت : إن اسمي كاكاري ... وأما القناع فما كان قد انكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إنني في حاجة إلى استجلائه أيتها المليكة الحسناء

ولكنها قهقهت في ضحكات كالأولى كان لها في قلبه اللتاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المعبد القديم المهجور ... فملأ الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنه الأمير فأرسل إليه الجند والخيل والفيلة والعربات ، في معبده المهجور

* * *

— واليوم يا « كاكاري » ستذهبين إلى القصر

ولكنها لم تجبه ، ولكن في عينيها كان الجواب . لقد كانتا دامعتين ، طافحتين بالدموع ، تستعبران ! لقد هاجتها الذكرى ... وأثارت ما في نفسها من شجون

ثم قالت : « أنا لا أستطيع الذهاب ... أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن ضوضاء القادمين وجلبتهم غلبت صوتها الخافض الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم

* * *

(٢) زهور هندية معروفة لم نجد لها في اللغة ترجمة !

(٣) ليس في العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدركه بعض الذين تيمهم الجمال

فرأتها الملكة فقالت : وأى أميرة هذه تكون ؟

ورأتها إبنتها فقالت : ياللعار ! !

ورأتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت :

انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لابأس عليها فإنها ممن لايحتجن إلى الثياب إذ أنها من عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكتهن فى حنق وغيظ شديد :

« إن الأميرة قد جاءت متخفية فى هذه الأطمار ... »

ولكن أصوات الهزء إنخفتت فلم تنقطع ، أوانقطعت فإلى حين ، وكان الأمير إذا سمع ذلك يهيج ويغضب لأنهم لايشاركونه شعوره نحو هذه الأميرة إبنة الماء ؟ !

ومضت أيام : والأمير على ماوصفنا ، وأهلوه على ماذكرنا وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق عنها نقابها البغيض المكروه..

ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفى بالأمل والانتظار . . .

* * *

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها إذ سألها عن مدى لبس هذا القناع البغيض ؟ فقالت . « سيكون لذلك أيها الأمير مدى معلوم : ولكن تريث الآن »

فأجابها : إذن سيكون ذلك فى قمر الشهر المقبل أيتها الأميرة الحسناء ! !

إن قراء [4] البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ، فهى الآن تملأ البيد ، وتنسل الحقول . . . وتسيل على الأرض فتغطى كل مافيها . . . حتى تلك الغرفة ، وذلك السرير !!

ولكن أين كاكارى . . . أين الأميرة إبنة « البحر الحسناء » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

ف . سهم

(٤) قراء البدر نوره



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠



بدل الاشتراك عن سنة
ــص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢١ « الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٢٦ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

مهرجان الحرية

تحتشد مصر اليوم في عاصمتها القاهرة لتحتفل بذكرى يوم الحرية بعد نصف عام! ويوم الحرية أو يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هو يوم مصر الأوحد في تاريخها العريق في العبودية، العميق في الأوتقراطية، منذ أن رفع (مينا) إلى العرش، إلى أن خلع (فاروق) من الملك

كان الشعب المصري، طيلة هذه القرون الاثنين والأربعين التي مرت على وجوده في هذه الأرض، أشبه بقطيع من السوائم، لا إرادة له في نفسه، ولا قيادة له من جنسه؛ وإنما كان يتولى قيادة رعاة طغاة، سموا أنفسهم آلهة أو ملوكا أو ولاة. سخروه ليظلموه، واستغلوه ليحرموه. ولم تعصمه هداية الدين من عيث خليفة كالحاكم، ولا مدنية العلم من لجور ملك كفاروق؛ حتى اجتمع على إذلاله واستغلاله في عهده الأخير، مالم يجتمع عليه في دهره الطويل، من سلطان المواهر من نساء البلاط، وطغيان الفجار من رجال الحكم، وبغى المترفين والمسرفين من الأمراء والإقطاعيين رواد الخنا وعباد التكر. فمصفت النخوة

فى رءوس الأحرار من قادة الجيش ، فهبوا هبوب العاصفة الخيرة المدركة : صواعقها الماحقة للقصور الطالحة بالرذيلة ، وللكراسى الناعسة فى الوحل ؛ ورياحها العاتية للجذوع التى نخرها السوس ، وللفروع التى أذواها الخريف ؛ ورعودها القاصفة للآذان التى أصمها الهوى ، وللبصائر التى أعماها المال ؛ وبروقها الوامضة للقلوب التى أظلمت من اليأس ، وللنفوس التى زاغت عن الطريق ؛ وأمطارها المحيية للثرى الذى جف فلا ينبت ، وللشجر الذى ذوى فلا يثمر

وهكذا عاشت مصر فى خير هذه العاصفة المعمرة المصلحة ستة أشهر اندفعت فيها إلى الأمام اندفاع القوة المضغوطة المكظومة : تنفجر انفجار البارود فتمحق ، وتنطلق انطلاق السهم فتلاحق !

فإذا احتشدت مصر كلها بطبقاتها وطوائفها لهذا المهرجان فإنما تحتشد لتحتفل بتحررها من رق أغرق فى القدم حتى طمس فى نفوسها معانى الحرية والعزة والاستقلال والكرامة !

وشتان بين هذا المهرجان ومهرجانين أقيما من قبل : مهرجان يوم تزوج المخلوع بإرادة شعبه ، ومهرجان يوم تزوج بإرادة قلبه . كان هذان المهرجانان من صنع السيادة والقوة ، أنفقت فيهما مئات الألوف من أموال الأمة لتغرق القصور الملكية فى القصف واللذة ، وتملأ الخزائن الملكية بالذهب والماس ! وافترصت الحكومة (الملكية) هذه الفرصة لتنحنى أمام الطاغوت انحناءة العبودية حتى يمس أنفها الأرض ، فحشدت الشعب فى شوارع العاصمة ليهتف وهو جائع ، ويرقص وهو عريان ؛ وتركته بهم فى الطرق والميادين هيام القطط الجياع والكلاب الضالة ؛ لا يجد فى نفسه فرحة المعرسين ولا متعة المدعوين ولا بهجة العرس !

أما هذا المهرجان فمن صنع الطبيعة والأمة . أقامه الخارجون من ظلام الظلم ، والناجون من إسار الرق ، كما تقيم الطبيعة مهرجان الربيع لخروجها من ظلام الشتاء ونجاتها من همود الأرض . فكما يورق الشجر ويزهر ، وينضر الزهر ويفوح ، ويمرح الطير ويهزج ، ترى الشعب من ذات نفسه يبتهج ويفرح ، ولإطراب نفسه يغنى ويرقص ، ولإطراء نفسه ينشد ويهتف !

ذلك لأنه بات ذات ليلة ثم أصبح فإذا هو صاحب العرش وصاحب الجيش وصاحب الحكم وصاحب الثروة ! نام وهو لاشىء ، ثم استيقظ وهو كل شىء ! لقد استطاع فى هذه اللحظة القصيرة من عمره الأطول أن يضع هذا النير الثقيل عن كاهله الواهن بعد أن مكن له الرق المزمن بين اللحم والعظم والعصب !

كان قد ألف نير العبودية كما يألف الثور الذلول نير المحراث فلم يفكر فى الانعتاق منه ؛ إلا مرة واحدة حاول أن يفلت فيها من قيده فعجز . كان هذا النير فرعا غليظا من هذه الشجرة الملعونة درعه الإنجليز بالحديد والذهب ، فشق على عرابى الثائر الأول أن يحطمه . ثم عظم وضخم بفضل الأفظاظ الغلاظ من أولى الأمر فى عهد الخليع الرقيع ، حتى رزحت الكواهل وخرت الأعناق ، وحسب الناس حتى المتفائلون أن الليل سرمد ، وأن الرق خلود ، فقروا على الضيم واستكانوا للهون . وكادت مصر كلها تسقط بسقوط فاروق ومن على دين فاروق لولا أن نبه الله للخطر رهطا اصطفاهم من رجال القيادة ، فنفخوا فى الصور فنهض الجيش وانبعث الموتى . وقاد الشعب محمد نجيب وأصحابه فى معركة التحرير والتطهير ، فحرروا الأمة من النير الباهظ ، وطهروا الوطن من الفساد الشامل ؛ وعمدوا إلى أوكار الأفاعى وأجحار الذئاب فقوضوها على الأذى والجريمة . ثم فتحوا أبواب الرزق المحتكر أو المغتصب فتدفق على أهله المحرومين منه المكدودين فيه . ثم لخصوا دين الله فى ثلاثة أمروا بها ، وهى العدل والإحسان والمؤاخاة ؛ وثلاثة نهوا عنها ، وهى الفحشاء والمنكر والبغى ؛ وثلاثة عملوا لها ، وهى الاتحاد والنظام والعمل ؛ ثم جعلوها كلها مبادئ (لهيئة التحرير) التى أعلنوا ميلادها اليوم فى

الأدب الشعبي

للأستاذ محمود تيمور

بقية ما نشر في العدد الماضي

إني على يقين بأن العمل الفني إذا توافر له جوهر الأدب من إثارة العاطفة، ومنادمة الوجدان، ومن تناول العناصر الحية في المجتمع البشري، ومن تصوير النزعات النفسية النابعة من موارد إنسانية أصيلة، فإن هذا العمل الفني صالح لأن يكون شعبيا يستمرئه الناس على اختلاف مراتبهم من المعارف والمدارك؛ وأنهم ليستجيبون له، ويتأثرون به، ويجدون له في أنفسهم بلاغا ليس وراءه بلاغ

أعرف فيما أعرف سيدة تقرأ العربية، ولكنها غير متضلعة منها، فأما الشعر العربي فإنها لا عهد لها به، ولعلها تتجنبه ثقة منها بأنها لا تملك له فهما. وأظهر ما تتميز به هذه السيدة أن عاطفة الأمومة تتوهج بين جنبيها أيما توهج، فهي بهذه العاطفة تحيا ولها تعمل، ويوما عرضت على إحدى المجلات مشيرة فيها إلى أبيات من الشعر يناجي بها الشاعر طفله، وما عتمت أن أخذت تقرأ على هذه الأبيات، جياشة الحماس مستعذبة ما تقرأ، مسهبة في شرح ما تجد من جميل المعاني، تدلني بذلك على أنها فهمت مرامي الشاعر وأغراضه، وأن غمت عليها مدلولات الألفاظ على الوجه الدقيق. فهذه السيدة قد تأثرت عاطفتها بتلك الأبيات، طوعا لما تضم بين جوانحها من مشاعر الأمومة المتوقدة، فالشاعر قد عالج لها موضوعا ينزل من نفسها في المكان الأول، وعبر لها عما تشعر به الأم نحو طفلها تعبيرا فنيا جميلا، فيه النغمة الموسيقية التي هي أقرب إلى هدهدة الطفل في مهده الحبيب، ومن ثم استجابت الأم لهذا اللون من الشعر: لا بما تفهمه وتمثله في هذا الفن من الأدب، ولكن بما استشعرته لذلك الموضوع الذي عالجه الشاعر الفنان، وكان حسبها في هذه الاستجابة جملة ألفاظ فهمتها من أبياته، فكانت هذه الألفاظ جسرا يصل بين شعورها وشعوره

وأذكر أني كنت في عهد الصبا أحرص على شهود المحافل التي يلقي فيها شاعر النيل «حافظ إبراهيم» قصائده الشعبية في الشؤون الاجتماعية والسياسية العامة. وكان كعهده يؤثر أناقة اللفظ وجزالة العبارة حتى ليفتقر النشء المتأدبون في فهم كلماته إلى معجم، وأنا يومئذ قليل الزاد من الفصحى، ولكني على الرغم من ذلك ما أكاد استمع إلى «حافظ» ينشد، حتى أحس معانيه تنساب إلى نفسي انسيابا، وإذا أنا أداجيه وأسايره بعاطفتي وشعوري؛ ذلك لأن الموضوعات التي يعالجها الشاعر كانت ملء أسماعنا، والأحداث التي يستوحيها كانت تشغل بالنا، ولم يكن جمهور «حافظ» من المثقفين خاصة، وإنما كان خليطا من طبقات الشعب، يفهمون عنه، ويتأثرون به، ويصفقون له في صدق وإيمان. ولست أنسى حفلا شعبيا شهدته في «حديقة الأزبكية» لذلك العهد، فأنشد فيه «حافظ» إحدى روائعه، وكان بين جمهور السامعين كثير من ذوي الجلاليب، وهم يطربون للشعر، ويهتاجون بالإنشاد، ويتصايحون في تهلل وإعجاب

وإليك ما عرفت من شأن «طاغور» وجمهوره، فقد كانت حلقته التي ينشد فيها أشعاره تحفل بالحشد الوافر من جمهور الشعب غير المثقف، وبينهم الحفاة العراة المهازيل، وكان أولئك يصغون إلى «طاغور» مرتلا شعره، وكأنهم

مهرجان الحرية و (ميدان التحرير)!

فمن حق الشعب إذن أن يقيم هذا المهرجان العظيم مزهوا بجهاده، فخورا بقواده، معبرا بهتافه المرتفع، وتصفيقه المدوي، وحماسه المتقد، وسروره الدافق، عن اطمئنانه الواثق إلى حاضره المستقر، وعن أمله الفسيح في مستقبله المشرق

أحمد حسن الزيات

فى معبد يشتركون فى صلاة ، وأعينهم تفيض من الدمع تأثرا واستجابة ، وكذلك استطاع هذا الجمهور الساذج أن يستشعر الجمال والروعة فى قصائد بالغة من السمو الفنى والفلسفى أرفع الدرجات ، وإنما تسنى للجمهور أن يساير أدب « طاغور » بثلاث : الأولى أن الشاعر يتناول من الموضوعات ما يشغل بال الناس ، وما يحسونه فى صميم قلوبهم أوفر إحساس ، فهم حين يصغون إلى الشاعر فإنما يصغون إلى زفرات نفوسهم وأصداء عواطفهم صادقة الوحى والإلهام . والثانية أن قصائد «طاغور» أقرب فى أسلوبها وجرسها إلى النغمة الموسيقية منها إلى ألفاظ تتألف من حروف . والثالثة أن « طاغور » كان يلقى شعره فيحسبه السامع مغنيا يترنم . وثمة ناحية رابعة ليس من الخير إغفالها ، تلك هى أن فلسفة « طاغور » التى ينطوى عليها شعره أدنى إلى التصوف والتعبد منها إلى فلسفة المذاهب والآراء ، والإنسان صوفى بالفطرة ، متعبد بالطبع ، ولم تكن هذه المعانى التى يجلوها « طاغور » فى فلسفته الصوفية إلا معانى إنسانية كامنة فى النفس البشرية ، فلا هى بجديدة على الإنسان ولا هى بمستغلقة عليه ، بل هى فى سريرته مستخفية تلتمس من يثيرها من الأعماق

لسائل أن يقول : أفى المستطاع أن يتذوق جمهورنا العربى من فن « طاغور » ما يتذوقه جمهوره ؟

لا سداد فى الإجابة عن هذا السؤال بنفى أو إيجاب ، فإن كثيرا من الألوان الأدبية ، وبخاصة الشعر ، لا يكاد يسوغ إذا نقل إلى لغة غير لغته لأنه يفقد بالترجمة خصائص وقعه الموسيقى وكيانه الفنى ، ولا تبقى منه إلا ظلال وأشباح أو هيا كل ممزقة من عظام . ولو كان فى المقدور أن يترجم أدب « طاغور » رنانا بموسيقيته الفنية ، وفاقا بصوفيته الإنسانية ، لكان حريا أن يتأثر به الجمهور الكبير حيث يكون

وهذا « شكسبير » الشاعر العبقرى الذى نقرأه اليوم فى إمعان وروية ، محاولين استشفاف الغامض من معانيه ، والدقيق من تأملاته الفكرية وتحليلاته النفسية . لقد كانت مسرحياته تمثل على أعين النظارة من عامة الشعب ، كانوا أمشاجا من الناس يتباينون فى مراتب الثقافة والذوق ، ولكنهم استساغوا من فن «شكسبير» مايساير عواطفهم وما يلائم مزاجهم ، واستمرأوا ما كان يمازحهم به من مفارقات الحياة وأضاحيك المجتمع ، فى سخرية لاذعة ، ونقد طريف ؛ وما كان يهزهم به من صور المآسى والفواجع ، فى لوعة مريرة ، وتحسر أليم . فالشعب فى ذلك كله مستجيب له أعمق استجابة ، فتارة هو واجد حزين ، وطورا هو مستمتع طروب

على الأديب الفنان الذى يرى أدبه محجوبا عن الجمهور ، فيسىء الظن بهم ، ويسرع إلى وهمه أن الناس لا يستطيعون التلقى عنه ، عليه أن يسأل نفسه : أموصول هو حقا بالشعب يعبر عن خوالجه ، ويصور منازعه ؟ فإن كان كذلك حقا فليسأل نفسه ثانية : هل ابتغى الوسيلة التى يتسنى بها للجمهور الإقبال على أدبه ؟ وإن فى الجواب عن هذا السؤال جانباً خطيراً من سر العلاقة بين الفنان الكاتب والجمهور القارىء

وليس بعازب عنا عقم الوسائل التى تتأدى بها الكتب الأدبية إلى أيدى الشعب ، فإن هذه الكتب لا تكاد تصل إلى الناس إلا بجهد ، فالكاتب والقارىء كلاهما يلقى من ذلك إعناتا ورهقا . وفى مقدورك أن تعزو العزلة التى يعانيها الأدب الفنى إلى أن الجمهور يجهل وجوده ، وأنه لا يجد تنبيها إليه ، وربما وجد سبيله غير ميسور ؛ فللجمهور عذر مبسوط فيما نلاحظ من ضعف إقباله على الأعمال الفنية التى ينهض بها الأدباء

وفى هذا المقام يطيب لى أن أشير إلى أن إحدى الفرق التمثيلية ضاقت بما تجد من تراخى الجمهور عما تقدمه من مسرحيات فنية أصيلة ، وكانت تعلل ذلك بادئا بأن الجمهور

لا يسمو إلى هذا المستوى الرفيع . وأخيرا خطر للناعين على تلك الفرقة أن يلتمسوا بعض السبل إلى اجتذاب الناس، فخفضوا أسعار الدخول حتى قاربوا بها أسعار الدخول فى الدور السينمائية ، وبسطوا لطلاب المعاهد وأساتذتها شيئا من الامتياز فى الخفض ، فازدحم المسرح برواده ، واحتفظت الفرقة بمستواها ، ولقيت من الإقبال والاستحسان مالم يكن يدور فى الحسبان

ومما لاحظناه منذ عهد قريب أن بعض دور النشر أخذت تقدم طبعات جديدة من المؤلفات الأدبية الرفيعة ، ميسورة الأثمان ، تعرض مع باعة الصحف على أنظار الناس ، فراجت هذه الكتب ، وبيع منها الألوف والجمهور هو الجمهور ، لم يزدد علما ولا ثقافة بين عشية وضحوة ، وإنما الفضل كل الفضل لهذه الوسيلة الجديدة فى نشر الكتب وعرضها على جمهرة القارئين . وليس أدل على نصوع هذه الحقيقة من أن بعض تلك الكتب كان مطبوعا على الطريقة القديمة من قبل ، ولم يكن المطبوع منه يزيد على ألفين أو ثلاثة ، وما تزال منه بقية فى المكتبات لم تبع بعد ، فأما هو فى طبعته المحدثة ، بهذه الطريقة الميسورة ، فإن المطبوع منه يربى على عشرين ألفا ولا يكاد يظهر حتى تنفد نسخه فى أيام معدودات

ومن طريف ما حدثنى به أستاذ فرنسى صديق ، أنه يسكن شقة فى مبنى كبير فى باريس ، وعلى باب المبنى يقوم بواب مشغوف بالقراءة ، فبين يديه دائما كتاب يطالع فيه ، وقد عنى الصديق بأن يتعرف ما يقرؤه ذلك البواب المتأدب ، فإذا هو الأدب السف الرخيص ، فخطر له أن يزاول معه تجربة لا يدرى أتخفق أم تفلح ، فدفع إليه كتابا من الكتب ، وترك له أن يقرأ إذا راقه أن يفعل ، فأخبره البواب بأنه قرأه فى ليلة واحدة ، وأنه أعجب به . ولم يكن الكتاب مغامرة من مغامرات « أرسين لوبين » وإنما كان كتاب « أنا كارنين » لتولستوى . ومنذ ذلك اليوم أخذت المكتبة القصصية الرفيعة التى يقتنيها الأستاذ الفرنسى تستعار كتابا كتابا لهذا البواب ، فيعب ماشاء أن يعب ، وكذلك أثمرت التجربة وأصبح البواب القارئ من عشاق الأدب الرفيع

هذه خواطر فى معنى الأدب الشعبى ، أردت بها توجيه الأنظار إلى تصحيح مدلوله ، والكشف عن حقيقته ، فلقد طالما أسئ فهمه ، وشدما عدل به عن وجهه . ولقد آن لنا أن نرد إليه اعتباره ، ونوفيه حقه ، فإننا نظلم الأدب إذا باعدنا بين الشعب وبينه ، كما نظلم الشعب إذا نقصنا من متعة الأدب حظه . وهل للأدب موضوع إلا الشعب ؟ وهل للشعب مرآة إلا الأدب ؟

محمود تيمور

شعراء الوطنية

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي

أصبح للناحية الوطنية فى الشعر العربى الحديث نصيب كبير فى مصر جدير بالتدوين والتقدير . فالشعراء الذين استلهموا وحى الوطنية فى قصائدهم ، واهتزت لها مشاعرهم، واستجابوا إلى نداء الوطن فى دنيا الشعر والفن والخيال ؛ وكانو مرآة صادقة لعصرهم ، ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم ، وترجمانا لهم فى آمالهم وآلامهم ، وأحاسيسهم وأهدافهم ؛ هؤلاء خليقون بالتحدث عن شخصياتهم ودراسة أشعارهم الوطنية . كل منهم بمقدار ما أنتج وأثمر وأجاد وأبدع

فمن أين نبدأ هذه الدراسة ؟

يبدو لى أن الروح الوطنية قد بدأت تغذى الشعر المصرى ، وتبعث فيه من حياتها وبهائها ، وتضفى عليه من جمالها وجلالها ، منذ أوائل القرن التاسع عشر . فإلى هذا العهد نبدأ بالحديث عن (شعراء الوطنية)

رفاعه رافع الطهطاوى

١٨٠١ — ١٨٧٣

هو أول رائد لنهضة العلم والأدب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . كان شاعراً رقيقا بالقياس إلى عصره . أشربت نفسه الوطنية منذ نعومة أظفاره . تلقاها من إيمانه الصادق (وحب الوطن من الإيمان) ومن فطرته السليمة ، وخلوص نيته . ولما جاء عهد البعثات العلمية إلى الخارج كان من حسن التوفيق أن اختاره محمد على ضمن أعضاء البعثة الأولى التى سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ . فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبا وعلومها وآدابها . فاقتبس منها الشئ الكثير ، وازدهرت روحه الأدبية على ضوء الحضارة الغربية

وقد استثار رحيله عن مصر عاطفته الوطنية العميقة المتأصلة فى نفسه الحساسة . فجادت قريحته وهو فى باريس بقصيدة عبر فيها عن الحنين إلى الوطن وأهله ، والإشادة بمفاخره . قال فى مطلعها :

ناح الحمام على غصون البان ... فأباح شيمة مغرم ولهان

وانتقل إلى التغنى بمصر وذكر محاسنها وقال :

هذا لعمرى إن فيها سادة ... قد زينوا بالحسن والإحسان
يا أيها الخافى عليك فخارها ... فإليك أن الشاهد الحسنان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة ... وقطوفها للفائزين دوان
والنيل كوثرها الشهى شرابه ... لأبر كل البر فى إيمانى

وله قصائد ومنظومات وطنية قالها فى مناسبات مختلفة فانظر إلى القصيدة الآتية تجدها تعبر عما يجيش فى نفسه من أكرم العواطف وأنبلها . وقد قدمها هو بقوله « وقلت أيضا وطنية » . فالروح الوطنية تتمشى حتى فى تقديمه لقصائده قال :

يا صاح حب الوطن ... حلية كل فطن
محبة الأوطان ... من شعب الإيمان
فى أنفر الأديان ... آية كل مؤمن
مساقط الرؤوس ... تلذ للنفوس
تذهب كل بوس ... عنا وكل حزن
ومصر أبهى مولد ... لنا وأزهى معهد
ومربع ومعهد ... للروح أو للبدن
شدت بها العزائم ... نيطت بها التمائم
لطبعنا تلائم ... فى السر أو فى العلن
مصر لها أياد ... عليا على البلاد
وفخرها ينادى ... ماالمجد إلا ديدنى
الكون من مصر اقتبس ... نورا وما عنه احتبس
فخر قديم مؤتر ... عن سادة وبنشر
زهور مجد تنثر ... منها العقول تجتنى
دار نعيم زاهيه ... وممدن الرفاهيه
آمرة وناهيه ... قدما لكل المدن
قوة مصر القاهره ... على سواها ظاهره
وبالفخار زاهره ... خصت بذكر حسن

أبناؤهـا رجال لم يثنهم محال
وجندهم صنديد وقلبه حديد
وخصمه طريد بل مدرج في كفن

وقال يدعو إلى افتداء الوطن بالنفس والمال

وعزيز الوطن نخدمه برضا في النفس نحكمه
مال المصرى كذا دمه مبذول في شرف الوطن
تفديه العين بناظرها والنفس بخير ذخائرها
تهدى في نيل نظائرها بشرا العليا أعلى ثمن

وقال يصف الجيش المصرى ويشيد بمفاخره

ننظم جندنا نظما عجيبا يعجز الفهما
بأسد ترعب الخصما فمن يقوى يناضلنا ؟

رجال ما لها عدد كمال نظامها العدد
حلاها الدرع والزرد سنان الرمح عاملنا
وهل لخيولنا شبه كرائم ما بها شبه
إليها الكل منتبه وهل تخفى أصائلنا

لنا في الجيش فرسان لهم عند اللقا شان
وفي الهيجاء عنوان تهيم به صواهلنا
فيها الميدان و (الشقرا) سقت أذن العدا وقرا
كأنا نرسل الصقرا فمن يحمى يراسلنا.

مدافعنا القضا فيها وحكم الحتف في فيها
وأهونها وجافيها تجود به معاملنا

لنا في المدن تحصين وتنظيم وتحسين
وتأييد وتمكين منيعات معاقلنا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل في وصف الجيش المصرى . ولا شك أن رفاعة قد استلهم شعره من مفاخر الجيش في عهده . فهو يصور العصر الذى عاش فيه تصويرا صحيحا لا مبالغة فيه ولا إغراق . وإن قصيدته لتشبه أن تكون لوحة فنية يخيل لمن ينظر إليها انه يلمح فيها كتائب الجيش المصرى تسير إلى ميادين الحرب تحف بها أعلام النصر والظفر . تخوض غمار القتال بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام ، وتجابه الأخطار قوية الإيمان ، ثابتة الجنان ، مجهزة بالسلاح والمدافع « تجود به معاملنا » . ولو لم يشهد رفاعة مفاخر الجيش المصرى في ذلك العصر لما جادت قريحته بهذا الشعر . وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذى يعيش فيه ، والبيئة التى تحيط به ، ويصور الحياة على عهده . فكأنما هو قطعة من عصره ، أو مرآة تنطبع فيها مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية ، ومظاهر الحالة الفكرية والأخلاقية

وإنك لتلمح أيضا عظمة الجيش المصرى من قول رفاعة في قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود

يا أيها الجنود والقادة الأسود
إن أمكم حسود يعود هامى المدمع
فكم لكم حروب بنصركم تؤوب
لم تثنكم خطوب ولا اقتحام مصمع
وكم شهدتم من وغى وكم هزمتم من بغى
فمن تعدى وطغى على حماكم يصرع

وتتجلى روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية في تعريبه نشيد الحرية (المارسليز) فإن النفس لا تميل إلا إلى ماهو محبب إليها . فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاعة رافع ، حتى مالت نفسه إلى تعريبه ، وإظهار مااحتواه من العواطف الوطنية الفدائية في حلة عربية قشيبة

وإذا تأملت في شعر رفاعة رافع الذى نقلنا طرفا منه وجدت فيه تقدما نسبيا إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة القديمة التى سبقته كالشبراوى والعطار والخشاب وغيرهم . ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التى حمل لواءها البارودى وإسماعيل صبرى وشوقى وحافظ

حقا إننا إذا وضعناه إلى جانب شعر شوقى مثلا لجاء في المرتبة الثالثة أو الرابعة ؛ ولكن يجب ألا ننسى أن رفاعة رافع نشأ في عصر كانت اللغة العربية وآدابها في دور تأخرها واضمحلالها . فله على نهضة الشعر والأدب فضل لا ينكر

عبد الرحمن الرافعى

أزمة الثقافة !

للأستاذ محمد سعيد العريان

فى مصر أزمة ثقافية شديدة ، يحسها فى هذه الأيام كل قارئ وكل ذى فكر وبيان …

إن الكتاب الجيد لا يكاد يطبع منه الآن أكثر من بضعة آلاف نسخة ، فى بلد يقولون إن عدد القارئين الكاتبين فيه يزيد على خمسة ملايين ، وإن عدد طلاب العلم فى معاهده يبلغ نحو مليونين ؛ بل إن هذه الآلاف القليلة التى تطبع من الكتاب الجيد لا تكاد تنفد فى أقل من عامين ، وأكثر من نصف الذين يقبلون عليها ليشتروها لا يشترونها ليقرءوها ، بل لأنهم تعودوا أن يشتروا كل كتاب جيد ، أو كل كتاب للمؤلف الذى يفضلونه .

فهل يبلغ عدد قراء الكتاب الجيد فى سنته الأولى على هذا الأساس أكثر من بضع مئات ؟ فلمن يكتب الكاتبون ويتحدث أصحاب الفكر والبيان إذا كان قراؤهم لا يزيدون على بضع مئات فى شعب يزيد تعداده على عشرين مليونا ويصفه من يصف من أهل السياسة بأنه شعب ناهض ؟

الحق أنها أزمة ثقافية شديدة ، تدل على مبلغ القطيعة بين هذا الشعب ومفكريه ، المتفانين فى الحديث عن نهضة هذا الشعب . وإنى لأعلم علم اليقين أن حديثى هذا لن يرضى بعض السياسيين ولا بعض الأدباء ، بل لعله خليق أن يغضب كل السياسيين وكثيرا من الأدباء ؛ ولكنى لا أبالى بمن يغضب ولا من يرضى من هؤلاء وأولئك ؛ إذ كنت لا أقول إلا الحقيقة التى اعتقدتها ويعتقدها فى مصر كل ذى فكر وبيان …

إننا نعيش فى بلد أمى ، أمية مطلقة تشمل ٩٩٩ من كل ألف ، على رغم الإحصائيات التى تذيعها وزارة معارفنا فى كل عام …

إن على رأس وزارة المعارف اليوم فى مصر وزيرا له مذهباً فى التعليم يقوم على أساس « الكيف » قبل « الكم » . وما أحلى هذا العنوان لو كان له مدلول يعبر عن شئ من الواقع ؛ ولكن ذلك الواقع يعبر تعبيرا أصدق عن الأمية الحقيقية المطبقة علينا كما وكيفا وموضوعا ؛ فليس فى مصر اليوم خمسة ملايين قارئ كما يقول فى بعض الأحاديث ، ولا خمسة آلاف ، بل قد يكون من الإسراف فى حسن الظن أن نزعم أنهم قد يبلغون خمسمائة … وقد أوضحت برهان ذلك فى بعض ما سبق !

إن القارئ الكاتب الذى يصح أن يوصف بأنه قد خرج من نطاق الأمية ، ليس هو « المتعلم » الذى اكتسب بالتعليم قدرة على أن يقرأ وأن يكتب ، ولكنه القارئ الحقيقى الذى تعود أن يقرأ منذ اكتسب بالتعليم القدرة على أن يقرأ . إنه القارئ بالفعل لا بالقوة . فأين من متعلمينا أولئك القراء الحقيقيون ؟ وكم يبلغ عددهم ؟ على هذا الأساس ينبغى أن يقوم الإحصاء إن كنا نريد برهانا صحيحا على أننا نعيش فى شعب ناهض ؛ وهو برهان لم نزل نلتمسه فلا نكاد نصل إليه ، ولا نأمل أن نصل إليه فى وقت قريب ، لا بالكم ولا بالكيف ، ما دمنا لا نلتمس السبيل إليه من بابه …

هذا ، وقد كان عدد المتعلمين فى مصر منذ ربع قرن لا يتجاوز المليون ، ولكنى أزعم — وتحت يدى من البراهين ما يؤيدنى — أن مصر فى ذلك التاريخ كانت أبعد عن الأمية مما هى اليوم ؛ فقد كان فى مصر من القراء الحقيقيين أكثر ممن فيها الآن وقد بلغ عدد « المتعلمين » خمسة ملايين … لقد كان فيها قراء من كل الطبقات

يتابعون إنتاج طه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، والمازني ، والرافعي ، وشوقي ، وحافظ ، ومطران ، وغير هؤلاء من ذوي الفكر والبيان ، ويتتبعون ما تخرجه المطبعة العربية من كتب الأدب والفن للمحدثين والقدماء ؛ ثم يتناولون كل ما قرءوا من ذلك بالنقد أو بالحديث في المجالس الخاصة أو في المجالس العامة أو في الصحف والمجلات . وقد يغلون في ذلك غلوا يقسم القراء إلى معسكرات متقابلة ينتصر كل منها لرأي أو لصاحب رأي ، انتصارا رفيقا يبدو في أنواع هادئة من الجدل ، أو انتصارا عنيفا يبدو في بعض المعارك التي كانت تنشب بين تلك المعسكرات فلا تكتفي بالجدل الهادئ دون تناول الموضوع المختلف عليه من حيث صلته بالدين أو بالسياسة أو بالأمور الشخصية ...

كذلك كان الحال وعدد « المتعلمين » في مصر لا يزيد على المليون ؛ فكم قارئا من الملايين الخمسة «المتعلمين» اليوم يتابع إنتاج أهل الأدب والفكر كتابا كتابا وموضوعا موضوعا ورأيا رأيا على اختلاف حو القول والعمل ، ليعرف أين يمضي بنا أهل الأدب هؤلاء ، أو كيف تتطور بهم الحياة على اختلاف الجواء التي يقولون فيها ويعملون ويعيشون ؟ وكم قارئا منهم يتتبع ما تخرجه المطبعة العربية من كتب القدماء والمحدثين فيتناوله بالنقد أو بالحديث ؟

وكان في مصر قبل ربع قرن أدباء منقطعون لفنونهم ، منهم صاحب وظيفة لا يوصف بها وإنما يوصف من يوصف منهم بالأدب وحده ، وقد يكون لبعضهم أو لكلهم مرتزق آخر يعيش من فيضه ، ولكنه شأن من شئونه الخاصة لا يتراءى له ظل واضح على ما ينتج من فنونه ولا يدخل في حكم النقاد حين يتناولون ما ينتج من تلك الفنون ؛ فكان ذلك نوع من الإيمان بالأدب يرتفع به عن مستوى نراه قد انحدر إليه الآن ويوشك أن يلوث بعض الأدباء ببعض وحل الطريق !

هي إذن أزمة شديدة تتصل بالمنتجين وبالمستهلكين جميعا ، ويوشك أثرها أن يمتد إلى حياتنا العامة ويتغلغل ويؤدي إلى نتائج بعيدة المدى ...

ولا أريد أن أسترسل في وصف ما ينتظر أن يكون لو مضت بنا هذه الأزمة إلى غايتها ؛ ولكني أريد أن أتتبع أسباب هذه الأزمة من حيث نشأت ...

وأول ما أعرف من هذه الأسباب أن المدرسة المصرية اليوم لا ترى من واجبها أن تعلم تلاميذها القراءة ، مكتفية بتعليمهم « فك الخط » ، وفرق ما بين فك الخط والقراءة بعيد جدا ، كالفرق بين الأمية والثقافة ، أو كالفرق بين درس في السباحة يتلقاه التلميذ على معلمه بقراءة كتاب عن السباحة في حجرة الدراسة أو في فناء المدرسة ، ودرس آخر يتعلمه بالسبح في البحر المائج ولو لم يكن معه معلم ولا رائد . وأنا لست أعرف ولا أظن أحدا غيري يعرف سابحا اكتفى في تعلم السباحة بقراءة كتاب ثم ألقى بنفسه إلى البحر يتحدى أمواجه !

لقد زعموا في الفكاهة أن ثريا من أثرياء الحرب قصد إلى طبيب ليصنع له نظارة للقراءة ، فضبط الطبيب مقاييسه وألقى أضواءه واختبر الجفن والحدقة والقاع والعصب ، ثم دفع إلى الرجل النظارة التي طلبها وهو لا يشك أنه سيقرأ بها ؛ فوضعها الرجل على عينيه ثم تناول صحيفة من الصحف وهم أن يفك خطوطها ولكنه لم يستطع أن يقرأ حرفا ، فرد النظارة إلى الطبيب مغضبا لأنها لم « تعلمه » القراءة ولم تنقله من أميته العريقة إلى مستوى القارئين الكاتبين

ما أشبه ذلك الثري الأمي الذي زعم أن « نظارة القراءة » يمكن أن تنتشله من وهدة الأمية ، بالمدرسة التي تكتفي من تعليم القراءة والكتابة بتعويد تلاميذها أن يرسموا الحروف الهجائية وأن تتحرك ألسنتهم بأصواتها معربين ، ثم تزعم أنها علمت كذا وكذا ألفا فأصبحوا من القارئين الكاتبين ،

إن هؤلاء الآلاف الذين غادروا المدرسة « متممين واجباتهم » ليسوا خيراً من الآلاف الآخرين الذين تخلفوا عن موكب العلم فلم يدخلوا مدرسة ولم يتلقوا العلم على معلم ؛ لأن هؤلاء وأولئك أميون بالمعنى العام ، لا يمحو وصمة الأمية عن بعضهم أنهم « يستطيعون » أن يقرءوا ، ما داموا لا يقرءون بالفعل ؛ ولا يستخدمون « نظارة القراءة » التي منحتهم إياها المدرسة في النظر إلى كل صفحة مكتوبة تقع تحت أعينهم !

إن القراءة في المدرسة المصرية ليست إلا « أصواتاً » تتمرن عليها حناجر التلاميذ وأشداقهم وألسنتهم في دروس المطالعة ، ثم لا شيء بعد ذلك . والتلميذ الذي يبلغ درجة النجاح في دروس القراءة هو التلميذ الذي يحسن أن « ينطق » ، وأن يرتفع صوته في موضع وينخفض في موضع ، وأن يضع حركات الإعراب في مواضعها من أواخر الكلمات أو من أواسطها ؛ وقد يغلو بعض المعلمين بعد ذلك فيسأل تلميذه تفسير عبارة ، أو تلخيص جملة أو نقد كلمة ، أو ذكر نظير ؛ ولكنه لا يمكن أن يذهب في الجرأة إلى أبعد من ذلك فيدفع إليه كتابا يقرؤه وحده ليناقشه في موضوعه بعد ذلك . ولو أن معلما من المعلمين ذهب في الجرأة إلى هذا الحد ، لأحيل إلى إحدى لجان التأديب ، أو لجان التطهير ، متهما بترويج كتاب غير مقرر للقراءة !

هذه القاعدة التي تأخذ بها وزارة المعارف المصرية معلميها في المدارس ويأخذ بها المعلمون تلاميذهم ، قد أخذ بها التلاميذ أنفسهم ، لم تتهيأ لهم الفرصة ليعرفوا أن « القراءة » شيء غير تلك الأصوات المنغمة التي تتفق مع قواعد النحو ، فلم يحاولوا أن يقرءوا ، وكان ذلك أول أزمة الثقافة !

وثمة سبب آخر وثيق الصلة بهذا السبب الأول ، هو أن المدرسة المصرية — أيضا — تكاد تغرس في نفوس تلاميذها أن العلم هو ما يتعلمون فيها ، وهو كل ما يحتاجون إليه ليكونوا مثقفين ، فليس وراء ما تعطيهم من ذلك العلم غاية لمستزيد ؛ فالتاريخ كله في كتب التاريخ المقررة ، والأدب كله في كتاب النصوص ، والشعر خير الشعر هو ما قرءوه في تراجم الشعراء . وقل مثل ذلك في كل فنون المعرفة ، حتى ليكادون يحصرون علم الكون كله في كتب الصوت والضوء والكهربا التي يؤدون فيها امتحانهم آخر العام !

وأذكر — على خجل شديد — أن معلما من معلمي المدارس المصرية ، لقيني ذات يوم وأنا أقرأ كتاباً حديثا في الجغرافيا ، فأنكر مني ما رأى ، وأبدى دهشته لأنني وقد أتممت تعليمي — فيما يزعم — منذ بضع وعشرين سنة ، لم أزل بحاجة إلى قراءة كتاب جديد في الجغرافيا ...

ومما أعان على إنشاء هذه العقيدة في نفوس بعض المتعلمين من شبابنا ، فكرة « الكتاب المقرر » التي لم تزل المدرسة المصرية تأخذ بها ؛ فللطبيعة كتاب مقرر ، وللكيمياء كتاب مقرر ، فليس يسوغ للمعلم ولا يتأتى للتلميذ أن يستعين في مادة من مواد العلم بغير الكتاب المقرر لها ، إلا على حذر ورقبة ، خشية الاتهام بالخروج على الطاعة أو الاتهام بقصد الاستغلال ؛ فنشأ من ذلك الاعتقاد أو شبه الاعتقاد بأن العلم كله في تلك الكتب ، وليس في غيرها من الكتب إلا فضول من العلم ليس فيها كبير غناء !

وهناك سبب ثالث يتصل أوثق اتصال بالسببين السابقين ، هو اعتقاد أو شبه اعتقاد في نفوس المعلمين بأن مهمة المدرسة هي التعليم ، أي إعطاء العلم ؛ وهذا خطأ كبير ، يجب أن يزول من نفوس المعلمين ليزول بعد ذلك من نفوس تلاميذهم ؛ فإن زمن المدرسة محدود ، ضيق أشد الضيق : ساعات في اليوم ، وأيام في الأسبوع ، وأشهر في السنة ، وسنون قليلة من عمر الشباب ؛ والعلم شيء

كبير ، واسع كل السعة ، ليس له حدود ولا قيود ، وهو لم يزل يزيد كل يوم ويتجدد ، فينسخ الجديد القديم ، ويصير علم الأمس جهلا وغفلا وسذاجة ؛ فكيف تتسع المدرسة فى نطاقها المحدود ووقتها الضيق لاستيعاب ذلك العلم الواسع المتجدد ؟

ولو أن معلمى المدرسة وتلاميذها قد آمنوا كما نؤمن بأن مهمة المدرسة ليست هى إعطاء العلم بل تمهيد الطريق إليه ، لحلهم الإيمان بهذه الحقيقة على الاستمرار فى طلب العلم بالقراءة المتصلة بعد الخروج من المدرسة ، وعلى متابعة الجديد فى الأدب والعلم والفن بالاطلاع الدائب ...

فالمدرسة المصرية إذن هى السبب الأول لهذه الأزمة الشديدة التى نحس آثارها فى أنفسنا وفيما حولنا ، ولكنها ليست هى كل السبب ؛ فهناك أسباب أخرى مساعدة كان لها أثر كبير فى إحداث هذه الأزمة ، ولعلنا نعرض لها فى حديث تال ...

محمد سعيد العريان

الفن المهـــــدد !

للأستاذ محمد عبد الله السمان

منذ بضعة عشر أسبوعا ، وفلم « كوفاديس » يعرض بسينما « مترو » بالقاهرة ، بعد أن تقدمته الدعاية الواسعة المريضة .. الدعاية التى لم يسبق لها مثيل من قبل لأى فلم من الأفلام السينمائية ، فقد حجزت إحدى الجرائد المصرية ذات يوم لهذا الفلم أربع صفحات ، خصصتها للدعاية له ، ولها عذرها ، فالجرائد والصحف فى مصر — إن لم تكن جميعها — فمعظمها لا ينظر إلا من الزاوية المادية التى يعيش لها ومن أجلها ..

وانجذابا إلى هذه الدعاية الواسعة المريضة « لكوفاديس » تكبدت مشقة الوقوف أمام سينما « مترو » ساعة كاملة للحصول على تذكرة الدخول ، وأردفتها بثلاث ساعات أخرى مع فلم « كوفاديس » الذائع الصيت .. ولم أكد أنتهى من مشاهدته حتى آمنت بأن نفوذ أمريكا ، بلغ حدا لا يطاق فى الشرق الأوسط والأقصى والأدنى ، بالدرجة التى تجيز لها أن تلعب بمقومات الشعوب ، وفى مقدمتها عقائدها

شاهدت فلم كوفاديس انجذابا إلى دعايته المريضة الواسعة ، فإذا هو دعاية سافرة من أوله إلى آخره على الطريقة الأمريكية ، ومن شأن هذه الدعاية السافرة أن تشوش على العقول ، وتبلبل الأفكار . والنظارة من المسلمين يخرجون من السينما بعد مشاهدة « كوفاديس » وقد سحرهم الذوق الفنى ، والإخراج القوى ، والحوار المبدع ، دون أن يثيروا — حتى فيما بينهم وبين دخائل نفوسهم — عبارة واحدة من عبارات هذه الدعاية .

أما الرأى العام الإسلامى فى مصر فلا يكترث كثيرا لهذه الأفلام التبشيرية الأمريكية ، إذ أنها صيحات فى واد ، ونفخ فى رماد ، وستظل أسابيع أو شهورا أو أعواما ، وإن شاءت قرونا ؛ فلن تنال من عقيدة المسلمين شيئا .

إن التبشير الأمريكى وباسم العلم والمروءة والإنسانية ، لم يكتف باستغلال الطبقات التى تلجأ إلى معاهده ومدارسه وجامعاته ومصحاته ، ولكنه أصر على أن يشترى ضمائر صنف من المثقفين المسلمين الذين حقنوا بالتربية الغربية ردحا من الزمن ، ليأخذوا على عاتقهم — فى مقالاتهم ومحاضراتهم وندواتهم — تشكيك المسلمين فى المعانى الإسلامية الحية ، والتنديد بالمقدسات الدينية ، ورمى الإسلام بالتزمت والجمود والرجعية ، وما إلى ذلك من الألفاظ المصطلح بينهم عليها

ومع هذا كله فالرأى العام الإسلامى لا يتحرك

ولا يتكلم ، معتمدا على قوة العقيدة الإسلامية ، ولكن صمته سوف ينفد حين يدرك أن المعاني الإسلامية مضيق عليها ، وأن الإسلام الصحيح مراقب مراقبة دقيقة ، لا يصل معها حتى إلى المسلمين أنفسهم .. وأن الفن الرفيع محرم عليه أن يتناول المعاني الإسلامية قلت أم كثرت !

هذا ما حدث في فلم « ليلة القدر » للأستاذ حسين صدقي الممثل المعروف . ولعل الرأي العام الإسلامي لا يدري من أمره إلى اليوم شيئا ، أو لعله يدري ولكنه لا يقوى إلا على همسات بشأنه لا تتجاوز الشفاه ، وآهات لا تتجاوز الحناجر ، والأستاذ حسين صدقي صاحب رسالة فنية ، لا يتخذ من الفن مهنة ينتزع بها القروش من الشعب المرهق المكدود ، ولا يجعل من الفن مسلاة لعشاق الفوضى والمجون والتهريج ، بل إنه ينتهج نهجا عاليا ، يهدف من ورائه إلى رفعة الوطن وسمو المجتمع . وهو فوق هذا متدين محافظ ، ويؤدي رسالته بقلبه وروحه ، كالمصلح الذي يبغي الإصلاح عن عقيدة راسخة وإيمان عميق ، ولا عيب فيه إلا مشاركة الشعب آلامه بما ينتج من فن ، ومشاركة المسلمين عواطفهم فيما يخرج للناس من أفلام ، شاذا في هذه وتلك عن الكثيرين من الفنانين المرتزقة الذين لا هدف لهم في حياتهم الفنية سوى التهريج الرخيص وكفى ..

قدر لي أن أشهد عرض فيلم « ليلة القدر » قبل أن يزج به في زوايا الظلام ، فوجدت الأستاذ حسين صدقي ينحو فيه ناحية إسلامية لم نطرق قبله في عالم الفن . لقد أحس في قرارة نفسه أن هناك سحابا يحجب أعين المسلمين عن الإسلام الصفي ، وأن هناك أباطيل ألصقت بالإسلام زورا وبهتانا ، يعتقدها الأجانب من غير المسلمين عقيدة راسخة في أعماق قلوبهم ، فراح يعالج هذه وتلك في فيلم أسماه « ليلة القدر » فجاء خيرا من ألف فيلم ..

لقد صودر هذا الفيلم ، كما صودر أخ له « يسقط الاستعمار » في العهد البائد المنقرض . ولم تكد تبزغ شمس هذا العهد الجديد ، حتى قدر لها أن يريا النور ، ولكن طائفة من الناس تقدمت إلى المسؤولين تشكو فلم « ليلة القدر » . والعجيب أن الفلم ليس فيه تبشير ، ولو كان لما كان هناك ضير ، مادام هذا التبشير لا يمس حرية العقائد في غير المسلمين . وما جاء في الفلم يعتبر تحليلا لبعض المعاني الإسلامية ، وعلاجا للمشكلات الاجتماعية على ضوء الإسلام ، ومكافحة لبعض الجهالات التي لا زالت عالقة بأذهان الكثير من المسلمين !

وأعجب من هذا أن ذوي الأقلام الضخمة الذين استولوا على الصحف الكبرى بوضع اليد ، هؤلاء الذين يدعون أن أمل الوطن معقود بأسنة أقلامهم ، وأن بناء النهضة الجديدة لن يشاد إلا على نغمات من صرير أقلامهم ، لم يكتبوا حرفا واحدا عن مأساة فيلم ليلة القدر

محمد عبد الله السمان

محمود سامي البارودي

للأستاذ محمود أبو رية

لا نكاد نجد فى تاريخنا الحديث عظيماً أصابه من الظلم وناله من العقوق مثل محمود سامى البارودى رحمه الله . فعلى أنه سياسى كبير ، وجندى عظيم ، وإنه فوق ذلك شيخ شعراء هذا العصر بلا منازع ، فان أمتــه قد ألقت به فى زوايا النسيان وتركته على درجة الإهمال ، حتى لا تجد أحداً يعنى به ، أو يهتم بأمره ، أو يعمل على نشر آثاره ، لا من رجال السياسة ، ولا من رجال الأدب . اللهم إلا فذلكات صغيرة لا تجزئ ولا تبين !

ولقد كنا نظن أن مرد ذلك كله إلى طغيان الاحتلال الذى جثم على صدر البلاد سبعين سنــة كاملة لأنه كان من كبار زعماء الثورة العرابية الذين كان الناس يخشون ذكرهم ويخافون أن يدرسوا تاريخهم أو يشيدوا بعظمتهم ؛ وإنه عندما يندك صرح هذا الطغيان وتنكس أعلامه يأتى لنا أن نرفع عنه تراب الإهمال ، ونضعــه فى مكانه (السامى) بين عظماء الرجال . ولــكن وا أسفا ! فانا ما زلنا مفرطين فى جنبه ، جاحدين لفضله

وإنا بكلمتنا هذه التى نرسلها اليوم لا نريد أن نــكشف فيها عن جوانب هذا الرجل السياسة أو الحربية لأن هــذا مما يجب على غيرنا أن يؤديه له . وكذلك لا نحاول أن ندرس نواحيــه الأدبيــة فانها تحتاج إلى كتاب برأسه ، وهذه الدراسة ولا ريب دين كبير فى عنق كل من يتصدى لدرس حياة الأدب العربى فى عصرنا الحديث . وإنما همنا مما نــكتب أن نأتى بذرو من تاريخه الأدبى نستطرد منــه إلى ما نحن بسبيله من المطالبة بطبع كل ما ترك لنا من آثار أدبية جليلة يقضى الواجب أن نحرص عليها ، ونعمل على نشرها ، لينتفع الأدب وأهله بها . ونحن إذا بلغنا هــذه الغاية نــكون قد أحسنا إليــه غاية الإحسان ، وحفظنا ذكره عطراً على وجه الزمان . وما حياة العظيم إلا حياة آثاره وما ينتفع الناس من علمه وأعماله ، وما عدا ذلك فهو لغو باطل ، وعبث ليس وراءه طائل (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

لقد نشأ هــذا الرجل فى الأدب نشأة عجيبــة لا تكاد تتفق لغيره من الأدباء والشعراء إلا فى الفلتة والندرة !

ذلك أنه — على ما ذكر صديقه الشيخ حسين المرصفى أستاذ الأدب العربى بدار العلوم (كان) فى كتابه الجامع (الوسيلة الأدبيــة) [1] « لم يقرأ كتاباً فى فن من فنون العربيــة — غير أنه لــما بلغ سن التعقل وجد من طبعــه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربيــة ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسب ما تقتضيــه المعانى والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن . وسمعته مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين ، فقلت له فى ذلك ، فقال : هو كذا فى قول فلان ، وأنشد شعراً لبعض العرب . فقلت تلك ضرورة ، وقال علماء العربيــة إنها غير شاذة . ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الــكثير منها دون كلفــة ، واستثبت جميع معانيها ناقداً شريفها من خسيسها ، واقفا على صوابها وخطئها مدركا ما كان ينبغى وفق مقام الكلام وما لا ينبغى ، ثم جاء من صنعــة الشعر اللائق بالأمراء ، ولشعر الأمراء كأبى فراس والشريف الرضى والطغرائى تميز عن شعر الشعراء — هذا هو الأمير الجليل ذو الشرف

(١) ص ٤٧٤ ج ٢

الأصيل والطبع البالغ نقاؤه ، والذهن التناهي ذكاؤه ، محمود سامى باشا البارودى »

هذه هى طريقة البارودى فى دراسته للأدب العربى ، وكذلك كانت سبيله فى دراسة الأدبين التركى والفارسى ، فهو لم يختلف فيهما جميعا إلى معاهد العلم ، ولم يجلس إلى الأساتذة والمؤدبين فى أماكن الدرس ، ولا كان يتكئ فى حياته على ما يتكئ عليه المغرورون فى بلادنا من الشهادات والإجازات العلمية

ولم يكن أمره كذلك إلا لأنه قد أوتى « من صفاء الفطرة ونقاء الذهن وكمال الاستعداد » مالم يؤت غيره فى عصره . وبهذه العبقرية الفذة استطاع أزيده وبشاعريته إلى مرتقى استوى فيه على عرش الشعر العربى فى العصر الحديث ، وأصبح — بلا مراء — نابغة العصر ، وإمام الشعر فى مصر وغير مصر ، وإليه يرجع الفضل فى بعث دولة الشعر بعد أن ظلت قرابة ألف عام فى جدثها ، وعلى طريقته سار كبار شعرائنا أمثال صبرى وشوقى وحافظ . ولقد بلغ من نبوغه فى الشعر أن زاحم بمنكبه من سبقوه من فحول الشعراء ، جاهليين ومخضرمين ومولدين ؛ فعارضهم فى كل باب بقصائد عصماء أربى عليهم فى أكثرها

وكان ظهور هذا الشاعر الحنذيذ فى عصر لم يكن يهيئ لظهور شاعر عظيم مثله ، وخرج من بيئة لا تنبت مثل زرعه ، ونشأ بين فئة من الشعراء أمثال الليثى والنجارى والنديم والإبيارى ، أولئك الذين كان جل همهم ، واسمى ما يصعد من قرائحهم أن يأتوا ببيت فيه نكتة بديعية !

ولا تتعدى أغراضهم المدح والاستجداء ، بشعر ليس فيه جديد وليس فيه رواء

وقضى البارودى ما قضى من حياته بين وطنه ومنفاه الذى لبث فيه أكثر من سبعة عشر عاما إلى أن انتقل إلى جوار ربه فى يوم الاثنين ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ كما حققناه بمجلة الرسالة الغراء [٢] لا كما ذكره الدكتور هيكل فى تقديمه لديوان البارودى من أنه مات فى الأيام الأخيرة من ديسمبر سنة ١٩٠٤ !

وقد خلف لنا ثروة خالدة فى الأدب بعضها من شعره وبعضها مما اختار فى الشعر والنثر وغادرها إلى رحمة ربه ، مخطوطة لم يطبع منها شئ فى حياته

وفى سنة ١٩١١ ظفر أهل الأدب (بمختارات البارودى) فى أربعة أجزاء كبيرة من القرار الكامل تشمل ما اختاره من شعر ثلاثين فحلا من الشعراء المولدين ، ثم ظلوا يرتقبون ظهور ديوانه ، ومختاراته فى النثر التى سماها (قيد الأوابد) وطال ارتقابهم حتى خرج إليهم فى أواخر سنة ١٩١٦ جزآن من ديوانه لم يكادوا يطلعون عليهما حتى ضاقت صدورهم بما حلا من شرح ممل ثقيل حشد فيه شارحه الشيخ محمود المنصورى أحد علماء الأزهر من اصطلاحات أهل المنطق وقواعد علم الكلام والأصول ما نفرهم منه وزهدهم فيه . وقد عد بعضهم هذا الشرح من المحن التى ألحت على البارودى طوال حياته من فقد أبيه فى طفولته وموت زوجه وأولاده ومن نفيه عن أوطانه ثم فقد بصره فى آخر حياته . ولم يكن نفور الأدباء إلا لأن الشعر لا يحتمل منطقا ولا فلسفة . وكان مما تمنوه يومئذ أن لو خرج هذا الديوان عاريا من كل شرح حتى لا يغشى نوره مثل هذا السحاب الثقال — وظلت هذه الأمنية تختلج فى صدورهم حوالى ربع قرن إلى أن حملت إليهم جريدة الاهرام [٣] بشرى خفقت لها قلوبهم إذ روت أن ديوان البارودى قد فرغ من تصحيحه ودفع به إلى مطبعة دار الكتب لتتولى طبعه على نفقة وزارة المعارف وأنه سيخرج فى ثلاثة أجزاء

وفى سنة ١٩٤٠ ظهر الجزء الأول من طبعته الجديدة بشرح لا بأس به وتلاه الجزء الثانى فى سنة ١٩٤٢ يحمل

(٢) العدد ٨٩٧ الصادر فى ١١ — ٩ — ١٩٥٠

(٣) العدد الصادر فى ١٣ — ٣ — ١٩٣٩

من قصائد الديوان إلى حرف (الكاف) ويدعونا الإنصاف إلى أن نذكر أن الفضل فى ظهور هذين الجزءين إنما يرجع إلى النقراشى رحمه الله وكان وزيراً للمعارف يومئذ ثم انتظرنا ظهور الجزء الثالث ثمانية أعوام كاملة . ولما لم يظهر فيها استصرخنا وزارة المعارف على صفحات جريدة الاهرام (٤) لكى تعمل على إخراج الجزء الباقى من هذا الديوان ثم تردفه بكتاب (قيد الأوابد) وكان أملنا كبيراً فى تحقيق رغبتنا التى هى رغبة الأدب والأدباء إذ كان يتولى وزارة المعارف حينئذ الدكتور طه حسين عميد الأدب ، وخير من يعمل على نشر تراث لغة العرب ؛ ولكن يؤسفنا أن نقول إن صرختنا هذه قد ذهبت أدراج الرياح وبقى الديوان إلى اليوم ناقصاً لا يعرف الناس عنه ولا عن كتاب (قيد الأوابد) شيئاً

ومن أجل ذلك رأيت أن أنتهز فرصة الذكرى الثامنة والأربعين لوفاة شاعرنا الكبير — وانقضاء عشرة أعوام كاملة على ظهور الجزء الثانى كانت كافية لأن ينفد طبع الديوان كله فيها طبعة ثانية — فأرسل صيحة أخرى على صفحات مجلة الرسالة الغراء ونرجو أن تبلغ مسامع وزارة المعارف فتصغى اليها وتحقق ما فيها ، ولا تذهب هباء كما ذهبت التى سبقتها . ونأمل كذلك من حضرة مدير دار الكتب وهو أديب كبير أن يستمع اليها ويعنى بها حتى يرى أهل الأدب بين أيديهم فى القريب العاجل ديوان البارودى كاملا ، وكتاب (قيد الأوابد) بالطبع ماثلا

المنصورة

محمود أبو رية

(٤) العدد الصادر فى ٢٦ — ٣ — ١٩٥٠

ذكرى إحـــــــراق القاهرة

فى مثل هـذا اليوم أرعدت المدافع فى القنال ودمرت فى القاهره
فى مثل هذا اليوم أشعلت الخيانة نارها فى قلب مصر الثائره
فى مثل هـذا اليوم أحرق منزلى وغدوت بين حرائق متناثره
فى مثل هذا اليوم كانت ثورة الشعب الأبى على الذئاب الغادره

أنا لست أنسى ليلة مجنونة
هوجاء ترقص فى اللهيب الأحمر
وأنا أحلق فى الفضاء محطما
حيران أرنو فى أسى وتحسر
والأفق عربيد اللظى ونجومه
سكرت بأنفاس الدخان الأغبر
والجو مختنق الرؤى ونسيمه
يسرى بخطو واجف متعثر

والنار تحكى للسماء ملاحما
لبطولة الشعب الذى لم يقهر
والريح تصرخ فى الظلام كأنما
ضاقت بلؤم الغاشم المتجبر
نيرون مصر أحالها حمما وأشـــعلها ليرقص فى اللظى المتسعر
نيرون أوقف ثورة دموية
هبت أعاصيرا على المستعمر

سعد دعبس

حياة المازنى

المازنى والصحافة

« لست صحفياً بالمعنى الصحيح ، وإنما أنا رجل كاتب »
المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

— ٥ —

صلة المازنى بالصحافة صلة قديمة ترجع إلى ما قبل اشتغاله بها . فقد كان منذ سنة ١٩٠٧ يكتب فى الصحف التى تخصص جزءاً من صفحاتها للموضوعات الأدبية كالجريدة والمؤيد والدستور . وهذه الأخيرة هى الصحيفة التى كان يصدرها فى ذلك الحين الأستاذ محمد فريد وجدى ويشترك فى تحريرها الأستاذ العقاد . وعلى صفحات الدستور وعن طريقة تعارف المازنى والعقاد فتلازما من بعد واقترن اسماهما وتوطدت بينهما صداقة سوف يعتز بها التاريخ الأدبى ما ذكرت صداقات الأدباء .

وفى سنة ١٩١١ أصدر الأستاذ الشيخ عبد الرحمن البرقوقى مجلة « البيان » فتعهدها نخبة من الأدباء الناشئين فى ذلك الجيل أمثال الساعى والمازنى والعقاد وشكرى . ونشر بها المازنى فصولا فى الأدب والنقد ضمنها بعد ذلك أول كتاب صدر له وهو كتاب « الشعر ، غاياته ووسائطه » (١٩١٥) ، كما بدأ بها ترجمة كتاب التربية الطبيعية أو إميل للفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو . وتوقفت البيان عن الصدور فتحولت تلك المدرسة الأدبية إلى صحيفة « السفور » التى كان يصدرها الأستاذ عبد الحميد حمدى على عهد الحرب الكبرى .

أما بدء اشتغال المازنى بالصحافة بعد اعتزاله التدريس فقد كان حين دعاه الأستاذ عبد القادر حمزة ، عقب الثورة ، لمعاونته فى تحرير صحيفة « الأهالى » وكانت تصدر بالإسكندرية ، وكان المازنى مريضاً متلف الأعصاب من أثر التجربة النفسية التى امتحن بها فى ذلك الصدر من حياته والتى أشرنا إليها فى الفصل السابق ، فاشترط أن تكون مشاركته إلى حين

وفى تلك المرحلة الباكرة من مراحل الحياة السياسية فى مصر ، كانت الصحف أكثر اهتماماً وعناية بالآراء والأفكار منها بالحوادث والأخبار ، فكان طابعها الأغلب وأكبر اعتمادها على المقالة . وكان ذلك أقرب إلى طبيعة الكاتب فى المازنى ، فلا جرم استطاع أن يلبى حاجتها ويساير اتجاهها ، متمشياً مع طبيعته محتفظاً بخصائصه ، غير متكلف ما يعدل به عن مذهب الحرية والاختيار

وكان المازنى ممن شاركوا فى هذا المجال وبرزوا فيه . ولفت ذلك نظر الأستاذ أمين الرافعى إليه ، فدعاه إلى مشاركته فى تحرير صحيفة « الأخبار » وهى إذ ذاك من كبريات الصحف الوطنية وأعلاها صوتاً ، فعمل بها المازنى سنوات ، وفيها توطدت شهرته الصحفية ، حتى ليمكن أن تعد تلك الفترة بداية التاريخ الصحفى فى حياة المازنى الكاتب الأديب . وفى الأخبار كان المازنى ينشر إلى جانب مقالاته السياسية اليومية فصولا أسبوعية فى الأدب والنقد ، ومنها الفصول التى جمعها بعد ذلك فى كتابيه حصاد الهشيم وقبض الريح . وظلت هذه عادته فى أغلب الصحف التى عمل بها

وعمل المازنى بعد ذلك فى صحف شتى لا يعنينا هنا أن نحصيها فى جملتها . واضطلع فترة رياسة التحرير فى صحيفة « السياسة » تعرض أثناءها لما يتعرض له رؤساء التحرير المسئولون ، فقد قدم إلى المحاكمة واستدعى للتحقيق معه غير مرة . وفى فترة تعطيل السياسة على عهد الوزارة الصدقية الأولى أصدر المازنى بالاشتراك مع الأستاذين الدكتور محمد حسين هيكل ومحمد عبد الله عنان كتاب « السياسة المصرية والانقلاب الدستورى » فى نقد سياسة ذلك العهد

وقد حفلت حيـاة المازنى الصحفية فى شتى مراحلها بالتجارب والأحداث ، وكانت بعض هذه التجارب خليقة أن تعـدل به عن وجهته وتحمله على الفـرار بنفسه من الصحافة ، ولـكنه ظل صامداً إلى النهاية كما تعود أن يصمد فى كل ميدان ، وتغلب على متاعب المهنة كما تغلب على متاعب الحيـاة . ويروى المازنى أنه كاد يتعرض يوماً للنفى بسبب مقال . وخلاصة الحادث أنه فى بعض الأعوام كتب سلسلة مقـالات عنيفة فى الأخبار ، يهاجم فيهـا الوزارة القائمة آنئذاك . وكان من المعارضين لها . وحدث أن وقعت جريمة وحشية اعتبر الـكتاب المعارضون مسئولين أدبيا عنها . وعلم بذلك الأستاذ أمين الرافعى فدعا إليه المازنى وأخبره أن الوزارة قررت نفيه ، وأن الأوفق أن يسافر إلى سويسرا حيث يراسل الأخبار من هناك . ويقول المازنى : « أعددت حقائبي وأخبرت أمى وطمأنتها ، وبت مؤرقاً طول الليل أنتظر أمر النفى وتنفيـذه ، وإذا بالوزارة تستقيل فى فحمة الليل .. فنجونا ولما نكد ! »

* * *

ومن طرائف المازنى فى الصحافة أنه اتفق يوما مع صديق له من كبار رجال وزارة المعارف على أن يبعث إليه بمقالات فى نقـد أعمال هذه الوزارة ، وكان المازنى يعارض الحـكم القائم ، فكان هذا الصديق يرسل المقال إلى المازنى فيحمله إلى بيته وينسخه بيده ويحرق الأصل إتقاء لعواقب التفتيش . ويقول المازنى وهو يروى هذه الحادثة « قامت القيامة فى وزارة المعارف ، وانطلق بعض رجالها يسألون ويستخبرون ليهتدوا إلى كاتب هذه المقالات المزعجة ، واستدرج بعضهم بعض المهال البسطاء ، فعلموا أن المقـالات بخطى ، فلم يستغرب أحد أن أكون أنا الـكاتب . وكنت فى ذلك الحين أسكن حى الإمام الشافعى ، ولى فيه أقارب وأصهار كثيرون ، ومن بينهم شيخ الإمامين الأسبق المرحوم السيد أحمد محسن ، فاتفق ذات ليلة أن كنت عائدا إلى بيتى ، فإذا كل من يلقانى فى طريق يقول إن الشيخ يسأل عنك . فذهبت إلى بيته فلم أجده . وفى الصباح جاءنى الخادم يقول إن الشيخ ينتظرنى لأنزل معه فى مركبته ، فعرجت عليه وركبنا معا . وسألته عن الخبر ، وكنا فى رمضان ، فقال : ياشيخ ، حرام عليك ! الرجل زارنى أمس بعد الإفطار بربع ساعة ، فهو إما غير صائم ، أو هو لم يهنأ بطعام ، وكل هذا من تحت رأسك ! فاستزدته من البيان فقال : إن الوزير يعرف أنك كاتب هذه المقـالات التى أقضت مضجعه ، وهو مستعد أن يستصدر قرارا فى الحال من مجلس الوزراء بإعادتك إلى الخدمة ، وفى مثل الدرجة التى فيها أحسن زملائك حالا ، وأن يحسب لك فى معاشك المدة التى قضيتها خارج الحـكومة . فضحكت وقلت: هبنى كاتب هذه المقالات ، فهل تكون الرشوة على هذه الصورة علنا ، وعلى مرأى ومسمع من الخلق جميعا ؟ فقال لاتكن مغفلا ! ما خير هذه الصحافة ؟ إن أسرتك كبيرة ونفقاتك كثيرة ولا اطمئنان على الرزق فى الصحافة ، فعد إلى عملك واستقر واحمد ربنا على الفرصة التى أتيحت لك . فقلت له : يا سيدى الشيخ ، إن لـكل ذمة ثمنها ، ولا أحسبنى فوق الرشوة إذا بلغت حد الإغراء ، ولـكنه ما من ذمة خربة تقبل الرشوة علنا ونهارا وجهارا على هذا النحو . ماذا يقول الناس ؟ فى المساء يقرأون الأخبار فإذا فيهـا مقال فى نقـد الوزارة ، ثم يصبحون فإذا أنا موظف كبير فى وزارة المعارف ! »

* * *

ثم كان المازنى فى سنواته الأخيرة يعمل فى أكثر من صحيفـة ، ويكتب إلى جانب ذلك للصحف التى تقترح عليه موضوعات الـكتابة ولا تقيده بالناحية السياسية وحدها . وقد عد البعض من مآخذه أنه جمع بين صحف تتعارض فى السياسة والمبـدأ . أما هو فـما كانت رسالة الصحافة لتختلف عنده بين صحيفة وأخرى ، وما كانت تعنيـه

الحزبية على الإطلاق . وقد ظل طيلة اشتغاله بالصحافة مستقلا برأيه ، بل كان المازنى ربما كتب معارضا لرأى الحزب الذى يعمل فى صحيفته . فهو يؤيد ما يعتقده صوابا ويعارض ما يراه مخالفا للصواب . وكان حكمه على الأعمال لا على الأشخاص . فلم يمنعه تقديره لزعيم كسعد زغلول من معارضة سياسته ، ولم تحل معارضته المنيفة لسياسة صدق دون الاعتراف بكفايته وعبقريته . وفى حياة المازنى الصحفية ، وهى طويلة ، لم تجتذبه المساجلات والمعارك التى كثيرا ماتثور بين الصحف ، وقلما عنى بالخوض فيها . ولا مراء فى أن المازنى كان ، فى بعض العهود ، معارضا شديد المعارضة ، ولكنه لم يكن يخرج فى معارضته عن حد النقد النزيه والإرشاد والتوجيه

وعلى الرغم من الصلة القوية بين الصحافة والسياسة ، كانت الكتابة الصحفية وحدها حد المازنى من المعترك السياسى ، فقد نأى بنفسه عنه ، وكان مستعدا حتى لترك الصحافة لو أنها كلفته النزول إليه

ولقد فوتح فى أمر ترشيحه للنيابة فرفض الفكرة ولم يأسف على رفضها ، بل لقد رفض أن يتقدم لانتخابات الرياسة فى نقابة الصحفيين برغم إلحاح زملائه عليه . وقد اختير فى بعض السنين وكيلا لها وما أحسبه رضى بهذا الاختيار إلا لأنه قدر أنه مستطيع أن يخدم به الصحافة ، ولأن المنصب فى ذاته لا خطر له فى غير دائرته المحدودة وهى دائرة النقابة

وقد طال اشتغال المازنى بالصحافة ولم يكن صحفيا مع ذلك ، أو هو كان صحفيا فى حدود خاصة ونطاق لايتعداه . فقد كانت وظيفته الأصيلة وهوى نفسه الكتابة لا الصحافة . وهو يقدم لنا فى أحد فصول كتابه الساخر الممتع « صندوق الدنيا » صورة وصفية لصحفى ، يقول فى ختامها على لسان رئيس التحرير : « يا صاحبى إنك كاتب لبق يسمك ما لا يسع فرقة بأسرها من الكتاب حين تجلس إلى مكتبك ، ولكنك حين تلقى الناس لا تعود صالحا لشئ أو قادرا على شئ . فاذهب إلى مكتبك ولا تزايله فما نستطيع أن نخلقك خلقا جديدا ! » وأكبر الظن أن المازنى كان يصدر فى بعض جوانب هذه الصورة عن شعوره الشخصى ، وأنه كان يصور نفسه هو

ونورد هنا حادثة لعلها فريدة فى حياة المازنى الصحفى نرويها لدلالتها على ما ذكرناه ، ولما فيها من فكاهة وطرافة فى آن .

ذلك أنه عقب عودة سعد من منفاه ، وفى صباح اليوم التالى لوصوله إلى القاهرة ، كان المازنى واقفا فى محطة الترام فى الإمام الشافعى حيث كان يسكن ، فمر به شيخ اللحادين وهم الذين يتولون حفر المقابر وحراستها والقيام عليها ، فرآه وأفضى إليه بأن سعداً آت لزيارة مقابر الشهداء . فبعث المازنى من جاءه بقلم وورق ، ووقف ينتظر ، وبعد قليل أقبل سعد فى سيارته ومعه بعض صحبه فى سيارة أخرى فأشار إليها المازنى لحمله معهم . وزار سعد مقابر الشهداء وألقى كلمة وجيزة دونها المازنى ، ثم قصد إلى قبر شهيد قبطى وألقى كلمة أخرى دونها المازنى أيضا . ولفت بعض الحاضرين نظر سعد إلى المازنى فحياه

ورجع المازنى إلى الأخبار ، واعتذر للأستاذ أمين الرافعى من تأخره ، فضحك ، وقال إن سعدا أخبره بالتلفون أن المازنى أبرع صحفى فى العالم ، لأنه عرف أن سعدا سيزور مقابر الشهداء ، مع أن الذين رافقوه ما كانوا يعرفون هذا ! .. قال الأستاذ أمين الرافعى « وطبعا وافقته ولم أكشف له عن سر هذه البراعة ! » أى أنه لم يقل له إن المازنى يسكن بين المقابر !

* * *

وبعد ، فقد غبرت على المازنى فى الصحافة سنوات طويلات المدد ، كانت كلها سنوات كفاح وجلاد بعيا به جبابرة الرجال . وأدركه منها بلاء لا يقاس إلى جانبه بلاء

كوليرج

للكاتب الناقد. اى. لى. كيلركوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

من العسير علينا أن نكتب حياة كوليرج ، أو بمعنى آخر أن هذا العسر سيزداد ويشتد باطراد كلما حاولنا التغلغل فى ماهية هذه الحياة ، وذلك بسبب نكسات الإرادة التى أصيب بها وعللها المختلفة ومعايبها المتعددة ، وهذه الحقائق التى يتطلب منا البحث النزيه ذكرها وتسجيلها هى التى ستضفى ظلالا داكنة على ذلك الوجود الحى الجميل الذى شهد بعظمته جميع معاصريه ؛ ومع ذلك يقتضينا الحق والإنصاف أن نركن إليها حتى نكون قد أدينا واجبنا حق الأداء. زد على ذلك أن هذه السيرة صعبة الإدراك ، لأن كثيراً ممن سيطالع دقائقها سينكر سماحة كوليرج ولطفه، وسيقتصر على مآسى حياته الظاهرية ناسيا بذلك أحسن ما فيه ، أعنى كوليرج الحقيق ، كوليرج المحب الإنسانى السمح ، الذى سعى جاهدا لمعالجة أدوائه بشغف وحب ، والذى كان فى أشد الشوق لكى يفتح عيون الناس على الجمال الأسنى فى براءة وإيمان عميقين ، وفى خفر ونزاهة بارزتين . مع أنه تلقى حكم الديمونة القاسية ببرودة (كشخص تائه فى وسط البهاء والإشعاع اللذين كانا ينبثقان من ذهنه الوقاد فى جلال وسمو)

فقصته لا تثير المزاج ولا تغيظ الطبع وحسب ، بل إنها تراوغ الفهم نفسه ، فتجعل حتى القارئ الهادئ الرصين فى حيرة من أمره ، كما حدث لأوديسوس بعد محاولته الثالثة لمعانقته والدته فى (الظلال) . لأن العناية الربانية كما يقول دى كوئزى (وضعت أمامه احتياطا دائما من المشاق فى طريق حياته) ولو تتبعنا أثر الرجل والتقينا بزرافات من أصدقائه وسألنا أى رجل منهم لكان جوابه : (كوليرج ؟ ذلك الصديق المدهش ؟ لقد كان هنا قبل مدة وقد ساعدناه فى سفره قليلا . لقد أخذ المرحوم جيمس كامبل على نفسه أن يكتب حياة كوليرج بحماسة وصدق ، وقد أدى هذا الواجب خير أداء وبنجاح تام (وعلى القارئ أن يرجع إلى كتابه (حياة كوليرج) ليرى البرهان بعينه) ولم يكتف كامبل بذلك بل أنه أكرم ذكرى الشاعر (فى هذا الجانب الوثنى من الكون) . ومع ذلك ، فلو أننا اقتفينا أثر قصته الملخصة خطوة خطوة لرأينا ازدياد

التدريس . وعجمت عوده فألفته لاهشا ولا رخوا ، وامتحنت معدنه فإذا هو معدن القوة الكامنة فى قرار المحيط أو الثورة القابعة فى سكون الصحراء . ولم تكن طريق المازنى فى الصحافة سهلة معبدة ، وكان بطبيعته المتمهلة الدؤوب لا يحسن الركض ولا يدين به ، فهو لم يصل إلى مكانته إلا خطوة خطوة وفى هينة وأناة وإلا بعد طول التوقل والإصعاد . وكانت تزداد مع الأيام أعباؤه ومتاعبه فلا يزداد إلا فرط جلد واحتمال ، أو فرط سخرية واستخفاف . وقضى المازنى الفترة الأخيرة من حياته على رغم الشيخوخة الزاحفة لا يترفق بنفسه ولا يرحم كبرته فكان أكثر الكتاب الصحفيين إنتاجا . واستكتبته الصحف على اختلاف ألوانها ونزعاتها فلبى رغباتها وإن لم ينزل إلى مستواها ، بل كان يلقاها فى منتصف الطريق ، ويحاول التوفيق بين طبيعته الفنية وبين الاتجاه الغالب على الصحافة وهو اتجاه القراءة السريعة الخفيفة . ولقد قال فى هذا إن جانب الصحفى طغى على جانب الأديب فيه . ولا مراء فى أن السرعة كان لها أثرها ، أو جنايتها على بعض إنتاجه الأخير . على أنه أصح من ذلك أن يقال إنها جناية الصحافة فى عمومها على الأدب فى عمومه . ولم يكن المازنى ضحيتها وحده ، فقد شملت الجيل بأسره ، وأدركت طوائف القراء كما أدركت طائفة الكتاب

يتبع

محمد محمود حمدان

الشكوك الحائمة فى ذهن الكاتب مما اضطره أن يعلن فى النهاية قوله : (إننى إن كنت لم أقدم — فيما اعتقد حقا — إلى مايؤول — على العموم — إلى ما يرفع من قدر كوليرج فى عيون الناس فإننى أعترف بجريرتى بشعور الدهشة وخيبة الأمل) ويستطرد المؤلف المذكور قائلا : (إننى على يقين بأن هذا الهيكل المقدس ، على ما فيه من أنقاض ممتزجة بالرخام أبهى مما يمكن أن نشيده نحن من هذه الأحجار المتناثرة هنا وهناك فى الحقول والطرقات) . لقد كان كوليرج تبريرا أمينا صادقا لوجوده . فالرجال والنساء الذين لم يشاركوه فى قصوره ومعايبه لم يتوددوا إليه ولم يتقربوا منه فقط ، بل أنهم أحبوه وأكرموه واتبعوه مسرورين . فقوة الجاذبية هذه هى التى يمكن اعتبارها شاملة عامة — على اختلاف الطبائع والمشارب التى كانت تؤثر فيها وتسحرها — هى وحدها الدليل القاطع والبرهان الناصع على القابليات الفريدة التى كان يمتاز بها . لنا أن نقرأ ونعيد قراءة حياته ولكننا لا يمكن — مع كل هذا — أن نعرفه كما عرفه آل (لامب) أو آل (وردذ ورث) أو (بول) أو (هوكان فرير) أو (جلمان) أو (غرين) لأن البغض أعمى كالحب سواء بسواء . ولكن الصداقة لها عيون مفتحة وشهادتها كفيلة بإقناعنا إن نحن استعملناها بحكمة لتصحيح انطباعاتنا وآرائنا)

* * *

ولد صموئيل تايلور كوليرج فى الحادى والعشرين من أكتوبر سنة ١٧٧٢ فى مقاطعة (أوترى فى ديفون شاير) وكان أصغر تسعة أبناء من زواج ثان . وكان والده المحترم جون كوليرج رجلا شفيقا وعالما متتبعا منقبا شارد الذهن معروفا بعدم واقعيته . وقد نشر عدة كتب بعد أن جمع اشتراكات من قرائه مقدما ، كما حاول إصلاح قواعد اللغة اللاتينية . وقد توفى فى سنة ١٧٨١ وبعد انقضاء عدة أشهر تمكن صموئيل الصغير من الحصول على القبول فى كلية (كرايست) . وقد صور شارلس لامب هذه المدرسة وكوليرج تلك الأيام تصويرا خالدا . وقد كان كوليرج أكبر من زميله تشارلس بسنتين ، ومع ذلك فقد بزه فى مضمار الدراسة وسبقه فى سلم التقدم وحصل على درجة أعلى منه بعدة أشهر . ففى مقالة تشارلس الآنفة الذكر والموسومة بـ (كلية كرايست قبل خمس وثلاثين سنة) نجد تلك الأساليب البارعة والنكت اللطيفة التى تحبب إلينا تشارلس ، نجدها باعترافه الصريح تخالف مقالته (ذكريات كلية كرايست) وتشير من طرف خفى إلى ذلك الشاب الذى فقد حنان والديه وأهله . فيقول : (كنت صبيا فقيرا لا صديق له . فأهلى ومن يجب عليه أن يعتنى بى بعيدون عنى . أما معارفهم فى المدينة الكبيرة[1] والذين اعتمد عليهم أهلى وأحسنوا فيهم الظن ، ولكن هؤلاء المعارف خيبوا ظن أهلى ، لأنهم تخلوا عنى بعد أن تنازلوا واستقبلونى فى أول زيارة لهم لاستثقالهم زيارتى فى العطل ظنا منهم أن زيارتى هذه ستتكرر كثيرا . وهكذا بعد لأى شعرت بالوحدة القاتلة تلفنى بأذيالها بين أترابى الكثيرين . يالالظلم ! كيف يمكن أن يحول حائل بين طفل فقير وبين بيته الذى ترعرع فيه ؟ وما أشد الحنان الذى كان يساورنى تجاه ذلك البيت وتلك الحيرة فى تلك السنوات العجاف ! وكيف أن بلدتى الأصلية تعاودنى فى أحلامى بكنيستها وأشجارها ووجوهها ! وكيف أنى كنت أستيقظ باكيا وفى قلبى ألم ممض وشوق جامح لرؤية (كالن) الجميلة فى (ولتشاير)

وطبيعى أن يكون الصبى هو كوليرج بالذات و (كالن) الجميلة هى (أوترى) فى ديفون ولكن بصورة مقنعة ، ومن الواضح الجلى أن كوليرج شعر بهذه الوحدة : لأن طبيعة مرهفة الاحساس كطبيعته لايمكن إلا أن تشعر بها بكل حرارة وبكل قسوة وقد ذكر ذلك بجزع مروع فى قصيدته (البرد فى منتصف الليل) كما أنه وعد ابنه بحياة أسعد . ومن الحق أن نقول إنه لم يشعر بذلك طوال

(١) يقصد الكاتب لندن

حياته . لأن رسائله الأولى تتضمن بعض التلميحات والإشارات إلى الأمور العرضيــة والتافهة ، ثم نرى لهجة هذه الرسائل تتغير تبعاً لنموه الروحى والفكرى فتتحول إلى ذكر أشياء أخرى. وقد قال فى سياق إحدى رسائله : (أرجو المعذرة إن ذكرتــكم بأن عطلتنا ستبدأ فى الأسبوع القبل ، وإننى سأخرج للنزهة لمدة أيام ، فاطلب أن ترسلوا لى سروالا جديدا ، لأن ذلك سيكون شيئاً لائقاً بمظهرى وخصوصاً لأننى مضطر إلى الظهور أمام النساء) . وأصبح فى الوقت اللائم إغريقياً ، فوقع فى أحبولة الحب وتظم شعراً صبيانياً فى هذا المعنى . ولو أن الغرام وما تبعه من نظم الشعر ، لم يكن ذا شأن يذكر فى عنفوان شبابه ، إلا أنه قدر لكل هذا أن يكون له أعظم التأثير فى الفترة التى تلت هذه الحقبة الجامحة من حياته . أما الفتاة التى علق بها والتى أوحت بكل هذا فكانت تدعى الآنسة (مارى ايفانز) وهى ابنة أرمل وأخت أحد أتراب كوليرج الذى كان يعتز بصداقته كثيرا

يقول كوليرج متذكراً تلك الأيام (أواه ! ما أجمل ساعات الفردوس بين السادسة عشر والتاسعــة عشر من سنى العمر ، حيث كان (ألن) (تلميذ مدرسة) وأنا نحرس إيفانز فى طريقها إلى البيت فى أمسيات السبت ، وقد كانت فى تلك الأيام تشتغل فى معمل للقبعات النسوية ... وكنا معتادين أن نحمل إلى هناك فى صبيحة كل يوم من أيام الصيف باقات الأزهار الناضرة . ولــكن الوحى لم يأت كله من مارى ، بل ان ابنة ممرضة المدرسة شاركتها فى ذلك ، وقد وجه شاعرنا قصيدته (جنيفياف) اليها . ويقول كامبــل فى ذلك ما يلى : (كانت العــادة المتبعــة فى ذلك الوقت تجيز للطلبة المتقدمين أن يرتبطوا بأولئك البنات الصغيرات ارتباطاً غرامياً) . أما مارى فقد أعانت (وليم لــل باولز) على إيقاظ القابلية الشعرية لديه ، كما يشرح لنا ذلك الفصل الأول من كتاب (البيوغرافية الأدبية) [٢] ،

(٢) الحياة الأدبية

وقد وجد النقاد على اختلافهم موضعاً للدهشة والاستغراب فى كل هذا ، إلا أننا لا يجب أن ننظر إلى ذلك بشىء من هذا القبيل

ولنبدأ الآن بباولز ، فان أغانيــه على علاتها ليست رديئة ، وأكثر من ذلك ، فهى تشير ولو بصورة شاحبة إلى الفجر الذى انبثق فى حياة الشعر الانجليزى . ولا شك أنه لو حدث أن وقع فى يدى كوليرج شىء من شعر (بليك) أو (كاولى) أو (برنز) ، وهو على عتبة السنة السابعة عشرة من عمره ، انبدلت قصة حياته ولكان تحوله أجمل إيقاعاً وأحسن نتيجة . ولــكن حدث فى سنة ١٧٩٠ أو حوالى ذلك أن ظهرت إلى الوجود الحركة الشعرية الجديدة ، وقد سرت عدوى هــذه الحركة سرياناً هائلا جارفاً ، وكان إقبال الشباب عليها شديداً جداً ، ولم يكن ينظر الشباب إلى مصدر ذلك قطعاً ، بل إنه التمس فيها عوناً له فى حيرته التى كان يتخبط فيها [٣] ، ولو أن كوليرج استمد فــكرته من مصدر قوى آخر لتغيرت نتائج تفكيره ولأصبحت حياته أكثر تهوراً وأشد عنفاً وغليانا . أما وقد وقع الأمر كما كان ، فان (الأغانى) البريئة ومجتمع عائلة إيفانز تعاونتا على إبعاده من الميتافيزيقا واللاهوت اللذين أمداه بغذائه الروحى فى وقت مبكر من حياته ، وكان هذا الابعاد رقيقاً لطيفاً (بحيث لم يشعر به) . وقد اعترف كوليرج بفضل باولز لأنه كما يقول (أدى له فضلا لا يوازيه إلا فضل الــكتاب المقدس) ، ومع ذلك فان محاولاته فى نظم الشعر كما اعترف بذلك نفسه فى استكانة واستحياء لم تخرج من طوق ما تعارف عليــه الأقدمون من أوزان ومقاييس وبحور . وفى كانون الثانى (يناير) سنة ١٧٩١ وافقت لجنة الوكلاء بكلية (كرايست) على السماح له بالالتحاق بجامعة كيمبردج ، وكانت بداية عمله هناك ودراستــه جيد جداً بحيث أنه نال وساماً ذهبياً فى سنة ١٧٩٢ لقصيدته الرائعة فى ذم تجارة الرقيق ،

(٣) من كلام المترجم

خاطرة

نداء (الرسالة)

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

يا رسالة الشرق!

أشرقت فى أفق المعرفة منذ عشرين عاما؛ فبهرت الأبصار ولم يأخذك البهر، وحددت المثل العليا، فسمت الخلائق ثم تساميت عن ممالأة الخلق!

انطوى تحت لوائك الأعلام، فحملوا المشاعل ليشعلوا النفوس الخابية، ويحفزوا الهمم الكابية، ويرسموا الخطط القويمة، ويصوروا صور الإنسانية الفاضلة!

والتزمت خطة الإباء الآزن، والشمم المعتز، والتحفظ المتئد، والتطلع السامق، والترفع العف!

يا رسالة الفكر!

أرخت حياة الأدب فى صفحاتك، وسجلت نتاج الأفكار تسجيل التخليد، ووصلت ما بين الشرق المتحفظ والغرب المنطلق، فتلاقت فى ميدانك ألوان ثقافات العصر فى الفكرة الجديدة، والأسلوب المبتكر، والأداء السليم، والنقد المستقيم، واللمحة الوضاءة!

يا رسالة الوجدان!

أرسلت حداء القلوب فى تناغيم العاطفة، وعاطفت بين المشاعر الإنسانية، فتفتح الوجدان عن كمه، ليلقط قطرات الصبابة بعد أن انبعثت معتصرة من شئون الشجون!

كان شعرك صورة حية لشعورك فى صفاء الديباجة، ونقاء الألفاظ، ومتانة الرصف، وصدق الوصف، وجمال الأخذ!

يا رسالة الروح!

وجهت النفوس إلى الخالق فى إيحاء الخشوع، وتواضع الدماثة، وخلوص النية، ولطف السجية، وجلال الإشارة، وبلاغة العبارة، حتى حلقت الأرواح معك، وجاوبت أصداء هتفاتك، فرفت بعد أن اغترفت، وهامت بعد أن ألهمت!

يا رسالة الضمير!

عاتبت الغفلة، وحاسبت الغفوة حتى تيقظ الوسن، وتلفت اللاهى؛ ثم صورت ما يجب أن تكون عليه النفس الفاضلة فتنصت إلى الصوت الحق حين يناديها، لتزن الأمور وفق ندائه وتترك المباغى الذاهبة لتحيا فى ظلال النزاهة!

يا رسالة الإنسانية!

لا أريد أن أمرق إليك بالملق، أو استنديك بالحمد؛ فأنت فى غنية عن ملقى وحمدى، لكنى أريد أن تعايشى الناس فى نطاق حياتهم، لأنك صورة جلية للانسانية السامية!

صورى النقائص بالنقائص، وهاتى الصورة «العارية» لتكشفى عن سوأة الرذيلة!

وكاد أن ينال زمالة (كرافن) لولا تعصف بور سون (أحد المحكمين) ضده. وفى تشرين الثانى سنة ١٧٩٣ ترك كوليرج كيمبردج إما خوفاً من ترا كم ديونه أو من أثر نوبة عصبيه شديدة أصابته بسبب رفض مارى إيفانز لالتماساته. ومع ذلك يشك الآن فى أهمية هذين السببين فى تقرير مصيره. وعلى كل حال فقد اتجه كوليرج إلى لندن لينخرط فى الثانى من كانون الأول فى سلك الجيش) فيصبح أحد جنود الفرقة الخامسة عشرة للفرسان والمعروفة بفرقة (دراكون) الملكية تحت اسم مستعار هو (سايلاس تومكن كومبربيك) وربما كان من سخرية القدر أن يدعى (بالفارسى) لأنه كان قصير القامة بديناً، أبعد ما يكون عن الرشاقة. وفى نيسان ١٧٩٤ تمكن أقاربه من الحصول على ترخيص بتسريحه من الجيش بعد مشقة شديدة، وبعد ذلك أعيد قبوله فى كلية (كرايست) مرة أخرى

البقية فى العدد القادم — يوسف عبد المسيح ثروت



مشروع هندسي لتحسين المواصلات النهرية في روسيا

أتمت الحكومة الروسية أكبر مشروع هندسي في تاريخ المواصلات النهرية وهو ربط نهري الفولجا والدون بقنال مائي طوله ٦٢ ميلا يجاوره ثلاثة خزانات رئيسية ذات حجم هائل . وبربط أكبر أنهار الاتحاد السوفيتي بعضها ببعض استطاعت روسيا السوفيتية أن تنشئ في دخيلتها بحرا جديدا تمج فيه السفن وسائر أنواع المواصلات المائية الحديثة . وقد اعترفت الأوساط الهندسية خارج الاتحاد السوفيتي بأن هذا المشروع هو من أدق المشروعات الهندسية وأعظمها في تاريخ المواصلات المائية

وقد أنفقت السلطات الروسية على هذا المشروع وقتا وجهدا ومالا كثيرا ، ولكن الفائدة العملية التي ستتولد عن هذا المشروع تفوق بكثير ما أنفقت عليه من مال وجهد

وقد نصبت لإدارة هذا المشروع ستة محركات كهربائية هائلة في كل محطة من محطات المضخات الثلاث التي أنشئت على مجرى القنال الذي ربط النهرين ، وفي كل مضخة عدد من آلات القوة الدافعة تسير بتيار قوته ٤٤٠٠ كيلواط يربط مياه النهرين عبر القنال الجديد في أنبوبة فولاذية قطرها عشر أقدام تدفق مياهها إلى مجرى القنال لتحفظ عمقه المائي على نحو ما تقتضيه حمولة السفن التجارية التي أخذت تستعمل القنال لتنقل البضائع والركاب من المناطق الآهلة بالسكان في حوض نهر الأوبى إلى المناطق البعيدة التي تجاور نهر الدون

وقد احتفلت السلطات السوفيتية بافتتاح القنال الجديد احتفالا كبيرا رددته ألسنة الرأي العام ونشرات الدعاية والأنباء التي تبثها السفارات والبعثات السياسية الروسية في العالم الخارجي

يا رسالة الثالثة !

أنت حصيفة مجربة ، تزنين الأمور في ميزان الخبرة ، لكنك تبعدين عن المبذلة ، وتتحاشين التدلي ، وتؤثرين السلامة ، والحياة غافلة في ملهاة الشهرة ؛ فصوري التلهي بالتشهي ، وقاربي بين التدلي والتسلي !

إنك مجدة في جد... ؛ فهلا سخرت من الهزل في سخريتك ؟ ! الزمن للأضاحيك ، وأنت ذات بسمة حكيمة ؛ فاجعلي من البسمة حكمة ، وروضي تلك الطباع النافرة على التأدب بأدبك !

يا رسالة الخامسة !

أنت في عهدك الجديد السعيد تنزعين إلى منزع التحرر ؛ وتنطلقين مع الحياة في تحفظ اعتزازك ؛ وتصونين مكانتك ، وتوقر مهابتك ؛ فالقلوب هتافة معك ، والأرواح متصلة بك !

يا رسالة الرسالات !

إليك نفوسنا نزاعة إلى رحابك ، وخواطرنا متسامية في تساميك ؛ فأشرقي أشرق ؛ لتبقى النور مع البعث الجديد !

أحمد عبد اللطيف بدر

وفاة جون ديوي

توفي في أول يونيه الماضي «الدكتور جون ديوي» أحد أعلام الفكر الأمريكي المعاصر وعميد الفلسفة والتربية «البرجماتزمية» التي تتميز بها الثقافة الأمريكية عن غيرها من ثقافات الغرب

وقد بلغ الدكتور ديوي من العمر ٩٢ عاما وأنتج ما يزيد على ٣٠٠ مؤلف من مختلف الأحجام وفي مختلف الموضوعات المتعلقة بالفلسفة والتربية والتوجيه السياسي وعلم النفس والاجتماع

ولعل أبرز ما ساهم به الدكتور ديوي في حاضر الثقافة الأمريكية هو نظريته في التربية العملية «Learning through Doing» التي أصبحت الآن من مميزات أسلوب التربية

والتعليم فى الولايات المتحدة الأمريكية

وقد جاهد هذا المربى الامريكى الكبير فى الدعوة إلى نظريته التربوية شارحا للناس بأن العلم المجرد لا ينفع صاحبه إلا إذا رافقه إدراك عملى لوسائل تطبيقه على الحياة اليومية . ولذلك دافع ديوى عن النظرة « البرجماتزمية » للحياة وقال بوجوب تسخير الثقافة المجردة لخدمة الفنون التطبيقية التى تنفع الناس فى حياتهم العملية . وقد واجهت هـذه النظرية انتقادا لاذعا من قطب أمريكى آخر له مكانته الهامة فى بيت المربين الأمريكان هو الدكتور روبرت هاتشينز رئيس جامعة شيكاغو . ووصف الدكتور هـاتشنز نظرية ديوى بأنها « رجعية تتعارض مع الثقافة السليمة » وقال هاتشنز كذلك بأننا يجب أن نبتذل العلم والثقافة الرفيعـة لكى نساعد على جعل المدرسة مصنعا لإخراج التلاميذ . فللثقافة الرفيعة أهميتها فى حياة الشعوب حتى ولو كانت مقصورة على فئة مختارة من الناس اختارت التخصص فى العلم المجرد . وإذا عجزنا عن جعل كل طالب فى كل مدرسة يتذوق العلم المجرد والمتعة الثقافية العالية فلا أقل من أن نوفر هذه الفرصة لأولئك النفر من الطلبة الذين يؤهلهم استعدادهم الخاص لتذوقها . فمثل هذا النفر هو المسؤول عن مستقبل الحضارة والثقافة فى كل شعب من الشعوب

« ت . س . اليوت » وشعره فى سن الشباب

نشر الأستاذ « كارلوس بيكر » أستاذ الأدب الحديث فى جامعة برنستون الشهيرة بحثا طريفا عن أمير الشعر الإنكليزى المعاصر (ت . س . اليوت) بمناسبة انقضاء ٣٠ عاما على ظهور ملحمته الخالدة « الأرض الخراب »

ويقول الأستاذ بيكر أن شعر اليوت فى سن الشباب يتميز بالنقد الاجتماعى اللاذع الذى مهد له السبيل لبناء مدرسته المتميزة فى الشعر العالمى المعاصر . فللمستر اليوت مدرسة فكرية هامة لا يقتصر نفوذها على حاضر الشعر الإنجلوسكسونى بل يتعداه إلى أوساط أدبية أخرى

وقد ولد اليوت فى أمريكا عام ١٨٨٨ ، ثم نزح إلى بريطانيا واختارها وطنا له

وقد اشتهر هذا الشاعر المجود بانتاجه الأدبى فى قصائد من الشعر الطليق واصفا حياة المجتمع التقليدى المحافظ فى بوسطن — وهى أشد المدن الأمريكية شبها بالمجتمع البريطانى . وقد وزن الشاعر حياة المحافظين من المترفين بميزان الفكر الحر فجاءت قصائده سجلا لما يعترى هـذا المجتمع المترف من جفاف روحى وقلق عاطفى لم تستطع أن تدفع شره أسباب الطمأنينة الاقتصادية وما وفره لهم مركزهم الاجتماعى من رخاء وبحبوحة فى العيش

ثم التفت الشاعر إلى حياة الطبقة التى لم تستطع أن تضمن بحبوحة العيش والطمأنينة الاقتصادية — من العمال والمجتمعات الفقيرة التى تعيش على هامش الحيـاة فى المدن الصناعية الكبرى . ووجد اليوت أن هذه الفئة من الناس تعانى أزمات روحية وألوانا من القلق العاطفى ولكنها أزمات أخف حدة بفضل البساطة التى تسود تفكيرهم فى شؤون الحياة ومشاكلها . وبين هاتين الفئتين وجـد المستر اليوت فئة ثالثة موزعة الأهواء مشوهة الفكر لا ترضى عن حياة الترف وما يصاحبها من ثقافة وتفكير روحى ، وترفض جهالة الطبقة العاملة وما يعتريها من جمود عقلى لا يرضى عنه العقل النبيه

وقد وصف هذا الشاعر تمازج هذه الفئات الثلاث فى الحياة اليومية فى ديوان له سماه « بروفروك » أصـدره فى عام ١٩١٧ وفى مجموعة من القصائد نشرها عام ١٩٢٠

وقد لفت المستر اليوت النظر فى تلك المرحلة من فتوته الشعرية إلى بلاغة وصفه للطبقات العاملة فى قصائد وجدت جمال التعبير وقوته فى وصف زكائب الأقذار والغرف المظلمة القاتمة والأثاث المكسر الوسخ . وانفرد اليوت فى صياغة هذه المناظر فى شاعرية أثبتت أن الشاعر الحق يجد الجمال فى المنظر البهيج وفى المناظر والمشاهد التى هى أبعد ما تكون عن البهجة

وكان شعر اليوت في فترة شبابه مطبوعا بطابع السخرية والنقد الاجتماعي اللاذع ثم مر الشاعر في فترة نضوج عقلي سيطرت على تفكيره سيطرة تامة فجملته يبحث في تراث الماضي عن علاج لأزمات الساعة ومشكلات الفئات الثلاث التي يتكون منها المجتمع . ولم يقتصر اليوت على الشعر في نشر آرائه في هذه الفترة بل عمد إلى النثر . وله عدة كتب تحتوى مقالات نثرية هي من أثمن ما في الأدب الانجليزي الحديث من نتاج . واعتنق اليوت الكاثوليكية بعد أن كفر بالبروتستانتية التي نشأ عليها لاعتقاده بأن البروتستانتية دين لا يكترث بذخيرة الماضي الروحية ولا يعتنى بها عناية الكنيسة الكاثوليكية

وفي عام ١٩٥٠ نشر المستر اليوت مسرحية جديدة بعنوان « حفلة كوكتيل » عاوده فيها حنينه إلى النقد والسخرية

ولا يزال المستر اليوت زعيما لمدرسة الشعر الحديث في العالم الانجلوسكسوني . وهو يقيم في بريطانيا اليوم ويتولى إدارة إحدى كبريات دور النشر البريطانية

الحياة الأدبية في أمريكا اللاتينية

عالم واسع الأرجاء يطفح بالحياة والثورة الفكرية الجامحة — هذا العالم اللاتيني المؤلف من حوالي ٢٢ دولة ودويلة في أمريكا الجنوبية . ومع ذلك يندر أن نعثر في صحف الأدب والفن على استعراضات للحياة الأدبية والفنية في أمريكا اللاتينية — وكل ما يعلمه الناس عن أبناء الأرجنتين والبرازيل والشيلي وفنزويلا وبيرو وكولومبيا وسواها من الأمم اللاتينية في أمريكا الجنوبية لا يتجاوز الأخبار الصاخبة التي تصاحب الانقلابات العسكرية والسياسية التي أصبحت علما على هذه الدول

والواقع أن الضجة السياسية في أمريكا اللاتينية تخفي ثورة فكرية جامحة فيها كثير من العناصر التي تصاحب الحياة الفكرية في البلاد الآسيوية

وقد استعرض أحد الكتاب في الملحق الأدبي لجريدة النيويورك تايمس مؤخرا الحياة الأدبية في هذه الدول اللاتينية فوجد أن من أهم العناصر التي تؤثر في الإنتاج الفني لأرباب القلم في أمريكا اللاتينية عنصرين : الحرية السياسية ، والعدالة الاجتماعية — وهما كما نرى عنصران لهما شبيه في حاضر الأدب الغربي والآسيوي إجمالا

وفن القصص في أمريكا الجنوبية فن ضعيف ، إلا من قلة ضئيلة يتزعمها القصصي الفنزويلي (رامون دياز سانشيز) . وقد أصدر هذا الكاتب مؤخرا قصة هي غاية في الابداع تعالج حياة العمال الوطنيين في مناطق آبار البترول الفنزويلية التي تحتكرها الشركات الأمريكية . والقصة سجل للتطور النفساني العميق الذي يمر به العامل حين ينتقل من حياة بدائية تقريبا في الجبال والمراعي إلى ضجيج المؤسسات الصناعية العصرية على نحو ما نشهده في شرق الجزيرة العربية هذه الأيام . ولهذا الكاتب قصة أخرى تعالج الصراع العنصري بين الزنوج والسكان البيض (من العنصر الاسباني) في المزارع الاقطاعية المنتشرة في أمريكا اللاتينية

ويبدو أن القارئ في أمريكا اللاتينية يشارك القارئ الغربي في إقباله على كتابة القصة القصيرة . فالأقاصيص رائجة هناك كتابة وقراءة

وقد انفردت جمهورية الشيلي من بين شقيقاتها الدول اللاتينية الأخرى بأنها قد أبرزت أعظم شاعر في المنطقة كلها . وهو السنيورة (جابرييل ميسترال) الذي منح مؤخرا جائزة نوبل للآداب

محاضرات ومناظرات

شكل الدولة فى الدستور الجديد

تناظر فى هذا الموضوع أربعة من أقطاب الفكر يوم الثلاثاء الأسبق بالجامعة الشعبية ، واحتشد لسماعهم بضعة آلاف من الناس كانوا يشتركون فى المناظرة بقلوبهم وعواطفهم ، إذ الموضوع موضوعهم ، ثم هو موضوع الساعة ! وقد انعقد إجماعهم — أو كاد — على الموافقة على الرأى القائل بأن تكون الدولة جمهورية ، ولهذا فقد كان صاحب الرأى الذى يرى أن تكون الدولة ملكية ضعيفا حرجا ، فالجمهور يعارضه فى كل قول ، ويثور عليه فى كل رأى ، وهو لا يتزحزح عن موقفه حتى انتهى كلامه وهو يصيح فى الحاضرين (لكم دينكم ولى دين)

وكان الوقت المقسوم لكل من الأربعة المتناظرين نصف ساعة ، فالتزموه ولم يعده واحد منهم ، وعقب عليهم الدكتور منصور فهمى — ولم يكن له وقت مقسوم — فاستغرق فى تعقيبه ساعة ؛ وشارك الكثيرون فى مناقشة الموضوع ، واشتد بالجمهور الحماس ، وانهالت الأسئلة من كل صوب على المتناظرين ، ولم تنته المناظرة إلا بعد أربع ساعات وكان المحدود لها ساعة ونصف ساعة فقط ! وكان سيرها على الوجه الآتى :

نهض الأستاذ محمد على علوبة فقال :

لأول مرة نستطيع أن نجتمع لنناقش مثل هذا الموضوع الخطير الذى لم نكن نستطيع أن نمسه — ولو من بعيد — فى العهود الماضية ، ولكم هو شعار عهدنا الحاضر ، الدولة دولة الجميع ، والوطن وطن الجميع ، ليس لواحد فيه أكثر مما لأخيه ، فلكل أن يبدى رأيه فى نظامه ودستوره وقوانينه التى سيؤخذ بها جميع المواطنين على السواء

ولو ذكرتم التاريخ القديم للانسانية لوجدتم أن نظام الحكم فيها كانت نظماً أوتوقراطية مسرفة ، حيث كان يحكم الشعب فرد واحد لا رأى إلا رأيه ولا هوى إلا هواه والشعب قطيع لا يملك من أمر نفسه شيئا !

واستمرت الشعوب على هذه الحال أزمانا طويلة ، ثم بدأ الوعى يتسرب إليها رويدا رويدا ، وأخذت تنفض عن عيونها غبار هذا السبات الطويل ، واشتد بها الوعى والإدراك ، فطالبت بأن يكون إليها حكم نفسها ، وأن تكون — دون سواها — مصدر كل السلطات

وصوت الشعوب قوى غلاب ، لا تثبت أمامه قوة فرد وإن يكن من الجبابرة المردة ، فتحقق لها ما طلبت ، وصارت الأمم فى كل بقاع الأرض -- إلا النادر القليل — مصدرا لكل أنواع السلطات فى أرضها ، وصاحبة الكلمة العليا فى تصريف أمور بلادها ، ونشأت هذه الكلمة السحرية ، وسرت فى العالم ، وأعنى بها كلمة (الديمقراطية) ونتج عنها نظام (الملكية الديمقراطية) ونظام (الجمهورية الديمقراطية) وكلا النظامين ... كما يبدو من اسمهما ... مقرون بصفة الديمقراطية ومقيد بها ، لتضمن الشعوب بذلك أن تظل صاحبة السلطان

ولو رجعنا — فى مصر — إلى المائة سنة التى مضت فماذا نحن واجدون ؟

نجد أن الحكم كان عندنا إما أوتوقراطيا سافرا أو أوتوقراطيا يسنده شئ اسمه الدستور ! نجد أن « عرابى » يطلب إلى « توفيق » — فى تواضع — العدل ويطلب إليه البرلمان ، فيجيبه هذا الحاكم المطلق بقولته المشهورة : « كيف تجرؤون على هذا وأنتم عبيد إحساناتنا ؟ » . ونجد أن الجيش يطلب إلى « إسماعيل » ألا يستأثر الجنود الأجانب بالمناصب الكبيرة فى جيش البلاد وأن يشترك معهم الجنود المصريون فيها ، فيأبى عليهم إسماعيل ذلك ؛ بل وينزل بهؤلاء الطالبين العقاب الأليم . ونجد هذه

الوحشية التي كانوا يسمونها (الالتزامات) ومعناها أن تباع القرى برمتها إلى (ملتزم) نظير مبلغ معين ، ثم إذا بهذا (الملتزم) يلهب ظهور أهل القرية بالكرباج ليجمعوا له المال الذي يدفع منه نصيب الحاكم في هذا «الالتزام» . هذه نماذج مما نجده في حكم الفرد منذ مئة سنة ، أما عهد فاروق فأراني في غير حاجة إلى بسط القول فيه وهو ما زال ماثلا لأعينكم ، ومن عجب أنه كانت تسنده طول مدة حكمه برلمانات لا أدري أهي حقاً برلمانات أم شركات ؟

أريد أن يستقر في أذهاننا جميعا أن صلاحنا لا يكون بصلاح فرد وإنما يكون بصلاح المجموع ، وأن يستقر في أذهاننا أننا كنا دائما في خلال هذه السنوات السالفة شركاء في المسؤولية ، وأن هذه السنين كانت وبالا مستمرا وفسادا دائما لهذه الأمة . إن الدين الإسلامي يا حضرات السادة — لا يعرف الملكية ، ويكفي دليلا على ذلك أن محمدا سيد الخلق لم يعين احدا بعده ، وأن خلافة أبي بكر بعده إنما كانت بالبيعة وهي انتخاب ، وكذلك كانت خلافة عمر وعثمان إلى أن صار ملكا عضوضا فضاعت هيبة المسلمين .. إن الدين الإسلامي يقرر أن الأمر شورى بين الناس ولذلك لا أستطيع أن أنصح إلا بالجمهورية

ثم أعقبه الدكتور وحيد رأفت فقال : —

أعلم — قبل أن أتكلم — أن موقفي بينكم حرج شديد الحروجة ! لأني سأنفرد برأي لا يقرني عليه أحد من زملائي ، وما أحسب أحدا منكم سيقرني كذلك ! فكلمة « الملكية » مقرونة في أذهانكم باسم « فاروق » وبئس القرين ! ولكن أرجو أن تعلموا أننا لا نضع دستورا لليوم فقط ولكننا نضعه للأجيال القادمة أيضا : وليس كل الملوك فاروقا ، وفي الملوك — كما في الناس جميعا — الصالح والطالح ، وقد بقي النظام الملكي حتى اليوم في بلاد عريقة كإنجلترا وسويسرا والنرويج ، رغم أن الإنجليز شنقوا من ملوكهم واحدا وطردوا آخر ! وليس النظام الجمهوري — كما يتصور البعض — ضمانا قاطعا من الظلم والطغيان ، فقد أدى في أمريكا مثلا للدكتاتورية دائما ! إن حول رئيس الجمهورية الأمريكية وزراء ولكن لا رأي لهم ولا وزن لكلامهم ورأيه هو الأعلى دائما . وإن إلى جانب رئيس جمهورية فرنسا رئيس وزارة هو بمثابة دكتاتور فعلي للبلاد ، وإن الجمهورية في فرنسا هي سبب الاضطرابات والقلاقل والهزات المالية التي تنتابها دائما . إنني لا أشير بغير النظام الملكي على ألا يكون فاسدا مفسدا كالذي رأيناه ، فكيف نضمن ذلك ؟ إنكم مسئولون إلى حد كبير عن هذا الفساد الذي استشرى في بلادكم ، وكيفما تكونوا يول عليكم ، وقد أعطيتم الملكية درسا قاسيا لن تنساه قرنا — على الأقل — من الزمان ، ولن تكون الملكية طاغية في مصر بعد اليوم

وأعقبه الدكتور مصطفى الحفناوي فقال : —

من حق الشعوب — يا سادة — أن تختار لون الحكم لنفسها بنفسها مستندة في ذلك على حقها في الحرية والاستقلال وهو حق لا يسقط بالتقادم ولا يجوز أن يباشر بالإنابة ، فما النظام الذي يختاره الشعب ؟ سواء عندنا أن يسمى رئيس الدولة ملكا أو رئيس جمهورية ، ولكن يجب أن يكون الحكم ترجمة لشعور الأمة وضمانا لتوزيع العدل بين آحادها

ونحن لا نستطيع أن نستند في اختيار لون الحكم على سوابق الدول الأخرى ، فالدساتير كالنبات ينمو هنا ويذبل هناك ، وإذا أردنا الإبقاء على الملكية فمن يكون الملك ؟ أنبقي على هذه السلالة العلوية وإن الصالح لا يخرج من صلب الفاسد أبدا ؟ أنقدم التاج لهذه الأسرة ونكرر تجربة ذقنا منها الأمرين مائة وخمسين عاما ؟ إن الأمر يجب أن ينتهي إلى الأمة فتنتخب هي رئيسها وتعزله إذا رأت منه اعوجاجا ، فيكون أمرها إليها لا إليه . ولذلك فلا أوصي بغير الجمهورية

وينهض على أثره الأستاذ إحسان عبد القدوس فتكلم في بساطة وسهولة قائلا : —

تحكم مصر من عهد الفراعنة حكما ملكيا ، فتأكد معنى هذا الحكم في النفوس ، وأصبح من الصعب إيجاد الخيال السياسي للتحرر من هذا المعنى . ومنذ عهد الفراعنة لم تحكم مصر بمصري ومع ذلك فإن البعض يريد أن يفوت علينا هذه الفرصة الذهبية ويعيد إقامة ملوك يبدءون صالحين ثم ينتهون فاسدين ! وحجة هذا البعض أن الملكية نظام استقرار ؟ فأي استقرار هذا ؟ إنه الجمود والتحجر والوقوف عند مصلحة الملك . إنه استقرار للعرش وللملك لا للشعب ولا لأبناء الشعب .. إن النظام الملكي هو سبب خلق نظام الطغيان فالملك يريد أن يكون إلى جانبه طبقة مثله يؤيد بها عرشه وينفذ بها رغباته ولن توجد هذه الطبقة إلا على أشلاء الطبقات الفقيرة البائسة .. إنهم يسألون من يكون رئيسا للجمهورية ؟ كأن مصر قد عقمت عن أن يكون بها رجل يحل محل الطفل أحمد فؤاد ! لقد عملت استفتاء في موضوع مناظرتنا الليلة ولا أذيع سرا إذا قلت إن الإجماع يكاد يكون منعقدا على تحبيذ الجمهورية فأنا لا أشير إلا بها

جامعة الأمم العربية على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

في السادسة من مساء الجمعة السابق اجتمع بقاعة يورت عدد من الناس لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية الأسبق في هذا الموضوع ، وقد استغرق إلقاؤها ساعتين ، لا وقليلا كان المحاضر أثناءها يفيض بالحديث المدعم بالأرقام والإحصاءات والتواريخ ، كأنه يقرأ من كتاب مفتوح مع أن إلقاءه كان محض ارتجال ! ويمكن أن نلخص هذه المحاضرة القيمة فيما يأتي : —

لعل التعبير بجامعة « الأمم » العربية أولى من التعبير بجامعة « الدول » ، وأنتم تذكرون عصبة « الأمم » قديما وهيئة « الأمم » المتحدة حديثا ، وكلاهما هيئات قامت للدفاع عن الأمم وتنظيم العلاقات بين الشعوب . أما جامعة « الدول » العربية فهي الهيئة التي أنشئت في الشرق الأوسط من الدول السبع « مصر وسوريا ولبنان واليمن والعراق والأردن والمملكة العربية السعودية » للدفاع عن البلاد العربية جماء المشتركة منها في الجامعة وغير المشتركة .

وتم عقد ميثاقها — كما تعلمون — في الإسكندرية سنة ١٩٤٥ بين تلك الأمم التي تربط بينها علاقات الجوار واللغة والدين والعادات والتقاليد وما إلى ذلك من علاقات تضرب في بطون التاريخ إلى آماد سحيقة بعيدة . وقد وهم البعض أن هذه الجامعة إنما أريد بها أن تكون أداة ذلولا في يد الإنجليز ينفذون بها مآربهم ، ولكنها أثبتت أن هؤلاء جد واهمين ! فقد عملت جاهدة على استكمال السيادة لمن تنقصها السيادة من البلاد العربية ، وحققت جاهدة كثيرا من الأغراض المشتركة بين البلاد العربية كالثقافة والسياسة والاجتماع والمواصلات والقوانين وسواها ، وذلك ليس من مآرب الإنجليز في شيء ! ولكننا لسنا اليوم بصدد سرد أعمالها وجهودها في الماضي فلذلك مقام آخر ، وإنما نحن اليوم بصدد الحديث عنها الآن في ظل هذا العهد الجديد ..

كان الملك السابق يتدخل تدخلا سافرا في أعمال الجامعة لمآرب يبغي تحقيقها لنفسه ، كان يبغي — كما كان أبوه يبغي من قبله — أن يكون خليفة المسلمين ! فكان يجمع الملوك ويوفد الوفود ، ويلقي بالتصريحات الملونة بالحماس في بعض القضايا العربية كما عمل مثلا في قضية سوريا ولبنان ! ولكنه لم يكن ينظر في ذلك جميعه إلا إلى شخصه . فلما عز عليه تحقيق مطالبه انقلب عدوا للجامعة وساءت العلاقات بينه وبين الكثير من الأسر الحاكمة في البلاد العربية ، وخفت صوت الحماس منه وكان قويا ! وبزوال فاروق زال هذا العنصر الشخصي الذي كان يتدخل في أعمال الجامعة ، وصارت اجتماعاتها اجتماعات شعوب لا اجتماعات ملوك وأمراء كالتي كان يجمعها فاروق ، وأسبغ العهد الحاضر ظلا وارفا من رعايته على الجامعة . وليس من عجب في ذلك ؛

أخبار أدبية وعلمية

مفردات ابن البيطار

أذاع الدكتور سارنللى أستاذ صحة المناطق الحارة فى المعهد الشرقى نابولى وهو فى الثانية والستين من عمره وحجة فى تاريخ الطب فى الشرق الأوسط أنه اكتشف فى طرابلس مخطوطا عربيا قديما يؤيد القول بأن ابن البيطار الطبيب العربى الكبير الذى اشتهر فى القرن الثالث عشر بعلم العقاقير والأعشاب لم يكن واضع « كتاب الأدوية المفردة » بل كان شارحا له ومعقبا عليه

وصرح الدكتور سارنللى بأنه كان على الدوام متفقا فى الرأى مع الأستاذ ماكس مايرهوف أحد أساتذة جامعة القاهرة الذى كان يعتقد أن كتاب ابن البيطار ليس إلا نسخة مقرونة بملاحظات للكتاب الذى وضعه فى القرن الثانى عشر الفيلسوف العربى الاندلسى أبو جعفر أحمد ابن محمد ابن السيد الغافقى الذى ضاعت نسخته الأصلية

استغلال أشعة الشمس فى توليد الحرارة وادارة الآلات !

سيلقى المسيو فيلكس ترومب مدير المركز الوطنى للابحاث العملية ومنشئ « الفرن الشمسى » الوحيد الذى يعمل فى فرنسا ، محاضرة يوم ٢٢ يناير عن الحالة الحاضرة لاستغلال طاقة الشمس ، وما يحتمل أن يحقق فى هذا المضمار فى المستقبل

وجدير بالذكر أن هذه الطاقة الجديدة تستغل الآن ، بواسطة تركيز حرارة الشمس ، فى تسخين الماء وتعديل حرارة المنازل ، ويمكن استغلالها فى توليد القوة المحركة

غير أن المسيو ترومب يوجه جهوده وأبحاثه إلى توليد حرارة مرتفعة جدا من الشمس ، ويقوم بهذه الأبحاث ، مع عشرين باحثا من أعوانه ، فى قلعة « مونلوى » بجبال « البرانس » على ارتفاع ١٦٠٠ متر ، وفى هذه المنطقة يقوم منذ عام ١٩٤٩ ، أول فرن لجمع أشعة الشمس وتركيزها ، وذلك لاستخدامها قريبا فى النواحى الصناعية .. ويتكون فرن « مونلوى » هذا من جهاز لتوجيه أشعة الشمس ومرآة ومن مركز لجمع الأشعة . وتبلغ حرارة هذه الأشعة ، عندما يعكسها المركز من ٣٠٠٠ إلى ٣,٥٠٠ درجة مئوية . فاذا وضع ٥٠ كيلو جراما من الحديد فى هذا المركز انصهرت فى أقل من ساعة

ويعمل هذا الفرن ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ يوما فى العام ، ولكن إذا أنشئ مثله فى أفريقيا فانه يستطيع أن يعمل ٣٠٠ يوم فى السنة

انفجار على بعد مائة مليون سنة ضوئية !

من أنباء بالومار بكاليفورنيا أنه حدث فى طبقات الجو العليا وعلى بعد مائة مليون سنة ضوئية من الأرض انفجار يعادل انفجار القنبلة الهيدروجينية

ويقول الفلكيون فى معهد العلوم بكاليفورنيا أن الانفجار وقع حين اصطدم جسمان غازيان ، وقد أيدت المراصد فى انجلترا واستراليا وقوع هذا الانفجار ..

ويقول العلماء إن الانفجار أطلق قوة مقدارها أربعمائة تريليون كاتريليون كيلوات (أى أربعة أمامها اثنان وثلاثون صفرا) وهو ما يفوق قوة جميع محطات الراديو فى العالم مجتمعة

فإن العهد الحاضر تربطه بالجامعة أسباب وأسباب ، (فلسطين) هى أول حجر فى هذا العهد كما تعلمون وقائد الحركة قد حارب هناك وجرح ، وقضية (الأسلحة الفاسدة) هى — كما تعلمون أيضا — من الأسباب المباشرة لهذه الحركة ... لهذا كان طبيعيا أن نرى العهد الحاضر يحتضن الجامعة ، ويحتضن قضايا الأمم العربية عامة فيهب هبة الليث المصور لموقف ألمانيا من إسرائيل ، ويأسو جراح المكلومين الشاردين فى غزة ، فيسوق إليهم الغوث والعون فى « قطار الرحمة » ! ...

على متولى صلاح

جائزة جونكور

فازت بجائزة جونكور الأدبية الفرنسية الكاتبة البلجيكية « بياتريكس بيك Béatrix Beck » . وهى وإن كانت بلجيكية من أبيها الذى كان ميالا للأدب ويصدر مجلة أدبية فى بروكسل إلا أنها ونشأت وتعلمت فى فرنسا

ولدت بياتركس فى الثلاثين من يوليو عام ١٩١٤ فهى الآن فى الثامنة والثلاثين من عمرها . وبعد عامين من مولدها أى عام ١٩١٦ مات والدها . وعندما أتمت دراستها الثانوية التحقت بكلية الحقوق فى جرونوبل حيث تعرفت إلى زميل روسى لها فى الدراسة فتزوجت به وهجرت دراستها أثر زواجها عام ١٩٣٦ . وعند إعلان الحرب العالمية ذهب زوجها ليحارب فى صفوف الجيش الفرنسي ولم يلبث أن توفى عام ١٩٤٠ . وقيل إنه انتحر فى ميدان القتال . ولقد كانت هذه الصدمة وما تلاها من المتاعب التى عانتها بياتريكس لتكسب عيشها وتعول ابنتها أثر كبير فى توجيه تفكيرها وطبع أدبها باللون الخاص الذى امتاز به

فقصتها الأولى (بارنى Barny) التى ظهرت عام ١٩٤٨ وقصتها الثانية (موت شاذ une Mort Irregulière) التى ظهرت عام ١٩٥٠ ثم قصتها الأخيرة (القس ليون موران léon morin, prétre) التى أصدرتها عام ١٩٥٢ وفازت من أجلها بالجائزة الكبرى . هذه القصص الثلاث ما هى إلا صورة من حياتها الخاصة التى عرضت فيها أفكارها بصراحة تامة وأسلوب صارم غير عابئة بذلك التنميق أو المواربة التى يلجأ إليها الفن القصصى حتى عندما يكون رسما للحياة الخاصة للؤلف

وأكبر الظن أن المحن التى عانتها بياتركس بيك بعد موت زوجها والأعمال المهينة التى اضطرت للقيام بها لتكسب عيشها هى السبب الأول فى تلك الصراحة العنيفة التى نلمسها فى أدبها . فلقد عملت بياتريكس عاملة فى مصنع وخادمة وكاتبة على الآلة الكاتبة فى مكتب للتأمين ثم طاهية. وكانت أثناء كل ذلك تحس أنها أسمى من الأعمال التى تؤديها فلم تستسلم لضربات القدر . كانت تحس بأن فى داخلها أفكارا كثيرة فى حاجة إلى أن تدون وأنها بهذه الأفكار تستطيع أن تكون كاتبة ممتازة

وفى عام ١٩٤٧ حانت أول فرصة إذ كانت تعيش هى وابنتها فى انجلترا عند بعض أقربائها الذين قبلوا إيواءها فى مقابل أن تعمل طاهية للمنزل . وهناك كانت تختلس بضع دقائق كل يوم لتكتب قصتها الأولى (بارنى) حيث قصت ذكريات شبابها الأول ودراستها فى كلية الحقوق بجرونوبل وموت أمها ثم مقابلتها للطالب الروسى نوم تسابيرو الذى تزوجته فيما بعد . وفى هذه القصة لم تترك بياتريكس شيئا لم تقله مما اعتبرته الأسرة التى تعمل عندها جرأة لا تليق فطردتها من خدمتها

وأخذت الكاتبة الناشئة ابنتها ورحلت إلى باريس حيث لامورد لها . وفى غمار الفقر خطرت لها فكرة إرسال نسخة من قصتها إلى الكاتب الكبير أندريه جيد فلم يكد يكد يقرأها حتى أرسل بطلب رؤيتها بعد أن لمس فى كتابتها الذكاء والثقافة وحدة الذهن . فلما لقيها امتدح استعدادها وغمرها بتشجيعه ثم وجه لها نصيحته بقوله « حذار من العاطفية الحادة »

واستقرت حياة بياتريكس المادية إلى حد ما بعد أن اختارها جيد سكرتيرة له . وعندئذ بدأت قصتها الثانية (موت شاذ) وما هو إلا موت زوجها . ولم تكد تفرغ منها حتى بدأت قصتها الثالثة (القس ليون موران) ومات جيد وعادت بياتريكس إلى الاضطراب المادى ؛ ولكنها كانت قد آمنت بأن كسب حياتها لن يكون إلا عن طريق الأدب فانكبت على العمل حتى انتهت من قصتها التى فازت بأكبر الجوائز الأدبية فى فرنسا ووضعت مؤلفتها فى الصف الأول بين كتاب الأدب المعاصر

ليونار دوفينشى بقلم

وضع الكاتب الفرنسى أندريه شاسيتل كتابا عن

الفنان الإيطالى الخالد ليونار دوفينتشى واعتمد فى تأليفه على ما كتبه الفنان نفسه من خواطر ومؤلفات مستخرجا منها أفكاره ونظرياته واكتشافاته التى بثها فى مؤلفاته العديدة المتفرقة فى مختلف المكتبات والمعاهد العالمية الشهيرة ومنها مذكراته ورسائله إلى الملوك والحكام فى عصره

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام يعالج كل منها موضوعا قائما بذاته ومصحوبا بتعليقات وافية من المؤلف. والقسم الأول وعنوانه (ملاحظات وخطابات) يشرح حياة ليونارد، فيتيش خطوة خطوة ويكشف مطامحه العلمية كما نقرأ فيه عددا من الرسائل التى كتبها لبعض الأمراء يعرض عليهم فيها خدماته وما يمكن أن يقوم به من مشروعات. والقسم الثانى يبين ما قام به دوفينتشى من مجهود كرسام ومقدار مصارعته لقوة الطبيعة وما كانت تحتويه عبقريته النادرة من موارد لا تنضب. كما يبين كفاحه فى سبيل الكشف العلمى وكيف أوصله ظمأه إلى المعرفة إلى أن يكون عالى الفكر مترفعا عن القومية المتعصبة العمياء. وفى هذا القسم أيضا نرى نقد الفنان للعلم الزائف وتسفيهه له كما نرى نظريته الفريدة عن الكذب. أما القسم الثالث فقد خصص للأقاصيص والألغاز والأساطير التى رواها الفنان على ألسنة الحيوانات والتى يعبر فيها عن تحديه للطبيعة وتفكيره العلمى الواقعى البحت

الجريدة الموسوعية

بمناسبة الاحتفال بمرور مائتى عام على إنشاء (الموسوعة) الفرنسية الكبرى. ذلك العمل الفكرى الضخم الذى قام به ديدرو ودالامبير والذى كان له أعمق الأثر فى تطور الفكر فى أوربا الغربية أصدر الكاتبان الفرنسيان جوستاف شارليه ورولان موتييه كتابا يبينان فيه أن هناك عملا فكريا آخر أتم الرسالة التى حققتها الموسوعة ولم يذكر فضله الذى يستحقه إلى جانب فضل الموسوعة. وهذا العمل هو (الجريدة الموسوعية) التى ظهرت من عام ١٧٥٦ إلى عام ١٧٩٣ تحت رياسة بيير روسو. فقد أقام روسو فى ليبج ثم انتقل منها إلى بوبيون حيث أصدر جريدته التى كانت تظهر كل خمسة عشر يوما واستمرت على الظهور مدى ثلاثين عاما. ولقد اشترك فى تحرير هذه الجريدة فولتير إلى جانب عدد من رجال الفكر الأحرار فى ذلك العهد. وكان روسو يحلم بأصدارها فى أن يجعل منها جريدة أوروبا الأولى من حيث الرسالة التى تحملها فى قيادة الفكر الحر وحمل علم التطور فى عصرها. والواقع أن (الجريدة الموسوعية) ملتقى الأفكار التقدمية فى كل من ألمانيا وانجلترا وفرنسا. وقد استخرج المؤلفان من بين الثلاثمائة مجلد التى كونتها الجريدة فى مدى الثلاثين عاما من ظهورها كثيرا من المستندات ليثبتا أهمية الجريدة والدور الخطير الذى قامت به فى عصرها وهى مستندات تنير نواحى من الحياة الفكرية فى القرن الثامن عشر لم يكشف عنها إلى الآن.

العيد المئوى لمكتبة لاروس

احتفلت مكتبة لاروس فى الشهر الماضى بالعيد المئوى على تأسيسها وقد حضر الاحتفال جمع حاشد من رجال الفكر والأدب الفرنسى فجابوا أنحاء الدار الواسعة ومطابعها الضخمة. ومما يذكر أن مكتبة لاروس تصدر كل يوم إلى أنحاء فرنسا وسائر بلاد العالم ما يقرب من خمسين طنا من الكتب. أما معجمها الشهير فقد طبع منه إلى الآن ستة ملايين نسخة

ولقد أعد لهذه المناسبة متحف (جريفاز) تمثالا من الشمع لبيير لاروس مؤسس المكتبة؛ وقد أزيح عنه الستار بحضور أحفاده الذين يواصلون تأدية الرسالة التى قام بها جدهم منذ مائة عام

آراء وأنباء

حول بلزاك

نشر الأستاذ أنور المعداوى فى عدد الرسالة الأخير تعليقا على مقال عن بلزاك . ومع تقديرى لملاحظاته واهتمامه أحب أن أسوق نقطتين هامتين

(١) لم أقل إن بلزاك كان متأنقا فى «الصنعة البيانية» بل كان « متأنقا فى فنه » فهو لم يكن يعيد تصحيح « الألفاظ » وتنميقها بل تصحيح « الافكار والآراء » . والواقع أن بلزاك لم يكن «أديبا» فحسب، بل كان «مفكرا» أيضا . كان فى طليعة الكتاب التقدميين فى عهده . ولعل هذا هو السبب فى أن الكتاب التقدميين فى عصرنا هذا يعتبرونه فى طليعة الأدباء الذين كان أدبهم أحد المعاول التى دكت صرح الفساد وكشفت عيوب المجتمع ومتناقضاته ، كما كان الحال مع فيكتور هوجو وزولا وغيرهما . أليس هو القائل فى كتابه (الفلاحون) منذ أكثر من مائة عام « إن الاشتراكية هى المنطق الحى للديمقراطية »

(٢) ربما اتفقت مع الأستاذ المعداوى فى أن قصة (الأب جوريو) هى أحسن قصص بلزاك . ولكنها أحسنها من الناحية « القصصية » أو « الأدبية » . والذى قلته هو أن كتاب (لوى لامبير) هو « أقوى وأعمق » كتبه . وعندى أننا عندما نحكم على الأديب الآن يجب أن نهتم أولا بما يصوغه فى أدبه من « أفكار » قبل أن نهتم بروعة الأسلوب أو جمال الوصف أو غير ذلك وإن كان لهذا أيضا أهميته . ولقد سبق بلزاك بقصته (لوى لامبير) بما يزيد على نصف قرن غيره ممن عالجوا مشاكل النفس البشرية وما أطلق عليه (العقل الباطن) وعلاقته بالجنون والعبقرية . ولا يمكن أن نغمط حق الكاتب دوستوفسكى فى هذا الميدان فقد كان أدبه باعتراف العالم فرويد نفسه نبراسا لكثير من الاكتشافات التى تمت من أسرار النفس البشرية وخفاياها

علي كامل

ديك الجن

سألنى الأديب الفاضل محمود راشد الحنفى بالعدد الأخير من مجلة الرسالة الغراء عن سبب تسمية الشاعر محمد بن عبد السلام بن رغبان الحمصى بديك الجن ، فقد كان لزاما على فى رأيه — أن أخصها بالحديث

ولعل الأديب الحنفى يتصور لهذه التسمية قصة شائقة ، فهو يشتاق إلى رؤية فصولها الرائعة ، ولو كان الأمر كذلك ما فاتنى أن ألم بها فى حديثى بالثقافة عن الشاعر الملتاع ! وكل ما نعرفه عن هذه التسمية العجيبة ما نقله شيخنا الأستاذ أحمد يوسف نجاتى فى تعليقاته النفيسة « بالجزء التاسع من نفح الطيب ص ١٩ » من أن الشاعر كان ذا عينين خضراوين كعيون بعض الديكة الرائعة ، فسمى بالديك لذلك

وهناك سبب ثان لهذه التسمية ، فقد ذكر الأستاذ نجاتى أن أحد أصدقاء الشاعر قد صنع له وليمة كبيرة ، وذبح فيها ديكا رائعا قد اشتهر بجمال صوته ، وحسن منظره فنظم ديك الجن أبياتا رائعة فى رثائه ، واشتهر بها حتى سمى بديك الجن ، ومن هذه الأبيات

دعانا أبو عمرو عمير بن جعفر ... على لحم ديك دعوة بعد موعد
فقدم ديكا عد دهراً مدملجا ... مؤانس أبيات مؤذن مسجد
وقال لقد سبحت دهرا مهللا ... وأسهرت بالأذن أعين هجد
أيذبح بين المسلمين مؤذن ... مقيم على دين النبى محمد
فقلت له يا ديك إنك صادق ... وإنك فيما قلت غير مفند
ولا ذنب للأضياف إن نالك الردى
فإن المنايا للـــديوك بمرصـــد

هذا كل ما قيل ... أما إضافة الديك إلى الجن ، فقد كانت مبالغة صريحة فى جودة الديك وروعته ، إذ أن

أرباب البلاغة إذا رأوا حسنا — كما يقول أبو العلاء — عدوه من صنعة الجن . وقد بلغ الديك من الحسن مبلغا عظيما ، يتخطى الأنس إلى الجن ، ونسب « للعبقريين »

ولعل القارئ قد أدرك سذاجة هذه التسمية ، وكم للشعراء من تسميات عجيبة ألصقت بهم إلصاقا لمناسبة تافهة ، كجران العود ، والحيص بيص وفلان وفلان

أبو تيج — محمد رجب البيومى

تحية كريمة

زار السودان فى الأيام الأخيرة الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف فى حكومة العهد الجديد عهد الأصلاح والتقدم .. عهد الرخاء والمساواة بين الطبقات . وكان لتلك الزيارة التاريخية أثران عظيمان : أثر سياسى بارز خدم أغراضه خدمة وطنية صالحة ، وأثر اجتماعى أنسانى أدى رسالة أنسانية سامية إلى أبناء الجنوب أبناء الوطن الواحد الشقيق ما كان ليؤديها أسلوب آخر

لقد كان العهد البائد يثقل أنفسنا بأوضاره وأفكاره القذرة ؛ وكانت رواسبه العميقة الجذور عالقة ببعض الأذهان حتى جاء الوزير الشعبى البارع يضع يده فوق الأمراض الزمنة فيقتل جرثومة الداء العضال ... كنت كغيرى من عشرات الألوف الذين أتيح لهم الاستماع إلى المحاضرتين القيمتين اللتين ألقاهما الوزير العالم الحر على ذلك الحشد الكبير من الناس . كانت الأولى بدار الثقافة بالخرطوم وموضوعها — الدين والمجتمع ؛ والثانية بنادى أم درمان الثقافى وموضوعها — الإسلام دين ودولة . وكنت كلما استمعت إلى الوزير الضليع يتردد من أعماق همس يتحول على شفتى إلى قول الشاعر :

إذا استوزرت فاستوزر علينا فتى كالفضل أو كابن العميد

كانت الأعناق تتطاول والخواطر تتيقظ والنفوس تتلهف إلى ذلك الفيض الإلهى الغامر فتتلقاه واعية له مستوعبة لأهدافه وغاياته ، مستلهمة ماينبعث من قلبه المؤمن وكان كل إنسان حريصا على ألا تفوته إشارة شاردة أو معنى عابر ؛ فأمثال الباقورى هم أساتذة الحضارة ورسل الحياة فى هذا الزمن الحائر القلق ، ولعل رغبة الكثيرين من سكان السودان — وأرجو أن أكون معبرا عنها — أن يقوم هذا النفر الكريم من أمثال الدكتور طه حسين ، والداعية الكبير سيد قطب ، والخطيب المفوه سعيد رمضان ، برحلات ثقافية إلى السودان . فهل تبلغ تلك الرغبة إلى هؤلاء وأندادهم على صفحات الرسالة ؟ وهل تستجيب الحكومة القائمة فتسهل لهم الطريق ليشركوا أخوانهم السودانيين فى أمن العهد الجديد وإشراقه ؟

الخرطوم — محجوب الفضل

حول معهد الدراسات العربية العليا

قرأت بمجلة الرسالة الغراء — نبأ فتح معهد للدراسات العربية العليا يدرس فيه كل ما يتصل بالدول العربية من آداب وتاريخ وقوانين وجغرافيا — وهذا لا شك عمل عظيم يزيد وحدتنا توحدا واتساقا ومعرفة للكثير من شئوننا التى نجهلها

وكل ما أرجوه من أولى الأمر أن يباح لنا نحن خريجى كلية اللغة العربية الانتساب إليه أسوة بزملائنا خريجى الجامعات ، ولا نحرم منه كما نحرم من الماجستير والدكتوراه المصريتين فى الوقت الذى تبيح لنا ذلك فرنسا وانجلترا وأمريكا حتى روسيا الحمراء .. وأملنا فى هذا العهد الجديد لنأمل تحقيق كل ما نصبو إليه .. بعد أن انقشع عن الوطن عهد الظلم والأجحاف

كيلانى حسن سند

لغويات

اختشى

فتشت مادة (خ ش ى) فى جميع المعاجم فلم أجد (اختشى يختشى اختشاء فهو مختش أو مختشى ومختشية) مع أنه قد ورد عن العرب وأخذه المصريون عنهم أو عن جاليتهم واستعملوه فى كلامهم وفى أمثالهم قالوا (اللى اختشوا ماتوا) و (واللى يختشى من بنت عمه ما يجبش منها عيال) و (يخاف مايختشيش) وإليك بعض الشواهد من شتى العصور

قال عنترة العبسى :

ولا تختشوا مما يقدر فى غد فما جاءنا من عالم الغيب مخبر

وهى من قصيدة مطلعها :

إذا كان أمر الله أمرا يقدر فكيف يفر المرء منه ويحذر

وقال السلطان العبدى :

فكن كابن ليل على أسود إذا ما سواد بليل حشى
فكل سواد وإن همته من الليل يخشى كما تختشى

وجاء فى حياة الحيوان فى الكلام على (الأسد) ...

وضربوا المثل بالخوف من الأسد قال مجنون ليلى :

يقولون لي يوماً وقد جئت حيهم وفى باطنى نار يشب لهيبها
أما تختشى من أسدنا فاجبتهم هوى كل نفس أين حل حبيبها

وجاء فى حياة الحيوان فى الكلام على (حلافه المستعين بالله) من قصيدة غرامية قالها على لسان الخليفة المستعين يحاور بنت عمه ، ونسبها غيره إلى وضاح اليمن الشاعر الأموى الماجن :

قالت فان الله من فوقنا يعلم ما نبديه من شوقنا
نمضى إلى الحق غدا كلنا ونختشى النقمة من ربنا

قلت وربى ساتر غافر

وجاء فى ديوان ابن خفاجة الاندلسى ص ٧٢ -

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا فى دياركم ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار

وقد جاءت هذه الأبيات فى ترجمته ص٧ ويروى مكانه (لا تختشوا) لا تحسبوا من حسب بمعنى ظن وهما متقاربان خطا كما أنهما صحيحان معنى

وجاء فى الضوء اللامع ج ٤ ص ١٨٩ فى ترجمة عبد الرحيم : وكان مما كتبه من نظمه ليكتب على قبره :

تقول نفسى أتختشى من هول ذنب عظيم
لا تختشى من عقاب فانت عبد الرحيم

وجاء فى السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩ قال العارف بالله سيدى على وفا

لا تختشى فقرا وعندك بيت من كل الذى لك من أياديه منن

على أن الباحث إذا دقق النظر فى مادة (خ ش ى) أمكنه أن يستنبط (اختشى) منها لأن هذا الفعل مطاوع (خشاه تخشية) بمعنى خوفه كما أنه شقيق (تخشاه) بمعنى خافه ، وقد وردا فيها ، ونظيره غذاه تغدية فاغتذى وتغذى؟ فوجود واحد منها يقتضى يستلزم وجود الآخر حتما

توفر

أنكر أحد الباحثين استعمال (توفر) بمعنى وفر وكثر وتم وكمل واجتمع وكان وافرا مع أنه صحيح مثل (توافر) فقد نص عليه اللذوبون وغيرهم . على أنه لا يحتاج إلى نص ودليل لأنه مطاوع وفره توفيرا بمعنى كثره وأتمه وأكمله وجمله وافرا ، فقولهم (توفرت فيه الشروط) صحيح ، وأيضا (توفر على العمل) إذا صرف همته إليه ، وبذل فيه مجهوده

قتيل وقتيلة

القتيلة بمعنى المقتولة كلمة عربية صميمة تقول هذه قتيلة وشاهدت قتيلة ، وامرأة أو فتاة قتيلة ، ويسوغ أن تقول :

في عالم الكتب: نقد وتعريف

عبقرية المسيح

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ نقولا الحداد

من يطالع هذا الكتاب للأستاذ العقاد يظن أن مؤلفه إكليريكي لاهوتي فيلسوف في اللاهوت المسيحي النظري بحث في أساس اللاهوت المسيحي بحثاً شاملا جامعاً لتاريخ النصرانية وما اكتنفها من النبوات وما سبقها من الحوادث كما وردت أخبارها في الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) وفي بعض الكتب التاريخية وما توالى على اليهودية من عقائد وطوائف وديانات وما صاحبها من معتقدات أمم أخرى واصطدمت بها أو لا مستها

وأنا (أنا خصوصاً) لا أدري لماذا يجب أن يسبق المسيح أو محمداً نبوات تنبه الناس إلى مجيئهما وتؤيد رسالة كل منهما — ألا يكفي أن يظهر عيسى ومحمد في الوجود الإنساني وأن يسلكا السلوك الذي علماه، وأن تعلن تعاليمهما وتؤيد بأعمالها حتى نقول هذا مسيح الله وهذا نبي الله؟ أما تكفي حياتهما وتعاليمهما شهادة لها؟

ولكن هكذا ألف الناس منذ القديم أن تكون حوادث العالم الدينية متعاقبة يرشح بعضها بعضاً حتى لا يكون فيها لبس ولا غش ولا تمحل ولا دعاو باطلة

في كتاب عبقرية المسيح فصول عن الحالة الدينية في العالم والحالة في عصر الميلاد المسيحي. وفي تاريخ الميلاد من الحقائق التاريخية ما لا نراه في الكتاب المقدس لا التوراة ولا الإنجيل. وهناك كثير من الأخبار ما لم يذكر الأستاذ مصادرها أو أسنادها وكنا نود أن لا يغفل هذا الواجب لكي يتأكد القارئ أن المؤلف حقق ودقق بعد أن درس وتعمق. فيكون ذلك أكفل لتقدير قيمة عمله وتنوير للقارئ المحقق للمراجعة واستزادة من التحقيق والتوسع في المعرفة

ثم استرسل الأستاذ في تفكيره اللاهوتي في فصول: «الصور الوصفية» و«الدعوة» و«اختيار القبلة» و«تجارب الدعوة» و«الشريعة» بحيث تعطى الكتاب القيمة التي تستحق أن تنسب للعقاد وتكون في طبيعة دراساته

ثم توغل في شريعة الحب حتى أراك أن الناموس أو شريعة الناموس تعتبر ناقصة إذا لم تكن شريعة الحب التي هي محور سلوك المسيح وتعاليمه؛ وهي بيت القصيد في حياته كلها «بهذه الشريعة شريعة الحب (والمحبة) نقض المسيح كل حرف من حروف شريعة الأشكال والظواهر

وفي الفصول الأخرى ترى أن العقاد لم يعن بالمعجزات ولا بأخبار المسيح في مدة وجوده بين العالم الثلاثين، بل اقتصر على زبدة تعاليم المسيح التي صار بها يسوع الناصري مسيحا

وقد أحسن الأستاذ صنعاً في إغفال تلك المعجزات التي يظن بعض الناس أنها كانت الوسيلة الوحيدة لانتشار الدين المسيحي. وهذا الظن هو الضلالة التي يكرهها المسيح. والذين طلبوا منه آية من السماء قال: إذا كان إبراهيم ويعقوب

امرأة أو فتاة قتيل لوجود الموصوف المؤنث (امرأة أو فتاة) ولكن ليس من الحكمة والدقة في التعبير في مخاطبة الجمهور أن نلجأ إلى الوصف المشترك (قتيل) فنستعمله في المذكر تارة وفي المؤنث تارة أخرى معتمدين في فهم المراد على القام ووضوح الكلام لأن العدول عن استعمال المشهور بين الجمهور (قتيلة) إلى استعمال المهجور (قتيل) بمعنى مقتولة يوحي إلى القارئ أن (قتيلة) خطأ أو لغة ضعيفة وليس كذلك لأنها هي الصفة الأصلية المختصة بالإناث، وعلى هذا يقاس نظائرها مثل جريح وجريحة

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي

وغيرها من الآباء لم يقنعوكم فلا تقنعكم الآيات

والحقيقة أن المسيح لم يأت إلى الأرض لكى يقيم عازر من القبر ، ولا لكى يحول الماء إلى خمر ، ولا لكى يمشى على الماء ، ولا لكى يفتح عيون العميان ، ولا لكى يقيم المقعدين ، ولا ولا ؛ وإنما جاء لكى يقول ثلاث كلمات : أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى من أساء إليكم . من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر إلى آخره . وبهذه الكلمات يسير الآن وراءه ألف مليون نسمة على الأرض وإن كان معظم هؤلاء أو جلهم لا يفعلون ما قاله المسيح ولا يفهمون ما يعنيه ؛ فهم ضعيفو الإيمان ومنهم من لا إيمان لهم وإنما هم يفخرون بانتمائهم إلى صاحب هذه الشريعة — شريعة الحب والتسامح وأكثرهم لا يؤمنون بغير الدولار والدينار

وأما قول بعض الناس إن المسيح طلب من الطبيعة البشرية ما لا تستطيعه ؛ لأنك لا تجد واحداً فى الألف يحول لك الخد الأيسر إذا لطمته على الخد الأيمن ، ولا من يحب عدوه ، ولا من يبارك لاعنه ، فإن من الحق أن هذا القول صعب على الطبيعة البشرية ولكنه ليس مستحيلا عليها ، والمسيح نفسه عمل بهذه النظرية التى ظنوا أنها مستحيلة

فقد كان يقول وهم يبصقون عليه ويطعنونه بحربة : « يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » ولم يقتل هذا على طبعه . وإذا كان كل واحد يفكر أن الساعة تكسر الشر فيبعد حين لا يوجد بين أحداً ضرب على خده ، ولا أحداً يعادى أحد . وفى القرآن الكريم مثل هذا القول : « لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »

فوصية المسيح بالتساهل والتسامح ليست فوق الطبع البشرى بل هى تحت الطبع البشرى وفى وسع كل إنسان أن يطبقها إذا أراد . وإذا كان الناس يتربون على هذه الوصية ويتعودونها يستسهلونها

أعود فأقول إن المسيح لم يأت إلى الأرض لكى يعمل العجائب والخوارق وإنما جاء لكى يعلم الناس التساهل والتسامح والمغفرة ، على نية أن العالم إذا سار كله على هذه السنة صار كله أمة واحدة وشعبا واحداً أو أسرة واحدة تتعاطف ويحب بعضها بعضا وتتقى الشرور من بين أفرادها

المسيح لم يأت لليهود وحدهم بل أتى لكل العالم بهذا المبدأ . وأعلنه أول فيلسوف ظهر على الأرض بهذا التعليم . وكان قصده أن العالم كله يعتنقه بدليل أنه جمع تلاميذه وقال لهم : اذهبوا إلى جميع الأمم وتلمذوهم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى أن ينتهى الدهر . وهو يعنى أن رسالته هذه يجب أن تعم كل الكون لأنها أن تكون الوسيلة الناجعة لانتشار السلام على الأرض

فالمسيح لم يأت لأجل سلام اليهود وسلامتهم فقط بل أتى لأجل سلام كل العالم . وكان قصده أن يكون كل العالم إخوة . هذا ما عناه المسيح حين قال : احبوا أعداءكم ، بدليل أنه لما اجتمع بتلاميذه قال لهم إذهبوا إلى جميع الأمم (لا إلى اليهود فقط) وتلمذوهم الخ . . على أمل أن تتطبع الأمم كلها بطبيعة السلام والمحبة والمسامحة فيسود السلام جميع الأمم

هذه كانت رسالة المسيح على الأرض . ولكن اليهود فى كل تاريخهم كانوا يقاسون من غزوات البابليين والأشوريين والفرس والرومان وغيرهم ، فكانوا يتوهمون أن يظهر من بينهم ملك يقودهم للدفاع عن بلادهم ويخلصهم من هؤلاء الأعداء . فكانوا يحتاجون إلى منقذ مثل موسى أو يسوع ، فلما وجدوا أن يسوع هذا الذى شرع يعلمهم التعاليم المفيدة لهم اجتماعيا قالوا : لا . لا . ليس

هذا هو الملك الذى تنتظره . ليس هذا هو القائد المنقذ . هذا رجل افاك . وصار الكهنة وجميع رجال الدين يرون أن تعاليمه هــذه تحط من نفوذهم وتكسر شوكة غطرستهم وتزعزع سلطتهم فجعلوا يطلبون رأسه . وما أسهل أن يوغروا صدر بيلاطوس الوالى الرومانى عليــه بحجة أنه يدعى أنه ملك اليهود وهم يعترفون بملك أجنبي غير قيصر

ولما مثل المسيح لدى بيلاطوس سأله هذا : — هل أنت ملك اليهود ؟ فأجابه : « أنت قلت ؛ ولكن مملكتي ليست من هــذا العالم » وهو يعنى أنها ليست أجساداً بل هى أرواح تفهم وتعمل فى أجساد الحق والعدل والصدق والتقوى

ولطالما كان اليهود يحاولون أن يأخذوا عليه مأخذا ضد الشريعة لكى يشكوه للوالى فجاءوا إليه بزانية وقالوا « هــذه ارتكبت جريمة الزنى ، وفى شريعة موسى ترجم بالحجارة فماذا تقول أنت ؟ »

فما لبث أن قال بكل جرأة : « من كان منكم بلاخطيئة فليرمها بحجر »

وماذا كانت النتيجة : كانت أنهم جعلوا يخرجون من المجتمع واحدا بعد الآخر ولم يوجد بينهم من يجرؤ أن يعترض على حكم المسيح لا لأنه أثر عليهم بتصرفه تأثيرا عجيبا ، بل لأنهم وجدوا أنهم ضعفاء جدا لدى مبينه وحجته فخافوا أن يبطشوا به لو جعلت ضمائرهم تبكتهم بفعل كلته فصاروا يخرجون واحدا واحدا

ثم التفت إلى الزانية وسألها : أين الذين شكوك ؟ أما دانك أحد ؟ قالت : لا . قال ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي بعد . من ذلك الحين تابت مريم المجدلية الزانية وصارت قديسة

كان لمنظره فى مثل هذه المواقف سطوة أو صولة أو هيبة ليست لزعيم ولا لقائد ولا لحاكم . فى ذات يوم جاء إلى الهيكل ورأى أدناس الناس فيه : صيارفة وتجار حمام وتجار حيوانات إلى آخره ، فجعل يقلب موائد الصيارفة وأقفاص الحمام وهو يقول : تباً لكم أيها الأشرار جعلتم بيت الله مغارة لصوص. فلم يجسر أحــد أن يصده أو أن يقاومه أو أن يشاجره بل جعلوا يخرجون من الهيكل قانعين بالسلامة

لم يشر الأستاذ العقاد إلى كيفية انتهاء حياة المسيح ، ولكنه اقتنع مثلى أن سلوك المسيح الذى أشرنا إليه هو بيت القصيد فى حياته . وقد جاء وعلم وعمل ومضى ولا يزال إلى اليوم مثلا للأمم وسيبقى هكذا عدة قرون

وفى ظنى أن الإسلام إنما هو استمرار للمسيحية؛ ولذلك كانت حياة محمد وتعاليمه موافقة كل الموافقة لحياة المسيح وتعاليمه — المحبة والتواضع والمسامحة والدعوة إلى السلام . حبذا أن يفهم الناس أن سلامتهم ونجاحهم وسلامهم يتوقف على قدر ما يطيعون من تعاليم هذين المصلحين

نقولا الحداد

طرائف وقصص

الزوجة الجديدة

عن الإنجليزية

كان على المنضدة المصنوعة على الطراز الياباني موقد يغلي فوقه وعاء من الشاي وبجانبه فنجانان وزجاجة من الروم

وكانت الكونتس تراقب صنعه وهي تنظر إلى وجهها في المرآة وترتب شعرها حين دخل الكونت «دي سالور» فرمى بقفازيه وألقى قبعته . وابتسمت الكونتس ابتسامة سرور عند ما التفتت إليه وأصابعها الصغيرة البيضاء ترفع عن جبينها الناصع خصلة من الشعر الذهبي . ونظر إليها متردداً في القول كأن خاطراً هاماً يشغل ذهنه ثم قال : « هل وجدت الالتفات الكافي في هذه الليلة ؟ » فقالت الكونتس « أرجو ذلك »

ثم تناول مقعداً وجلس أمامها وأمسك بقطعة من الكعك وقال : « لقد كان ذلك التصرف محزناً »

فقاطعته قائلة : « وما الذي كنت تريد ؟ هل كان يحسن أن يضحك الناس منا ؟ »

قال : « كلا يا عزيزتي ؛ ولكنني أعني أنه لم يكن يليق أن يأخذ المسيو دي بروبل بذراعك ويذهب . ولو كان من حقي أن أمنعه إذ ذاك لمنعته »

فقالت : « كن طويل البال . إن آراءك اليوم ليست كآرائك من عام . وهذا كل ما في الموضوع . ولما رأيتك تتخذ خليلة ورأيت الحب بينكما ظاهراً اعتقدت أنه لا يسوءك أن يلتفت إلى إنسان . وقد شكوت إليك ذلك الحين كما تشكو إلى الآن . ولكنني كنت أكثر حكمة منك ، فقلت : إن علاقتك بمدام دي سيفري تسبب لك ألماً . وقلت لك إنك تعرض نفسك للاستهزاء . فماذا كان جوابك ؟ لقد قلت لي في صراحة إنك حر ، وإن الزواج في نظر الطبقات الراقية إنما هو مظهر اجتماعي وليس عقداً أدبيا . ألم يكن هذا جوابك ؟ وأفهمتني أن خليلتك أفضل مني وأرق أنوثة — لقد كان هذا هو تعبيرك (أرق أنوثة) واتفقت منذ ذلك العهد معي على أن نعيش في منزل واحد على أن يكون كل منا منفصلا عن الآخر تمام الانفصال ، ولم تكن بيننا رابطة إذ ذاك سوى ابننا الذي يتربى بيننا ، وقلت لي في جلاء إنك لا تعنى إلا بالظاهر . إن لي أن أتخذ خليلا على شرط أن يبقى الأمر مكتوما . ثم كلمتني عن مهارة النساء في التستر الخ . وإنني لأفهم مركزك تمام الفهم ، فقد كنت في ذلك الوقت مدلها بحبك لمدام دي سيفري وكنت ترى عقد زواجنا الشرعي يحول بينك وبينها ، وكنت ترى أيضاً أنه لا مبرر لما تنفقه علي من المال بسبب هذا العقد ، ولهذين السببين كرهتني وعشنا منفصلين . وكنا نستقبل الناس معا ولكن لكل منا مأواه في المنزل . على أنك منذ شهر أو شهرين أخذت تمثل دور الغيرة فما معنى ذلك ؟

قال الزوج : « إنني يا عزيزتي لا أمثل دور الغيرة ، ولكني أخشى عليك تعريض نفسك للخطر فأنت صغيرة وأنت مخاطرة . وإنني أخاطبك كصديق وأرى في القول الذي تقولينه كثيراً من المبالغة »

فقالت : « كلا ، لا مبالغة في قولي ، فأنت قد رخصت لي بأن أفعل مثل فعلك »

قال : « أرجو ... » فقاطعته قائلة : دعني أتكلم . لقد رخصت لي بذلك ولكني لم أفعل ، فليس لي خليل ولكني منتظرة . إنني أبحث ولكني لا أجده . إنني أريد ظريفاً .

أريد أظرف منك . إنني بالقول الذي قلته الآن أمدحك مديحاً لم تفطن إليه »

قال الزوج : « ياعزيزتي إن كل ما تقولينه الآن مزاح لا محل له هنا » فقالت : « إنني لست أمزح فإنك سمحت لنفسك بأن تكون من ذوي القرون »

قال الكونت متغيظاً مهتاجاً : « كيف تستعملين مثل هذه الألفاظ ؟ فقالت الزوجة : « كيف أستعملها ؟ أنت قد ضحكت ملء شدقيك لما قالت مدام دي سيفري عن زوجها أنه من ذوي القرون »

قال : « ولكن اللفظ الذي يقبل من دي سيفري لا يكون مقبولا منك » فقالت : « كلا ، ولقد سرك هذا الوصف وأضحكك عندما قيل عن دي سيفري ، وهو الآن يسوءك عندما يقال عنك . وليس يهمني هذا اللفظ بعينه وإنما أريد أن أعرف هل أنت الآن على استعداد ؟ »

قال : « على استعداد لأي شيء ؟ » فقالت : « ألست على استعداد لتكون ممن يقال فيهم هذا الوصف ؟ إن الذي يضحك عندما يوصف أحد أمامه بهذا الوصف لا يعود إلى الضحك عندما يسمع هذه الكلمة بعد أن يصير هو نفسه متصفاً بها »

قال الكونت : « تعالي يا عزيزتي تكلم بعقل ونهي المسيو برويل إلى أن ما فعله الليلة غير لائق » فقالت : « إذن فأنت غيران »

قال : « كلا ولكن لا أحب أن أكون في مركز مخز كالذي كنت فيه بالأمس » فقالت : « وهل شعرت بأنك تحبني في وقت من الأوقات ؟ »

قال : « إن الإنسان قد يحب من هي أقل بكثير منك في الجمال » فقالت : « إذن فهذا شعورك نحوي ؛ لكنني لا أشعر نحوك بشيء من الحب »

فوقف الكونت ثم دار حتى صار خلف زوجته وقبل قفاها فالتفتت إليه وأبعدته عنها ونظرت إليه نظرة غضب

وقالت : « ليس بيننا شيء من ذلك . إننا منفصلان »

قال : « تعالي يا عزيزتي . لا تمضي فقد فتنت بك مدة طويلة ولك عينان ... » فقاطعته قائلة : عينان « تفتنان المسيو دي برويل »

قال : « أنت قاسية جداً وليس في الدنيا أجمل منك »

فقالت : « دعني فأنت صائم »

قال : لست أفهم ماذا تعنين . فقالت : أعني أن الصائم يجوع ، وأن الجائع يريد أن يأكل من أي شيء سواء وافقه في وقت آخر أو لم يوافقه . وقد أهملتني مدة طويلة ثم تريد أن تتذوقني الآن

قال : لماذا يا عزيزتي تخاطبينني بهذه اللهجة ؟

فقالت : لأني أعلم أنه بعد انقطاع صلتك بمدام سيفري اتخذت على التوالي أربع خليلات من بينهن خياطة وممثلة ولست أعلل مسلكك اليوم إلا بأنك صائم »

قال : « لا بل سأكون صريحا . إنني عدت إلى حبك وأحببتك إلى أقصى حد » فقالت : « لقد أخطأت فقد انتهى كل شيء بيننا . ولست أنكر أنني زوجة ، ولكنني زوجة لها الحرية الكاملة في أن تفعل كل شيء . ولقد كنت الليلة مدعوة إلى موعد فإذا شئت فضلتك على صاحب الدعوة بنفس الثمن »

قال الزوج : « لست أفهم » فقالت : « سأفهمك ؛ فقل لي ألست جميلة مثل صاحبتيك الخياطة والممثلة ؟ »

قال : « أجمل منهما ألف مرة » فقالت : « أخبرني بالحق كم أنفقت عليهما في ثلاثة أشهر ؟ »

قال : « لست أفهم » فقالت : « بكم اشتريت لها حليا ومجوهرات ؟ وكم أنفقت في الطاعم والمسارح ؟ »

قال : « لست أستطيع أن أجيبك، ولكني أنفقت كثيرا » فقالت : « ألم يكن متوسط ماأنفقته على إحداها في الشهر خمسة آلاف فرنك ؟ »

قال : « نعم وهذا تقدير معتدل » فقالت : « إذن

فيا صديقي العزيز أنا أقبل بهذا الثمن أن تتخذني خليلة مدة شهر يبتدئ من الليلة »

قال الزوج : « لا بد أن تكوني مجنونة يا مرغريت

فقالت : « إذا كان هـذا جوابك فأرجو أن تتركني وتنصرف »

ثم وقفت الكونتيس ومشت نحو غرفة النوم فسكبت في السرير زجاجة من العطر والتفتت فرأت الكونت واقفا بالباب وهو يقول : « ما أجمل هذه الرائحة ! »

قالت : « هذه رائحة السرير العادية ولم يتغير شيء في المنزل » فقال : « أصحيح هذا ؟ ! إنها لرائحة زكية »

قالت : « ربما ! ولكن أرجو أن تترك الغرفة لأني أريد أن أنام »

قال : « يا مرغريت ! » فأجابته : « أترك الغرفة ! ثم لم تعره التفاتا بل نزعت ثوبهـا فبدا ذراعان ملفوفان كأنهما مصنوعتان من العاج . ودنا منهما الكونت فقالت: « إبتعد وإلا أبعدتك »

فزاد دنواً منها ، ولكنها أظهرت الغضب ، وتناولت زجاجة من زجاجات العطر و رمته بهـا فأخطأته ولكن العطر إنسكب فوق ثيابه فصاح : « هـذا سوء أدب » فقالت : « دونك الشرط ... خمسة آلاف فرنك » ...

قال : « أيدفع الزوج لزوجته الشرعية أجراً ؟ »

فقالت : « إذا كان هذا حماقة فإن أشـد الحماقات أن يدفع للخياطات والممثلات وله زوجة شرعية »

ثم جلست الكونتس على المقعـد ونزعت جوربيها وأخذ ينظر إلى جمـال رجليها ويقول : « إنها لفكرة مضحكة تلك التي تبديها »

قالت : « أية فكرة ؟ » فقـــال : « دفع خمسة آلاف فرنك »

قالت : « ليس في الدنيا شيء طبيعي أكثر من هذا إن أحدنا غريب عن الآخر كما أردت أنت ، وليس في وسعك أن تتزوج مني لأننا متزوجان ، وليس لك أن تعطيني أقل مما تعطيه للأخريات »

ثم قامت وقالت : « أرجو أن تخرج وإلا استدعيت الخادم لإخراجك »

فوقف الكونت واجماً مقدار لحظة ثم ألقى إليها بكيس نقوده وقال : « خذي هذا ففيه ستة آلاف فرنك »

فضحكت وهي تتناول الكيس وقالت : « خمسة آلاف فرنك كل شهر . تذكر يا كونت وإلا فلتعد إلى خليلاتك . وربما ... ربما إذا أعجبتك الحال طلبت الزيادة

ع . ه



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٢ « الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٢ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

عدالة الأرض

ودم الشهيد حسن البنا

للأستاذ سيد قطب

قضية هذا الدم الزكي لا تزال بين يدي القضاء ، فلا تعليق لي عليها في موضوعها ووقائعها ؛ ولكنها تثير في النفس أشجانا ، وتكشف في الوقت المناسب عن حقائق ، وتوجه النظر إلى حقيقة عدالة الأرض ، وترفع البصر إلى عدالة السماء ، وتميز بين ما يصنعه البشر من القانون ، وما يصنعه الله من الشريعة .. « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

إن ممثل الاتهام يقول :

« وبما أن الواقعة — كما أظهرها التحقيق — تتلخص في أن الأميرالاي محمود عبد المجيد بيت النية على قتل المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين « المرحوم الشيخ حسن البنا » وإن لم يصل التحقيق إلى تحديد إن كان في ذلك متفقا

عليه مع ولاة الأمور فى الدولة — وقتئذ — أو أنه كان يعمل لهذا حتى يحظى بتقدير ولاة الأمور أولئك ، لثقته فى أنهم أهدروا دم الجنى عليه ، فبات تنفيذ قتله أمنية يتوقون إليها ويروجون لتحقيقها

« وتنفيذا لما بيت الأميرالاى محمود عبد المجيد النية عليه ، استقدم إليه الأشخاص الذين يعرف فيهم الاستعداد الإجرامى لارتكاب هذه الجريمة ، والذين وقع اختياره عليهم لتدبيرها وتنفيذها ، وهم الصاغ حسين كامل ، واليوزباشى عبده أرمانيوس ، والأمباشى أحمد حسين جاد ، ووكيل الباشجاويش محمد اسماعيل ، والأمباشى حسين محمدين رضوان ، والباشجاويش محمد محفوظ محمد ، ومصطفى محمد أبو الليل ويوسف أبو غريب ... الخ »

وينتهى ممثل الاتهام إلى المطالبة برءوس هؤلاء الذين حددتهم عريضة الاتهام : ويقف مكتوف اليدين أمام « ولاة الأمور أولئك الذين أهدروا دم الجنى عليه » لأن قانون الأرض الذى بين يديه ، لا يساعده ولا يساعد العدالة على الأخذ بتلابيبهم على الأقل بتهمة « إهدار دم الجنى عليه » وهم المكلفون حماية هذا الدم البرئ

والقضية بين يدى القضاء فيما يختص بالمتهمين ، فلا تعليق لى على موضوع الدعوى ولا حوادثها .. ولكن لنفرض أن المحكمة قد أجابت ممثل الاتهام إلى كل طلباته ، وسلمت إليه رؤوس هؤلاء المتهمين .. فماذا تساوى تلك الرؤوس بالقياس إلى رأس حسن البنا ؟ وماذا تساوى تلك الدماء بالقياس إلى ذلك الدم الزكى الذى أريق ؟

ألا ما أعجز عدالة الأرض حينئذ ، وما أقصر يدها عن العدل فى أضيق معانيه !

إن أكبر الرؤوس فى ذلك العهد الآثم ، رؤوس « ولاة الأمور أولئك » كما يعبر عنهم ممثل الاتهام فى احتقار .. إن أكبر الرؤوس يوم ذلك مجتمعة لا تصلح أن تكون موطئا لقدم ذلك الشهيد الكريم . ولا تحقق ذلك القصاص العادل من ذلك العهد الفاجر وممثليه أجمعين .. فكيف ببضعة رؤوس صغيرة أكبرها رأس ذلك الأميرالاى الصغير ؟

هنا تبدو عدالة الأرض قاصرة . ويبدو تشريع الأرض هزيلا . ويبدو مشرعو الأرض أقزاما ..

وهنا تبدو المسافة هائلة بين تشريع الله للبشرية وتشريع الإنسان

ما جزاء ولى الامر الذى يهدر دم الأبرياء الطاهر ؟

ماذا تقول عدالة الأرض فى ذلك الاتهام الذى يذكره ممثل الاتهام على سبيل الجزم والتأكيد ؟

لعل الحصانة الكاذبة « لولاة الأمور أولئك » هى التى قيدت يد ممثل الاتهام ، فلم يستطع إليهم سبيلا !

فأى زيف زيف تلك الدساتير التى تسبغ الحماية على المجرمين وترفعهم فوق العدالة وفوق القانون ؟ وأى عجز فى عدالة الأرض كلها وأى قصور ؟

إن عدالة الأرض هذه لتمنع محكمة النقض فى مواطن كثيرة أن تحكم ببطلان الحكم الجائر إذا لم تجد سبيلا لقبول الطعن فيه شكلا ، فإذا كانت الإجراءات الشكلية كلها صحيحة ومستوفاة وقفت محكمة النقض عاجزة عن أن تنفذ إلى الموضوع . ممنوعة من إحقاق الحق الذى تراه ، مكتوفة عن رفع الظلم الذى تعتقده !

وحتى حين تجد منفذا فى الشكل فإنها تقف مكتوفة اليدين إذا لم تجد فى التطبيق القانونى الموضوعى خطأ .. مهما يكن الحكم مع ذلك جائرا

ولقد وقف المرحوم عبد العزيز فهمى هذا الموقف فى قضية البدارى . لا يجد سبيلا إلى دفع الظلم وتحقيق العدل إلا صرخة يبعثها من أعماق ضميره ، صرخة فى وجه قانون الأرض الذى يقف جامدا مكبلا بالإجراءات !

وتخطئ المحكمة ذاتها ثم يتبين لها الخطأ بعد أن تصدر حكمها ، فلا تملك حينئذ أن ترجع إلى الصواب ..

لقد خرج الأمر من يدها بمجرد إصدار الحـكم !

ها ها ! ها ها لعدالة الأرض التي ترى الحق واضحا ولـكنها لا تملك الرجوع إليه ، لأن الأمر خرج من يدها محافظة على الإجراءات !

أما عدالة السماء فتقول : إن الرجوع الى الحق فضيلة . ولا تمنع القاضي الذى يصدر الحـكم ، ثم يتبين له خطؤه أن ينقض حكمه بنفسه ، وأن يرتد إلى الحق ، لأن الحق أولى بالاتباع

وبالطبع لا تقف أمام محكمة أخرى أن ترد الحق إلى نصابه بمجرد أن يتبين الحق ، غير مقيدة بهذه الشكليات التي يؤثرها قانون الأرض على العدالة ، ويصون اعتبارها ولو بإهدار دماء الأبرياء

فأين عدالة الأرض من عدالة السماء ؟!

إننا حين نطالب للاسـلام أن يحكم ، وحين نطالب لشريعته أن تكون مصدر التشريع .. إنما نطالب بشريعة أرق ، وبإجراءات أدق ، وبعدالة أكمل

والجاهلون يقولون : أتريدوننا على أن نرتد إلى الوراء أربعة عشر قرنا ؟ !

يا للغرور ! يا للجهالة ! إن قانونكم هو القاصر العاجز ، وإن تشريعكم هو المتأخر الجامد ..

إن شريعتنا التي ندعوكم إليها لا تغل يد القاضي عن العودة إلى الحق ، فى أى وقت وفى أى دور من أدوار المحاكمة .. حتى بعد الحـكم ، له أن يعود إلى الحق الذى يراه

إن شريعتنا لا تقف جامدة مشـلولة أمام الظلم الواقع والعدل الضائع ، لأنها تريد المحافظة على كرامة الإجراءات دون كرامة العدل والحق والقضاء

إن شريعتنـا لا تقف عاجزة أمام ملك ولا رئيس جمهورية ولا رئيس وزارة ولا وزير ولا كبير .. فحيثما كانت جريمة فشريعتنا حاضرة لردع المجرم كائنا منصبه ما كان

إن شريعتنا لا تـحمى القـاتل ولا المحرض على القتل صاحب جلالة ، ولا تصون ذاته المقدسـة ، ولا تضعه فوق القانون

إن شريعتنا لا تدع ولاة الأمور يهدرون دم الأبرياء ، ثم يروحون ناجين لا تمتد إليهم يد القانون الشلاء المرلاء

لهذا نحن ندعو إلى تحكيم شريعة الإسـلام ؛ لأنها شريعة أكثر تقدما ، وأوسع أفقـا ، وأكثر مرونة .. ولأن قانونكم الأرضى قاصر جامـد متخلف لا يلبي داعى الزمن ؛ ولا يقتص لدماء الأبرياء !

* * *

تـاورت هـذه الخواطر فى نفسى وأنا أطالع صحيفة الاتهام . وأنا أبصر بيد العـدالة الأرضية قصيرة عاجزة شلاء . وأتطلع إلى عـدالة السماء فأراها شاهقة سامقة متفوقة شماء

وقلت : ألا يفتح الله على هذه البشرية فتخرج من مضيق الأرض إلى فسـحـة السماء ؟ ألا يكشف الله عن بصيرة هذا الناس فيبصروا النور الذى يتخبطون دونه فى دياجير الظلام ؟

إن أشد ما يثير الضحك المر .. رجال القانون عندنا ، أولئك الذين يحسبون شرائعهم عصرية تقدمية ، ويعدون شريعة الله قديمة ورجعية !

إنهم لا يكلفون أنفسهم النظر فى شرائعهم وشريعـة الله . ليعلموا أن عقلية التشريع التي بين أيديهم جامـدة قاصرة حين تقاس إلى الشريعة السمحة الحرة الدقيقة العادلة

إنهم جهـلاء ويحسبون أنفسهم من العلماء ! إنهم جامـدون ويحسبون أنفسهم متحررين « وإذا قيل لهم : لا تفسـدوا فى الأرض . قالوا : إنما نحن مصلحون ! ألا إنهم هم المفسـدون ولـكن لا يشعرون »

غفر الله لهم وهداهم إلى الحق . والحق منهم على قيد ذراع

سيد قطب

باطل مشرق

للأستاذ محمود محمد شاكر

لم أكد أفرغ لنفسي، وأنفض عن فكري مثاقل الهم الفادح الذي أتحمله إذا كتبت في شأن هذه الأمم المسلمة — حتى دخلت على في خلوتي أيام وليال، تملني أن الباطل المشرق، صنو الباطل المظلم البهيم. بل إن الباطل المشرق أضرى وأفتك بالبشر من صنوه وأخيه المظلم. للباطل المظلم ردة، كردة الوجه القبيح، يزوي لها الناظر ما بين عينيه، ويرد بصره معرضا عما يرى فيه من قبح. أما الباطل المشرق المضيء، فله فتنة تنادى، كفتنة وجه الحسناء الخبيثة النبت، تأخذ بعين الناظر، فيقبل عليها ملقيا بنفسه في مهالك هذا الجمال الآسر، وإذا المنبت الخبيث ذرة مستهلكة في هذا التيار المترقرق من فتن الحسن والهوى.

وهذه الرقعة المتراحبة من حدود الصين إلى المغرب الأقصى — والتي تسكنها أمم ورثت اسم الإسلام، فنسبت إليه، ووصفت به — تعيش اليوم في بريق متلألئ من هذا الباطل المشرق. فمنذ أكثر من مئتي سنة، ضربها الغازي الصليبي المستعمر ضربة رائية، حتى خرت عاجزة، ثم ظل يضربها حتى همدت أو كادت. وفي خلال ذلك كان الغازي يستحييها بحياة غريبة عنها حتى يأتي يوم تتبدل فيه من حياة كانت إلى حياة سوف تكون. وكذلك يقضي قضاء ساحقا على أسباب الحياة الأولى، الحياة التي كانت تعرف بالحياة الإسلامية.

ثم جاء اليوم الذي ظن فيه هذا العالم أنه ارتد إلى الحياة مرة أخرى. ونعم، إنه ارتد إلى حياة مرة أخرى، ولكن أي حياة! ما على الآلاف المؤلفة التي تدب في أرجاء هذا العالم من مثل هذا السؤال؟

إن حب البقاء في الحي الفرد، أقوى من العقل، أقوى من حب المعرفة، أقوى من حب المال. فإذا ظفر بالبقاء على أمه الأرض، فقلما يبالي بشيء غير هذا البقاء. ولكن الحياة الإنسانية مجتمعة لا تستقيم بحب البقاء وحده. فالاجتماع الذي يضم هؤلاء الأحياء المتشبثين بالبقاء، يحدث لهم ضروبا جديدة من الأماني والآمال والمطامح، تغلب هذا الحب الحي للبقاء المجرد في الفرد، وتنشئ فيهم حبا لبقاء آخر: هو بقاء حياة الجماعة، من حياة أنشأها الإلف والتعود، وحياة تنشئها الأماني في حياة أتم وأكمل وأمجد. والنزاع بين حياة الإلف والتعود، وحياة الأماني في الكمال والمجد، نزاع عنيف، وهو على عنفه أمر غامض في نفوس عامة أفراد المجتمع، لأنه يقوم على أماني مبهمة دائما في أول أمرها. ولا تستبين هذه الأماني إلا في فئة قليلة، تملك من القدرة على النظر، وعلى التأمل، وعلى البيان عن نظرها وتأملها، قسطا يتيح لها أن تحاول التعبير عن هذه الأماني، تعبيرا يخرجها من حيز الأمر المبهم إلى حيز الأمر البين.

فمن هذا المدخل يدخل على الجماهير أحد رجلين: إما رجل عاقل صادق يحسن النظر والتأمل والبيان، وإما رجل ذكي قادر يموه عليهم بالنظر والتأمل والبيان. أحدهما عارف يصدق الناس ولا يبالي، والآخر دجال يلعب بالناس ولا يبالي. أحدهما لا يأخذهم إلا بالوسائل التي تقوم على الصدق والعدل والحق، والآخر يأخذهم بكل وسيلة لا يعبأ بصدق ولا عدل ولا حق. أحدهما يعلم الناس معنى هذه الأماني المبهمة في أنفسهم، كما ينبغي لكل معلم، من جهد ومشقة وحذر وبصر. والآخر يعلمهم معنى هذه الأماني المبهمة في أنفسهم، بما يستثيره فيهم، وما يستغله من نزوعهم ونلهفهم، لا يأبه لشيء إلا لما يستخفهم إلى اتباعه وطاعته وتمجيده.

فالحرية مثلا شوق تهوى إليه نفوس المستعبدين. كلمة مبهمة تعيش في سر نفوسهم كالقبس المكنوف، لو كشف غطاؤه لأضاء. فالرجل الصادق يعلم النفوس معنى

الحرية ، ويكسبها من وسائل تملها ما لا بد لها منه من صدق وعزيمة وجد ومشقة وبصر ، حتى تتهاوى الجدران التي تحول بينها وبين الإنطلاق ، وتنفض الأغلال الثقيلة الغليظة التي تعوق الحي عن إدراك حريته . أما الدجال ، فهو لا يزال يصرخ فيهم باسم الحرية ، ثم لا يمنح الناس من وسائلها إلا كل وسيلة لا تغني شيئاً في كفاح الجدران والأغلال ، بل ربما زادت الجدران صفاقة وقوة، والأغلال ثقلا وغلظا وفداحة . فهذا هو الباطل الشرق ، لأنه يأتي الناس من حيث تهوى أفئدتهم معنى مبهما غامضاً كريما ، فيموه هذا المعنى بما شاء من تمويه ، ليسير الناس وراءه كما هم عمياً صماً ، لا ليعلم الناس حقا يطلبونه ويحرصون عليه ويزدادون معه على الأيام بصراً وإدراكا .

وهذا العالم الإسلامي الذي يموج اليوم موجه ، ينبح في نواحيه هذا الباطل الشرق . ينبح في السياسة ، وفي العلم ، وفي الأدب ، وفي الفن ، وفي الأخلاق ، وفي جماع ذلك كله : في الدين . هو عالم مستغفل ، يستخفه الدعاة والدجاجلة ، يهتبلون غفلته في هذه الحياة التي ظن أنه ارتد إليها بعد همود ، ويختلسون نفضة هذا الشوق المضطرم إلى أمان مبهمة غامضة . ويتولى قيادته في كل شأنه ألسنة لا تبالي ، تستفزه إلى المغامرة في سبيل الحياة الماجدة الطيبة التي تجيش فيه . تستفزه بالنداء الصارخ باسم هذه المعاني المبهمة في ضميره ، وتمطيه وسائل وأساليب يظنها معينة له على إدراك ما يشتاق إليه ، وهي في الحقيقة مفضية به إلى التمرغ في حمأة الجهالة والعبودية والغرور الكاذب ، إلى أن يقضي الله في الناس بأمره وقضائه .

وأخطر هذه الألسنة التي تستفز هذا العالم، هي الألسنة التي اتخذت كلمة الإسلام لذواً على عذباتها — لا لأنها أعظم شأنا وأعز سلطانا من الألسنة الأخرى ، ألسنة المموهين باسم الحرية ، واسم العلم ، واسم الفن ، واسم الأخلاق ، بل لأنها تعمد إلى كتاب أنزله الله بلاغا للناس ، وحكمة أوحيت إلى رسوله لتكون نبراسا للمهتدين ، فتحيلهما إلى معان من أهواء النفوس التي لا تعرف الحق إلا في إطار من ضلالاتها وأوهامها . ثم يتبعهم التابعون الجاهلون اتباعا، هو سمع وطاعة ، ولكن لغير الله ورسوله ، بل للزور المدلس على كتاب الله وسنة رسوله . وإذا هؤلاء المتبعون يعدون هذه الضلالة دينا، ويظنون هذا الدين الجديد إحياء للاسلام . وإذا هم يأخذون دينهم من حيث نهوا أن يأخذوا. يأخذونه عن مبتدع في الدين برأيه ، محيل لنصوصه بفساد نشأته ، مبدل لكلماته بهوى في نفسه ، محرف للكلم عن مواضعه بما يشتهي وما يحب ، مختلس لعواطف الناس بما فيه من حب اتباعهم له ، خادع لعقولهم برفعة الإسلام ومجد الإسلام ، وهو لا يبغي الرفعة والمجد إلا لنفسه .

ولقد أنبأنا معاذ بن جبل رضي الله عنه بصفة ما نحن فيه إذ قال يوما لأصحابه : « إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والعبد والحر ، فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره . فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة . وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم . وقد يقول المنافق كلمة الحق . قال له يزيد بن عميرة أحد أصحابه : ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال معاذ : بلى ! اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها : ما هذه ؟ ولا يثنينك ذلك عنه ، فإنه لعله يراجع . وتلق الحق إذا سمعته ، فإن على الحق نورا »

وقد فتح القرآن ، فأخذته الألسنة كلها من مؤمن ومنافق ، ومن صغير وكبير ، وكل يقول برأيه لا يختشى ولا يرهب ولا يتقي . وظهر في كل أرض من يقول لنفسه : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ثم يعود من نحسه وشؤمه ، يجمع كل خسيسة من البدع التي تميل إليها نفوس الجاهلين الغافلين ، وتهوى إليها أفئدة الذاهلين

المفتونين بالحب لكل جديد مبتدع . وهو فى كل ذلك يعلم أن المبتدع فى كل شئ له لذة الجدة ، ويعلم أن الناس يشتاقون إلى أمر مبهم فى نفوسهم ، هو استعادة مجد دينهم ، ونشر كلمته فى الأرض ، فلا يبالى أن يشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فيؤتيهم ما يطابق ما يراه من أشواقهم ، ويزين لهم أن بلاغ ما يشتاقون إليه قريب ، إذا هم اتبعوه إلى الغاية . وأن شرط بلاغه أن يعطوه السمع والطاعة له ولمن يصطفيهم من شيعته ودعاته . فإذا تم أن تجتمع عليه طائفة من الناس ، وظهر بهم أمره ، وظنوا أنهم بلغوا بعض ما مناهم لسانه ولسان شيعته ودعاته ، قالوا إن الإسلام هو هذا الذى ندعو إليه ، وإن طريق الحق طريقنا وحده . وإن الإسلام فى غير الإطار الجديد الذى وضعناه فيه ليس من الحق فى شيء ، وإن هذا الفهم الجديد للاسلام هو خلاص المسلمين من هذه الذلة التى ضربها عليهم الغازى الصليبى . ثم تنشق ردغة هذا الخبال ، عن صنوف مختلفة من الفساد المهلك ، تجعل تاريخ الماضى كله ضرباً من الحياة الفاسدة ، لا ينبغى لأحد من الناس أن يتلفت إليه إلا تلفت المزدرى المستنكف . وعندئذ يصبح الدين فى أذهان الجماهير المتيمة ، رسالة جديدة لها رسولها وحواريوها ودعاتها وشهداؤها . وإلى بيان هذه الرسالة تعود الجماهير ، لا إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ، نعم ، بل إلى تفسير هذا الكتاب وهذه السنة كما يراها لهم طواغيتهم من كهوف التبديل والتحريف والتأويل بالهوى والضلالة . وعندئذ يتم تبديل معنى الإسلام فى الناس ، ويتم للدجال أن يبتدع بهواه إلى طب فى أهوائهم كتاباً غير كتاب الله . ولولا أن الله قد ضمن لنا حفظ نص كتابه ، وحفظ نص البيان عنه فى سنة رسوله لفعل هذا وأشياعه ما فعل أسلافهم ممن بدلوا كتب الله وحرفوها ، ومحوا منها وأثبتوا ، ونقصوا فيها وزادوا .

لولا هذا الذى نخافه ، بل هذا الذى كان مما نخافه ، لما عددت هؤلاء أشد خطرا من الألسنة التى تموه على الجماهير الجاهلة الغافلة باسم الحرية ، واسم العلم ، واسم الفن ، واسم الأخلاق . فطريقهما فى الحقيقة واحد ، ومنشؤهما واحد ، ونتائجهما واحدة ، فى التغرير بالناس ، والعبث بعقولهم ، والإفساد لفطرتهم ، واللعب بعواطفهم ، وإيهامهم أن نجاتهم من عبودية الغزاة أمر قريب لا يكلفهم إلا أن يسمعوا لمن يقول لهم : كونوا أحرارا ، فإذا هم سادة أحرار كما ولدتهم أمهاتهم !

اللهم إنى أبرأ إليك مما نحن فيه . اللهم إنى أخوف الناس مما خوفهم منه عبدك ورسولك إذ يقول : « أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » . اللهم إنى أقول كما قال صاحب رسولك معاذ بن جبل : « الله حكم قسط ، هلك المرتابون ! »

محمود محمد شاكر

شعراء الوطنية

عبـــــد الله نديم

للأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعي

تحدثنا فى مقالنا السابق عن رائد أول للشعر الوطنى، وهو رفاعة رافع الطهطاوى . وقد توفى سنة ١٨٧٣ . وظل الشعر فى مصر خلوا من المعانى الوطنية، إلى أن تجددت فى شعر عبد الله نديم . وهو ما نتحدث عنه فى هذا المقال

هو خطيب الثورة العرابية ، وهو أيضا شاعرها ، انطبعت فى خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة . وروح الثورة

ولد سنة ١٨٤٥ بالاسكندرية ، وبدت عليه منذ صباه مخايل الذكاء اللامع ، وظهرت مواهبه فى الترسل فى الكتابة والشعر والزجل والقدرة الخطابية ، مع خفة فى الروح ، وميل إلى الفكاهة . وجرأة وإقدام ، واستخفاف بأحداث الزمن

ولما ظهرت الثورة العرابية أوائل سنة ١٨٨١ انضم إليها بطبعه ؛ إذ كانت نفسه تتأجج وطنية ، وتتطلع إلى الحرية والمجد . وتجلت مواهبه الخطابية ، فصار خطيب الثورة العرابية

ومما يذكر عنه فى صدد الحديث عن شعره الوطنى أنه لما سافر الآلاى السودانى الذى كان يقوده الأميرالاى عبد العال حلمى أحد زعماء الثورة من القاهرة إلى دمياط فى أوائل أكتوبر سنة ١٨٨١ ، كان سفره يوما مشهودا . فاحتشدت الجموع فى محطة العاصمة لتحية الآلاى حين سفره ، وكان من بين المودعين عرابى والبارودى وعبد الله نديم ، فوقف النديم وسط هذا الجمع الحاشد وألقى خطبة حماسية فياضة بدأها بقوله مخاطبا رجال الجيش :

« حماة البلاد وفرسانها !

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم إليه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات

إلى أن قال : وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم ويقول :

إليكم يرد الأمر وهو عظيم ... فانى بكم طول الزمان رحيم
إذا لم تكونوا للخطوب وللردى ... فمن أين يأتى للديار نعيم ؟
وإن الفتى إن لم ينازل زمانه ... تأخر عنه صاحب وحميم
فردوا عنان الخيل نحو مخيم ... تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة ... فشدود أطراف الجهات قويم
إذا لم تكن سيفا فكن أرض وطأة ... فليس لمغلول اليدين حريم

وختم خطبته بقوله : وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادية عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان !) فنادى الجميع (رضينا بالموت فى حفظ الأوطان !)

ولما شبت الحرب العرابية لازم النديم عرابى فى كفر الدوار ثم فى التل الكبير ، وكانت مجلته (الطائف) تصدر فى معسكر الجيش المصرى

وبعد أن وقعت الهزيمة ظل مخلصا للثورة فى محنتها . فبرهن على وفاء نادر ووطنية أصيلة عميقة . وكان ممن أمرت الحكومة باعتقالهم ، وعجزت عن التعرف إلى مقره والقبض عليه ، وظل مختفيا عن عيونها وجواسيسها نحو تسعة أعوام . وأعيا الحكومة أمره وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه ولكنها لم تهتد إليه

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه فى قصيدة تفيض وطنية وإيمانا وفخرا وشجاعة . وهى من غرر قصائده . قال :

أعمسنا إذا ملنا بلينا   بلينا أو يروم القلب لينا
نم للمجد نقتحم الدواهى   ميمصب خامل اذا دهينا
تناوشنا فتقهرنا خطوب   ترى ليث العرين لهـا قرينا
سواء حربها والسلم إنا   أناس قبل هدتها هدينا

إلى إن قال :

إذا ما الدهر صافانا مرضنا   فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جـلد على جلد يقينـا   فإن زاد البلا زدنا يقينا
ألفنا كل مكروه تفـدى   له فرسـانه بالراجلينـا
فأعيا الخطب ما يلقاه منـا   ولـكنا صحاح ما عيينا
سلينا يا خطوب فقد عرفنا   بأنا الصلب صلنا أو صلينـا
وفرى فوق عاتقنـا وقولى :   ترلت اليوم أعلى طورسينا
علينـا للعلا دين وضمنـا   عليه الروح لا الدنيا رهينا
فهل يمسى رهين فى سرور   وهل تلق بلا كدر مدينا
إذا ما المجـد نادانا أجبنا   فيظهر حـين ينظرنا حنينا
يغنينا فيلهينا التغنى   عن الباكى وينسينا الحزينا
ولسنا الساخطين إذا رزئنا   نعم يلقى القضا قلبا رزينـا
فإنا فى عداد الناس قوم   بمـا يرضى الآله لنا رضينا
إذا طاش الزمان بنا حلمنا   ولـكنا نهينا أن نهينا

إلى أن قال :

سـلوا عنا (منابرنا) فإنا   تركنـا فى منصتهـا فطينا
لحـكمتنا تقول إذا هذرتم   ألا هى بصفحك فاصبحينا
سرى فينا من الآباء سر   يسوق البر نحو الموزينا
فإن عشنا منحنا سائلينا   وإن متنا نفحنـا الزائرينا

وقال يصف إحاطة الجند بالنزل الذى كان فيه يريدون اعتقاله فنجاه الله من شرهم :

أأنسى يوم مصر والبلايا   تطاردنى ولا ألقى معينا
فـكنت(١) الغوث فى يوم كريه   أخاف الشهم والحبر السمينا
مدحنا فيه فى إشراق شمس   فلمـا جاء مغربه هجينا !

وهل أنسى هجوم الجند عمراً   بلا علم وقد كنا لجينا
أحاطوا بى وسدوا كل باب   وصرنا بين أيدى الباحثينا
وكان السطح مملوءا بجند   وخلف البيت كم وضعوا كمينا
فأدركت الوحيد وكان صيدا   قريبا من فخاخ الطالبينا
وأرشدت النديم إلى مكان   رآه بعد حيرته مكينا
وأعمى الله منا كل عين   وكنا للعساكر ناظرينا
وصرنا فوق سطح فيه علو   يحطم هاويا منه متينا
فلم أرهب وثوبى من طهار   ولم أنظر شمالا أو يمينا
ويوم الغيظ كنت لنا مجيرا   بسطوته من البلوى حمينا
فقد كنا بلا ستر نرانا   أمام العين كل القاصدينا
وكم سرنا بلا خوف جهارا   ركبنا الخيل أو جئنا السفينا
وإنى الآن فى خطب عظيم   أرى فى طيه داء دفينا
أتانا مخبر عن قوم سوء   أرادوا وصفنا للحا كمينا
وخاف الضر أحبابى جميعا   وقالوا بالوشاية قد رمينا
فعجل بالرحيل بلا توان   ولا تخبر صديقا أو خدينا
فأدرك يا أبى نجلا دهاه   من الأهوال ما يوهى البدينا
فما خفت المنون ولا الأعادى   نعم خفت انشراح الشامتينا
فسرت الليل يصحبنى ثبات   لخل نحو منزله دعينا
ورافقنى خليل كان قبلا   يوافى حين كنا ظاهرينا
وأدركنا القطار بغير خوف   وكنا بالثياب متنكرينا
وألقى الله ستر الحفظ فضلا   فلم ترنا عيون المبلسينا
وكان الخل منتظرا قدومى   بخيل أوصلتنا سالمينا
ونجى الله بعد اليأس عبدا   يرى الرحمن خير المنقذينا

وإنك لترى هذا الشعر أقوى فى الروح والأسلوب من شعره فى إبان الثورة . وهكذا يبدو أن الهزيمة لم تنل منه . بل زادته قوة وحيوية وصلابة وبلاغة . وأن الشدائد قد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن وتجلى جواهرها على لهب النار . فاحتفظ النديم فى سنى المحنة بما حباه الله من إيمان صادق . وعزم ثابت . وصمود على الأيام . وكذلك الشدائد والمحن . يختلف أثرها فى نفوس الناس . فبينما تبعث اليأس والجزع فى النفوس الضعيفة . نراها على العكس

(١) الخطاب هنا وفى الأبيات التالية موجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . والنديم شريف النسب

الآنسة (عطار)!

للأستاذ علي الطنطاوي

أخذت بنتي عنان الشهادة الابتدائية هذه السنة. ونالت درجة تدخلها الثانويات الرسمية التي يزدحم الناس عليها، ويتسابقون إليها؛ لأنها (في الغالب) أحسن تعليما، وأمتن نظاما؛ ولأنها بعد بالمجان والمدارس الأهلية بالأجر (الفاحش أحيانا)، ولكني آثرت مع ذلك كله أن أدخلها (المعهد العربي الإسلامي) للبنات، لأنه يجمع بين اتباع مناهج الوزارة، والتأدب (ما أمكن) بآداب الإسلام؛ ولأنه لا يعلم فيه إلا أوانس وسيدات، فليس فيه معلمون مع المعلمات؛ ولأن المشرفين عليه رجال منا، يعرفون من الأمر ما نعرف، وينكرون ما ننكر، ولا يأبون سماع النصح منا ومن غيرنا، واتباع سبيل الرشاد وترك طريقهم إليه أن دللناهم عليه نحن أو دلهم عليه سوانا.

وكذلك يكون المسلم: يأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت، ويسمع كلمة الحق أيا كان قائلها

وترددت البنت خشية انتقاص سواحبها، وكلام أترابها. والنساء — مهما كانت أعمار النساء — لا يعشن من الدنيا في حقيقتها، وإنما يعشن في آراء الناس وألسنتهم. والشقاء عند أكثرهن مع التظاهر بالسعادة حتى يظنها الناس فيهن، أحب إليهن من أن يكن سعيدات وهن في ظن الناس شقيات. هذي طبيعة النساء!

ودخلت المدرسة مكرهة، فما مرت أيام حتى صار الإكراه رضا، والكره حبا. واشتد تعلقها بالمدرسة؛ لأن فيها الآنسة عطار والآنسة شطي والآنسة درا، وصارت تجيئنا كل ليلة فتقول لي ولأمها:

— بابا! الآنسة عطار قالت لنا إن صلاة الجماعة

تزيد النفوس الكبيرة ثباتا وصبرا وشجاعة وإيمانا. ومن هنا جاء شعر النديم بعد هزيمة الثورة أقوى منه في أوج انتصارها

وفي الحق أن النديم هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العرابيين الذي استمر في جهاده ضد الإنجليز وفي نضاله عن مصر في عهد الاحتلال. وتلك لعمري ميزة كبرى جديرة بأن تحيط اسمه بهالة من المجد والخلود. وقد اهتدت الحكومة إلى مكانه سنة ١٨٩١ وقررت نفيه إلى خارج القطر. وفي أوائل عهد الخديو عباس الثاني عفي عنه ورخص له بالعودة إلى مصر. فعاد إليها وأنشأ مجلة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢، فتجلت فيها روحه الوطنية التي لم تضعفها الهزيمة ولم تنل منها الشدائد، مما أحفظ عليه الإنجليز وصنائعهم. فتدخل اللورد كرومر وأمر بإبعاده عن مصر ثانية. فاضطر إلى تعطيل صحيفته سنة ١٨٩٣. وودع قراءه وداعا مؤثرا في آخر عدد صدر منها (في ١٣ يونية سنة ١٨٩٣) قال:

« ما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب. والعاقل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظمة والجلال، وإن كان المبدأ صعوبة وكدرا في أعين الواقفين عند الظواهر. وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلا:

أودعكم والله يعلم أنني ... أحب لقاكم والخلود إليكم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما ... دواع تبدت فالسلام عليكم!

وانتهى به المطاف في منفاه إلى الآستانة حيث توفي سنة ١٨٩٦. وشيعت جنازته في احتفال مهيب مشى فيه كثير من العلماء والكبراء يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغاني. ودفن هناك

بالأمس كان غريبا في ديارهم
واليوم صار غريب اللحد والكفن

عبد الرحمن الرافعي

أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة . الآنسة عطار يا ماما ، حكت لنا قصة الثلاثة الذين انسد عليهم الغار

الآنسة عطار كلمتني اليوم · الآنسة عطار ضحكت لي .

إن حيتها الآنسة عطار طارت من الفرح كأنما حيتها الملائكة . وإن بسمت لها فكأنما بسم الدهر ؛ وإن قالت لها كلمة نقشت كلها على صفحة قلبها فلا تنساها ، وكانت دستورا لها فلا محيد عنها . قالت لها الآنسة عطار : اقرئي كل يوم صفحة من القرآن ، فلم تعد تترك قراءة صفحة من القرآن كل يوم . وجاء دمشق (سرك) تسابق إليه الناس ، وتعلقت به البنت ، وحاولت صرفها عنه فلم تنصرف. فلما قالت لها الآنسة عطار : إن هذا السرك شيء قبيح ، صار هذا السرك أكره شيء إليها

عجبت من هذه (الآنسة عطار) ما تكون ؟ ومن أين لها هذا النفاذ إلى قلوب البنات ؟ وماذا فيها حتى تكون الإشارة الواحدة منها أبلغ من مئة نصيحة مني ، والبسمة من فمها أرضى للبنت من الهدية القيمة من يدي ! وسألت البنت عنها

— قالت : هي مدرسة السنة الثالثة ، يحبها البنات كلهن ، ألا تعرفها يا بابا ؟

— قلت : من أين أعرفها ؟

— قالت : إنها تلميذتك . هكذا قالت لي . تلميذتك ، نسيتها ؟ !

* * *

وعرفت أخيراً من هي هذه (الآنسة عطار) . لقد كانت تلميذتي حقاً وذكرت من أمرها (على قلة ما أذكر من أمور تلاميذي وتلميذاتي) ما يكون إن نشرته إماماً لكل طالبة ، وقدوة لكل تلميذة ، ومثالا للطالبة الجادة الشريفة المسلمة ، فلذلك أنشره

ذكرت كيف اضطرتني إلى الانتباه إليها ، قبل أن أعرف اسمها وألزمتني (وأنا مدرسها) بتوقيرها قبل أن أخبر علمها ؛ لأني رأيتها لا تشارك التلميذات في لهو في الفصل ، أو عبث في الفسحة ؛ ولم يكن يحاولن إشراكها معهن . وكن يتكلمن بينهن بلسان الألفة والتبسط والجراءة ، فإذا وجهت إحداهن القول إليها اصطنعت الجد وتكلفت الوقار ، وخاطبتها لا مخاطبة الترب للترب ، بل التلميذة للمدرسة ، والبنت للأم . وما كانت أكبرهن سنا ، ولكن كانت أكثرهن أدبا ، وأكبرهن عقلا . وإذا ألقيت في الفصل نكتة ضحك لها البنات ، كانت ضحكتها ابتسامة ، تومض بلطف وتختفي بسرعة . وإذا عرضت كلمة فيها إشارة إلى مالا يحسن ، أو جاء بيت فيه تعريض بما لا يليق ، علا خديها الاحمرار خجلا وأطرقت حياء

وكانت الطالبات يدخلن الفصل مكشوفات الرؤوس ، يحسبن أن المدرس ليس رجلا أجنبيا ، وليس عليهن الاستتار منه ، ولا عليه غض البصر عنهن ، ومنهن من تلقي على رأسها شيئا لا يستر شعرا ولا نحرا — أما هي فكانت تظهر وجهها وحده على الصورة التي صوره الله عليها ، لا التي صورتها منتجات (ماكس فاكتور في هوليود) ... تلف حوله خمارا أسود على زي ابتكرته هي لنفسها ، وسيقلدها فيه غيرها فتكون سنة حسنة لها أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة — لفا محكما أنيقا ، لا تنكره الشيخة المتدينة ، ولا تستقبحه الفتاة المتمدنة . لا يبدي الشعر ولا النحر ، ولا يثقل على رأس حاملته ولا عيون الناظرين

* * *

وذكرت كيف أخرجتها أول مرة لتقرأ شيئا ، فسمعت إلقاء أجزم أني ما سمعت قط من فتاة أوضح منه ولا أفصح ، وقلما سمعت من رجل مثله ، إلقاء خطيبة واثقة من نفسها ، متمكنة من أدبها ، ضابطة لمخارجها ؛ فاهمة لمعانيها مؤدية لها . فلو أن امرأ لا يعرف العربية يسمعها لفهم من لفظها المعنى

من تفخيم اللفظ فى موضع التفخيم . وترقيقه فى محل الترقيق ، وإيفاء اللهجات فى السؤال والجواب والدهشة والإعجاب . فكأنك لا تسمع كلاما ، وإنما تبصر من هذا الإلقاء المعبر (فلما)ناطقاملونا ؛ على ضبط للألفاظ ، وحفاظ على القواعد ، وتمكن من اللغة والنحو

وكانت مسلمة علما وعملا واعتقادا ، وذلك جماع الإسلام

ونالت شهادة البكالوريا ودخلت الجامعة ، والجامعة فيها هذا المنكر العجيب :

الاختلاط بين الشبان والشابات فى غرفة الدرس ، وفى باحة الكلية ، وفى حديقة الجامعة ، وفى المكتبة ، وفى النادى ، وفى الرحلات والحفلات (وهما شر تلك المنكرات) . والطريق إلى الجامعة طويل ، والدروس فى الليل وفى النهار ، والجامعة فى طرف البلد بين البساتين والأنهار ، والدين ضعيف ، والزمان فاسد ، والغرائز مكبوتة ، وإبليس مستعد متيقظ . ولا يأمن مع هذا كله الفساد على بنته إلا مقامر لا يبالى ما فقد من عرضه ، أو مجنون من شأنه ألا يبالى بشئ !

فكانت سيرتها فى الجامعة عجبا من العجب . وكانت تجربة وقى الناس الله شرها . كما قال عمر بن الخطاب : وما كل تجربة يوقى صاحبها الشر — لم تختلط بأحد ، لا بطالب ولا بطالبة ولا بأستاذ

أما الطلاب ، فلأن الدين والشرف والعرف تمنع كلها اختلاطها بهم ، ولو للسؤال عن موعد الدرس ، أو معادلة الكيمياء ، إذ يجر السؤال عن موعد الدرس إلى السؤال عن موعد الغرام ، والمعادلة تدعو إلى المقابلة ، وما تقابل البارود والنار ، إلا كان الانفجار !

وأما البنات ، فلأن فى خلطة بعضهن ما هو شر من خلطة الشباب ، إذ يفسدن من لا يطمع فى فسادها أفسق شاب ؛ ولأن منهم رسل الشيطان ، ووسائط الاتصال بالرجال

وأما الأساتذة فلأنهم (هم أيضا) رجال ، ولأن الشرع لما أمر بستر العورة ، وغض النظرة ، قد شمل بذلك كل رجل وكل امرأة ، فلم يستثن من النساء تلميذة ، ولا من الرجال أستاذا ؛ ولأن المدرس المؤدب المهذب الذى يدرس الخلق والدين ، لا يبقى أبدا كما يكون فى الفصل ؛ ولأن حالات مختلفات ، وغرائز وشهوات ، فإن تكلم فى الفصل بلسان عقله فقد يتكلم خارج الفصل بـ ... غير لسان العقل !

والصخرة الراسية إن أزحتها شعرة بعد شعرة حتى فقدت رسوخها ، رأيتها تتدحرج ثم تهوى فلا تستقر إلا فى قرارة الوادى . وكذلك البنت لا تسقط فجأة ، ولكنها تلين ثم تتزحزح ثم تضعف فتهوى (هى أيضا) إلى الحضيض . فرب بكر عذراء شريفة ، تستطيع أن تفخر بأشرف أب ، وأن تظفر بأفضل زوج ، وأن تكون سيدة مجتمعها ، ووجيهة قومها ، تغدو غدوة ، أو تزور زورة ، فتمزح مزحة ، وتضعف لحظة ، فإذا هى قد غدت ساقطة ، وصارت بغيا ، لا يقبل المجتمع توبتها ، ولا يغسل حوبتها . أما الذى أغواها ، فسرعان ما ينسى الناس فعلته ، ويقبلون توبته ، ويغسلون حوبته ، فيذهب هو بغنم اللذة ، ويبقى عليها غرم العقاب ، تحمله وحدها ، عارا لاسمها ، وولدا فى بطنها ، فتكون قد شرت شقاء العمر بلذة دقائق خمس أو عشر !

* * *

فلما استقرت قدمها فى الجامعة ، وعرفت (صامتة) من حولها ، اصطفت طائفة من البنات ، من كل عفيفة شريفة ، صينة دينة ، فنفخت فيهن روحا من روحها ، وصبت فيهن عزما من عزمها ، وجعلت منهن جبهة للصيانة والديانة ، والشرف والعفاف ، ييأس منها الفساق ، كما يئس من دخول الجنة إبليس . والشاب مهما كان جريئا فى فسقه لا يقدم على البنت إن رأى منها الجد والصد ، ورآها تمشى رافعة الرأس ، ثابتة القدم . وإن أقدم عليها فأغلظت رده ، أو لطمت خده ، ولعنت أباه وجده ، فإن زاد فخلعت نعلها من رجلها ونزلت به على رأسه — لما عاد

الجناس التام فى القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

ذكر صاحب الإتقان وتابعه صاحب الوسيلة الأدبية أن ليس فى القرآن الكريم من الجناس التام إلا مثالان: قوله تعالى من سورة الروم (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ومن سورة النور (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار)

وقولهم هذا إن صدق ليس فى ذاته بذى خطر ، فليس يهم أن يكون فى القرآن جناس تام أو لا يكون ، فما الجناس التام إلا نوع ضئيل من الجناس ، وما الجناس إلا نوع واحد من المحاسن البديعية ، وما هـذه إلا باب من الأبواب التى تتحقق بها موسيقى التعبير فى فصيح الكلام ، وهى الموسيقى التى بلغت كمالها وتمامها فى القرآن.

لكن القضية من حيث هى جديرة بالتمحيص لاتصالها بالقرآن الكريم من ناحية ، ولبعد فيها من ناحية أخرى فمن البعيد ألا يحوى القرآن على سعته إلا مثالين اثنين من الجناس التام

إن المحاسن اللفظية وجدت فى فصيح كلام العرب وفى القرآن العزيز قبل أن تسمى بأسمائها فى علم البيان أو البديع . فالعلم يستقرى الوجود ويصنفه ويضع لأصنافه الأسماء . وما أظن العلمين أحاطا بكل الوجود من أصناف تلك المحاسن . وموضع اللطف فى الجناس التام إذا لم يفسده التكلف أنه يلفت الذهن إلى معنيين مختلفين بلفظ واحد يذكر بمعنى ويتكرر بمعنى . فهو من حيث المعنى كلمتان مختلفتان ، ومن حيث النطق كلمة واحدة . ومن الواضح أن السلم المفوه منه لا يكون فى الغالب إلا فى المشترك من الألفاظ

وليس لما اشترطه بعضهم فى الجناس التام من ألا يكون أحد المعنيين مجازيا محل ولا حكمة ما دام موضع الحسن هو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ؛ فاللفتة الذهنية هى سواء أكان المعنيان حقيقيين كلاهما ، أم كان أحدهما حقيقيا والآخر مجازيا

ولعل هذا الشرط الذى اشترطوه هو الذى ضيق عليهم الواسع من أمثلة الجناس التام فى القرآن . وحتى مع هذا الشرط فإن فى القرآن الكريم من الجناس التام أمثلة فوق الذى ذكروا لا يدرى كيف خفى عليهم مكانها وهم من هم فى الدقة والتنقيب وتمام العناية بالقرآن

وهم يقسمون الجناس التام قسمين ، فما كان بين لفظين

أما سيرتها فى بيتها ، فسيرة البنت البارة ، والطالبة الجادة ، والسلمة التى تعرف حق نفسها وحق أهلها وحق ربها ، تترك لله كل ما لا يرضى به الله ، لا رغبة عنه فى الظاهر مع رغبة فيه فى الباطن ، بل عن إيمان ويقين ، وتصديق لقول الرسول : من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

تركت القصص الفاجرة ، والأفلام الداعرة ، وكل ما تتسابق إليه من اللهو الفتيات ، وما تطمع فيه من التوافه البنات ، فعوضها الله عن ذلك علما وفهما ، ومنزلة تتمناها كل بنت فلا تصل إليها إلا القليلات ؛ وراحة فى نفسها ، واطمئنانا فى قلبها لا ينالها بالمال بنات ملوك المال

* * *

هذه هى الآنسة عطار التى تعلمت من سيرتها أنه لا يعلم البنت إلا الصالحات من البنات ، فإذا أردنا الإصلاح حقا فلنعد له مثل (الآنسة عطار) التى أنشر هذا الطرف من سيرتها ، لتتخذها طالبات الجامعات قدوة لهن ومثالا ، ولتزداد هى صلاحا بذلك وكمالا

علي الطنطاوي

من نوع واحد كأن يكونا اسمين أو فعلين سموه متماثلا ، وإلا فهو مستوفى . ولكل أمثلة فى القرآن الكريم

فمن أظهر أمثلة المستوفى مثلان : الأول فى قوله تعالى لأسرى بدر من سورة الأنفال : (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) فإن خيرا الأولى اسم ، وخيرا الثانية أفعل تفضيل . أما المثل الثانى ففى قوله تعالى من سورة المؤمنون بعد أن نفى أن يكون معه سبحانه إله غيره : (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فإن الجناس بين الفعل علا والحرف على تام ظاهر لا ينقص منه دخول لام التوكيد على الفعل قياسا على دخول فاء العطف وأداة التعريف على أحد ركنى الجناسين دون الآخر فى بعض الأمثلة المشهورة فى علم البديع

أما التماثل منه فأمثلته فى القرآن الكريم متعددة ، نذكر الآن منها عددا ليرى القارئ البصير فيها رأيه . وما نظنه يخالفنا فيها كلها إن خالفنا فى بعضها . فمن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنفال (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فإن رميت الأولى المنفية لا يمكن أن تكون بمعنى رميت الثانية المثبتة ، وإلا كان ذلك من التناقض المستحيل على القرآن . فلا بد أن تكون الأولى بمعنى أصبت وتكون الثانية على ظاهرها بمعنى رميت ، إشارة إلى قذف النبى صلى الله عليه وسلم الحصى أو التراب فى وجوه المشركين فى غزوة بدر وما كان من انهزامهم عقب ذلك . فالرمى بمعنى القذف هو من النبى ، والرمى بمعنى إصابة أعين المشركين حتى انهزموا هو من الله سبحانه . فاللفظ واحد والمعنى جد مختلف

وفى الحق أن هذا المثال يفتح بابا واسعا للجناس التام فى القرآن هو باب الآيات التى ينسب فيهما نفس الفعل أو الشئ إلى الخالق سبحانه وإلى المخلوق فى وقت واحد ، إذ من الواضح أن المعنى لا يمكن أن يكون واحدا فى الحالين وإن اتحد اللفظ ؛ كما فى قوله تعالى حكاية لقول سيدنا عيسى يوم القيامة تبرؤا من أن يكون دعا الناس إلى عبادة نفسه وعبادة أمه من سورة المائدة (إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) فإن « نفس » هنا فى تكرارها ذات معنى يختلف فى الموضعين اختلافا كليا حسب نسبتها إلى عيسى أو نسبتها إلى الله سبحانه . وإن جاز أن يكون اختلاف الضمير المتصل مخرجا لهذا المثل عن تمام الجناس فى منطق اللفظيين

وإذا عدنا إلى الأمثلة المألوفة وجدنا مثالا آخر فى أول سورة الرحمن فى قوله تعالى : (والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

وعجيب أن يكون مثل الزمخشرى وقدفهم لفظ الميزان بمعنى واحد فى المواطن الثلاثة وإن توسع فيه لجعله يشمل كل معيار فى الكيل والوزن وغيرهما . ولكن القاموس يذكر من معانى الميزان العدل . وإلى هذا ذهب عدد من المفسرين فى الموطن الأول ففسروا «ووضع الميزان» بمعنى « وشرع العدل » كما فى روح المعانى للألوسى والتفسير المحيط لأبى حيان . وهذا يجعل الآيات الكريمة من الأمثلة الفريدة لتمام الجناس حتى ولو اتحد معنى الميزان فى الموطنين الآخرين : لكن الأقرب الأصوب أن يختلف معناه فى الآيات الثلاث ، فيكون فى الآية الأولى بمعنى الشرع الذى توزن به الأعمال والأحكام فى الجماعات ، ويشهد لهذا آية سورة الحديد: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) إذ من الواضح أن الميزان هنا لا يمكن أن يكون الآلة المرونة بدليل «أنزلنا»، ودليل العطف على الكتاب ، ودليل الإطلاق فى قيام الناس بالقسط . هذا فى الآية الأولى . أما فى آية الرحمن الثانية فيكون الميزان على هذا مصدرا ميميا بمعنى الوزن أى التقدير والحكم . وفى القاموس من بين معانى الميزان أنه المقدار ، ومن بين معانى المقدار أنه القدر بمعنى القضاء والحكم . ويكون بمعنى

الآية الكريمة على هذا « ألا تطغوا فى القضاء والحكم »
أما الميزان فى الآية الثالثة فبالمعنى المعروف . والنهى عن إخسار الميزان نهى عن الطغيان فيه ؛ لأن التعامل بالميزان عملية ذات طرفين إذا جونب القسط فيها كان ذلك طغيانا أو إخسارا حسب الطرف المنظور إليه

هذا هو الوجه فى فهم تلك الآيات الكريمة وتفسيرها تفسيرا يتفق مع الإحكام الذى وصف الله به آيات كتابه العزيز فى أول سورة هود

وهناك باب واسع من أبواب الجناس التام فى القرآن لم ينتبه إليه ، ألا وهو الجناس بين الحروف والأسماء المبنية فإن الحرف أو الاسم المبنى قد يتعدد معناه فى العربية ، فإذا ورد فى آية بأكثر من معنى كان ذلك من عَلم الجناس . إلا إنه لقصر هذا النوع من الكلمات وقلة حروفه يشترط لتحقق الحسن البديعى شروط . بشرط مثلا الانفصال فلا تكون اللام فى الآية الكريمة من سورة الحجر : (قال لم أكن لأسجد لبشر) مثلا للجناس التام . ويشترط فيه التقارب فلا تكون ما الشرطية وما النافية فى الآية الكريمة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار) مثلا ظاهرا ، لطول الفاصل بينهما . فإذا ما تحرينا هذين الشرطين وجدنا من هذا النوع أمثلة غير قليلة . فما يتعلق بما من ذلك قوله تعالى :

« قلتم ما ندرى ما الساعة » : سورة الجاثية

« ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به » : سورة المائدة

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » سورة هود

فإذا ضممنا إلى الشطر الأول من هذا المثل ما سبقه فى نفس الآية وجدنا مثلا لطيفا لورود « ما » ثلاث مرات بثلاثة معان مختلفة : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)

ومن الأمثلة التى تم الجناس فيها بورود « من » بمعنيين مختلفين قوله تعالى من سورة البقرة : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » فالأولى موصولة والثانية شرطية . وقد راعينا فى هذه الأمثلة الشرطين اللذين اشترطنا وتجنبنا ما لم يتوفر فيه شرط الانفصال ولو فى الظاهر كما فى قوله تعالى من سورة البقرة : (فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) ففيه اتصلت ما المصدرية بالكاف . وكما فى قوله تعالى من سورة الكهف (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أو قوله تعالى : ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) فقد اتصلت من الاستفهامية بالفاء فى الآية الأولى ، وأدغمت من فى من الموصولة فى الآيتين فكانتا كالكلمة الواحدة فى النطق وفى الرسم . وإلا فهذا النوع فى القرآن الكريم كثير

على أننا إذا جعلنا اختلاف المعنى للكلمة المتكررة هو العمدة والفصل فى الجناس التام انفتح لنا منه باب آخر هو باب الكلمة يختلف معناها لا باختلاف نوعها كما فى الأمثلة السابقة ولكن باختلاف مرجعها والمراد منها وإن ظلت الكلمة هى هى فى حقيقتها . خذ مثلا إليك قوله تعالى « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » فى موضعها من سورة الرحمن . إذ المعنى فى الإحسانين ليس بواحد ، فإن الإحسان الأول هو من العبد فى العمل ، والإحسان الثانى هو من الله فى الجزاء . فالأول بمعنى الإتقان والإخلاص لله فى العمل ، والثانى بمعنى الإكرام وإجزال الثواب للعبد . فهو فى صميمه مثل فريد من أمثلة الجناس التام إذا أخذنا فى هذا بمقوماته وروح الحسن فيه

ومثل هذا قوله تعالى من سورة براءة : (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) فإن « أذن » الأولى غير « أذن » الثانية فى الدلالة وفى المعنى الذى تفيد أنه فى موضعهما من الآية . الأولى للذم أراده المنافقون والثانية للمدح أراده الحق سبحانه وأظهره بإضافتها إلى خير . كذلك يؤمن

الأولى غير يؤمن الثانية في المعنى وإن جاء الفرق من اختلاف حرف الجر بعدها ، فإن الإيمان بالله غير الإيمان للمؤمنين . فهذا إذا أخذنا بالجوهر لا بالعرض مثل من أروع أمثلة الجناس التام

هذه صنوف من الأمثلة جئ بها على سبيل التوضيح لا على سبيل الحصر ، وسيختلف الحكم فيها وعليها باختلاف المعايير ، ولكن سيسلم منها على أى حال لجميع النظار على اختلاف المعيار مثل جديدة تنقض تلك القضية التي جرى عليهــا علماء العربية ومن بينهم صاحب الوسيلة الأدبية وصاحب الاتقان ، من ندرة الجناس التام في القرآن

محمد أحمد الغمراوى

السليقـــــية
بين الفصحي والعــــــامية

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

السليقية نسبة إلى السليقة : وهى السجية والطبيعة والطبع . وأكثر ما تستعمل السليقة في الطبيعة الكلامية فاذا قالوا فلان يتكلم بالسليقة أرادوا أنه يتكلم أو يقرأ بطبعه لا عن تعلم

وتستعمل السليقة أحياناً في غير الكلام فيقال (الكرم سليقته والسخاء خليقته) . أما إذا قالوا فلان سليقى بياء النسبة فلا يراد منه حينئذ إلا معنى نسبته إلى السليقة الكلامية وحدها ، ويقال كلام سليقى . ويزداد معنى إرادة الكلام في لفظ (السليقة) إذا ألحقت بها ياء المصدرية . حتى إذا قالوا السليقية سجية فلان لم يعد يفهم منها إلا الطبع اللغوى الذى نشأ عليه فلان في بيئته : قال الأزهرى فاذا قرأ البدوى بطبعه ولغته ولم يتبع سنة قراء الأمصار قيل هو يقرأ بالسليقية أى بطبيعته وليس بتعليم . وفى حديث أبى الأسود الدؤلى أنه وضع علم النحو حين اضطرب كلام العرب وغلبت السليقية : قال صاحب اللسان في تفسير هذه السليقية أنها اللغة التى يسترسل فيها المتكلم على سليقته أى سجيته وطبيعته من غير تعمد إعراب ولا تجنب لحن

ومن هنا نستنتج أن السليقية مادامت لغة البيئة أى اللغة التى يسترسل فيها كل متكلم بطبعه — كانت السليقية ضربين (سليقية فصاحة) (وسليقية بذلة) وهى السليقية العامة . وإنما اخترت كلمة (البذلة) متابعة للزمخشرى فانه استعملها في عبارة له كما سيأتى

فسليقية الفصاحة أو السليقية الفصحى هى اللغة التى غلبت على لسان المتكلم بحكم البيئة البدوية : كالأعراب الذين ملكت الفصاحة ألسنتهم فلم يتطرق إليها الفساد : فهم لا يتكلمون بها إلا معربة واضحة المقاطع ومن دون أن يتكلفوا الإعراب أو تجنب اللحن . وأشهر شاهد على هذا الضرب من السليقية أعنى السليقية الفصحى قول شاعر البادية

(ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سليقى أقول فأعرب)

والضرب الثانى من السليقية ماسميته (سليقية البذلة) وهى سليقية العربى العامى في لهجته التى غلبت على أهل مصر بعد انتشار الاسلام وقد مرت الاشارة إليها في حديث أبى الأسود مذ قالوا إنه وضع علم النحو (حين اضطرب الكلام . وغلبت السيلقية)

فالعربى العامى كالعربى البدوى : غلبت على كل منهما لهجته أو لغته بحكم تأثير بيئته ونشأته : الأعرابى ترك نفسه على سجيتها فاسترسل في لغته الفصحى لا يلوى على شىء غير متكلف إعرابا ولا متجنب لحنــاً ، والعربى العامى السليقى البذلة يترك نفسه هو أيضا على سجيتها فيتكلم بلغة أمه ولهجة بيئته لا يتكلف إعرابا ولا يتجنب لحنا : البدوى

يعرب بحكم السليقية . والعامى يلحن بحكم السليقية . فليس الشاعر أو الراجز البدوى سليق بقول فيعرب وحده بل إن الزجال الشعبى سليقى أيضا يقول فيلحن ولا يعرب بحكم السليقية . كلاهما سليقيان

بقى أن نورد شاهدا على السليقية الثانية (سليقية البذلة) أى على أن العربى العامى إذا استرسل فى لغته الملحونة صح أن يوصف بالسليقية وأن يقال إنه سليقى

عثرت على شاهد لطيف المنزى رقيق الحواشى أورده الزمخشرى فى كتابه (الفائق) تعليقا على مادة ظرف قال : ومن حديث معاوية رضى الله عنه أنه قال لجلسائه يوما : كيف ابن زياد فيكم ؛ قالوا : ظريف على أنه يلحن . قال : أوليس ذلك أظرف له ا هـ

قال الزمخشرى : وإنما استظرف معاوية ابن زياد لأن السليقية وتجنب الأعراب مما يستملح فى البذلة من الكلام قال : ومنه البيت المشهور :

(منطق صائب وتلحن أحيا

نا وأحلى الحديث ما كان لحنا[1])

فالزمخشرى استعمل السليقية بمعنى استرسال الظريف فى البذلة من الكلام . وليست البذلة فى الكلام الواردة فى عبارته إلا التبذل وعدم التصاون فى تحرى الفصيح المعرب . ومن هنا صح لنا استعمال سليقية البذلة فى مقابل سليقية الفصاحة

فاذا كان علماء اللغة خصوا البذلة والابتذال والمباذل فى رث الثياب أو فى لبس المهين منها فان شيخنا الزمخشرى لستعمله فى رث الكلام وعاميه والمبتذل منه

على أنهم يقولون فى فصيح اللغة (كلام مبتذل ومثل مبتذل) إذا كان كثير الاستعمال ملهوج الذكر . ولكن قولهم هذا لا يستدل منه على جواز وصف اللغة الملحونة بالابتذال . فالكلام المبتذل والمثل المبتذل إنما جاءها وصف الابتذال من ناحية اللهج بذكرهما وكثرة الاستعمال لهما حتى لو قالها الحضرى البليغ أو البدوى الفصيح سميا مبتذلين بمعنى أنهما متداولان لا لأنهما عاميان ملحونان وفرق بينهما

فالبذلة فى الكلام بمعنى العامية الملحونة إنما استفدناها مباشرة من عبارة الزمخشرى . وفوق ذلك كله فان اللحن فى البذلة السليقية إن أنكره بعضهم واستبشعه فان الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما استحسنوه وافتوا بجوازه بل نصح بعضهم بأن يستعمل الكلام الملحون فى مخاطبة المرء لغيره وفى تحديثه جلساءه لا فى ما عدا ذلك فقال (لا تستعملوا الإعراب فى كلامكم إذا خاطبتم . ولا تخلو منه كتبكم إذا كتبتم) كأنه يقول أوصيكم أن تعربوا كتاباتكم وتلحنوا فى محاوراتكم

ولعل هذه الوصية فى مراعاة الإعراب فى الكتابة وتركه فى المحاورة إنما استندت إلى ما وقع للفراء مع هارون الرشيد : ذلك أنه دخل عليه يوما وتكلم بكلام لحن فيه مع جلالة قدره وعلو رتبته فى النحو . فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن الفراء قد لحن . فقال الرشيد أتلحن يا يحيى ؟ (ويحيى اسم الفراء) فقال يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن : فاذا حفظت أو كتبت لم ألحن واذا رجعت إلى الطبع (أى فى محاورة الناس) لحنت . فاستحسن الرشيد كلامه .

واعتذر صاحب صبح الأعشى للحانين فى الكلام مؤيدا الوصية المذكورة فقال إن اللحن قد فشا فى الناس . والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالأعراب عيبا . والنطق فى الكلام الفصيح عيا . والذى يقتضيه حال الزمان الجرى على منهاج الناس بأن يحافظ على الأعراب فى القرآن والحديث والشعر والكلام المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها . ويغتفر اللحن فى الكلام

(١) أورد الزمخشرى هذا البيت على أن اللحن فيه بمعنى الخطأ فى الإعراب . وهو أحد الرأيين فى البيت ، وهناك من يرى أن المراد من اللحن فيه التعريض لا الخطأ ، والتعريض هو أن تقول قولا يفهمه مخاطبك ويخفى على غيره

الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم يتداولونه بينهم ويتحاورون به فى مخاطباتهم . وعلى ذلك جرت سنة الناس فى الكلام مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة . انتهى كلام القلقشندى وهذه المسألة أى مسألة استباحة اللحن والإخلال بالإعراب فى لغة المحاورة موضع نزاع كبير بين فضلاء العصر ولاسيما أساتذة المدارس والمشتغلين بتعليم النشء

وينبغى أن يزاد على المواطن التى عددها القلقشندى وحظر اللحن فيها من مثل المدونات والمراسلات — يزاد كلام المدرسين والمعلمين فى قاعات الدروس حيث يبسطون محاضراتهم تحت أسماع الطلاب . فلا يجوز بحال اللحن فيها ، ولا الإخلال بالإعراب فى ألفاظها ومبانيها : فإن الناشئين فى ليونة ألسنتهم وحساسية أدمغتهم قابلون للانطباعات والتأثيرات ، فإذا سمعوا الكلام الملحون المرة بعد المرة يوشك أن تفسد ملكاتهم وتستعجم لهجتهم

ويتصل ببحث استظراف السليقية فى الكلام الملحون بحث آخر فيه طرافة وله علاقة ببحث اللهجات وهو: هل يجوز للكاتب أو المحدث أن ينقل الكلام الملحون بنصه من دون تغيير ؟ والجواب عن هذا يعلم مما مر بالضرورة . أليسوا قد أجازوا التكلم بالملحون فلأن يبيحوا نقله أو روايته بالطريق الأولى . على أن أساطين الأدب العربى صرحوا بالترخص فيه بل بترك القول الملحون على اعوجاجه وقبيح أغلاطه

قال الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب (وقد عنى بهم أرباب السليقية الفصحى) فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها . فإنك إن غيرتها بأن لحنت فى إعرابها أو أخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير [٢] وإن سمعت نادرة من نوادر العوام (وقد عنى بهم أصحاب السليقية العامية) أو ملحة من ملحهم فإياك أن تستعمل لها الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا فإنك إن فعلت أفسدت الإمتاع بها وأخرجتها من صورتها التى وضعت لها وأذهبت استطابة السامعين إياها .

فالجاحظ يرى أن رواية الأقوال الملحونة والنوادر الملتوية اللهجة يستطيبها الجلساء ، ويلذون بسمعها وخاصة إذا كان اللحن (من الجوارى الظراف والكواعب النواهد والشواب الملاح) فإن ذلك يستملح فى كلامهن مالم تكن الواحدة منهن صاحبة تكاف فإن التكلفة للكلام الملحون تسمج ويتجافى عنها الطبع ويكثر هذا اللحن المستملح فى الأعجميات من النساء كالروميات والأرمنيات

أعجب ماأسمع منها فى السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر
والسوأة السوآء فى ذكر القمر

وما قولكم فى ابى اسحق بن سيار النظام فإنه كان يلحن فى كلامه ويروى عنه صديقه الجاحظ كلامه الملحون ويعتذر عنه بل يسوغ له عمله : فقد روى فى كتابه الحيوان (جزء ١ صفحة ١٣٦) أنه خرج مع النظام ليلة فى بعض طرقات الأبلة فالح على النظام كلبٌ من شكل كلاب الرعاة فثبت له ولم يجزع وأقبل على الجاحظ يحدثه عن نفسه ويعدد خصاله إلى أن قال مانصه : إن كنت سبع فاذهب مع السباع . إلى آخر حديثه ؛ فعلق الجاحظ على هذا بقوله : لاتنكر (أيها القارئ .) على حكايتى عن النظام بقول ملحون مذ قلت (إن كنت سبع) ولم (أقل إن كنت سبعاً)

ثم علل ذلك بقوله إن الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع النوادر إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة ، فإذ ادخلت على هذا الأمر الذى إنما أضحك بخفه وعجمته حروف الأعراب والتخفيف والتثقيل وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة — إذا فعلت ذلك انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته .

(٢) اهل الفضل هنا بمعنى واحد لحصول وهو زيادة فى الكلام لا خير فيها

ثم قال الجاحظ فى مكان آخر : ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف : فإن كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله وداخل فى باب المزاح والتفكيه فاستعملت فيه الإعراب انقلب عن جهته وإن كان فى لفظه سخف فأبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذى وضع على أن يسر النفوس يكربها ويأخذ بأكظامها

ثم قفى الجاحظ على رأيه هذا بهذه العبارة الجريئة فقال (وبعض الناس إذا انتهى إلى ذكر كذا وكذا وعدد الجاحظ ألفاظاً يستحى من ذكرها) ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع . وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار إلا بقدر هذا الشكل من التصنع . ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق إلا عن لؤم مستعمل ونذالة متمكنه انتهى

أقول قد غلا الجاحظ فى تهوين أمر كلمات الرفث والبذاء على الناس ؛ وأرى أن أستدرك عليه بما استدركه ابن قتيبة على نفسه وقد حام حول ما قاله الجاحظ فقال : ولم أترخص لك فى إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجيراك على كل حال ، وديدنك فى كل مقال . بل الترخص منى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض وأحببت لك أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ولا تستشعر أن القوم (يعنى السلف الذين ترخصوا بذكر الرفث) قارفوا وتنزهت ، وثلموا أديانهم وتورعت اهـ

ثم انتقل ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) من رواية كلمات الرفث والترخيص بها بقدر معلوم إلى رواية الكلام الملحون من نوادر وملح ، وهو موضوعنا الذى كنا فيه مع الجاحظ فقال : وكذلك اللحن فى الإعراب ان مربك فى حديث من النوادر التى نرويها لك : لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر[1] النادرة حلاوتها قال : وسأمثل لك مثالا : قيل لمزبد (وهو رجل صاحب نوادر) وقد أكل طعاما كظه (أى ثقل على معدته) قى . فقال ما أقى ؟ أقى ؟ نقى ! ولحم جدى : مرتى طالق، لو وجدت هذا قيّاً لأكلته . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولاستبشعها سامعها

والمؤلفون فى نقد الشعر كابن قدامة لم يغب عنهم حسن ما قاله الجاحظ وابن قتيبة : فهم على شدة تنطعهم فى نقد الأقوال وتمييز زيوفها أجادوا رواية الملحون ، وحكاية السخيف من النوادر : قال ابن قدامة فى كتابه نقد الشعر (وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز فيه غيره وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء فإنه متى حكاها الإنسان بغير ما قالوا خرجت عن معنى ما أريد بها وبردت عند مستمعها اهـ

هذه هى كلمتى فى السليقية بنوعيها : السليقية فى القول الفصيح، والسليقية فى البذلة من الكلام . والسليقية الثانية هى سليقيتنا نحن أبناء هذا العصر فقد ملكت علينا ألسنتنا كما ملكت لسان الفراء فى عصر الرشيد حتى أصبحنا غير قادرين على التفلت من أوهاقها إلا بتكلف وتلكؤ شديدين . وذلك يكون منا إذا رأينا أنفسنا مضطرين إلى إفهام غيرنا ممن لا يفهم لهجتنا ولا ما يحكى بها : كما إذا حاورنا أبناء المغرب الأقصى أو حاورونا ، فإن لهجاتنا المختلفة تحول بيننا وبين الاستمتاع بحديثهم فنضطر إذ ذاك إلى ترك سليقية البذلة واللجوء فى التفاهم إلى السليقية الفصحى وهى لغة القرآن وما أبركها لغة

وأكثر ما تتحقق هذه الضرورة أى ضرورة الالتجاء

(١) معنى شاطرها حلاوتها أنه ناصفها إياها فسلبها نصفها وأبقى لها النصف الآخر

٢ - كوليرج

للكاتب الناقد . اى . ل . كيلركوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

وفى حزيران (يونيو) من سنة ١٧٩٤ زار كوليرج صديقه آرلن فى أكسفورد وتعرف هنالك بالشاعر (روبرت ساوذى) . وقد كان روبرت هذا شابا ثاريا متحمسا فيه ميل شديد ونزعة قوية لاحتضان المبادئ العنيفة ومن هذه المبادئ نشأت فكرة (البانتيسوكراسية (١)) بتأييد من أصدقاء ساوذى ومساعدة من كوليرج . ويلخص كامبل هذه الفكرة فيما يلى : « اتفق اثنا عشر رجلا من المثقفين ثقافة جيدة وممن لهم أفكار حرة مع من عائلهم من السيدات على الأبحار فى نيسان من هذا العام واضعين نصب أعينهم منطقة بديعة من مناطق أمريكا ، وكان المظنون أن عمل كل من هؤلاء الأشخاص لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات يوميا كان للقيام بأود (المستعمرة) . أما المنتج فهو ملك مشاع ، وكان المقرر أن تكون هنالك مكتبة عامرة ، وأوقات فراغ ملائمة ، لتخصيصها للدراسة والمناقشة وتربية الأطفال وفق خطة دقيقة معينة . كما أن واجب النساء كان يقتضى منهن التفرغ للاعتناء بالأطفال الرضع ، والقيام بأشغال لائقة أخرى . على أن ذلك يجب ألا ينسيهن تثقيف أذهانهن وإنماء مواهبهن المتنوعة بالتتبع والدراسة وبالتفهم والممارسة فى كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة (٢)) . أما الأمور الأخرى التى لم تقرر فى حينها فكان أهمها رباط الزوجية وهل فى الإمكان فصمه برغبة أحد الطرفين أو برغبة كليهما وكان من حق كل شخص أن يتمتع بكل حقوقه الدينية والسياسية إذا لم يكن فى ذلك اجتراء على الحقوق والقوانين المتفق عليها سابقا) وقد حسبوا أن أى شخص يدفع (١٢٥) جنيها وله مالهم من الآراء الحق فى تنفيذ هذا

(١) تعنى الكاملة المساواة وهى مذهب يدعو إلى المساواة فى الحقوق والواجبات والشاعية فى الملكية ، المترجم

(٢) من كلام المترجم

إلى لغة القرآن حينما نجتمع بإخواننا المسلمين الأعاجم الذين أصابوا ولو قليلا من الثقافة القرآنية أو الثقافة العربية : فإنه لا ينفس الكرب عنا وعنهم ويجعلنا ننعم بالحديث معهم إلا لغة القرآن . ويظهر أن وسائل النشر والإذاعة والآلات والمواصلات وفرة دواعى الاجتماع والتلاق بيننا وبينهم فى البعثات والمؤتمرات

كل ذلك يمهد الطريق أمام استعمال اللغة الفصحى بيننا فتقوى فينا ملكة التكلم بها من حيث تضعف فى نفوسنا إلى حد محدود سليقية البذلة العامية

وإنما قلت إلى حد محدود : لأنه مادام هناك اختلاف وتباين فى عقول أبناء الأمة الواحدة وقابلياتهم ومعارفهم وتفاوت فى ملكاتهم وتربيتهم وثقافاتهم فلابد أن تبقى فيهم لهجة عامية عائشة بجانب اللغة الفصحى

على أن اللغة الفصحى مع الأسف مهما انتشرت وقام لها سوق فيما بيننا سوف تبقى عاطلة من حليتها ، مجردة من حركات إعرابها كما هى حالة لغة أهل (عكاء) فى اليمن على ما حكاه الشيخ عبد الرحمن الكواكبى للشيخ أحمد الإسكندرى . ولله الأمر من قبل ومن بعد

عبد القادر المغربى

المشروع) . وبينما كانت (البانتيسوكراسية) فى دور المخاض المؤلم ، طافت فكرة طارئة فى ذهن كوليرج فتركها هكذا وسار مشيا على قدميه فى مقاطعة ويلز

وفى اليوم الثالث عشر من (يوليو) وصل إلى (ريكسهام) وهنالك عثر على مارى إيفانز بينما كان يتمشى بالقرب من نافذة أحد الفنادق فلمحها وهى تهبط السلم إلى الشارع مع إحدى أخواتها . وقد علق على هذه المقابلة غير المتوقعة بقوله : (هجم على المرض فجأة وكاد الإغماء أن يوقع بى شر هزيمة ، ولكننى تمالكت وعيى وتمكنت من التراجع بسرعة) . ويظهر أن الأختين شاهدتاه (لأنهما سارتا أربع أو خمس مرات بجانب النافذة المطلة على الشارع كأن القلق كان يحز فى قلبيهما) . ولكن اللقاء لم يتحقق ، وهو لو تحقق لأدى إلى المصالحة على أكبر احتمال

فر كوليرج إلى (برستول) ولحق بصديقه ساوذى هناك مع عدد من البانتيسوكراسيين ومنهم كانت عائلة تدعى عائلة (فركر) . وقد تزوج ساوذى (أديث فركر) بينما تزوج كوليرج (ساره فركر) كما يقع ذلك بصورة فجائية بنتيجة الصدمات التى تصيب العاطفة الهائجة (فتجعلها ترتمى فى أحضان أية امرأة يضعها القدر فى طريقها [٣]) . يقول كامبل (إن الزواج لم يعقد فى السماء وإنما قرر على الأرض وعلى يد ساوذى . إن السماء وحدها وليس أحباء كوليرج ، هى التى تعرف ما كان يحدث لو أنه اقترن بدوروثى وردزوورث) ليس من حقنا أن نرجم بالغيب فى مثل هذه الأشياء ، وإن نحن حاولنا ذلك فلن نصيب إلا أنفسنا . أما إن التقاءه بها كان مؤخرا فهذا حق لا يمارى فيه أحد ، وكذلك كان الحال مع وليم وردزوورث أخيها . وبعد أن مكثت عائلة كوليرج أمداً قصيرا فى (كليفندن) وبرستول تخللتها سفرة قام بها كوليرج وزوجه لجمع الاشتراكات لمشروع جريدة باسم (الرقيب) ارتحلت هذه العائلة مع وليدها إلى (نيذر ستاوى) فى (سومرثت) لتكون بجوار توماس بوول ، الصديق الوفى والخل المخلص . وإلى هنا قدم وردزوورث مع أخته الجليلة فى تموز عام ١٧٩٧ ، وقد لحق بهما بمدئذ تشارلى لامب وصل الجميع فى ضيافة كوليرج » وقد خلدت هذه الزيارة فى قصيدة (تحت ظلال شجرة الليمون) وبعد ذلك رجع تشارلى إلى لندن بعد مكوثه معهم لمدة قصيرة جدا ، بينما أقام وردزوورث وأخته فى (الفوكسدن) على مقربة ثلاثة أميال من دار كوليرج ، وذلك بسبب الرابطة السحرية التى ربطتهما بعنف وقوة بكل ما له علاقة بكوليرج . وأخيرا حدثت المعجزة . قد يكون من الحق أن نقول إن كوليرج لم يبلغ مبلغ الإعجاز فجاءة ، لأنه سبق له أن طبع مجلدا من الشعر طبعة ثانية بعد أن نفدت الطبعة الأولى ؛ ولكن هذا المجلد لم ينبئ بما سيقع . أما وردزوورث فكان يستوحى آلهة الشعر — إن جاز لنا أن نطلق كلمة (الوحى) على ناظم قصيدة (المجاورين) — ولكن المعجب سيأخذ منا مأخذا شديدا ، لأننا سنجد هذا الناظم بالذات ينظم بعد حول فقط قصيدته العصماء (كنيسة تنيترن) فما كان غير محتمل وقع ، وما كان أملا تحقق . وقد غدا الأخ والأخت والصديق روحا واحدا ، كما شهد بذلك كوليرج نفسه . وفى وسط روح المحبة والأخوة وتحت تأثير دوروثى بصورة خاصة ، التى كانت وحدها صامتة هادئة ، وقائمة بالتشجيع والنقد والإعجاب والإرشاد ، أقول : فى وسط هذا الجو السحرى الرائع وجد كوليرج ووردزوورث نفسيهما شاعرين مغردين بنغمات جديدة فى فجر جديد . وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر من اليوم الثالث عشر من تشرين الثانى شرع الأصدقاء الثلاثة يسيرون مشياً إلى (وجيت) فى طريقهم إلى الريف فى (اكسومر) وذلك لأداء ما بذمتهم من نفقات بواسطة بيع قصيدة ، عزم الاثنان على نظمها فى

(٣) من كلام المترجم

الطريق ! . وقبل انقضاء ثمانية أميال من سفرتهم هذه، فشلت خطة النظم المشترك ، وأخذ كوليرج على عاتقه نظم القصيدة بمفرده ، واستمر العمل فى ذلك حتى شهر آذار التالى . تقول دوروثى معلقة على ذلك : (إنه فى الثالث والعشرين من ذلك الشهر تناول كوليرج طعامه معنا ، وكان فى جعبته قصيدته (النوتى القديم) كاملة تامة

وكان الليل بديعا والقمر بازغا ، وكنا نشعر كأن النجوم والكواكب متحلية بزينتها احتفالا منها بمولد الكوكب الجديد) . ومن الحق أن نقول إن قصيدة (النوتى القديم) تضطرنا إلى التأمل والتفكير فى أحقية ما كان يدعو إليه رجال العصور الوسيطة من أن هناك انسجاما بين الشعر والسحر، وأن (فرجيل) كان ساحرا . وكما قلنا قبل الآن يمكننا أن نفهم بمجهود يسير أن أغانى باولز — على ما هى عليه من شحوب ووهن وذبول — كانت تعنى فى فجر عام ١٧٩٠ غير ما تعنيه الآن . ولكن يمكن أن نتجاهل ظروف ولادتها ووقت بزوغها وما يتعلق بها من نظريات ، كما يمكن أن نتجاهل وردزورث ومقدماته وما كان بينه وبين كوليرج من مشادات ومنازعات . إلا أننا مع كل ذلك وحتى بعد مرور مائة سنة ، مجبرون على الاعتراف بأن قصيدة (النوتى القديم) هى تجربة الفن الكبرى ، والكوكب الذى اصطاده كوليرج وجلبه بيديه إلى (الفوكسدن) وأراه لدوروثى ووليم وردزورث . لأنه ليس فى مجالى الشعر الإنجليزى بأجمعه — وحتى لدى شكسبير — ما يجارى فى عبقرية لغتنا الغنائية تلك النغمات العلوية التى أنشدها كوليرج فى هذه القصيدة . . فوسيقاها جذابة سهلة ، جميلة فى تصورها وخيالها وإيقاعها ، وكأنها تجرى مجرى السلسبيل العذب فى رقتها وخفتها ولطافتها . وقد تضم القصيدة بعض الكلمات الضخمة الثقيلة إلا أنها تقوم بدورها وتمضى بيسر وجمال وبراعة؛ فشكسبير — على علو كعبه وسمو منزلته — لم يتمكن من الإتيان بما أتى به كوليرج فى هذه القصيدة اللهم إلا بعض النتف المتناثرة هنا وهناك ... إن فى هذه القصيدة لحن الملائكة وصوتهم العذب المرتل ، وكأنهم فى إنشادهم هذا جوقة سماوية تغنى ما يحلو لها من الأنغام الدينية أمام بوابة الفردوس فى غبش الفجر

وعلى الرغم من أن النقاد يعترفون بسحر هذه القصيدة وقوة تأثيرها وجمالها الفنى ، إلا أنهم مع ذلك يسفهون هذا الاعتراف ، وذلك لأنهم يصرون على التساؤل عن السبب الذى منع كوليرج من عدم اتباعها بقصائد مماثلة أو أن يكتب شيئا يضارعها .

وأخيرا لوى كوليرج رقبة إرادته النحيلة بتأثير الأفيون واشتد كابوس المادة عليه ، فأصبح — كما قال هازلت — رجلا يقدر على كل شئ إلا ما يمثل واجبا من الواجبات ! وقد تمكن مرة أو مرتين فى (كرستابل) و (قبلاى خان) أن يكتشف أجواء مقدسة ، ولكن إرادته لم تقو على الاستمرار فى التحليق فى مثل هذه الأجواء ، فانتهت قصته كشاعر فى محاولات متكررة غير مجدية لإتمام (كرستابل) . وكل هذا حق صراح ، أو على الأقل يمكن أن يكون مقنعا لأى شخص يحاول أن يستعرض مسألة شذوذ كوليرج

البقية فى العدد القادم   يوسف عبد المسيح ثروت

العروبة رابطة وهدف

للأستاذ عيسى الناعورى

في العدد (١٠١٩) من هذه المجلة الغراء كتب الأستاذ على الطنطاوى إفتتاحية بعنوان (العربية والإسلامية) حمل فيها على فكرة العروبة وصلاحيتها لعالمنا العربى . ولسنا نشك أن الشيخ كان مخلصا فى دعوته ، وأنه كان يدافع عن عقيدة يعتقدها ويتعصب لها . ونحن نعذره لذلك ، ونرجو أن يلتمس هو أيضا لنا العذر إذا جئنا نخالفه فى آراه ، ونسوق الأدلة التى تدفع ما أورده من حجج كان يعتقد أنها تستقيم بين يديه ، وهى فى الواقع أبعد ما تكون عن الاستقامة . وما دام الإخلاص للمبدأ وللحقيقة هو رائد الشيخ ورائدنا فمن السهل أن نتفاهم ونصل إلى نتيجة يكون بها صلاح عالمنا العربى وبلادنا العربية

لقد وقف الأستاذ فى مقاله بين عاملين : أن ينظر إلى المليونين من العرب غير المسلمين الذين يعيشون فى البلاد العربية ويشاركون المسلمين فى قوميتهم ، أو إلى الملايين الثلاثمئة من المسلمين غير العرب الذين يشاركونهم فى عقيدتهم الإسلامية ، والذين يظهر لنا أن ضخامة الرقم الأخير قد هالت الشيخ ، فرأى أن مركز العرب — أو مركز الكتلة التى فيها العرب — يقوى بهذا العدد الهائل أكثر مما يقوى بالمليونين وحدهم . ولهذا بنى دعوته على هدم فكرة الوحدة العربية ، وإقامة الوحدة الشرقية على أساس العاطفة الدينية وحدها

ثم كان من الأمور التى اعتقد الشيخ أنه قد أصاب بها المرمى وهو يحاول هدم الرأى القائل بوجود (إرادة مشتركة) بين أفراد الأمة العربية ، أنه تساءل قائلا : « إذا قرأت أنا وعربى جبل لبنان المارونى تاريخ الغزوات الصليبية ، فهل يكون أثر هذا التاريخ فى نفسى مثل أثره فى نفسه ؟ »

بهاتين الملاحظتين تتلخص أقوى حجج الشيخ فى مقاله الطويل ذى الصفحات الست ، ولسنا نجد فى بقية المقال ما يستوجب الاسترسال إلى الإقتباس أو النقاش . فليسمح لنا بأن نقف عند هذا الحد لنجيب أولا عن سؤاله ، ثم نبين له ما حاول أن يتناساه من وقائع التاريخ البعيدة والقريبة معا فى نظرته الأولى

أنا لست مارونيا من جبل لبنان ، ولكننى مسيحى كموارنة لبنان وعربى فى حقيقتى وشعورى . وأستطيع أن أجيب عن سؤال الشيخ صادقا مخلصا أننى لست أقل منه نقمة وسخطا على الحروب الصليبية — بداية الاستعمار الغربى للشرق — وعلى الذين شبوها تحت ستار من الدين . ولست أقل منه سخطا على الدين نفسه — كل دين — إن كان من مبادئه أن يحل القتل والدمار فى سبيل السلطان والمنافع الدنيوية . ولست أيضا أقل منه سخطا ونقمة على الغربيين المستعمرين ومظالمهم المجرمة فى بلادى . ولا ينس الشيخ أننى أشترك مع هؤلاء المستعمرين اليوم ، ومع أجدادهم الصليبيين فى الأمس ، بالعقيدة الدينية ، ولكننى احتقرهم وأنقم عليهم بدافع من شعورى العربى القوى الذى أذلوه ولا يزالون يمعنون فى إذلاله

وهذا الذى أقوله هو ما يقوله كل مسيحى عربى واع . وأظن الشيخ يوافقنى فى أن قياس الحكم فى مثل هذه الأمور هو الإنسان المثقف الواعى وليس السواد الأعمى . ولهذا أرجو أن يكون هذا الجواب كافيا لإزالة ما بنفس الشيخ من هذه الناحية

أما أن الثلاثمئة مليون من المسلمين غير العرب أحق بأن يؤلفوا مع العرب وحدة كبرى ، فإننى أخالف الشيخ فيه كل المخالفة . ولست أظن الشيخ قد نسى «الشعوبية» — وهى لعنة أقدم وأدهى من الصليبية — وما جرته على الأمة العربية من خراب وذل ، مما لا يزال يرويه التاريخ بكثير من الخجل والمرارة . والشيخ لا يجهل أن الشعوبيين

هم من الجماعات غير العربية التى أفسح لها الإسلام من رحابه كرما ، ووسع لها فى كنفه تسامحا ، ولكن أسلامها لم يمنعها من النقمة على العروبة — والعروبة منشأ الإسلام ومنبته الأول — فكانت هى أول العوامل على تقويض سلطان العروبة والإسلام

ولست أرى فى موقف الشعوبيين ذلك ما يستحق المؤاخذة على الإطلاق ، فقد كانوا برغم وحدة العقيدة الدينية يشعرون بأن العرب أمة فاتحة ، احتلت بلادهم ، وجبيت إليها أموالهم ، وتسلطت على ممالكهم تسلط الفاتحين ، وعاملتهم فى عهد الأمويين معاملة الخدم والموالى ، فكانوا لذلك ينظرون إلى هذه الأمة الفاتحة — أو المستعمرة بلغة اليوم — بشعورهم القومى المدانى الحذر ، تماما كما ننظر اليوم إلى المستعمرين الغربيين بشعور الكراهية والعداء القومى

والذى حدث فى الماضى لدينا منه نماذج فى حاضرنا المشهود — وهو فيما أرى شئ طبيعى جدا فى مفهوم القوميات . — فهذه تركيا ... جارتنا المسلمة — ترى أية رابطة يمكن أن تقوم بينها وبين سوريا — بلد الشيخ الطنطاوى العربية المسلمة ؟ — ألم تقطع من قلب سوريا جزءا عزيزا غاليا هو لواء الاسكندرونة الذى لا يزال كل سورى يحلم باستعادته ؟ وتركيا بهذا قد كسبت لنفسها نصرا قوميا على حساب خسارة العرب القومية

ألم تتنكر تركيا لشعورها الدينى نفسه ولشعور العالم الإسلامى كله ، فى عهد قريب جدا ، وتحارب اللغة العربية رغبة فى تنمية شعورها القومى ، وصيانة سيادتها القومية الكاملة ؟ ثم ألم تتنكر تركيا المسلمة نفسها فى عهدها الحاضر لكل ما أجمعت عليه جاراتها العربيات المسلمات من محاربة إسرائيل — عدوة العرب وحدهم ، لا المسلمين كلهم — ومقاطعتها ومحاصرتها وعدم الاعتراف بها ؟ وهل يذكر الشيخ لتركيا موقفا جديا واحدا فى تأييد أمانى البلاد العربية معاضدة قضية من قضاياها ؟

ويشهد الله أننى لا ألوم تركيا فى شئ من هذا ، فهى تعرف مصالحها السياسية والقومية ، وتعمل ما يناسبها بوحى من هذه المصالح وحدها ، ولكننى أسوق هذه الأمثلة والحجج لأثبت للشيخ أن الدين وحده ليس بالرابطة التى تصلح لبناء وحدة الأمة ، فلعله يؤمن معى بأن (الإدارة المشتركة) موجودة بين أبناء العروبة أتم وجود ، بينما هى بين الشعوب الإسلامية ، كما هى بين الشعوب المسيحية والوثنية واللادينية أيضا ، إذا أمكن وجودها إلى حين ، فلا يمكن وجودها إلى الأبد ، ولا إلى وقت طويل ، لأنها روابط مصلحية وقتية لا شعور طبيعى

لست أنكر أن المسلم العربى يشترك مع المسلم غير العربى فى الشعور الدينى ، كما يشترك المسيحى العربى مع الإنكليزى أو الفرنسى أو الأمريكى مثلا بهذا الشعور الدينى ، ولكن هناك حقيقة كبرى لا يجوز أن نتجاهلها وهى أن المصالح القومية لن تتقيد فى يوم من الأيام بالشعور الدينى وحده ، فالمسيحى العربى ينظر إلى المستعمرين الغربيين ... وهم من دينه ... نظرته إلى أعداء بغيضين ، يتمنى أن تتيح له الأيام فرصة الثأر منهم لكرامته القومية المهانة . وقد أثبت بالفعل فى كل مناسبة شدة عدائه لهم ، وفلسطين أقرب شاهد على هذا

إننى مع الأستاذ الطنطاوى فى أن الأمة العربية لم يوحدها ولم يكتب لها تاريخ المجد سوى الإسلام ، وأنا أعتز مع الأستاذ كل الاعتزاز بالإسلام وبهذا المجد الذى كتبه الإسلام للأمة العربية . فالإسلام مصدر فخر واعتزاز قومى لكل عربى ، ولكن « العروبة » التى خرج منها الإسلام لن تكون قط مصدر فخر واعتزاز لكل مسلم غير عربى . وإذا كانت بعض الشعوب الإسلامية تشارك البلاد العربية فى شعورها وأمانيها فى بعض المناسبات ، فليس معنى هذا أنها ترغب مخلصة فى ربط حياتها ومصالحها السياسية والاقتصادية معها برباط واحد وإلى أمد طويل ،

شعر مختار

... وبقيت وحدى

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كان الضيا السمح يمرح بين أغصان النخيل
وأنا أسير مرنح الأشواق من خمر الأصيل
متلفعا بالنور آونة ، وبالظل الظليل ...
وكما أتى ، ذهب الأصيل ، كأنه نغم جميل
فتسلق النور الذرى مترقبا وقت الرحيل
حتى إذا وفد المغيب طواه فى صمت جليل
فمضيت لا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد !
فلقد مضى عنى الأصيل بنوره .. وبقيت وحدى

* * *

وأتى المساء ، فهللت روحى لأسرار المساء
ومضت تهيم ، وملؤها ظمأ إلى نبع الخفاء
مسحورة بالصمت يرسل لحنه ناى الفضاء
مسحورة بالغيب يدعوها ويمعن فى الدعاء
حتى إذا انتفضت ، وكاد السر يدركه الرجاء
ذهب المساء كأنما ارتفعت به أيدى السماء
فمضيت لا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد !
فلقد مضى عنى المساء بسره .. وبقيت وحدى

* * *

ولكن مصالحها الحالية ، وكلها شعوب ضعيفة يعيث فيها النفوذ الأجنبى المجرم ، تدفعها إلى أن تقوى مركزها بأية وسيلة ممكنة ، وبالتعاطف بينها وبين أية كتلة من الشعوب الأخرى ، القريبة منها والبعيدة ، التى تشترك معها فى الكفاح لأجل الحرية ، تماما كما فعلت فرنسا وبريطانيا فى الحربين العالميتين الأخيرتين وإلى الآن ، على الرغم مما يتذكره كل بريطانى وكل فرنسى فى تاريخ الأمتين من حروب وعداوات طويلة الأمد

أفلا يؤمن معى الأستاذ الطنطاوى إذن بأن الأقرب إلى العقل والمنطق السليم هو أن تقوم « الأمة العربية » على وحدة الشعور ، والتاريخ ، واللغة ، والتقاليد ، قبل أن تقوم على رابطة الدين وحدها

وهذا لا يمنع من أن ترتبط هذه الأمة الواحدة ، ذات الإرادة المشتركة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة ، برباطات التكتل الدولى والصداقة مع سائر الشعوب التى تجمعها بها دوافع الكفاح للتحرر من سلطان المستعمرين — سواء أشاركتها فى الدين أم خالفتها فيه — لأن هذا يدخل فى باب « المصلحة الوطنية » لا الشعور القومى المشترك ؛ وهو يقوى من مركزها فى كفاحها ضد الظالم

بعد هذا أود أن يعلم الشيخ أننى لست أدافع عن عقيدة حزب معين ، فلست من المنتمين إلى الحزب الذى يقول حضرته بلهجة الاحتقار أنه « قد ألفه فى عهد الفرنسيين أحد شباب النصارى » — وهو يقصد حزب البعث العربى ومؤسسه ميشيل عفلق — ولكننى واحد من الذين يتعصبون للعروبة عن عقيدة واقتناع ، ويؤمنون بأنها الوسيلة الوحيدة لوحدة الأمة العربية ، ولإقامة تاريخ جديد ، على أسس من النعمة والرفعة والكرامة ، لهذه الأمة العربية التى أشترك أنا والشيخ فى الانتساب إليها والاعتزاز بها ، برغم اختلافنا فى الدين ؛ هذا الاختلاف الذى جاءنا بحكم الولادة والأسرة ، وليس للشيخ ولا لى أية فضيلة أو يد فى اختياره

عيسى الناعورى

ولكم بدا ما أرتجيه ، وكم توارى بالحجاب
ولكم أتى ما أشتهيه ، وآب مبكى الإياب
حتى الذين نسيت عند لقائهم ذكرى عذابي
صحبي، ولم أعرف أعز من الحياة سوى الصحاب
ذهبوا كما ذهبت أماني النفس في فجر الشباب
وبقيت أحيا بعدهم مثل المحير في الضباب
أمضي ولا أدري لأية غاية ، ولأي قصد ؟
فلقد مضى عني الصحاب كما أتوا وبقيت وحدي!

* * *

حتى التي غنى بها قلبي ، فغناها الوجود
ومنحتها ما تشتهيه من الحيـاة ، وما تريد
نسيت غرامي ، حين طاف بقلبها حب جديد
يا هـذه : كيف استباح الحب أفاق طريد ؟
وعلام أجني الشوك في حبي، ومن غرس الورود؟
وعلام أذهب في الحياة كأنني نغم شريد ؟
أمضي ولا أدري لأية غاية ، ولأي قصد ؟
فلقد مضى عني الحبيب بحبه ... وبقيت وحدي

* * *

وأرى الشباب ، ربيع أيامي ، يقارب أن يضيع
فتموت في قلبي الحياة ، وقد خبا وهج الربيع
وأحس عمري زهرة جفت على أيدي الصقيع
فأظل مطوي الضلوع على أسى يفري الضلوع
أتذكر العهـد الذي ولى وليس له رجوع
وأعيش .. في روحي كآبات ، وفي قلبي دموع
أمضي ولا أدري لأية غاية ، ولأي قصد ؟
فلقد مضى عني الشباب بدفئه .. وبقيت وحدي!

* * *

يا ويح قلبي ، حين يقبل في غد شبح الفناء
وأنا المعذب في الحياة ، أظل أرغب في البقاء!
لكن إذا نزل القضاء ، فلا مفر من القضاء
هـذا أنا ... نعش يسير مشيعا بالأصدقاء
هذا أنا ... جـدث تمر عليه أقدام العراء
هذا أنا ... جسد يعود إلى الثرى ، من حيث جاء
هذا مصيري ! بل مصير الناس من قبلي وبعدي !
فعلام أجزع إن تخطفني الردى ، وبقيت وحدي ؟

إبراهيم محمد نجا

إليهـــم ...

« إلى إخوتي المهاجرين زفراتي وأناتي »

للأستاذ هارون هاشم رشيد

ومهاجرين معفرين على دروب التيه هاموا
عشون والأقدار كابية فما فيها ابتسام
أقواتهم ماذا ؟ وكيف ؟ فليس عندهم وطعام
هم هؤلاء بقية الشعب الذي عرف الأنام
ذاك الذي بالأمس أشعلها فشب لها ضرام
شعواء دامية يردد رجعها الجيش اللهام
قال السلام وكيف يلفظها على يده السلام
والذئب يفتك بالقطيع إذا تولاه الظلام

* * *

هذي الخيام ، ألا ترى ضاقت بمن فيها الخيام
لا. لا يروعك السقام فلن يحطمها السقام
لا . لن يضير عقيدة من أجلها صلوا وصاموا

غزة — هارون هاشم رشيد



رأى كاتب أمريكى فى أدب الولايات المتحدة

قال الكاتب الأمريكى (بن لوسيان بورمان) ماملخصه:

رصدت الأدب فى الولايات المتحدة منذ ١٩٢٠ فوجدته ينمو ولكن إلى ضعف، ويتقدم ولكن إلى هاوية. فالسخف والسطحية والفجاجة والدعاية والمسخ حلت محل الفن والعمق والجمال والجودة. ومن النادر الأندر أن تجد قطعة فنية ترضى ذوقك وعقلك. فان القصصى الحق يجب أن يجمع بين المخبر البارع والشاعر المصور، ولكنا لا نجد فى الكثير الأغلب إلا نثرا سخيف الأسلوب ومخبرا ضعيف الملاحظة. والقصة الجيدة يجب أن تكون سمفونية؛ ولكنا لا نسمع اليوم إلا لحن (البوجى يوجى). والقارىء العابر إذا لم يجد الخيال الذى يعكس حياته، والقصص الذى يصور شعوره، انصرف إلى قصص البوليس أو إلى تراجم الأشخاص. ولعل هذا عرضا من أعراض الشك الذى نعيش فيه من جراء هذه الحروب الثلاث التى تركت الناس بغير أمل ولا يقين. فسنوانا مبهم، وعقائدنا جامدة، وبلادنا (يريد أمريكا) سيطرت عليها البدع والهوايات. وأدبنا تقليعة من أقبح (التقاليع) لأنه لا يقوم على أساس فنى متين. فهو يتجه اتجاها جنسونيا إلى المسائل الجنسية والشؤون الحزبية، ويحرص على انتاج الأسفار الكبيرة؛ وهذه الأسفار الكبيرة هى التى بلغت بالانحطاط الأدبى إلى مداه. واللوم كله واقع على الذين يكتبون لا على الذين ينشرون. والكتاب فى أمريكا طوائف متنوعة كل طائفة تحمل لصيا من المسئولية. فطائفة تتبع الكاتبة المسرحية المرحومة جرترود ستين بأمانة وإخلاص. وطائفة من صعاليك المجتمع الأدبى يقولون أن الدفاع عن قضية من القضايا يكفى لإنتاج عمل أدبى عظيم. ومع ذلك فان الفن هو الفن، والدعاية هى الدعاية ولا يستطيع أدب الصعاليك أن يكون أدبا بالمعنى الصحيح. وهناك طائفة ثالثة وهم الواقعيون الذين يلقون من أيديهم ريشة الفنان ليقبضوا آلة التصوير، ناسين أن الشرط الأول لكل فن هو الانتخاب. وأنا كفنان أحتج على مبدأ: القبح للقبح

إن د. ه. لورنس كان عبقريا، وإن من قصصه مابلغ حد الكمال. ولكن الذين يعالجون اليوم المسائل الجنسية كما عالج نسبة عملهم إلى عمله كنسبة مؤلف قصة بوليسية إلى أناطول فرانس مؤلف جريمة سلفستر بونار. وهناك الذين أدخلوا التحليل النفسى فى القصة فزادوا الطين بلة والأمر ارتباكا، وشر من هؤلاء جميعا أولئك الكلبيون من أعضاء جماعة النقاد بنيويورك الذين أقاموا أنفسهم بالادعاء والسفسطة أوصياء على الأدب فأشادوا بما لا ينبغى ونوهوا بمن لا يستحق. ولم يعلموا أن ملكة النقد آلة دقيقة حساسة إذا ضعفت بسوء الاستعمال فلا تغير ولا تجدد. ولعل أساس هذه البلبلة التى أصابت الذوق فى الولايات المتحدة هو الثورة التى تمت بالتدريج فى هذا الصدد؛ فإننا أحللنا محل الموضوعية الإنجليزية والفرنسية ذلك التأمل الباطنى الغزير على الذهن الألمانى والروسى

فالأدب الأمريكى تكون تحت تأثير مؤلفين كديكنز وتكرى وجالسورثى من الإنجليز، وميريميه ودوديه وموباسان من الفرنسيين؛ وهؤلاء الكتاب كانوا يرون الصفات الجوهرية فى القصة هى التماثل والجو والحبكة. وفى آخر الحرب العالمية الأولى استولت خيبة الأمل على الكتاب الأمريكيين فظهرت فيهم نماذج صغيرة من ترجنيف وتشيكوف. فالروح المرحية التى تنشأ عن الفهم العميق واللمس الرقيق الدقيق أصبحت فى أمريكا محرمة كالمنة. والخالقون الموضوعيون الذين جعلوا دستورهم الفن للفن لم يبق لهم وجود هنا. وهؤلاء الكتاب

الـكلبيون لم يعد في معاجمهم لفظ واحد للجمال ولا للفن . فنحن في حاجة إلى آلهة جدد ، وإلى دين أدبي جديد ؛ لأن الدين الأدبي الحاضر دين الحقارة والفجاجة والضحول يحمل في طواياه الجراثيم التي ستدمره . إن الأدب بغير جمال لا يلبث أن يذوي ويموت

آراء المعاصرين في فكتور هوجو

وجهت صحيفة الفنون الباريسية إلى بعض كبار الأدباء الفرنسيين أسئلة عن مدى تأثير هوجو في الـكتاب المعاصرين . وقد دلت الأجوبة التي نشرتها هذه الصحيفة على زهو أصحابها وادعائهم . فبعضهم أصدر حكمه بلهجة تنم عن استخفافه بكبير شعراء فرنسا . والبعض الآخر لم يخرج في أجوبته عن حد النكتة . بيد أن اندريه برتون زعيم المذهب السوريالي أجاب بصورة جدية فقال : ان أهم حركة وجدانية في الشعر الفرنسي تستمد قوتها من شعر هوجو ، كما أن الحركات الاصلاحية التي قام بها (كانت) لا تزال القاعدة التي يسير عليها كبار الـكتاب والشعراء . وفي رأيه ان كثيرا من شعر هوجو يعبر عن أهداف المذهب السوريالي أصدق تعبير . ثم أردف قائلا : «سئل مرة اندريه جيد من هو أعظم شاعر فرنسي ؟ فأجاب: فكتور هوجو»

وكان جواب (بليه سندرر) ان فكتور هوجو أقدر رائد عرفه الأدب .

لقد كان في أوائل هذا القرن بقية من أتباع الأدب الرمزي لا يستسيغون الشعر الابتداعي ولا يطيقونه ، منهم ريمي جورمون واندريه سواريه . فقد كانا عقتان قوة هوجو البيانية ، كما كان بجوي ورومان رولان يتزعمان طائفة من محبيها . وكان أناطول فرنس يتسم كلما ذكرت أمامه منتجات هوجو المسرحية ، ولـكنه كان من أكبر ممجديه . وقال جان كوكتو في جوابه : إن هوجو مجنون بصورات فكتور هوجو . وعلى الرغم مما في هذا الجواب فانه قال ان استحسان الأعمال الـكبيرة أو استهجانها أمر من أسهل الأمور . ثم استطرد يقول: نحن ننظر إلى الأعمال الثانوية بكثير من التدقيق للوقوف على مافيها من جيد أو ردىء . أما أصحاب الأعمال العظيمة كشكسبير ودانتي وجوته وهوجو وأشباههم فإما أن نحبهم فنحول سيئاتهم حسنات ، واما أن نكرههم فنجعل حسناتهم سيئات

ومن الطبيعي أن يوجد بين شبان اليوم من لم يقرأ هوجو ، ولا يشعر بحاجة إلى هذه القراءة ، لأنه يجد بين كتاب عصره من هو أقرب إليه وأقدر على وصف بيئته وحوادث حياته . أما أن يقول أديب مثل جول رومان ، في جوابه عن السؤال الذي طرح عليه ، إن هوجو كان كثير الانشاد ، وأنه لم يقرأه إلا في حداثته ، فهذه حذلقة لا تطاق

مع جول رومان

سأله محرر إحدى الصحف الأدبية الفرنسية هذه الأسئلة فأجابه هذه الأجوبة

س : أي شيء يسبب لك الشقاء ؟ ج : الحرب .

س : أين تحب الإقامة ؟ ج : في منزلي .

س : ما هي السعادة التي تنشدها في حياتك ؟

ج : أن أشتغل بسلام .

س : ما هي الهفوات التي تستحق عفوك ؟

ج : فضول إحدى الصحافيات .

س : من هم أحب أبطال الروايات إليك ؟

ج : أولئك الذين استطاعوا أن يؤثروا في

س : ومن بطلات الحياة الواقعية ؟

ج : تلك التي تقف حياتها على تربية بنيها

س : من أحب رجال التاريخ إليك ؟

ج : كلهم من أبغض الناس إلى

س : ومن أحب بطلات الروايات إليك ؟

ج : ثلاث أو أربع من نساء شكسبير

س : ومن أحب الرسامين إليك ؟
ج : نحو عشرين ولكن حسب اليوم والساعة
س : ومن أحب الموسيقيين إليك ؟
ج : جان سابسطيان بخ
س : ما هي الحلة التي تفضلها في الرجل ؟
ج : سمو الخلق
س : وفي المرأة ؟ ج : الحلة نفسها .
س : وماأحب الفضائل إليك ؟ ج : الإخلاص .
س : وأحب الأعمال ؟ ج : الاختراع .
س : ماذا تود أن تكون ! ج : هذا سؤال غريب
س : ما هي أبرز مزاياك ؟
ج : أرجو أن تسأل عنها خصومي .
س : ماذا يرضيك من أصدقائك ؟ ج : الأمانة
س : ما أظهر عيوبك ؟
ج : أرجو أن تسأل عنها أصدقائي .
س : أي عمل تفضله على غيره ؟
ج : ذاك الذي يثير حماستي ويسرني .
س : أي الألوان أحب إليك ؟
ج : كلها مجتمعة ، أو كل على حدة
س : وأحب الأزاهير ؟
ج : كلها ، أو كل منها في فصله الخاص .
س : ومن أحب الكتاب إليك ؟
ج : أولئك الذين ساعدوني على فهم العالم
س : ومن أحب الشعراء إليك ؟
ج : أولئك الذين لم أطلع على تاريخ حياتهم .
س : وماأحب الاسماء إليك ؟
ج : نصف أسماء التقويم العام .
س — وما أبغض الأشياء عندك ؟ ج : البلاهة
س : وما أهم الأعمال الحربية في نظرك ؟ ج : فردان
س : ماذا تريد أن تملك من مواهب الطبيعة ؟
ج : تلك التي لا أملكها ولا أعلم ما هي

س : كيف تشتهي أن تموت ؟ ج : فجأة
س : ما هي حالتك الروحية الحاضرة ؟
ج : لا تسمها المجلات

توزيع السكان في الشرق الأوسط

نشر فيما يلي جدولا بتوزيع السكان في بلدان الشرق الأوسط نقلا عن تقرير منظمة الأمم المتحدة عن الاقتصاد العالمي :

محمية عدن — المساحة ٢٧٢ ألف كيلومتر مربع . السكان ٦٥٠ ألفا . كثافة السكان ٢ بالكيلومتر المربع

أفغانستان — المساحة ٦٥٠ ألف . السكان ١٢ مليونا الكثافة ١٨

المملكة العربية السعودية — المساحة ١٥٤٦ ألف ك . السكان ستة ملايين . الكثافة ٤

قبرص : المساحة ٩ . السكان ٤٧٦ ألفا . الكثافة ٥٣

مصر — المساحة ١٠٠٠ ك . السكان ٢٠ مليونا و ٤٥ ألفا . الكثافة ٢٠

العراق — المساحة ٤٣٥ . السكان أربعة ملايين و ٨٠٠ ألف . الكثافة ١١

إيران — المساحة ١٦٣٠ . السكان ١٨ مليونا و ٣٨٧ ألفا . الكثافة ١١

الأردن — المساحة ٩٠ . السكان ٤٠٠ ألف . الكثافة ٤ بدون اللاجئين

قطر — المساحة ٢٢ ، السكان ٢٠ ألفا الكثافة ١

الكويت — المساحة ٢٢ ، السكان ٢٠ ألفا الكثافة ٨

لبنان — المساحة ١٠ ، السكان مليون و ٢٣٨ ألفا الكثافة ١٣٢ بدون اللاجئين

عمان ومسقط — المساحة ٢١٢ ، والسكان ٨٣٠ ألفا ، الكثافة ٤

عمان (تحت نظام المعاهدة) — المساحة ١٥ ، السكان ٨٠ ألفا ، الكثافة ٥

مسرح وسينما

مسرحية «أم رتيبة»

تأليف : الأستاذ يوسف السباعي   إخراج : فتوح نشاطي
تمثيل : الفرقة المصرية

للأستاذ علي متولي صلاح

الإنسان — منذ كان — يتقلب بين الفرح والترح ، وتمتوره السراء والضراء ، وللجد عنده — كما يقول الشاعر — أوقات وللهزل مثلها ، وحياة موزعة بين هذين الأمرين ، ولن يستقيم لإنسان — مهما كانت الظروف التي تشتمله وتحيط به — واحد منهما دون الآخر

ولما كان المسرح — كما هو معلوم — صورة من الحياة وتعبيرا عنها وتفسيرا لها ، تعطيه الحياة فيأخذ ، وتمده بالصورة فيعبر ، كان — هو الآخر — متقلبا بين الفرح والترح ، والسراء والضراء .. ومنذ الأزمان السحيقة كان إلى جانب « التراجيديات » الفاجعة « كوميديات » هازلة ضاحكة ، وقد عرفها اليونان الأقدمون وكان لهـا فيهم شعراء أعلام ما زال المؤلفون ينهلون منهم حتى اليوم ، مثل (أرستوفان) ، (فيلامون ، (ميناندر)

وقد عرفت الكوميديات الهزلية في مصر منذ أمد ليس بالقصير ، وكان لها مسارح خاصة ، وممثلون يقومون بأدائها ولا يشاركون في أداء غيرها ، وكتاب يكتبون لها ويكادون يقتصرون عليها

وليس شيء أكثر ذهابا في الضلالة عندى من الرأى الذى ينادى بأن تقصر العناية على الجوانب الجادة في حياة الناس دون الجوانب الهازلة الضاحكة . إن ذلك خطر يجب أن يتنبه إليه المسئولون ، فالسم أكثر ما يكون خفاء عندما يندس في العسل ، والنفوس يستهويها النكتة وتأخذها الكلمة الضاحكة فتتسرب خلالها الحكمة والموعظة في لطف ويسر وخفاء لا يكون في الكلمات الجادة الصارمة ! والسرحية التي جعلناها موضوع حديثنا اليوم من المسرحيات الكوميدية التي تعرض على الناس هذه الأيام ، وأعنى بها المسرحية المسماة « أم رتيبة »

وهى تقوم على قصة أخوين : رجل وامرأة ، أما الرجل فقد كان يشتغل مدرسا للخط العربي ثم أحيل على المعاش ، فاشتغل بتحضير (الأرواح) وانهمك فيه وجمع حوله بطانة من محبيه ومريديه يعقدون بين الفينة والفينة (جلسة) لتحضير الأرواح والتذاكر في أحوال الدنيا والآخرة ، ولتبادل الآراء في فلسفة الحياة وما بعد الحياة . واسم هذا الرجل (عبد الصبور) وقد قطع حياته عزبا ، وكان يرى أن الزواج هو سبب الشقاء والبلاء وسبب خراب البلاد والعباد !

وأما المرأة فهى « أم رتيبة » التى كان أخوها هـذا عائقا دائما لها دون الزواج ، فقد خطبها الكثيرون فأباهم أخوها ورفضهم جميعا لما كان يراه في أمر الزواج ، فقطعت حياتهـا هي الأخرى عزبة حتى بلغت الخامسة والأربعين وهى بين الحسرة والأسف واللهفة على الزوج الحبيب ، والولد النجيب !

وكان لها جار اسمه « سيد افندى » يشتغل خبيرا فنيا

فلسطين العربية — المساحة ٥ ، السكان ٥٣٠ ألفا الكثافة ١٠٦ بدون اللاجئين

السودان المصرى — المساحة مليونان و٥٠٦ ، السكان سبعة ملايين و ٥٥٨ ألفا ، الكثافة ٣

سورية — المساحة ١٨٧ ، السكان ثلاثة ملايين و ٤٣٥ ألفا ، الكثافة ١٨ بدون اللاجئين

تركيا — المساحة ٧٦٧ . السكان ١٩مليونا و ٦٢٣ ألفا . الكثافة ٢٦

اليمن — المساحة ١٩٥ ، السكان أربعة ملايين و ٥٠٠ ألف ، الكثافة ٢٣

فى معمل « طرشى » ! جاء يخطبها من أخيهـا « عبد الصبور » الذى ما كاد يعلم صناعته حتى طرده شر طرد لما كان بينه وبين « الطرشى » — كما يقول — من عداء قديم مستحكم ! ثم مات أخوها فانكشفت النعمة وزال العائق الثقيل وتزوجت « أم رتيبة » من « سيد أفندى » على يد (مأذون) صديق من مريدى أخيهـا « عبد الصبور » ومحبيه

وقد كتبها المؤلف (الأستاذ يوسف السباعى) باللغة العامية ؛ لأنه يرى أنه « من الجنون أن يحـاول إنطاق أبطالها باللغة العربية » وللمؤلف فى ذلك بواعث وأعذار ! أما البواعث فهى أنه متغلغل فى فهم الروح الشعبية واللغة العامية تغلغلا قل أن توفر لغيره ، فهو يجد يسرا وسهولة فى الأداء باللغة العامية قد لا يجدها فى الأداء باللغة العربية ! وأما الأعذار فإن أبطال الرواية — أو أغلبهم على الأصح — من عامة الشعب الذين لا تجرى اللغة العربية على لسانهم فى شئ ، فكان من كمال « الواقعية » — فى نظر المؤلف — أن يكون كلامهم باللغة العامية ! وجو الرواية — كذلك — جو شعبي خالص ، لا يبدو فيه الـكلام العربى إلا كما تبدو الرقعة فى الثياب ! هذه بواعث وأعـذار المؤلف — على ما يبدو لى — فى استعمال اللغة العامية ، ولـكنى نظرت فوجدته يخاطب الخـادم « زينهم » المسرف فى الشعبية بقول أبى نواس (وداونى بالتى كانت هى الداء) ، ويخاطب الخادمة « سنية » بقول أبى العلاء (هذا جناه أبى على) فكيف تسنى لهما أن يفهما ذلك وهما أقل أشخاص الرواية علما وإدراكا ؟ ووجدته يجرى فى الرواية عددا من الألفاظ العربية الفصيحة مثل قوله « المصل الواقى » ، « حاجة تبدد الإيمان » ، « الدنيا سفر والآخرة غاية » وغيرها ، فكيف أمكن أن تفهم هذه العبارات فى الجو الشعبى الذى انحدر من « حوش آدم » ؟ أنا لا أشـير باستعمال اللغة الفصيحة العالية الجزلة على المسرح ، ولـكنى أريد الحلقة المفقودة عندنا ، أريد اللغة العربيـة اليسيرة السهلة التى لا يفصلها عن العامية إلا حاجز رقيق لطيف ، واعتقادى أن الأستاذ يوسف السباعى — وقد بلغ فى فهم اللغـة العامية والروح الشعبى مبلغا بعيدا — يستطيع بشئ من الجهد والدأب والمشقة أن يجئ لنا بهذه الحلقة المفقودة

والأستاذ يذكر لنا أن هذه المسرحية أول محاولة منه فى كتابة المسرحية ، فإن كان الأمر كذلك ، فإن الأمل المرقوب منه كثير .. إن الموهبة مكتملة فى المؤلف دون ذلك ، وإنما تنقصه فى معالجة « المسرح » أمور أرجو أن يتوفر على استكمالها ، وأنا أهمس إليه ببعض ما فى مسرحيتنا هـذه من تلك الأمور ، فإنى أرى فيه بوارق وضاءة من أمل كبير

أراه يوزع الحوادث والـكلام على الفصول توزيعا غير عادل ! وأنا أعلم أن الحوادث قد تقتضى المؤلف شيئا من ذلك ؛ ولـكننى أعلم كذلك أن المؤلف القادر هو الذى يحكم هذه (الحوادث) ويطوعها لقلمه ولتصرفه ! فالفصل الأول كبير مزدحم ، والفصل الأخير صغير متخاذل ، والفصل الثانى بين بين !

وأراه يعنى — أكثر ما يعنى — بإيراد النكتة تلو النكتة ، والأصل فى المسرحية أنها « موضوع » والنكتة فيها ثانوية لا يجوز لها أن تنطى على الموضوع الأصلى الذى هو « مركز الاستثارة » كما يقول فقهاء المسرح

وأراه يكثر من الحكايات الجانبيه التى تقع فى السرحية كما تقع (الجملة المعترضة) فى الـكلام ! والإكثار من هذه الحـكايات — فوق أن فيه تعطيلا لحركة المسرحية — فهو يصرف المؤلف عن الاهتمام بالموضوع الأصلى الذى يجب أن يـكون له المحل الأول دائماً ، وقد أورد المؤلف من ذلك حكايات طويلة كحـكايات « المزتين » وحـكاية « البنت هانم » صديقة الشيخ جاد وسواها .

وأراه « يرشح » لبعض الحوادث بكلام سافر يدل عليها قبـل وقوعها ! مثل « إرهاص » أم رتيبة بقدوم الضيف فيقدم الضيف بعد إرهاصها ومثل إرهاص « سيد

أفنــدى » بأنه سيموت وتوكيده ذلك وتوديعــه لأهله وصعوده إلى السرير ليموت فيأتيه الموت فعلا ! وغير ذلك . والمسرح (أفعال) لا (أقوال) فالحوادث وحدها هى التى ترهص وترشح إن جاز أن يــكون فى المسرح إرهاص أو ترشيح ..

وأراه — وذلك أمر ذو أهمية كبيرة للمؤلف — يجرى على لسان شخصياته كلاماً لا مواربة فيــه يمس مقدسات الناس وعقائدهم الدينية ، كلاماً سافراً جداً قد يشك بعض الناس فيما يعتقدون به ويخضعون له . ولست أريد أن أردده هنا ولــكنه مضطرب فى كثير من صفحات الرواية وخصوصاً فى الصفحات (١٣٥، ١٦٤، ١٦٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤) والمسرح للناس جميعاً وفيهم الساذج وضعيف الإيمان والحائر بين العقائد ، فإن كانت إشارة لامعدى عنها إلى هذه الأمور فلتكن خفيفة خاطفة لا صريحة سافرة متكررة كما رأينا .

وأراه يسرف فى بحث المشكلات الاجتماعية والدينية بحثاً جدليــاً نظرياً كأنه محاضرات ! فيبحث — فيما يبحث — مثلا الاشتراكية ونظام الطبقات ومعاهدات « عدم الاعتداء » والإيمان الأعمى والموت وما بعد الموت وسواها ، وذلك تحميل لهذه المسرحية الكوميدية مالا تحتمل ! واعتقادى أن مرد ذلك القلق عند مؤلفنا الفاضل إلى « رباعيات الخيام » التى ترجمها والده الأديب الــكبير المرحوم الأستاذ محمد السباعى وعاش مؤلفنا فى جوها منذ كان طفلا فامتلأت بهــا نفســه وأخذ يرددها منثورة فى مسرحيته !

وأراه ينطق الخدم وغيرهم بكلام قد يجرح حياء بعض من يرودون المسرح (كقوله تناكحوا تناسلوا) ، وقوله (تبقى قيمة العيشة إيه لما الواحدة ماتعملش الحاجة اللى انخلقت علشانها ؟) وقوله (أمد إيدى تحت القميص بس ماتبقيش تقولى شيل إيدك) ! ومثل وصف صدر المرأة وبطنها قبل الزواج وبعده !

وأريد أن أسأل المؤلف : كيف ينتقل الحديث فجأة من حديث (الملوخية والــكسبرة) إلى حديث زواج أم رتيبة ولا اتصال بينهما ؟ وكيف يدخل الخــــدم ويخرجون هكذا دون داع ودون استئذان ؟ وكيف يجرأون هكذا على المراك بالكلام وبالأيدى ، وكيف يتغزلون بالغزل المكشوف أمام سادتهم ؟ اللهم إلا إذا كان دخولهم لدفع ملل من حديث طويل أو لإحداث حركة فى موقف خامد ! وكيف تستفهم (أم رتيبة) هل مات (سيد أفندى) عند ماشرب ماء اللفت وهو طفل مع أنه يسكن جوار منزلها وتراه كل يوم وتسمع عنه كل يوم وتأمل الزواج به ؟ وكيف يسأل (عبد الصبور) — فى أول الرواية — عن صديقه (علوان افندى) الذى لم يحضر مع مريديه ومحبيه سؤالا نفهم منه أنه يعجب لعدم حضوره معهم ويستنكر ذلك مما يدل على أنه يواظب على حضور هذه الجلسات التى يعقدونها لتحضير «الأرواح» ثم تمضى الرواية كلها دون أن نرى (علوان افندى) هذا ؟

وأريد — قبل أن يمضى بى الحديث إلى غايته — أن أنوه بالمجهود الــكبير الذى بذله الأستاذ فتوح نشاطى فى إخراج هذه المسرحية ، فقد التمس لــكل دور الشخص الذى لا يتصور الخيال أن أحدا غيره يناسبه ! إنه قد تعمق فهم شخصيات المؤلف وأخرجها لنا كما يريدها المؤلف تماما حتى صارت شخصــيات نموذجية فى موضوعها ومعناها وصورتها أيضا ! وإن الحيل المسرحية التى اعتمد عليها فى تحضير « أرواح » الموتى ، وفى تحريك المنضدة والكوب والــكراسى حيل بارعة لايظهر فيها افتعال أو صنعة ! ولقد نهض الممثلون بأدوارهم فى براعة أشهد أنها فى الذروة من البراعة والشــقة والجهد ، ولا أدرى كيف أشيد بأحدهم وأترك الآخرين فكلهم ناجح وكلهم مشكور ، بيد أنى آخذ على « وداد حمدى » التى كانت تقوم بدور الخادمة أنها لم تكن خادمة حقا ! وأقرر أن هذا عيب شائع فى ممثلينا، فهم يرضخون لحــكم (الصنعة) عندما يكلفون تمثيل أدوار

الخدم ، ولكنهم يضمرون الكراهية لهذا الدور بينهم وبين أنفسهم ! فتراهم لا يعملون تماما ما يعمل الخدم ، وإن عملوا فإنهم يحاولون أن تبدر منهم لفتة عظيمة ، أو كلمة فخمة ، أو مشية وقورة، تشير إلى أنهم ليسوا من الخدم في شيء !! وذلك نقص أرجو أن يتلافوه !

وبعد : فأرجو أن يعلم المؤلف أننا نرقب منه خيرا كثيرا للمسرح ، وأننا نرى فيه مواهب متدفقة أصيلة ، وأن اللغو الذي أثير حول هذه المسرحية إنما هو من عبث الذين لا يعرفون عن المسرح إلا خشبته وأنواره ! والذين يحسبون المسرح مجرد شموذة بيانية ، أو خطب منبرية ! أرجو أن يتوجه الأستاذ يوسف السباعي إلى التأليف المسرحي بكلياته، وأن يحاول اصطناع اللغة العربية السهلة التي أشرت بها، وأن يدرس فنون المسرح دراسة جد وصرامة لا دراسة هواية فحسب ، وأنا زعيم له — بعد ذلك — بأنه سيكون من كبار مؤلفي المسرحيات الكوميدية ، وسيكون النقد — عندئذ — أسعد ما يكون وهو يقدم للجمهور هذا المؤلف الكبير

علي متولي صلاح

آراء وأنباء

جوائز فؤاد وفاروق

علمنا أن الرأي قد استقر على أن تبقى جوائز فؤاد وفاروق للأدب والعلوم والتاريخ والقانون على النظام الذي وضع لها في المرسومين اللذين أنشئتا بهما . ولن يقع تغيير عليهما إلا في اسميهما وموعديهما . فأما الاسم فسيكون (جوائز الدولة) ؛ وأما موعداهما فسيكونان في غير ذكرى وفاة فؤاد وذكرى جلوس فاروق ، وسيعلنان فيما بعد

المؤتمر العلمي العربي الأول

وافق مجلس جامعة الدول العربية على قرار اللجنة الثقافية بعقد مؤتمر علمي عربي ، في مدينة الاسكندرية ، في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، يشتمل على ثلاث شعب وهي :

شعبة البحوث العلمية المبتكرة ، وشعبة المشكلات العلمية العامة ، وشعبة المحاضرات الثقافية العامة

وقد تكونت بالقاهرة لجنة للاعداد لهذا المؤتمر ، بناء على قرار من المكتب الدائم للجنة الثقافية . ورأت هذه اللجنة أن تشمل البحوث التي تقرأ في الشعبة الأولى من شعب المؤتمر فروع العلم الآتية : علوم الرياضة والطبيعة والأحياء والكيمياء والجولوجيا ، وتقترح اللجنة أن يقتصر البحث في الشعبة الثانية من شعب المؤتمر على المشكلات الآتية : المصطلحات العلمية ، التأليف والترجمة والنشر ، إعداد مدرسي العلوم ، العلم والاقتصاد القومي .

أما الشعبة الثالثة فتخصص محاضراتها بدراسة تاريخ العلوم عند العرب . وسيدعى للاشتراك في هذا المؤتمر وفود الدول العربية، ومندوبو الهيئات العلمية، والعلماء من العرب، وذلك لقراءة البحوث المبتكرة ، والتشاور في وسائل تذليل العقبات وحل المشكلات التي تعترض تقدم العلوم والبحث العلمي في البلاد العربية

الصحفيون في أوبرج الفيوم

دعا الأستاذ عبدالعزيز طلعت حرب عضو مجلس الإدارة المنتدب ببنك مصر ، لفيفاً من أعضاء نقابة الصحفيين لتمضية نهار كامل بأوبرج الفيوم ، وهو فندق عظيم مقام على ساحل بحيرة قارون ، وهي بقعة من أجمل مشاتينا المصرية، ومن الأمكنة التي يستطيع الزائر أن يقضي فيها وقتا هادئا لطيفا صيفا وشتاء ، وهو بمثابة مصحة للاعصاب المتعبة ، والأذهان المضطربة ، والنفوس الثائرة . ذلك أن المناظر الريفية الخلابة تشرح الصدر ، وتمتع البصر إذ يمتد طويلا في فضاء البحيرة المتلون ، فمن مناظر جميلة على صفحة الماء الزرقاء المترقرقة في اليوم الصحو ، إلى مناظر تشبه الغروب

والوقت ضحى أو ظهرا إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم ، فتظهر القوارب والشرع كأنما تسير إلى جوف الغيب الذى لا يدرك ، أو تنتشر على أمواج الماء فى اليوم المشمس فتنافس الشروق فى بعث الأمل فى النفوس اليائسة ، وتشرح الصدور المثقلة بالمتاعب ، وتخفف عن الكواهل عبء المسؤوليات .

وهيأ لنا الأستاذ الداعى رحلة جميلة إلى تفتيش مصائد الأسماك ، وقدم الأورج طعام الغداء لضيوفه الكثيرين إلى جانب نزاله الصديدين الذين كان يبدو على محياهم البشر والرضاء . وعدنا فى سيارات الفندق التى ذهبنا بها فى راحة وبشر ، بعد أن استودعنا الأستاذ عبد العزيز طلعت وطلبنا إليه أن يكثر من أمثال هذه المشاتى وتوجيه أكبر عناية للمصايف على الشواطىء المصرية الجميلة ، التى تضارع أحسن شواطىء العالم إن لم تمتز عليها بأشياء كثيرة . وحبذا لو اهتم أصحاب رءوس الأموال منا لأن يتعاونوا على إنشاء المشاتى والمصايف على أحدث النظم فى مختلف المواضع الصالحة لذلك بمصر ، حتى تمكن المواطنين الإفادة من الاستمتاع بأجواء بلادهم ، والتى يمكن أن تكون مهبطا للسائحين من جميع أنحاء العالم ، ولتكون من أربح موارد البلاد الاقتصادية .

يوم الفلسفة

أقام أساتذة الفلسفة والتربية بوزارة المعارف حفل تكريم للاستاذ المربى مظهر سعيد عميد الفلسفة وعلم النفس بالمعارف بنادى دار سينما ريفولى . وقد شهد الحفل جمع عظيم من رجالات وزارة المعارف والجامعات ، والصحافة ، وشرف الحفل نائب الرئيس القائد اللواء محمد نجيب . وبعد أن قال رجال الفلسفة والتربية كلمتهم فى تكريم يوم التحرير وعميد الفلسفة والتربية ، وبعد أن قال الدكتور منصور فهمى كلمته المستفيضة ، قام رجل الجيش الصاغ الديب ، فتكلم عن الفلسفة وعن العلماء ومهمتهم فى انجاح سياسة الدولة فى عهدها الجديد السعيد، بقدرة العالم المثبت، وتجربة السياسى المحنك ، ثم عرج على المبادىء التى يجب أن يضعها أساتذة الفلسفة والتربية أمام أعينهم ، والطرق الفعالة المجدية التى ينفذون بها إلى نفوس طلابهم ، حتى نتمكن من بناء دولة متينة العمد ، ثابتة الأسس ، سامية الغرض . ودهش الناس أن يجمع الضابط بين العلوم الحربية والعلوم الفلسفية والتربوية والاجتماعية ، ولكن لعل عجبهم يخف إذا علموا أن نفراً عظيما من ضباط الجيش الذى تولى تحرير البلاد .. على أعظم جانب من العلم والثقافة . وأنه لمن حسن الحظ لمصر أن يتولى أمره هذه النخبة الممتازة من أبنائه

وكان مسك ختام هذا الحفل كلمة الشكر التى ألقاها الدكتور مظهر سعيد المحتفى به ، متدفقاً كعادته بدرر الكلم وسامى المعانى .

يوم التحرير

امتاز الأسبوع الماضى بما حدث فيه من أمور مهمة ، فقد احتفل الشعب والجيش بيوم التحرير ، ولقد أتت الوفود ممثلة للشعب من مختلف أنحاء البلاد ، وعرض من وحدات الجيش جانباً من أنواع نشاطه ، وحذا حذوه معاهد العلم على اختلافها ، وممثلو الجاليات الأجنبية فى صفوف الكشافة والجوالة ؛ كما زان العرض صفوف نظامية ممتازة من فتيات الكشافة ، ومرت المواكب التى ترى نشاط الأمة المتنوع . لقد كان يوماً عظيماً خالداً ، نعم لقد كان مهرجان يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يوم التحرير الذى لا يمكن أن ينسى مهرجاناً فخماً ؛ ذلك بأن يوم التحرير سطره التاريخ فى صفحات الأزل بحروف من نور ، وصار يوم البعث ، يوم الحياة .

وكان أهم ما امتاز به يوم مهرجان التحرير .. الخطبة العظيمة التى ألقاها الرئيس القائد اللواء محمد نجيب ؛ فقد عبر فيها عن آلام الشعب وآماله ، ألقاها بلسان الحق والقوة والإخلاص ، فنفذت إلى كل قلب ، واستقرت فى كل نفس ، واعتمدت دستوراً لن يحيد عنه إنسان واحد فى الوادى ،

في عالم الكتب: نقد وتعريف

الزنابق الحمر لطاغور

ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

من دلائل النهضة الحديثة في مصر، وفي الشرق العربي، أن يتحرك الأدباء إلى نقل نفائس الكتب عن لغاتها التي صدرت بها. ولم يكن الأمر كذلك منذ عهد قريب، بل كان يسعى الناقل إلى الإنجليزية أو الفرنسية يطلع فيها، وينقل عنها المؤلفات الفارسية أو الهندية أو الصينية. ونحن نعلم أن الترجمة مهما تكن أمينة فلن تقوى على نقل الآثار الأدبية بدقة تامة، ونعني بالآثار الأدبية الشعر والتمثيليات. وعلة ذلك أمور كثيرة، أهمها خصائص كل لغة مما يجري فيها من تعابير، وليس لها مثيل في اللغات الأخرى. وهذا هو السبب في اختلاف التراجم الفرنسية عن الإنجليزية للأصول اليونانية مثلا. بل لقد تختلف الترجمة في اللغة الواحدة تبعا لاختلاف ذوق المترجمين ومقدار فهمهم للأصول، ولذلك تتعدد التراجم للنص الواحد

مما لا شك فيه إذن أن الناقل يبعد عن الأصل بعض الشيء، فإذا جاء ناقل وترجم الأصل عن لغة أخرى فقد ابتعد خطوة أخرى عن الأصل. ولذلك كانت الترجمة عن الأصل رأسا أفضل من الترجمة عن الترجمة

ويسرنا أن نقرأ تمثيلية الزنابق الحمر للشاعر الهندي رابندرانات طاغور معربة رأسا عن الأصل البنغالي، بقلم الأديب أحمد عبد الغفور عطار الذي يقول في كلمته يقدم المسرحية: «وقد حاولت جهد المحاولة أن أنقل جو طاغور وروحه وفنه وبساطته، وأقترب في أسلوبي العربي من أسلوبه في البنغالية. فإن كنت قد وفقت فالحمد لله، وإلا فعذري إن كنت أمينا في النقل والترجمة، وبذلت غاية الوسع، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها»

والمترجم من مكة المكرمة، ولكنه درس في مصر؛ ولذلك لا يحس في أسلوبه أو عبارته أي غرابة عن اللغة المصرية. وهو يعرف اللغة البنغالية. وحدثني أنه استغرق في ترجمة هذه المسرحية ثلاث سنوات مع أنها صغيرة الحجم، وهذا شأن الفنان الذي يستغرق في فنه ويتأنى في عمله والمسرحية تعبر عن روح الهند وفنها الأصيل الذي يختلف عن غيره من الفنون في الدول الأخرى

وهي رمزية لا تمثل الواقع، ولكنها تصور مع ذلك الحياة الإنسانية أبلغ تصوير. فلا يوجد إقليم اسمه «ياكشا» ولا يعبر عن الملك بصوت دون أن يرى

يصور طاغور في هذه المسرحية المجتمع البشري، ويصور العلاقة بين الملك والشعب، وبين الرجل والمرأة، وبين العمال والرؤساء، ويصور منزلة هذه الأشياء التي يتعامل بها الناس ويتداولونها، كالذهب والخمر والشعر والغناء والزهور

فالملك رمز الظلم، والمرأة رمز السحر، والعامل رمز الدأب، والذهب رمز القوة، والخمرة رمز النشوة، والزنبق الأحمر رمز الحب والخوف

تبدأ المسرحية بغلام عامل يحفر الأرض يخاطب «نانديني» المرأة الجميلة الفاتنة رمز السحر

كيشور: ألديك أزهار كافية يا نانديني؟ لقد أحضرت

أو يشذ عنه، بعد أن فرغ من خطبته الجامعة تلا القسم وردده من ورائه الملايين في صدق وعزم، ونقاء طوية، وعاهد الناس أنفسهم على الثبات على هذا المبدأ، كما أشهدوا الله على أنفسهم، ورجوا الله أن يكون لهم خير نصير، ومن ينصره الله فلا غالب له. —

لك بعضها ، وأ كثرت من بعض الألوان

نانديني — كيشور ، انطلق ، تحرك ، عد إلى عملك ، أسرع ، أرجو أن تعود وإلا تأخرت

كيشور — يجب أن أختلس جزءا من وقتي الذي أنفقه في الحفر بحثا عن الذهب ، لأحفر من أجلك حتى أحضر لك الأزهار

نانديني : ولكنهم سيعاقبونك إذا علموا بما صنعت

كيشور : قلت : يجب أن تحصلي على زنابق حمر . تالله ما أعظم سروري لندرتها في هذا المكان !

بهذا المطلع البديع يستهل طاغور مسرحيته . فهذه الزهور نادرة ، ولا يعرف سر مكانها إلا هذا الشخص العامل . وهي نادرة ندرة الذهب الذي يحفر المئات منهم الأرض للحصول عليه . ليقدموه إلى الملك ، وإلى أصحاب السلطان . وليس لهؤلاء العمال الحفارين أسماء إلا فيما بينهم وبين أنفسهم . أما في نظر رؤسائهم ، فلا يعرفونهم إلا بأرقام . إنهم « نمر » لا أكثر . فهذا الحفار يشق في الأرض باحثا عن الذهب ، ولكنه غير راض عن عمله ، بل ساخط عليه ، على حين يقبل باحثا عن الزنابق حتى يستطيع تقديمها هدية إلى نانديني . فترضى بذلك نفسه

أما الملك وأعوانه ، فإنهم يدفعون الناس للبحث عن الذهب ، لأنه الوسيلة لاستعبادهم ، مع أن الذهب شيء « ميت » لا جمال فيه . وانظر إلى الحوار بين نانديني وبين الأستاذ الفيلسوف

نانديني : يحيرني أن أرى مدينة بأسرها تدفع رأسها في التراب دفنا ، وتنقب بكلتا يديها في الظلام . أنتم تحفرون النفق في العالم السفلي ليل نهار ، وترجمون بثروة ميتة أودعت الأرض منذ أجيال فصانتها

الأستاذ — نحن نبتهل إلى شيطان هذه الثروة الميتة ، وإذا استطعنا استعباده رقد العالم تحت أقدامنا دون عناء

نانديني — ألهذا تخبئون مليككم خلف حائط من الستار المتم ؟ أخوفا من أن يكشف الناس أنه إنسان ؟

الأستاذ — كما أن لشبح تراثنا الميت بأسا شديدا مخيفا فإن لشبح الملكية الغارق في الضباب بأسا أشد وأقوى . إنها بقواها غير البشرية ترعب الناس

نانديني — كل ما تقوله كلام نسجته الصنعة وزوقه الخيال

الأستاذ — إنه صنعة زوقها الخيال . ولئن كان العاري أسرع فهما وتصديقا ، فإن الملابس المصنوعة هي التي تستر ما في أجسادنا من عيوب ، وتخفي ما نود كتمانه ، وهي بعد تحددنا . لشد ما يعنيني أن أناقشك الفلسفة !

نانديني — هذا غريب منك أنت الذي اتخذت وكرك في الليل والنهار بين كتلة من الصفحات الصفر الشاحبة مثل حفاريك الذين ضلوا في جوف الأرض . إنك تضيع وقتي سدى

هذه عبارات سهلة ولكنها تعبر عن فلسفة في غاية العمق . إنها قصة الإنسانية التي ذهبت في الحضارة شوطا بعيدا ، فأصبحت تصنع كثيرا من الصناعات لا تقوى على المعيشة بدونها ، بل أصبحت تمجدها وتعبدها . الحق أن الإنسان المتحضر عبد لآلاف الأشياء التي يستعملها ، والتي يقتنيها بالمال ، كالمسكن وما فيه من أدوات ، وهذه الملابس المعقدة ، وسائر المقتنيات الكثيرة التي تزحم بها أنفسنا في هذه الحياة . ومن أجل هذه المقتنيات ، والسبق في الحصول عليها ، أخذ الناس يتعبد بعضهم بعضا بالعسف والإرهاب ، واستعمال السيف والسوط ، حتى نزل الرعب في القلوب ، وسرى الخوف في أوصال العباد . ولو تأملوا لرأوا أن حكامهم لا حول لهم ولا قوة ، وأنهم بشر كسائر البشر

ويحدثنا طاغور عن فلسفة الحب . إنها في نظره جاذبية طبيعية بين الرجل والمرأة ، لا يمكن أن يعرف سرها ، أو يعلل أمرها . لا يمكن إرجاع الحب إلى سبب معين ، فالصلة

بين الرجل والمرأة ، واتصال أحدهما بصاحبه ، يرجع إلى الحظ . وإذا كانت ناندينى قد اختــارت الزنابق الحمر دون غيرها من الألوان ، ودون غيرها من الزهور كالياسمين والسوسن ، فذلك لأن حبيبها « رانجــان » يدعوها « الزنبقة الحمراء » وهى كذلك تحس أن لون حبه أحمر كهذا الأحمر الذى يطوق جيدها

وللألوان فلسفة . ولكل شئ معنى ودلالة

وتختلف الدلالات باختلاف نظرة النــاس . فهــذه ناندينى تفهم من الزنبقــة الحمراء معنى الحب . ولكن « جوكيل » وهو أحد الحفارين يفهم منها معنى آخر ، فهو حين يرى جيدها وقد تدلى منه الزنبق الأحمر يقول لها « إنك تظهرين لى كشعلة من اللهب القانى يؤججها الشيطان »

حقا ما أعجب طاغور ! إنه يسطر مسرحيته بالألوان كما يفعل الرسام . إنه يريد أن يحلى جيــد الملك بإكليل من الزهر الأبيض ، والبياض رمز الموت ، والحمرة رمز الحياة . وإذا كان الملك يجمع الذهب ، ويستمتع بلونه وتوهجه ، فإن لونه ميت كالذهب نفسه ، أما لون الزنبق فحى لأن الزهر حى

يفتن الذهب النــاس لأنه رمز القوة ، ولكنها قوة وهمية ، لا يمكن أن يشترى بهــا الإنسان الحب ، وهو سبيل السعادة . وفى ذلك يقول صوت الملك معترفا لناندينى

« كل ما أملك أثقال ميتة ، وحطام أصم . لا الوفرة فى الذهب بمستطيعة أن تخلق جريئا ، ولا الزيادة فى القوة بقادرة أن تهب الشباب .. أنا أستطيع أن أحرس بالقوة التى أملكها ، ولكن ... آه ، لو كنت أملك شباب « رانجان » لحررتك ، ثم تشبثت بك ، وأخــذتك بين أحضانى بعنف . إن وقتى ينفق فى عقد الحبــال المبرمة ، ولكن وا أسفاه ! كل شئ يمكن أن يحفظ بإيثاقه إلا السرور والمرح فإنهما لا يوثقان »

وإذا كان الملك شــقيا بذهبه وقوته ، ولا يجد فيهما عزاء أو تسلية ولا ترويحــا للنفس ، فإن الشعب يلتمس الراحة من الكدح والدأب فى العمل بالنشوة التى يجدها فى الخمر . وكل ما يؤدى إلى النشوة فهو خمر . فنى الطبيعة خمر ، والشراب المعروف خمر يبعث أيضا إلى النشوة

سئل « بيشو » وهو فيلسوف وشــــاعر من أتباع ناندينى عن السبب الذى يدفع الناس إلى الشراب فأجاب :

« وسعت رحمة الله كل شئ ، وستتسع رحمتــه لمن يشربون قليلا فيعفو عنهم . لقد خلقت أذرعنا — نحن الرجال — لنبذل أقصى ماوضع فى عضلاتنا من خمر القوة ؛ أما أذرعكن — أيهــا النســاء — فقد خلقت لتقديم نبيذ العناق . إن كان فى هــذا العالم جوع يدفعنا إلى العمل والكدح فإن فيه أيضا اخضرار الغــابة ووهج الشمس المشرقة ، وكلاهما يجعلنا ثملين إذا ما نادتنا أيام العطلة »

قالت محدثته : « أتسمى كل هذه الأشياء خمرا ؟ »

فأجاب بيشو : « نعم خمر الحياة ينبوع من اللــذة والنشوة لا ينضب ولا يفسد . اسمعى شكاتى : جئت إلى هذا المكان مدفوعا إلى العمل والسطو ليلا على العـــالم السفلى . إن نصيبى الذى أستحقه من الخمر الطبيعية تلقاء عبوديتى للطبيعة قد حرمت منه ، ولهذا أجد إنسانى الباطن يتشهى الخمر الصناعية ليتخفف من تعب النهار »

وأحسب أننا وقد ارتفعنا إلى هــذه الآفاق العليا من فلسفة الحياة ، لا يعنينا أن نعرف كيف سارت المسرحية وكيف كانت خاتمة الملك ، لأن الحياة دوامة عظيمة تبتلع فيها كل شئ ، وتنقلب فيها الأشياء ، فتعلو تارة ، وتهبط تارة أخرى ، وتفقد قيمتها ، ويبتلعها هذا الغول الهائل الذى يسمى الزمان

أحمد فؤاد الأهوانى

طرائف وقصص

شيء كالربيع

« إلى الباحثين عن حقيقة الفن وعشاق الجمال »

للأستاذ محمد أمين (البندق)

كان « المطعم الروماني » في ذلك اليوم غريب الزحام ، وما ذاك إلا لأن أوفيليا الحسناء كانت منذ أيام قد راحت تتردد إلى زبائنها الكثيرين فوعدتهم بأشهى طبق من طيور الصيد، تقدمه إليهم بغير زيادة على ثمن الوجبة المعهود ، إذا ماعاد زوجها من رحلة الصيد في السبت ، وكان ذلك اليوم هو يوم السبت . وإذن فقد كان على أن أرضى ويرضى معى زميلي روزاى بتلك المائدة المهجورة عند باب لا يكاد يقفل حتى يفتح من جديد . وكان علينا أن نروض النفس أيضاً على الصبر . فالخادم الكهل جيانينو بعد أن جاءنا بالنبيذ قد شغله الزحام مرة أخرى ، فما عاد يستجيب لندائنا عليه بأكثر من « نعم ياسيدى . حاضر . »

على أن الانتظار في الحق لم يكن يضنينا . فقد كان صاحبي يتسلى بأن يرسم على ظاهر قائمة الطعام صورة بارعة لذلك المتسول الشيخ الذي جلس على مقربة منا وهو يعزف أنغام الفرح الصاخب على (الفيزار مونيكا) . وأما أنا فكنت أقلب النظر في ذلك العالم الصغير الغريب فأكاد أنسى كل شيء .

كان هناك فيرد ينبو المثال وقد رأيته يطلب اللتر الكامل من جيد النبيذ، فقلت لنفسي إنه لاريب قد أخذ عربونا على تمثال للعذراء، علم الله على قبر أى تعيس من التعساء يوضع

وكان هناك توبلى الرسام ، وكنت أراه يقنع في ذلك اليوم أيضاً بشرب الماء القراح وفي وجهه الصلابة والعزم، فأيكر في الصعاب التي يصادفها كل عبقري يأتي بالجديد .

وكان سوزى هناك أيضاً ؛ وجدته ضاحك الوجه لم تمنعه سنوه الخمسون من أن يضع في عروة سترته تلك الوردة الحمراء الملتهبة ، فلم أشك في أن علاقته مع تلميذته الصغيرة في الأكاديمية لم تزل على مايرام .

وأظل أتنقل بالنظر من مائدة إلى مائدة ، حتى ينتهي صاحبي وهو يهزني من ذراعي هزاً :

— فيرا الرسامة ! أتعرفها ؟

فأقول وما زلت شارد الذهن :

— كلا . ولكن يخيل إلى أن هذا الإسم قد سمعته من قبل .

— هي من أبرع الرسامات اللاتى عشن في روما

وكان هذا الإعجاب يبديه صاحبي — وهو الذي يبخل دائماً بالمدح — جديراً بأن يثير انتباهي . ولكن شيئاً غريباً في تلك المرأة هو الذي جعل نظرى يتعلق بها فيتبعها وهي تبحث هنا وهناك عن مائدة خالية .

كانت ترفع رأسها كأنها ملكة . ولكن وجهها كان هادئاً صاخباً حتى كأنها شاعرة . وكان شعرها الغزير الذهبي يترسل ليناً على كتفيها فيوحي إلى النفس معاني الهدوء واللطف والبساطة .

وقد وقفت آخر الأمر عند عمود مغطى بخشب الجوز القديم فاطمأنت وحدها إلى مائدة . ولم يتأخر عنها جيانينو بربع اللتر المعهود . وأما صاحبي فقد عاد يقول وهو يراني أطيل إليها النظر .

— ألا تجدها غريبة ؟ إنها لأعظم امرأة عرفتها وإن لها لقصة .

ولم يجعلني الح عليه في الرجاء كيما يقص على ما كان يعلمه ، فقد كان يحس من نفسه كل الرغبة . وقال :

« كانت فيرا تعمل كنموذج للفنانين قبل أن تتوفر بنفسها على الرسم . وكان ينبغي لك أن تراها في ذلك الحين ، أعنى قبل عشر سنين ، فقد كانت رائعة الحسن . وكان

جسمها الذى رأيته فى أمسيات كثيرة ، عاريا يشتمل تحت النور القوى فى نادينا القديم فى شارع مارجوتا ، شيئاً يفتن العين والقلب . ولعلك لاتلاقى فى كبار الفنانين فى روما من لم يوح إليه هذا الجسم بعمل يعتز به فوق اعتزازه بأى شىء آخر . حتى ليقال إن الأستاذ (ف) الذى باع رسوماً رسمها لزوجه وبناته وهن عاريات أتم العرى قد أبى أن يفرط فى رسم لها ود الكثيرون شراءه بأغلى ثمن . وهو يقول إنه يريد أن يأخذه معه إلى القبر ، لأنه كل ماظفر به من دنياه

« ولم يكن الأستاذ (ف) فى ذلك الحين هو صاحب ذلك الرسم الكبير الذى يرتفع حتى يبلغ ثمانية أمتار ويزيد ، بل كان واحداً منا نحن الذين كنا نتردد على النادى كل مساء لكيما نرسم النموذج الحى لقاء صولديات قليلة ، لعلك تعلم كيف كنا نقتطعها من حاجات العيش اقتطاعا :

« وأقول إنه لولا ذلك لما استطاع الأستاذ (ف) أن يظفر بذلك الرسم الذى يعزه فوق إعزازه لأى شىء آخر ؛ فقد كانت فيرا تأبى أن تعرض فتنتها على شيوخ الفن فى المراسم الكبيرة الجافية ، وتؤثرنا وحدنا بنعمة الإلهام من جسمها العجيب . فقد كنا شيعتها التى تلتف حولها فى خضوع وعبادة .

« نعم كنا أتباعا لجمالها . وكانت تصطفى من جمعنا من تشاء . على أنك لم تكن تعلم ما الذى يدنيك منها وما الذى يقصيك عنها . فقد كنت تقرر أن بعض الحسن أولى أن يستميلها ، وأن بعض الشباب أحق أن ينال رضاها ؛ ولكنها كانت تعرض عن هذا وذاك ، وتقبل وأنت حائر والكل حيارى على القبح الذى كان يخطر لك أنه أشد ما ينفر ، والشيخوخة التى لم تحسب لها أى حساب .

« غير أنها كانت تعود فتستبدل الحسن بالقبح والشباب بالشيخوخة ، فلا أحد يتولاه اليأس من أن يفوز بمتعة ليلة . وهى كانت ليلة مفردة فلا يطمع أحد فى أكثر منها . والويل لمن علل النفس بالآمال وطمع فى دوام الحب . إنه كان يضيع قلبه ويتلف روحه

« وظلت فيرا على هذا النحو نموذجاً لحقيقة الجمال وصورة لإحدى ربات الأقدمين غريبات الأطوار ، حتى بدا لها فى أمسية من الأماسى أن تجول بين أشتات اللوحات بعد جلستها الأولى لترى كيف رسمها الرسامون ووقفت عند لوحة فانطلقت تضحك .

لم يكن هناك رسم ولا شىء يشبه الرسم فى تلك اللوحة وإنما كان هناك على الأصح تراب الفحم امتزج به العرق الكثير ، فنشأت منه بقع سود كبار ، وإذا كان تحتها شىء فهو خيال امرأة لا يظهر للعين إلا على جهد

فقالت فيرا ، إذن فالرسم سهل يسير . فما يعجزنى أن أرسم شيئا كهذا

ونظرت إلى صاحب اللوحة ، وهو فتى غض الأهاب من طلاب الأكاديمية فإذا به يستند إلى الحائط وهو يبتسم وكأنه يدافع عن نفسه بذلك الابتسام ، فقلت لنفسى إنه مسكين ، وإن أمره لم يكن عن جهل بالفن . وكنت على يقين ؛ فقد جرى لى نفس ما جرى لذلك الفتى يوم أن رأيت جسم فيرا العارى لأول مرة . ولكن العرق الذى تصبب منى كان أقل . ولعل هذا لأن حظى من فورة الشباب كان أيضا أقل . إلا أننى تمنيت بعد ذلك لو قد أصابنى كل ما أصابه أو أكثر . فقد وقع عليه الاختيار فى تلك الليلة ؛ ثم كان هو المختار أيضا فى الليلة التى بعدها ، وفى الليلة الثالثة ، وفى ليال أخرى متعاقبة . ثم بدأ نادينا يقل رواده لأن فيرا لم تعد تظهر . والشاب أيضا لم يعد يظهر . ثم علمنا أن الاثنين قد طارا معا إلى عش على سطح دار صغيرة فى (مونت ماريو)

وكف صاحبى عن حديثه لحظة ، فصب لى ولنفسه جرعة أخرى من نبيذنا القليل الذى كاد ينفد . وبحث فى كل جيوبه عن شىء يعطيه لذلك العازف المسكين . ثم وصل الحديث فقال :

لم تعد فيرا تعمل كنموذج . وكان يقال إنها أحبت عيشة البيت الساكنة المطردة ، أكثر مما أحبت عيشة

اللاذ الطليقة المنوعة ، لأنها أحبت رجلها . ولم تحبه فحسب بل كانت تعبده عبادة صادقة ، وكان يخيل إليك أنها ترد إليه بهذه العبادة كل العبادات التي أسلفناها لها

كانت تقاسمه حياته الصعبة ؛ بل كانت تأخذ لنفسها وحدها من حياته الوجه الصعب . وتبذل قصارى الجهد كيما تتيح له الهدوء واليسر والدعة

كانت تطحن الألوان ، وتمد له التيل ، وتصلح له الإطارات إلى جانب ما تقوم به من شؤون الدار

وكانت تقطع شارع (ميداليا دورو) الطويل في كل صباح على قدميها في ذهابها إلى السوق وعودتها ، لتقتصد (الصولديات) القليلة ، ولا تنفقها على الترام . والشراء من السوق كان وحده كلفة صعبة . فقد كان عليها أن تمر بالباعة كلهم فتستعرض ما لديهم في دقة وعناية ، قبل أن تقدم على شيء . وكانت تلتفت حولها في كل لحظة ، وتأخذ حذرها ، حتى لا تراها جارة من جاراتها الكثيرات . فقد كان يعز عليها أن يعلم الناس أن فيرارى الأستاذ الجيل الفني يعاني شظف العيش ، حتى لتشترى امرأته أوجل الدجاج وأوراق الخص (المفرطة) والبيض المكسور

« ولكن شيزارينا الرسامة ، صديقتها وخليصتها ، قد اطلعت على سرها وجاءت تقص علينا النبأ في المقهى اليوناني فأحسسنا مرارة الأسف . إلا أن فيرا نفسها لم تك تأسف . وكنت إذا قابلتها في بعض الطريق صدفة وما كنت تلقاها إلا صدفة ، حيتك وعلى ثغرها ابتسامة حلوة ، يتجلى فيها الرضا . فإن أطلت النظر إلى وجهها الذي بدأت تتغير قسامته بعض الشيء من أثر السنين في حياتها الجاهدة ، أو تأملت في ثوبها البسيط الذي حاولت بذوقها العالي أن تجمل له رواءه ، أو تطلعت إلى شعرها الذهبي الذي لم تحسن ترجيله لعجلتها في الصباح ردتك في لطف كما ردتني مرة بقولها وهي تضحك : سيدى الأستاذ ! لا تنظر إلى هكذا ! إنى امرأة صالحة ، وإنى لأستحى . .

« وكان إيمانها بفتاها كإيمان الشهداء لا حد له . فإذا قال لها قائل لماذا يتمسك فيرارى بذلك المذهب الغريب في الرسم والناس لا يفهمونه ولا يرون فيه جمالا أجابته قائلة : إن فيرارى نابغة يجهل الناس قدره ، ولا ضير عليه أن يلقى الصعاب ، فكل نابغة تذهب قبل أن يدرك غايته

« وقد لقيتها بعد معرض عرض فيه فيرارى بعض رسومه فحمل عليه النقاد حملة قاسية . وسألتها ماذا قال فيرارى حين سمع ذلك النقد فقالت . وهي ثائرة النفس :

ماذا يعلم النقاد من حقيقة الفن ؟ إن الفن لا يعرفه إلا من عاش فيه . وقلت إنى لا أحسبهم قد بعدوا عن الحق. فقالت وهي تبدى المزاح وتخفى الجد : سيدى الأستاذ أليس من الجائز أن تكون غيورا ؟ »

إن اللواتى يشبهن فيرا ندرة بين النساء ، أو ما علمت أن زوجتى حين ساءت حالى زمنا قصيرا لم يزد على شهر سعت إلى مرة بكل ما في المرأة من اللين كما تقول إنها عثرت لي على عمل آخر أهون على من الرسم وأكثر ربحا وهو وظيفة بواب ؟

« لقد كانت فيرا في الحق كنزا عظيما . إلا أن ذلك الفتى الغرير لم يقدرها قدرها . فقد أخذ بعد فترة من الزمن يميل عنها ويكثر من السهر خارج الدار متعللا لذلك بشتى العلل . وكانت فيرا تظن كل شيء إلا أن يكون الفتى قد بدأ يمل عشرتها . ولكنها علمت مرة بطريق الصدفة أن للفتى خطيبة من بنات (تراستفرى) الغاويات أبوها صاحب مطعم وأن الفتى يقضى مع الصبية في المطعم وعلى شاطئ التيبر شطراً من المساء وشطرا من الليل

لم يكن في إصبع فيرا (دبلة) كالتى تلبسها كل حليلة لأنها لم تكن حليلته . ولكنها كانت في واقع الأمر زوجا كأفضل الأزواج . وإذن فقد كان لها أن تثور أو تبدى الغضب أو تصب على صاحبها اللوم ، ولكنها لم تلجأ إلى شيء من كل هذا

وعاد الفتى ذات ليلة ، فوجد عشاءه ساخنا مهيئا كما اعتاد أن يلقاه في كل يوم ، ووجد معه رقعة قصيرة ، تقول فيها أنها لن تعود

وما فعله الفتى بعد ذلك قد تستطيع أن تدركه بالبداهة

لغـــويات

القدوم

في القدوم لغتان : (الأولى) ضم الدال من غير تشديد مثل (رسول) وهي التي يستعملها أهل القاهرة والوجه البحري وجمعها (قدم) بضم القاف والدال مثل (رسل) و (قدائم) مثل عجائز

(الثانية) تشديد الدال مثل (نبوت) وجمعها (قداديم) مثل (نبابيت) وهي لغة أهل الصعيد

بقي شيء آخر وهو أن اللغويين حكموا على القدوم بأنها مؤنثة واستشهدوا بقول الشاعر :

قلت أعيراني القدوم لعلني أخط (بها) قبراً لأبيض ماجد

وعززوا هذا بأنها (آلة — أداة) والمعنى له تأثير في الحكم على الشيء تذكيراً وتأنيثاً ولكن المصريين يذكرون القدوم فيقول : هو — هذا — كبير — صغير — انكسر ضاع — وأرى أنه صحيح وقد يكون وراثياً عن العرب أو جالياتهم التي نزلت بمصر . وله نظائر في التذكير والتأنيث مثل السكين . ولو طبقنا نظرية الاداة والآلة لحكمنا على كثير من الآلات والأدوات الموجودة من علامة التأنيث بأنها مؤنثة مثل المنشار والساطور ... ولا يخفى ما في هذا من الخطأ والفوضى

كنكة

الكنكة : هي أداة معروفة مصنوعة من الصفيح ونحوه لعمل (القهوة) ونحوها وهي محرفة عن (التنكة) وبعض أهل الصعيد يقولون (تنكة) بالتاء من غير تحريف واليك النصوص التي تثبت صحة ما ذهبت اليه :

جاء في (محيط المحيط) التنك : صفائح من الحديد رقيقة تطلى بالقصدير اهـ

وجاء في (المنجد) التنك : صفائح من حديد رقيقة تطلى بالقصدير وصانعه تنكجي اهـ

وجاء في (البستان) التنك معدن أبيض لين واحدته تنكة اهـ

وجاء في (تفسير الألفاظ الدخيلة) : تنك تركي (تنكة) وهو حديد ممزوج بالقصدير يدق صفائح ، وتنكجي : صانعه اهـ

وهذه التسمية مجازية من قبيل إطلاق اسم الأصل (التنك — التنكة) بمعنى الصفيح على فرعه المصنوع منه أعني الأداة المعروفة

وأما تنكجي فهي نسبة إلى (التنك أو التنكة) على الطريقة التركية مثل قصبجي

علي حسن هلالي

زوج بطبيعة الحال من ابنة صاحب المطعم . ولكن الرجل الغليظ لم يكن يؤمن بشيء غير الحقائق البينة ، فما زال بالرسام المسكين حتى أقنعه بالعدول عن الرسم وجعله يرضى بوظيفة صغيرة يأتيه منها مرتب ثابت ، فاطمأن بذلك على مستقبل ابنته . أما فيرا ...

ونظر كلانا إلى فيرا فإذا بها تنادي على جيانينو بإشارة هينة ، وتدفع إليه ثمن النبيذ وحده ، لأنها كانت مثلنا لم تذق طعاماً ثم تنهض

ومرت بصاحبي فحيته بابتسامة عذبة ، وخرجت وهي خفيفة كالنسمة

وقال صاحبي :

إني لأعلم أين وجهتها . ستذهب كعادتها في مثل هذه الساعة إلى مقهى صغير أمام قصر الدمنة فتجلس هناك قرب النافذة ، لتختلس نظرة إلى فيراري عندما يخرج . وبعد ذلك تمضي إلى بيتها كدأبها في كل يوم لترسم لوحة أخرى من لوحات الزهر

رسمها ما أعجبه ! يجب عليك أن تراه ، فما أكثر ما فيه من الشعور وما أكثر ما فيه من السحر ! إنه شيء كالربيع

المنصورة محمد أصبع البندقي



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٩ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

حسن البنا

بمناسبة ذكراه

كان الإمام المرشد حسن البنا طيب الله ذكره وذكراه يسلك الطريق الذى تسلكه (الرسالة) منذ عشرين سنة فكان مما لابد منه أن يلتقيا على جادته أو عند غايته

وكان لقاؤهما الأول فى مكتبى قبل أن يظهر أمر الرحل وتبلغ دعوة (الإخوان) ، فوجدت فيه ما لم أجد فى قبيله أو أهل جيله من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق لا يزعزعه غرور العلم ولا شرود الفكر ، وفقه فى الدين صاف صفاء المزن لا يكدره ضلال العقل ولا فساد النقل ، وقوة فى البيان مشرقة بإشراق الوحى لا تحبسها عقدة اللسان ولا ظلمة الحس ؛ إلى حديث يتصل بالقلوب ، ومحاضرة تمتزج بالأرواح ، وجاذبية تدعوك إلى أن تحب ، وشخصية تحملك على أن تذعن . فقلت فى نفسى بعد أن ودعنى وشيعته :

عجيب ! هذا الشاب نشأ كما ينشأ كل طفل فى ريف مصر ، وتعلم كما يتعلم كل طالب فى دار العلوم ، وعمل كما

يعمل كل مدرس فى وزارة المعارف ؛ فممن ورث هـذا الإيمان ، وممن اقتبس هـذا البيان ، ومن أين اكتسب هذا الخلق ؟

إن الشذوذ عن قواعد البيئة الجاهلة ، والنشوز على أنظمة المجتمع الفاسد ، والسمو على أخلاق العصر الوضيع ، لمن خصائص الرسول أو المصلح ؛ فإن الله الذى يعلم حيث يجعل رسالته يريد أن يُصنع النبى أو المصلح على عينه ، ليظهره فى وقته المعلوم فيجدد ما رث من حبله ، ويوضح ما اشتبه من سبيله

والفطرة التى فطر عليهـا حسن البنا ، والحقبة التى ظهر فيها حسن البنا ، تشهدان بأنه المصلح الذى اصطنعه الله ، لهذا الفساد الذى صنعه الناس

ولم يكن إصلاحه رضوان الله عليه من نوع ما جاء به ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومحمد عبده ؛ فإن هؤلاء قصروا إصلاحهم على ما أفسدته البدع والأباطيل من جوهر العقيدة ؛ أما هو فقد نهج فى إصلاحه منهج الرسول نفسه : دعا إلى إصلاح الدين والدنيا ، وتهذيب الفرد والمجتمع ، وتنظيم السياسة والحكم ؛ فكان أول مصلح دينى فهم الإسلام على حقيقته ، وأمضى الإصلاح على وجهه

لم يفهم الإسلام الذى طهر الأرض وحرر الخلق وقرر الحق على أنه عبادات تؤدى ، وأذكار تقام ، وأوراد تتلى ؛ وإنما فهمه كما فهمه محمد وعمر وخالد : نورا للبصر والبصيرة ، ودستورا للقضاء والإدارة ، وجهادا للنفس والعدو

وإذا كانت سنة الله أن يبعث الرسول أو يظهر المصلح مزودا بالطب الناجع لوباء معين فشا ، وفساد مبين عم ، فإن الحال الأليمة التى تكابدها الأمة الإسلامية اليوم من ضعف أطمع فى وطنها الاستعمار ، وجهل أطفأ فى قلبها العقيدة ، وزيغ مال بوجهها عن السبيل ، تقتضى أن تكون رسالة المصلح فى هذا الزمن جارية على النهج الذى نهجه المرشد الأول للاخوان المسلمين !

ولقد كان هذا النهج الذى قبسه البنا من القرآن وعززه بالعلم ، وأقامه على الإيمان وقرنه بالعمل ، ونشره بالبيان وأيده بالمعاملة ، كان من الجد والصدق والعزمة بحيث زلزل أقدام المستعمر ، وأقض مضاجع الطاغية ، وخيب آمال المستغل ؛ فتناصرت قوى الشر على الدعوة العظمى وهى تتجدد فى مصر ، كما تناصرت عليها قوى الشرك وهى تولد فى الحجاز

وقضى الله أن يبتلى الإخوان فاغتيل الإمام وحوربت الدعوة واضطهدت الشيعة . ولكن الله عصمهم فلم ينقلب طريد على عقبه ، ولم يُمتن شهيد عن دينه !

ذلك لأن حسن البنا فكرة لا صورة ، ومبدأ لا شخص . والفكرة الصالحة تنمو نماء النبت ، والمبدأ الحق يبقى بقاء الحق . وما كان محمد صلوات الله عليه إلا باذر بذرة تعهدها من بعده صحابته ، فخرج نباتها بإذن الله وزكا ، ثم نما وسما ، ثم أزهر وأثمر . وسيبقى ثمرها أبد الأبيد ، على الرغم من سموم الريح وجدب التربة وعبث الآفة ، فهى الجنا دانى القطوف لمن سبقت لهم من ربهم الحسنى !

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بغرسهم الذى فاحت أزاهيره ، مستبشرين بفوزهم الذى لاحت تباشيره ، مغتبطين أن يروا من وراء الحجب الشفيفة دعوتهم تنتشر ، وأمتهم تنتصر ، وخطتهم تؤدى !

وإن القتيل الذى تمطر المحافل بذكراه اليوم ، ليبتسم ابتسامة الرضا وهو فى مقامه الأعلى مع الشهداء والصديقين ، إذ يرى دمه المطلول يحيى عقيدة ، وجهده المبذول يوقظ أمة !

احمد حسن الزيات

رجال من دمشق:

١ - الشيخ كمال الخطيب

للأستاذ علي الطنطاوي

رجل كان فذاً بين الرجال، لا ترى مثله العصور الطوال، وإذا كان الرجل العادي المهذب كالنسخة المطبوعة من الكتاب، كان الشيخ كمال نسخة مخطوطة مفردة، وقد يكون في المخطوطة خرم أو نقص - أو يكون على صفحاتها أثر من دهن أو بلل، ولكنها مع ذلك أثمن من المطبوعة، وإن كان ورقها نظيفاً، وطبعها متقناً، لأن هذه واحدة في الدنيا، ولأن من تلك آلاف الآلاف

كان الشيخ كمال بقية عصر مضى - ولكنه أبى أن يمضي معه، فعاش في القرن الحاضر، كما كان في القرن الماضي، فكان تحفة في (متحف)، ولكنها تمشي، وصفحة من (تاريخ)، ولكنها تتكلم. وكان بطلا في جسم عجوز، وغنياً في ثياب سائل. وكان فكرة استحالت رجلا، ومثلا أعلى سوى إنساناً. ولكل منا مثل أعلى، يتمثله إذا انفرد بنفسه، - أما مثل الشيخ الأعلى فهو أعماله التي يعملها. ولكل منا أفكار يفكر فيها إذا خلا بعقله، أما أفكار الشيخ فهي كلماته التي يقولها. وكل منا يعرف حقائق الناس ومثالبهم وعيوبهم، ولكنه يكتمها عنهم؛ أما الشيخ فكان يقول لكل إنسان مايعرفه عنه - لايستثني من ذلك أحداً من الناس أبداً. وليس الذي بالشيخ ما يسمونه الصراحة أو الوقاحة بل هو شيء لا أعرف له اسما لأني لم أجده عند شخص آخر: يقول لكل رأيه فيه بأوضح عبارة وأقصرها وأشدها، ثم يمشي لا يريد بها جلب منفعة ولا درء مضرة. ثم يحبه مع ذلك الناس كلهم، ويحترمونه، ويخافونه: رجال الشعب ورجال الحكومة، والعلماء والجهلاء، والأغنياء والفقراء، لا يسلم من لسانه أحد، ولكن لا يكرهه أحد. ولم يكن يبالي حبهم ولا كرههم، ولا يحفل بإكبارهم ولا احتقارهم، لأنه يعيش من نفسه في عالم، غاية مطلبه من الدنيا قرش يستر عورته، ولم أقل جبة ولا رداء، لأني لم أكن أدري ما كان يلبس على التحقيق: أجبة غيرها طول البلى حتى صارت من قصرها وثنيها كالرداء، أم رداء أبلته الأيام فصار كالجبة؛ وشيء يملأ جوفه، سواء عنده أكان هذا الشيء خبزاً يابساً أم كان أرزاً ولحماً؛ ومكان يضع عليه جنبه: سريراً أو فراشاً أو قطعة ممهدة من الأرض الفضاء، فإن وجد ذلك لم يطلب شيئا بعده - لا يرجو جاهاً ولا مالا، ولا يخاف سجناً ولا رهقاً

أخوه الأصغر زكي بك زعيم كبير من زعماء الشام، ولي الوزارة مرارا. ورياستها (بالوكالة) مرة، وهو محام معروف، وأخوه الآخر كان طبيبا كبيرا، وأهله ذوو ميسرة وغنى، ولكنه لايرزأ أحدا شيئا، ولايجرؤ واحد منهم - على دعوته إلى طعام أو منام

ولقد حدثني الأستاذ زكي بك أنه ما افتقر هذا الفقر إلا لأنه كان كبير إخوته، مات أبوه وخلف له هذين الصغيرين، فباع ماله كله وأنفق عليهما، حتى استكملا الدرس في اسطامبول، وكانت باريس تلك الأيام، ثم أبى أن يأخذ منهما قرشا واحدا. وإذا عرضا عليه هدية، أو دعواه دعوة، غضب أشد الغضب، فتركا مايريدان لما يريد، فعاش أغنى الناس - لا لأنه كان أكثرهم مالا، بل لأنه كان أقلهم حاجة - ولا فرق بين أن تكون لك كنوز قارون - وأموال فاروق، فتنال بها كل ما تطلب، أو أن تكون مطالبك هينة يسيرة، فلا تحتاج إلى مال كثير لتنالها، ومن هنا قال من قال، إن السعادة هي القناعة'

قنع من الحياة بأيسير ما تحفظ به على صاحبها الحياة،

رغيف يسد جوعته ، وقماش يستر عورته . وكان إذا طلب الناس الصايف .. واتخذوا لها الدور ، وأعدوا لها العدة ، حمل عباءته وعيته ، ومشى ... مشيا إلى (سيمة) درة الوادى ، وجوهرة العقد فى جيد بردى ، فوضع العباءة والـ فرة فى المنارة ، ورق (العين الخضراء) ثم نزل فدار بالقهوات — وجالس الجماعات ، فوعظ ونصح ، وأمر ونهى ، لا برزأ أحدا طعاما ولا شرابا ولا مالا ، ولا يدخل جوفه من عند أحد شيئا ، ثم عاد إلى المنارة فأكل فيها ما استطاع أن يعده لنفسه ، رغيفا ولحما ، أو خبزا وزيتونا ، أو شايا وكسرات يابسة من خبز الأمس ، وحمد الله ونام . لا يخشى السرق على مال ، ولا الخسارة فى تجارة ، ولا يخاف الشر من عدو ، ولا خيبة الأمل فى صديق

وهذا هو عمله فى دمشق : ينزل من قبل أذان الفجر إلى جامع بنى أمية ، فيصلى ويقرأ أجزاء من القرآن ثم يبقى فى الجامع — يمر على الحلقات ، فان وجد مايعجبه شجع المدرس بكلمة ، وإن أنكر شيئا رد عليه ، وإن أحس غموضا وضح ، أو إيجازا شرح — أو مللا من السامعين نفس عنهم بنكتة . ويعرف ذلك المدرسون له ، فلا يأبونه منه ، وإن أبى بعضهم سلقه بلسان حديد ، لحط من كبريائه ، والان من إبائه — حتى كان شيخنا الشيخ صالح التونسى . (مدرس الحرم النبوى الآن) يسميه (مفتش الجامع) !

ويحضر المحاضرات العامة فيسلك فى الجامعة والمجمع ، مسلكه فى الجامع . حضرته مرة فى المجمع العلمى العربى . من نحو ثلاثين سنة ، وقد جاء محاضر لبنانى فتكلم فى الحضارة الحديدة ، وأنه ينبغى فى رأيه أن نأخذ كل مافيها ، وذم لباسنا ومدح لباس القوم . ولما انتهى وأقبل الناس (أعنى المترفين المنافقين) يهنئونه ، صاح الشيخ فى آخر القاعة ، بصوته الذى كان يغلب عشرة مكبرات للصوت ، ولهجته المرقة فى العامية : « ولك ! الحمار حمار ولو لبس بدلة وبنطرون . والإنسان إنسان ولو حط جلال[1] ... »

(١) بالجلال برذعة الحمار فى العامية الشامية وعربيتها : الجل

فانصرف الناس بكلمة الشيخ ، وتركوا المحاضرة فى مكانها

ويدور فى الأسواق — يراقب الناس ويدرس أحوالهم وهو يعرف أكثر أهل دمشق ، وآباءهم وأجدادهم — وتمر به المرأة المحجبة فيعرفها من أى أسرة هى . أمضى سبعين سنة وهو فى هذه المراقبة ، فان رأى حقيرا رفعته الأيام بلا سبب فتكبر — رماه بكلمة كالقنبلة فعرفه قدره وجرأ الناس عليه . وإن رأى دجالا انخدع به الناس فحسبوه عالما ، حط منه فصرفهم عنه . وإن أبصر جاسوسا أو عميلا للفرنسيين — صرخ : « الله يلعن الجواسيس والمنافقين » . وإن نظر إلى أم ولدها وسخ — قال لها : « ولك ! هاى الماء ، روحى غسلى وجهه . النظافة من الإيمان » . وإن رأى بائعا يغش مشتريا ، أومشتريا يضايق البائع ، أو شابا يتحرش بالنساء ، أو امرأة تتصدى للشباب ، أو رأى معتديا على آخر فى جسده أو ماله ، أقام القيامة عليه ، فكأن البلد كلها مدرسة ، والناس تلاميذها ، وهو المعلم فيها !

وهو قاموس حى فيه تاريخ دمشق ، وأنباء أحداثها ، وأخبار رجالها ونسائها ؛ حوادث رآها ووعاها ، وناس عاشرهم وخبرهم . وله آراء فى السياسة صائبات ، وأنظار ثاقبات . وله كلام منطق تعوده أيام الاستبداد الأولى ، أيام السلطان عبد الحميد ، حين كان الجواسيس يخالطون الناس فى أسواقهم ومجامعهم ، ومدارسهم وطرقهم ، وحين كان للجدران آذان ، وكان يؤخذ الناس فى أوساط الليل من بيوتهم — بلا محاكمة ولا تحقيق ، إلى حيث لا يدرى أحد — وكان الناس يستمعون له ، ولا يجرؤون على معارضته

وكان يتوسط فى الخصومات ، ويعرض لحل المشكلات ، ويقضى بين الناس بلا محكمة ولا مرسوم جمهورى ، فيسمع من الخصمين ، ويوازن بين حجج الفريقين ، ثم يقضى . والويل من جحيم لسانه لمن لا ينفذ حكمه . فكم ألف

بين زوجين ، وأصلح بين شريكين . وكان يأخذ من الأغنياء ، سطوة واقتدارا ، أو حبا وإكبارا ، فيعطى الفقراء المستورين ، فيسعف الله وجوها لولاه أذهب ماءها حر السؤال

وكان قديما خطيب الجامع الأموى ، ولم أدرك أنا ذلك فضايق الحكومة بكشف عيوبها ، وضايق العلماء الرسميين بذكر سجايا العلماء العاملين ؛ فتألب عليه علماء السوء — فأغروا حكام السوء حتى عزلوه — فاتخذ من كل مكان منبرا يخطب عليه . ولبث على ذلك حتى توفاه الله ، من نحو سنة

* * *

هذا هو الشيخ كمل ، نسخة مخطوطة نادرة من مخطوطات الرجال . رجل فرغ من مطالب نفسه ، وعاش للناس ، فكان مثله الأعلى هو عمله ، وأفكاره هى قوله ، وكانت دمشق مدرسة وكان فيها الأستاذ

رحمة الله عليه

على الطنطاوى

العصر المملوكى الثالث !

للأستاذ محمد سعيد العريان

إن الأمة هى تصنع تاريخها ، ولكن التاريخ يعود من بعد فيصنعها صنعة جديدة ...

نظرت فى تاريخ مصر منذ أسلمته الأسرة الأيوبية إلى شجرة الدر ، ثم منذ أسلمته شجرة الدر إلى زوجها المملوك أيبك التركمانى ، ثم منذ تسلسل فى المماليك من قطز ، إلى بيبرس ، إلى قلاوون ... ثم من قايتباى ، إلى الغورى ، إلى طومانباى الشهيد ، ثم منذ استخلصه أمراء المماليك من أيدى «الباشوات» العثمانيين ، سادة القلعة ، ليتداولوه من على بك الكبير ، إلى أبى الذهب ، إلى مراد وإبراهيم والألفى ، إلى محمد على الألبانى ، إلى إبراهيم وإسماعيل وفؤاد وفاروق ، إلى ٢٣ يوليو الماضى .. فإذا هو كله عصر واحد ، بدأ بشجرة الدر وانتهى بفاروق . .

عصر واحد له خصائص مشتركة تقوم على الغدر والأثرة ، والانفراد بالسلطة ، والتباهى بلا عمل ، والاستعلاء بلا سبب ، والسعى الدائب إلى غير هدف ؛ ثم النساء والأطياب ، والقصور ، والمتاع الحرام ...

وإزاء هذه الصفحات المسودة بتواريخ الملوك ، صفحات أخرى تصف شعبا يخفى طبيعة المقاومة وراء مظهر الاستسلام ، كل وسائله فى المبارضة أن يصنع النكتة ويضحك لها حتى يكاد يندلق بطنه ، وأن يتحدث همسا عن الغد المأمول كما قرأه له شيوخه فى « الجفر » ، أو فى الرمل ، أو فى صفحات النجوم ؛ ثم الانتظار إلى أن يبرز « الزعيم » الذى يقوده ، فما كاد يبرز ويتردد اسمه فى الأسماع ، حتى يصير هتافا على كل شفة ، وصدى لكل صفقة يد ، وقصة فى كل سامر ، وبخورا فى كل معبد ، وأكاد أقول ووثنا لكل عابد .... ثم ينتهى ذلك الزعيم أو تطويه الحوادث إلى أجل أو إلى غير أجل ، فينتهى اسمه على الشفاه أو ينطوى ، فلا تسمعه إلا فى ثنايا نكتة يضحك لها قائلها وسامعها جميعا ... وتخفى طبيعة المقاومة وراء مظهر الاستسلام العابث ...

هذه هى الخصائص المشتركة لهذا العصر المملوكى الذى بدأ فى مصر منذ سبعة قرون ، وانتهى منذ بضعة أشهر ، وما أراه سيعود بعد ..

ولكن المؤرخين المحترفين وأساتذة التاريخ فى المدارس يوشكون أن ينكروا على هذا الرأى الذى أرى ؛ فقد كانوا زعمون ، وما زالوا يزعمون إلى اليوم فى كتبهم وفى

عاصراتهم العامة والخاصة ، وفيما يلقنون تلاميذهم من دروس التاريخ ، أن العصر المملوكى قد انتهى فى مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر ، حين تولى محمد على وخلفاؤه من بعده عرش مصر . وهو زعم يبعد قليلا أو كثيرا عن الحقيقة التى أومن بها وأرجو أن يؤمن بها المثقفون جميعا ؛ فإن عصر محمد على وما بعده إلى ٢٣ يوليه الماضى ، لم يكن إلا امتدادا لعصر المماليك الذى بدأته شجرة الدر بتولية زوجها أيبك التركمانى الجاشنكير عرش البلاد ، ليتسلسل من بعده فى المماليك طبقة بعد طبقة إلى محمد على «وطبقته» !

وقد كان محمد على نفسه يؤمن بهذه الحقيقة ، فهو لم يفد إلى مصر سيدا ليحكم ، ولكنه وفد إليها كما وفد من قبله ومن بعده « مماليك » لا يحصيهم العد ، فوثبوا بالغدر أو بالحيلة أو بكفالة القادر إلى السلطة ولبسوا التاج …

ولا يقولن أحد إن محمد على لم يكن « رقيقا » فى يد النخاس قبل أن يلى العرش حتى نصفه بالملوكية ؛ فإن سلاطين المماليك من عهد أيبك إلى عهد طومانباى ، لم يكونوا كلهم أرقاء مشترين بالمال ، بل كان منهم «أحرار» لم يدخلوا تحت رق قط ، وفدوا إلى مصر لأن لهم صلة ببعض أصحاب السلطة فيها ، فجاءوا مدعوين أو واصلين أو معينين لبعض السلطة هؤلاء على أمرهم ، فطابت لهم الإقامة واستقر بهم المكان وتهيأت لهم أسباب الحكم حتى وصلوا إلى العرش ، وكانوا مع ذلك فى عرف المؤرخين « مماليك » وإن لم تدم آذانهم يوما فى يد النخاس

وإذن فإن كلمة « مملوك » لم يكن يتحقق معناها اللغوى كاملا فى اصطلاح مؤرخى عصر المماليك ؛ لأنهم كانوا يعتبرون خصائص الحكم وخصائص الحاكمين العامة لا الصفة الفردية التى تتصل بالمعنى اللغوى لكلمة مملوك

وإذن فقد كان محمد على مملوكا ، أو مملوكيا ، وإن لم يعرف من ماضيه أنه كان رقيقا مشترى بالمال ؛ لأن الاصطلاح التاريخى لا يأبى عموم هذه الصفة حتى تشمله

ومع ذلك فمن ذا يعرف من ماضى محمد على ما يثبت به أو ينفى أنه كان فى يوم من الأيام رقيقا ينادى عليه الدلال فى سوق العبيد ؟ إن كل ما نعرفه عن ماضيه أنه كان يعمل فى « قوله » أجيرا لدى بعض تجارها ؛ ثم لا نعرف له على وجه اليقين منشأ ولا أبوة ولا أسرة ينتسب إليها ؛ فإن لم يكن مملوكا فكأن قد كان !

ولم يصطنع محمد على وسيلة غير وسائل المماليك لبلوغ العرش ، ثم للثبات على ذلك العرش ، ثم لتوسيع رقعة ملكه ؛ ولعله فى كل ذلك كان صورة مكررة لعلى بك الكبير ؛ فقد بدأ بالاحتيال ، ثم بالغدر ، ثم بالزحف على أملاك الدولة العثمانية ؛ فلولا مؤامرة أخيه مراد ، وخيانة ربيبه محمد أبى الذهب ، لبدأ « عصر محمد على » قبل موعده بنصف قرن ، ولكن باسم آخر ، هو « عصر على بك الكبير »

وقد يقال إن محمد على ألبانى من قولة ، والمماليك شركس من « جورجيا » ؛ فهو يخالفهم فى العنصر والجنس . وهذا وهم باطل ؛ فلم يكن المماليك جميعا من الشركس إذ كان منهم القوقازى ، والصقلبى ، والبلغارى ، والرومى ، والمقدونى ، إلى أجناس شتى لا تبعد كثيرا عن الجنس الذى كان ينتسب إليه محمد على ؛ وإنما كانت نسبتهم إلى الشركس للغلبة لا للاطراد …

وقد يقال إن محمد على كان رأس أسرة حاكمة يتسلسل فيها الملك بالوراثة ، وليس هذا دستور المماليك . وهذا أيضا وهم باطل ، فإن محمد على أولا لم يكن رأس أسرة ، لأن إبراهيم الذى ولى العرش من بعده لم يكن من ولده ، ولكنه كان ربيبه ، ابن زوجته ، تربى فى حضانته فأضفى عليه صفات الولد ، ثم عاد الملك بعد إبراهيم إلى أولاد محمد على ، ثم رجع ثانية إلى أولاد إبراهيم ، فتسلسل فيهم من

إسماعيل ، إلى توفيق ، إلى عباس الثانى ، إلى حسين ، إلى فؤاد ، إلى فاروق ؛ ولم تكن نسبة هؤلاء جميعا إلى محمد على إلا من حيث أنه كان فى مثل مقام الأب من أبيهم إبراهيم فلم يكن محمد على إذن رأس أسرة بالمعنى الحقيقى بحث يمكن أن يقال إنه خرج فى وراثة العرش عن دستور المماليك …

على أن وراثة العرش مع ذلك كانت من دستور المماليك فى ظروف شتى ؛ حتى ليصح أن نحصى من سلاطينهم أسرات تسلسل العرش فيها من والد إلى ولد إلى حفيد ؛ فهناك أسرة بيبرس ، وقلاوون ، وبرقوق ، فى السلاطين المتقدمين ، وأسرة قايتباى والغورى فى فى المتأخرين …

وقد قلت فى بعض ما سبق ؛ إن محمد على نفسه كان يؤمن بالحقيقة التاريخية التى تجعل حكمه فى عرف المؤرخ المتجرد امتدادا للعصر المملوكى فى صورة جديدة ؛ ودليلى على ذلك هو حرص محمد على على إبادة « النظراء » فى مذبحة القلعة النادرة ؛ ثم حرصه وحرص المحترفين من مؤرخى عصره على إسناد كل نقيصة إلى المماليك ووسم عهدهم بالفوضى والتهتك والهتك والسفك ، ليوقع فى وهم هذا الشعب المغلوب على أمره أنه من طراز آخر وجنس آخر غير جنس المماليك وطرازهم ، مع استمراره برغم ذلك فى جلب مماليك جدد من جنس آخر ، ليتخذ منهم بطانة له وحاشية ويضع فى أيديهم مقاليد الأمور فى البلد الذى أدانه لحكمه …

وكان من خصائص الحكم المملوكى أن يحتفظ « المماليك » بجنسهم نقيا فلا يتخذوا من بنات الشعب أزواجا ولا يزوجوه من بناتهم ، إلا أن تكرههم على الخروج عن هذه القاعدة مكرهات لا قبل لهم بدفعها . وكذلك كان محمد على وخلفاؤه من بعده ؛ فلم يحاول هو ، ولم يحاول أحد من خلفائه ، أن يخلط نسبه بالشعب بالزواج من مصرية أصيلة النسب إلا محاولات فى السنين الأخيرة للتقرب من الشعب بعد أن نضج وعيه ، ولكنها كانت محاولات خادعة للإيهام بالصورة الظاهرة دون أن تغير شيئا من حقيقة الأمر ؛ فإن فلانة وفلانة وفلانة من زوجاتهم ؛ لسن مصريات خالصات النسب ؛ آباؤهن وأمهاتهن جميعا من سلائل مماليك محمد على ؛ ومن أجل هذا دون غيره كان اختيارهن زوجات ، وإن زعم من زعم من محترفى المؤرخين غير ذلك !

فقد ثبت إذن أن عصر محمد على لم يكن شيئا جديدا كل الجدة فى التاريخ ، ولا هو مرحلة فاصلة بين عهدين ، ولكنه امتداد لعهد مضى فى صورة جديدة …

هو جزء من عصر المماليك يتميز بخصائص ليست من عصر المماليك ولكنها نشأت عنها وتولدت منها واتسمت بسماتها العامة …

وقد انتهت هذه المرحلة من العصر المملوكى فى ٢٣ يولية الماضى ، وبدأ الشعب يملى على التاريخ صفحة جديدة ؛ فقد وجب إذن أن نضع الأسماء على مسمياتها ونسمى هذه المرحلة باسمها ؛ ولن يكون اسمها أبدا كما أراد بعض محترفى التاريخ « عصر محمد على » ؛ فإن محمد على لم يكن إلا واحدا من المماليك الذين بدءوا منذ عهد أيبك الجاشنكير ، ولم يكن خلفاؤه إلا امتدادا لاسمه …

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم العصر المملوكى قبل محمد على قسمين : عصر سلاطين المماليك ، ويبدأ من شجرة الدر إلى طومانباى المستشهد بأيدى الغزاة العثمانيين ، ثم عصر المماليك الأمراء ، ويبدأ من خاير بن ملباى الذى أقامه العثمانيون واليا على مصر بعد أن فقدت استقلالها ، إلى أن خرج آخر « باشا » عثمانى من القلعة بكفاح الشعب فى أول القرن التاسع عشر ، وإذن فليكن اسم العصر الذى يلى ذلك إلى ٢٣ يولية الماضى ، هو العصر المملوكى الثالث …

محمد سعيد العريان

مائدة المسيح
ومجاعـــة الشيطـــان

للأستاذ منصور جاب الله

فى ساعة العسرة وحين اليأس ، وبين تخون الظروف وطغيان الأحداث ، يلتمع فى آفاقَ الدنيا شهاب ثاقب إذ تلف العالمين ذكرى ميلاد عيسى بن مريم ، يوم أهل المسيح على الأرض فأشرقت بنور ربها وحفتها الملائكة الأبرار

وسرت البشرى بمولد المسيح من أرض الميعاد إلى سائر الأمصار ، فشملت الفرحة الخلائق كلها . وانبثقت رسالة المسيح من أرض السلام تدعو للسلام

حتى إذا عصفت بسلامة الدنيا أمة من النوب والهزاهز والإحن ، بقيت أفئدة من الناس تهوى إلى بيت لحم ، منبت المسيح ومهاده ، فهناك القداسة ، وهناك الطهارة ، وهناك الوئام

وفى عشية عيد الميلاد يستضيف المسيح الطاهر على مائدته القدسية أولئك الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، فهاموا فى البرية جياعا طاوين « عارين من حلل كاسين من درن » كما قال المتنبى قبل ألف عام ، تتلقفهم البلدان وتترامى بهم الفيافى وتتقاذفهم السبل ، يستضيف المسيح هؤلاء اللاجئين الأحرار ، ومعهم أرواح الشهداء الأطهار ، فأقرب ما يكون المرء إلى ذكر الكرم وقرى الضيفان حين يكون جائعا عاريا ، شريدا فى الفيافى والبرارى ، يمضه الفقر وتمزقه الأوصاب

* * *

« إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين » فلم يطلبوها جحودا ولا كنودا ، وإنما أرادوها سكنا لقلوبهم واطمئنانا لعقائدهم

وإذ جأر المسيح عليه السلام بالدعاء « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك » نزلت سفرة حمراء بين غمامتين والناس قيام ينظرون حتى إذا استوت بين أيديهم بكى المسيح وهو يقول « اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة » ثم رفع عنها الغطاء فإذا سمكة مشوية ، لا حسك فيها ولا قشر عليها ولا فلوس ، تسيل دسما ودهنا ، وعند رأسها ملح ، وعند ذنبها خل ، ومن حولها صنوف من البقل والخضر جميعا ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون ، وعلى الثانى عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد

وإذا بصر الناس بهذه المعجزة القدسية فوق ما رأوا من المعجزات الكبار ، تعاظمهم الأمر وبهتوا وأخذ منهم البهر مأخذه . وقال واحد من حوارىى السيد المسيح : ياروح الله ، لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى . فقال : ياسمكة ، احيى بإذن الله ! فاضطربت ، ثم قال لها : عودى كما كنت فعادت مشوية

ثم طارت المائدة إلى السماء والناس ينظرون فى ظلها ، وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا ، تجتمع عليها الفقراء والأغنياء ، والصغار والكبار يأكلون . حتى إذا فاء الفئ ارتفعت ، ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ، ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا

* * *

أما بعد ، فذلك حديث المائدة المقدسة ، كما رواه

المدثون الثقـات ، أشبعت الناس من جوع ، وأسبغت الطمأنينة على نفوسهم ، وأسبلت السكينة على قلوبهم

لقد نزلت المائدة المقدسة على أهل فلسطين ، فأشاعت بينهم الأمن والسكينة ، بعد إذ طعموا منها وشبعوا . فما بال أولئك الذين أجاعوهم ونكلوا بهم وشردوهم فى آفاق الأرض ، ونشروا بينهم المجاعة والمسغبة ؟

إن حديث هؤلاء الجياع الطاوين ليحز فى كل قلب ، ويغمز على كل كبد ، ويستدر من الأعين الدمع المتون

إنها مجاعة الشيطان التى استبدلها بمائدة المسيح ، وكذلك نشر على ضفة الأردن الجوع والعرى

* * *

نعم يساعد أولئك الذين يقولون إنهم ورثة المسيحية الأولى ، هؤلاء الغزاة الأفاقين الذين دنسوا مهد المسيح وداسوا الحرمات وانتهكوا الشعائر والأقداس ؟ الأنهم راحوا من بعد يحاكونهم بهذا المنكر الذى ارتكبوه على ضفتى القناة ! ثم لأنهم جاروهم فى ارتكاب الموبقات وقتل الرجال والنساء والولدان ؟

ألا إن المسيح الطاهر ليبرأ فى أقداسه العليا من أولئك الذين يحملون اسمه ثم يعاضدون سلالة أعدائه على غزو الأرض التى فيها درج وإليها بعث . وإن هؤلاء العرب الذين فى أرض بها مهد المسيح ، وإن هؤلاء المصريين المذبين فى أرض هاجر إليها المسيح ، إذا خاب أملهم فى العدل الإنسانى على الأرض لتتلع أعناقهم إلى السماء ، يرقبون عدل السماء ، كما تنزلت المائدة من السماء

* * *

ألا فليقل أولئك الطغاة الذين كلما خبت جذوة الحرب أعادوها جذعة وزادوها ضراما ، ألا فليقولوا ما جريرة هؤلاء البكاة فى ليلة عيدهم والخطب جسام والنفس هالعة والعهد القريب ؟ لقد ذاقوا أفاويق مترعة من برد السلام حين حدثوهم عنه أياما ، ثم كووهم بحر حرب تذيب المهج والجلود . وإنهم حين تموج بالعبرات عيونهم ، وحين تصدأ من الهموم قلوبهم ، وحين تثخن بالجراح جسومهم ، إنما يستشرفون لانبلاج صبح جديد ليس فيه عول ولا نحيب

منصور جاب الله

وحى الرسالة
في ثـــلاثة أجــــزاء

للاستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً . وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل جزء أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

حياة المازنى

المرأة فى حيـــاة المازنى

ما أكبر ما عشقت فى تلك السنوات الأولى من شبابى
المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

عاش المازنى ما عاش — وقد شارف الشيخوخة — لا ينبض قلبه بغير الشباب. وكانت سنه التى لا تكف عن الارتفاع — كما يقول — تغريه من فرط ما يستشعر امتدادها أن يحسب حوادث حياته بأرباع القرون لا بحساب عدد من السنين، ولكنه إذا ذكر شجون قلبه ومنازل هواه كان كأنما يطوى الأعوام الطوال فى لحظات، ويختزل العمر كله فى مثل كرة الطرف، وتحس أنه ينقل إليك على الصفحات أو فى الكلمات، نبضات قلب فتى يتفتح على حبه الأول فى براءة وطهارة ونقاء..

لهو أطفنا بيكر لذته وما فضضنا خواتم العذر

* * *

عرف المازنى الحب وهو بعد فتى ناشئ، وكانت «هى» جارة له صغيرة فى مثل سنه، كالنرجسة فيما رآها. وكان بدء ما بينهما أنه لقيها يوما عائدة إلى بيتها، فلما صارا فى (الحارة) إذا هى زحلوقة لا تثبت فيها القدم من كثرة الماء المرشوش، فأسندت يدها على الحائط وناولته يدها الأخرى. ويقول المازنى: «لما صارت كفها فى كفى شعرت بشئ من الزهو ممزوجا بالغبطة، وخفت على يدها اللينة البضة أن تؤذيها قبضتى — التى خيل إلى أنها قوية — فجعلت أصابعى حول رسغها حيث العظام فيما بدا لى أقوى على الاحتمال. وكانت مضطرة أن تعتمد على بجسمها وتلك أول مرة دنت منى أو دنوت منها إلى هـذا الحد، وكان شعرها محلولا ومرسلا من فوق كتفيها على صدرها فجعلت أدنى أنفى منه وأشمه، ولم يكن معطرا ولكنى كنت أجد له ريحا طيبة، فلحظت ذلك منى وسألتنى وقد جذبت يدها قليلا: ما هذا الذى تفعله؟

قلت: إنى أشمك

قالت: تشمنى!

قلت: إن لشعرك رائحة طيبة، فهل من بأس أن أشمه؟

قالت: كلا، لا تفعل

قلت: قد فعلت وانتهى الأمر

«ومر عام وكنا قد انتقلنا إلى بيت آخر، فمررت بدارها يوما بعد الغروب، وكان الباب مواربا فرأيتها تسق أصص الزهر فى فناء البيت. فوقفت أتأملها لحظة وهى تقبل الورد والأزاهير بعد سقيها ورشها، ثم دخلت فى رفق وهمست باسمها فلم تسمع، فأعدت الهمس فانتبهت كالمذعورة وقالت: إبراهيم؟ وكررت ذلك. فاقتربت منها وقلت: نعم! هل أفزعتك؟ ووقفت: شفتاها مفترقتان ووجهها تصبغه الحمرة من أثر المفاجأة. ولم أكن أعرف ماذا ساقنى إليها سوى أنى اشتقت أن أراها وأن أقف معها لحظة أحادثها، وقالت: لقد كان يجب أن أفزع فما سمعتك تدخل، ولكن من الغريب أنك خطرت ببالى وأنا أسقى هذه الأصص. فكدت أصيح لا أدرى لماذا، وقلت: أصحيح هذا؟ إنه يسرنى. قالت ضاحكة: لم أكن أفكر فيك تفكيرا يسرك، لقد كنت ساخطة عليك. فضحكت مثلها وقلت: ماذا جنى هـذا الشقى يا ترى؟ قالت: لست ساخطة لأنك فعلت شيئا، لقد كنت عندكم أنا ووالدتى وأختى وقضينا النهار كلـه هنالك تقريبا، وأنت لا أثر لك فى البيت ولا يدرى أحد أين ذهبت،

وفى وسعك أن تتصور مثلى بين السيدات العجائز .
قلت : إنى أفضل أن ألقاك هنا ، ويسرنى أن أجدك وحدك .
قالت : وهل كنت واثقا أنك ستلقانى هنا ؟ قلت : كلا
قالت : إذن لم جئت الآن ؟ قلت : لا أعلم . اشتقت أن أراك
لا أدرى لماذا ، فجئت . ومر بخديها طيف من الحمرة ما جاء
حتى ذهب ، ففتحت عليها عينى وأثارتها النظر فتراجعت
خطوة وهى تقول : ينبغى أن أدخل . فوقفت أرمقها وهى
تدور لتمضى عنى ، ثم كأنما انشق عنى سور فاندفعت إليها
ووقفت إلى جانبهـا وجعلت أدير لسانى فى حلقى بلا كلام
وقلبى يخفق ، وتناولت يدها وذهبت بها إلى الباب حيث
ظللنا برهة صامتين ، ثم صاحت : يدى ! يدى ستحطمها .
فانتبهت وأطلقت كفها وأسفت . فقالت بصوت عذب .
دعنى أدخل بالله

وبعد شهور عدت من المدرسة يوما فإذا هى ووالدتها
فى بيتنا ، ففرحت ، وكانت يدى ترتجف وعينى إلى الأرض .
وذهبت إلى غرفتى فأدركتنى فى الصالة وقالت : خذ .
وناولتنى عوداً من ثمر الحناء ، فأخذته فى صمت وأدنيته
من أنفى ، ووقفت أشمه وأشمه وقد غاض معين الكلام
وانقطع عنى مدده . فلما رأت صمتى وارتباكى قالت :
سنذهب إلى الريف . فأنطقتنى هذه المباغتة وقلت :
ستذهبين ؟ وكم تظلين هناك ؟ قالت : عاماً ، أتستكثر ذلك ؟
قلت : بالطبع . وماذا تودين أن تصنعى هناك هذا العام ؟
قالت : كيف يعنيك أن تعرف ؟ وضحكت ، فجاءت
ضحكتها صدى ونفت مخاوفى ، ونظرت إليهـا معجبا
وأحسست بالدم يتدفق فى عروقى ، وبأنفاسى تسرع . وحمل
إلى النسيم الوانى طيب شعرها ، فمددت يدى إلى كفهـا
وكانت شفتاها مفترقتين وعيناها فى عينى ، وصدرها يكاد
يلمسنى ، فألفيت نفسى أنحنى عليها وألمس شفتيها بفمى ،
فصار وجهها كالجمرة ، ولكنها لم تتحرك ولا تكلمت ،
ودار رأسى كالمخمور فتقهقرت خطوة ، وهى واقفة كالتمثال

وما أظنهـا كانت تتنفس أو تفكر ، فما رأيت صدرها
يتحرك أو أجفانها تختلج ، كلا ، لا شئ إلا هذا الجمر فى
خديها ينبئ أنها حية . وأفاقت ثم أصعدت زفرة كأنما
كنت لطمتها ولم أقبلها . ثم هتفت بى ، فأسرعت وأخذت
يديها فى كفى ثم رفعتهما وقبلتهما وقلت لهـا : أغاضبة
أنت ؟ قولى إنك لست غاضبة . فأجابتنى بهزة خفيفة من
رأسها . فقلت : لست غاضبة ، أعلم ذلك وإلا فما قبلتك ،
تكلمى . فقالت همسا : دعنى أذهب ، إنى خائفة . فقلت :
إنك جميلة ، جميلة . وانهلت على يديها مرة أخرى ألثمها ظهراً وبطناً
ثم سحبت يديها ببطء ووضعتهما على صدرها ، وقالت وهى
تتلعثم وترتجف : قل لى ما هذا ؟ قلت ، ووضعت يدى على
يديها فوق صدرها : هذا ؟ ألا تعلمين أنه الحب ؟ فتنهدت
وأرخت يديها وتركتهما تهويان وقالت : سأذكرك دائما
قلت : كلا ! هذا لا يكفى . ولم تكد شفتاها تفترقان ،
وهمست كأنما تتنفس : سأحبك دائما »

وكان هذا بينهما آخر لقاء !

* * *

وبلغ المازنى مبالغ الشباب . وصار طالبا بالمدرسة
الخديوية ، وكان يؤم سمته كل صباح من البيت إلى المدرسة
عن طريق « درب الجماميز » . فلمح ذات يوم فتاة فى مثل
سنه يتبعها خادم نوبى يحمل لها حقيبتها وكتبها ، وكانت
تأزر ، أى تتخذ « حبرة » وتضع على وجهها برقعا أبيض
ينسدل من أرنبة الأنف ويحجب ما تحته — الفم والذقن
والخدين والعنق . ووقعت الفتاة من نفسه وشغلته محاسنها
وعرف المازنى أنها تلميذة فى المدرسة السنية ، وأنها تقطن
نفس الحى فى الناحية الأخرى منه . فصار يترصد خروجها
وأوبتها ليشبع عينه من التملى بها ، ويهدهد ما علق قلبه
من الهيام والصبابة ؛ وما كان حظه من ذلك ليزيد على
النظر المجرد ، « ولم أكن أكلم حبيبتى هذه ، ولا كانت
تكلمنى ، ولكن على الأيام صارت العين تقع فى العين »

.. ولعل الفتاة قد أحست بغريزتها معنى نظراته هذه ، وألهمتها طبيعة الأنوثة ما كان يشده إليها ويجذبه نحوها فقد كانت حلوة ممشوقة ، يزيدها فتنة وحسنا رداؤها الجميل الذى يوحى بالنعمة والرفاهية ، ويلقى عليها سواد الحبرة اللامع وبياض النقاب ظلا من السحر يغرى بارتياده .

وكانت كلما التقيا تلق إليه بنظرة ، ينقلب بعدها قرير العين مثلوج الخاطر . وظلا هكذا يتعارفان بالنظر دون الحديث مدى عامين . ثم شاء القدر أن يفترقا دون أن يعرف أحدهما اسم صاحبه أو شيئا عنه

ووسع قلبه الشاب أن يجدد علائقه وأن يجيب نداء الحب لأنه عنده نداء الحياة . بل كان إذا أثقل عليه الشعور بالحرمان أوحى إلى نفسه الحب ، وقد يفعل الإيحاء فعله ويحدث أثره ، ويتهيأ له أن يحس الشوق الطبيعى والرغبة الصادقة إلى من يجاوبه هذا الإحساس . فلم يخل قط من حب يستجد علاقته ويهيىء أسبابه ، أو كما قال « ما أكثر ما عشقت فى تلك السنوات الأولى من شبابى ! »

وفى وصف تلك الفترة يقول الأستاذ العقاد من قصيدة له إلى المازنى :

أنت فى مصر دائم التمهيد بين حب عفا وحب جديد
بين ماض لم يذبل الحسن منه وطريف كاليانع الأملود
أنت كالطير ربما شالت الطير عن الأيك وهو جم الورود

* * *

ثم تزوج المازنى وهو فى سن العشرين ، وكان — كما يقول لا يعرف عن المرأة إلا أنها أنثى ولا عن الزواج إلا أنه وسيلة مشروعة لتعارف الجنسين . فلم تكد تبدأ حياته الزوجية حتى صارت — بعد شهور — إلى شر ما يمكن أن يصيب زوجين من النفرة وقلة الاحتمال وعدم الاستعداد للتفاهم والعجز عن إصلاح الفساد . وكاد الأمر ينتهى إلى الفرقة النهائية . وقضى فى جحيم هذا الخلاف ثلاث سنوات لم ينجه من عواقبه إلا التوفيق إلى درس طبيعة المرأة وغريزتها ، وعاش مع زوجته ضعف هذا الزمن « كأسعد ما يكون زوجان فى هذه الدنيا التى لا تخلو من المنغصات » ثم ماتت هذه الزوجة فحزن عليها حزنا بالغا دل على ما كان يكنه لها من حب . ونستطيع أن نضم حبه هذا لزوجته إلى جوار ذلك الحب الذى عرف ألوانا منه من قبل ، لأنه فى الحالين يصدر عن وتر واحد فى نفسه وإن اختلفت أصداؤه بين حين وحين . فليست زوجة وحسب من تكون عند زوجها عنوانا على الجنس كله وإشارة إلى عالم الأنوثة بأسره ، ومن تجمع له إحساسه المتعدد بالحياة فى إحساس فرد تكون هى محوره ومداره

يتبع محمد محمود حمدان

التضامن الاجتماعي
بين ابن خلدون ودوجي

للأستاذ جمال مرسي بدر

لا مبالغة في القول بأن الاجتماع من أقدم الظواهر التي صاحبت العمران البشري ، ولا غرو فإن الأمرين متلازمان بل أن التعبيرين من المترادفات . ولعل الأصح أن يقال إنه لا عمران بغير اجتماع ، وأن الحضارة نفسها إن هي إلا ثمرة اجتماع الإنسان إلى الإنسان

ومن أقوال الحكماء قديما : «الإنسان مدني بالطبع» وهي حكمة بالغة تصل إلى أعماق النفوس البشرية وتكشف عن طبيعة الإنسان الاجتماعية وتثبت أنه لا بد له من الاجتماع إلى أفراد جنسه وأنه لا يستغني عن ذلك الاجتماع ولا تستقيم حياته بدونه

هذا وإن بين نشوء الاجتماع البشري وبين قيام الدول بالشكل الذي نعهده منذ أن سجل قيامها التاريخ مراحل طويلة يعني ببحثها علماء السياسة وفقهاء القانون العام ويذهبون في أمرها مذاهب شتى ويفسرون — بالتالي — قيام الدولة تفسيرات متفاوتة شأنهم في كل موضوع ينفسح فيه مجال النظر ويطلق فيه العنان للرأي

ولئن كان فلاسفة الإغريق قد تكلموا في السياسة فان مسألة قيام الدولة لم تظهر بشكل جلي إلا في كتابات كتاب القرنين السابع عشر والثامن عشر الذين يمكن تبويب آرائهم في اتجاهين متميزين يختلف بينهما تفسير قيام الدولة وتحديد وظيفتها ، ويتفق بين الآراء المندرجة تحت كل منهما الأساس النظري وإن تفاوتت التفاصيل

فالاتجاه الأول — ويمثله هوبز ولوك — يذهب إلى أن الاجتماع البشري قديم ، أي أن الإنسان ما وجد إلا في جماعة ، وأن تلك الجماعة في حالتها الطبيعية كان يسودها النزاع المستمر بين أفرادها حول الأغراض والمطامع الفردية التي لم يكن الإنسان يهتم بسواها ، غير أن استمرار حالة النزاع الدائم هذه أدى إلى تنبيه أفراد الجماعة ، فدفعهم حب البقاء إلى وجوب الاتحاد وأشعرهم بضرورة وجود السلطان فتفاهموا على الخروج من الحالة الطبيعية والخضوع لرئيس منهم وبذلك قامت الدولة

أما الاتجاه الثاني — ورافع لوائه جان جاك روسو — فيذهب إلى أن الاجتماع حادث ، أي أن الإنسان كان في الأصل مبتوت الصلة بغيره من أفراد جنسه ، وأنه كان يحيا في تلك الحالة الطبيعية الأولى سعيدا موفورا متمتعا بحريته الكاملة حتى إذا كثر عدد الناس وتشابكت مصالحهم وظهرت نوازع الشر فيهم رأى الإنسان أن ينضم إلى غيره وأن يتنازل للجماعة عن جانب من حريته الأصيلة مقابل تمتعه بحماية الجماعة ، وبذلك نشأت الدولة مستندة إلى إرادة المجموع أي إرادة الأمة التي فيها وحدها يتمثل السلطان

ومهما يكن من شأن النجاح الذي لاقاه مذهب روسو في القرن الثامن عشر ومن تأثيره البالغ في الثورة الفرنسية وما تبعها من أحداث ، فإن العلم الحديث لا يقر ذلك المذهب ويرى في « الهمجي النبيل » الذي خلقه روسو خيالا لا دليل عليه بل لا حقيقة له . فالاجتماع البشري قديم قدم البشرية ذاتها ؛ وقيام الدولة أمر من الصعب تتبعه واثبات كيفية حصوله ؛ وإنما الدولة نتيجة لتطور اجتماعي طويل ، وهي بهذا الوصف حدث اجتماعي أو واقعة اجتماعية لا محل للبحث عن أساس قانوني لها ، ولا داعي لتصور عقد اجتماعي تقوم عليه وتستند إليه

وللعلامة ليون دوجي — كبير فقهاء القانون العام المعاصرين — نظرية طريفة في تكييف الدولة وتبرير قيامها

تتفق والواقع الملموس . وتعتبر الكلمة الأخيرة فى هـذا الباب . فعنده أن الإنسان عاش فى الماضى كما يعيش الآن ، وكما لا بد أن يعيش فى المستقبل مع غيره من أفراد نوعه فى حياة اجتماعية ؛ فالفرد كان دائما عضوا فى جماعة إنسانية ، غير أنه يشعر فى نفس الوقت بكيانه الشخصى المستقل عن الجماعة وبميوله الخاصة وحاجاته التى يريد أن يقضيها ، ولكنه يعلم أنه لا يستطيع تحقيق شئ من ذلك إلا إذا عاش فى حياة مشتركة مع غيره

إذن فالإنسان كان دائما عضوا فى جماعة كما كان دائما يشعر بفرديته ، إلا أنه كان ولا يزال يرتبط بالجماعة برباط وثيق مرجعه إلى ما أطلق عليه دوجى تعبير « التضامن الاجتماعى » solidarité sociale

وهذا التضامن كان موجودا فى جميع مراحل تطور المجتمعات البشرية ، فقد كان واضحا فى نطاق الأسرة ثم فيما بين أعضاء القبيلة ، ثم بين المواطنين فى المدينة الواحدة ، وأخيرا بين أفراد الشعب فى الدولة التى هى الشكل الحديث للجماعات المتحضرة

وعند صاحب هـذا المذهب أن أهم عوامل التضامن الاجتماعى عاملان : —

الأول أن للأفراد حاجات مشتركة لا يمكن تحقيقها إلا فى الحياة المشتركة ، وهذا ما يسمى بالتضامن بالتشابه solidarité par similitude . والعامل الثانى — تفاوت قدرة الأفراد واختلاف كفاياتهم مما يستتبع بالضرورة تبادل الخدمات بينهم . وهذا ما يسمى بالتضامن بتقسيم العمل solidarité par division de travail وهذان العاملان اللذان يتمثل فيهما التضامن الاجتماعى يؤديان إلى ترابط الجماعة وإلى استمرار وجودها . وما الدولة سوى الصورة الواقعية التى يتحلى فيها التضامن الاجتماعى ، ووظيفة الدولة إنما هى المحافظة على ذلك التضامن وتسهيل اتساعه وتطوره ومنع العوامل التى تصيبه بالضعف والوهن ، وذلك عن طريق سن « قواعد للسلوك » وهى المعروفة باسم القوانين ، والقوانين لا تكون مشروعة إلا إذا هدفت إلى حماية التضامن الاجتماعى وإلى كفالة عوامل نموه واطراده ، فذلك التضامن هو أساس قيام الدولة وهو تبرير مالها على الأفراد من سلطان

هذا عن التضامن الاجتماعى عند « دوجى » الفرنسى المعاصر فماذا عن ابن خلدون العربى القديم ؟

مهلا يا سيدى القارئ واترجع معى إلى « مقدمته » الخالدة لتجد فى الصفحة الخامسة والأربعين وما بعدها (١) عرضا بديعا لنظرية التضامن الاجتماعى التى طلع بها على العالم « دوجى » فى القرن العشرين للميلاد فاعتبرت فتحا فى علم السياسة وابتكاراً فى فقه القانون العام

يقول ابن خلدون : « ... الإنسان مدنى بالطبع أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدنية فى اصطلاحهم وهو معنى العمران . وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله . إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه . ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخورى . هب أنه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج فى تحصيله حبا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه الأعمال من الزراعة والحصاد والدراس ... ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير . ويستحيل أن توفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت

(١) طبعة مصر سنة ١٣٢٧ (المطبعة الشرفية)

له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف » !

ونراه بعد ذلك يستطرد فى شرحه فيقول : « وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا فى الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأن الله سبحانه لما ركب الطبائع فى الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الإنسان ... وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات التى تنوب عن الجوارح المعدة فى سائر الحيوانات للدفاع . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفى قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد فى ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ... ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه ... ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر . وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله فى بقائه وحفظ نوعه » !

فى هذه العبارات الواضحة يعرض ابن خلدون كل ما فى نظرية التضامن الاجتماعى الحديثة وإن لم يرد على قلمه لفظ « التضامن » فقد استعاض عنه بكلمة « التعاون » وقديما قيل لا مشاحة فى الإصطلاح .

لقد أشار ابن خلدون إلى قدم الاجتماع البشرى وإلى أنه فى الإنسان طبيعى أزلى ، واستطرد من ذلك إلى تقرير وجود التضامن الاجتماعى وإلى شرح طبيعة ذلك التضامن بنوعيه اللذين تتكلم عنهما النظرية الحديثة وهما التضامن بالتشابه ، والتضامن بتقسيم العمل

ضرب ابن خلدون مثلا للتضامن بالتشابه بليغا فى إيضاح المعنى المقصود إذ ذكر الدفاع وما يتطلبه من تعاون أبناء الجنس البشرى ، فهنا نجدنا أمام حاجة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع هى الحاجة إلى الدفاع عن النفس إبقاء عليها وحفظا لها ، وهى حاجة لا يتيسر تحقيقها على وجهها إلا فى الحياة المشتركة لما ذكره ابن خلدون من عجز الفرد الواحد من الناس أمام العدو المشترك فكان لا بد من اجتماع العدد الكبير من أفراد الجنس البشرى حتى يمكن سد هذه الحاجة المشتركة بينهم ، وهذا بعينه هو التضامن الاجتماعى بالتشابه الذى تكلم عنه « دوجى »

أما النوع الثانى من التضامن الاجتماعى وهو الناشئ عن تقسيم العمل فقد ضرب له ابن خلدون مثلا لا يقل وضوحا فى معناه ولا قوة فى دلالته عن المثل الأول ، فقد ذكر قوت يوم من الحنطة وما يقتضيه الحصول عليه من تعاون الزارع والطاحن والعاجن والخابز فضلا عن تعاون من ينتجون لهؤلاء آلات صناعاتهم ، فهنا نرى كفايات متفاوتة تستتبع تبادلا للخدمات وتعاونا بين أصحاب مختلف الحرف كل فى اختصاصه ، وهذا بعينه هو التضامن بتقسيم العمل الذى تبرزه النظرية الحديثة

وأما عن قيام الدولة فيقول ابن خلدون : « إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ؛ وليست آلة السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شئ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك

وهكذا نرى أن ابن خلدون — وبينه وبين دوجى نحو ستمائة عام فى الزمان — قد سبق إلى النظرية التى

قصة الفتنة

بين الأزهر ودار العلوم!

للأستاذ الطاهر أحمد مكي

أنا متهم بإثارة الفتنة بين الأزهر ودار العلوم ! ...

اتهمني بها أصدقاء ردوا على فى صحيفـة « الأخبار الجديدة » ، وزميل اختار لرده « الرسالة » واتهمنى بهـا أناس كثيرون ، يربطني بهم إخاء ثقافى ، أوصداقة علمية ، أو زمالة وطيدة ، ولم يحاول واحد منهم جميعا ، أن يتعرف الدوافع ، أو يتقصى ما وراء الأمر من أسباب

كانت كلمتى فى « الأخبار الجديدة » ذات شقين ، أولها دفع ما أثاره بعض الزملاء ، من أن هناك تعصبـا يقع عليهم ، وحيفا يصيبهم ، وأحمد الله كثيرا ، على أن بينهم من نفى ذلك كله ، وقال كلمة الحق ، وهو أن مرجع التفضيل لدى مفتشى اللغة العربية ، جهد الإنسان وإخلاصه وتفانيه ، وسكت الباقون فلم يثبتوا شيئا ، وإن عز عليهم أن يعترفوا بالحق لذويه !

وقصة هذه الشكاوى تمثل فى واقعها مأساة ألمية ... مأساة الأخلاق حين تنحدر ، والوفاء حين ينضب ، وكلمة الحق حين تغيض من الشفاه ؛ ذلك أن اللغة العربية كانت تجد فى أشخاص القائمين عليها ، اضطهادا مزريا من وزارة المعارف ، وكان هؤلاء الرجال يدفعون هذا الاضطهاد بكل ما أوتوا من قوة ، اضطهاد يسنده استعمار غاشم ، يريد أن يحطم معنويات الشعب بتحطيم لغته ، ويمكن له دعاة مرتزقة ، يريدون للاستعمار أن يبقى ليعيشوا ، وتظاهره ارستقراطية كاذبة ، ترى فى العربية تأخرا يخدش زهوها ويؤذى شعور بنيها ، ومن ثم كان موظفو وزارة المعارف يتفاوتون تبعا لاختلاف ثقافتهم ، فعزل ذوو الثقافة العربية منهم ، عن كل ما يؤدى إلى إدارة أو سلطـان ، أو يشعر بتقدير وعرفان ، وفيهم من يحملون من الشهادات التربوية أعلاها ، ومن الثقافة العربية أعمقها ، ومن اللغات الأجنبية أحيـاها ، على حين ارتقى غيرهم درجات وزارة المعارف صعدا ، فتفاوت النظراء وتباين الأنداد ، ولولا بقية من إيمان لأصاب اللغة ، تدريسـا وطريقة وإنتاجا ، شر كبير . فليس أقتل لحيوية العامل من الإهمال ، وليس أقضي على نشاط الذكى من الجحود ، ولا أجهز على إخـلاص المنتج من نكران الجميل !

كان هؤلاء الرجال يقاومون ذلك كله فى عناد وصلابة فبلغوا ممـا يؤملون شيئا ، وبقى دون حقوقهم كاملة طريق طويل ، مملوء بالأشواك والمتاعب ، ويتطلب الكثير من التكاتف والتسـاند والتضحيات ؛ فوزارة المعارف ذات الوكلاء الأربعة ، والمستشار الفنى والسكرتير العـام ،

اعتبرت لافقيه الفرنسي نصرا وفتحا وعرضها عرضا واضحا بينا لا فرق بينه وبين الشكل الحديث للنظرية إلا فى العبارات والمصطلحات

وليس هذا إلا قطرة من بحر ابن خلدون الذى ينزح منه كل مطلع على آثاره الخالدة على الدهر ، وخاصة مقدمته التى تعتبر بحق كنزا حافلا بجواهر الآراء فى علوم السياسة والاجتماع . فلا مبـالغة إذن فيما تصفها به دائرة المعـارف الإسلامية (١) إذ تقول إنها « ستظل دائما أعظم مؤلفات ذلك العصر وأهمها من جهة العمق فى التفكير والوضوح فى عرض المعلومات والإصـابة فى الحكم ، ويظهر أنه لم يفقها كتاب ما لأى مؤلف إسلامى . »

جمال مرسى بدر

(٢) مادة (ابن خلدون)

لم تخجل من نفسها يوما ، فتتخير من أصحاب الثقافة العربية ولو واحدا ، ليمثلهم فى مناصب الوزارة العليا ، رغم أن ثقافتهم غاية وغيرها وسيلة ، وأن عددهم يربو على نصف الموظفين ، وفيهم قدامى قاربوا الستين ، ونبغاء يحملون أرقى الشهادات ، إن لم تزد على ما يحمل وكلاؤها فلا تقل عنهم بحال !

* * *

حتى إذا رفعت مصر رأسها بعد ركوع طويل ، ظن أصحاب الحق المهضوم فى وزارة المعارف ، أن الظالم سترد إلى أهلها ، وإذ هم يلوحون بحقوقهم فى حياء الأبى ومظاهر التواضع ، حتى لا يثيروا ضجيجا ولا يحدثوا فرقة ، إذا بالخناجر تغمد فى ظهورهم بلا أسباب ولا مقدمات ، وممن ؟ ... من أشقائهم الأزهريين ، من شباب العربية الذين يمهدون لهم المستقبل ويعبدون لهم الطريق !

أجل ! ... آلاف الشكاوى ترسل إلى شتى الجهات تستبيح أعراضهم ، وتطعنهم فى أعمالهم ، وتنهش ذممهم ، وترميهم بكل نقيصة ومذمة ، ولا هدف لها إلا النيل من هؤلاء الأبرياء ، وكان سواد هذه الشكاوى كذبا وتضليلا وافتراء ، وهدفها « إذا لم تستطع هدم الحائط القوى ، فلا بأس من تلطيخه بالأوحال » ! ... وكانت حملة غير شريفة ولا طبيعية ، وكان التوافق فى الشكوى بين من يقيمون فى أسوان ومن يستوطنون الإسكندرية ومن ينزلون القاهرة ، يوحى بأن يدا أثيمة تريد أن تصطاد فى الماء العكر ، وأن تكيد لحماة اللغة العربية ، ليخلو لهم الطريق !

وأشهد أن لجيمة هؤلاء المفتشين كانت بالغة ، كانوا أشبه بأب فقد وحيده ، بعد أن تقدمت به السن وأدبر عنه الشباب . لقد زرعوا ليحصد غيرهم ، وغرسوا ليجنى سواهم ، وهم الساعة يتحسسون كلمة شكر على ما حملوا من رسالة ، وأدوا من أمانة ، فلا يجدون . لقد كانوا من أنصار العدل المطلق دواما ، وكان ذلك يدفعهم إلى الدقة فى التقدير ، والقسوة على المهمل ، لأنهم أصحاب رسالة أولا ، ولأنهم يطالبون بحقوق لهم ولأندادهم مغصوبة ثانيا ، وليس أقوى لك ، ولا أسند لظهرك ، حين تطالب بحقك من أداء واجبك كاملا !

ثم تطور الأمر إلى حملة تشهير أخرى ، فجاوز نطاق الشكاوى الملومة والمجهولة إلى الصحف ، يستدرون عطف كتابها ، ويستثيرونهم على أناس ، نعدهم نحن أساتذة لنا وموجهين ، على رغم ما قد ينشب بيننا وبينهم من خلاف أحيانا . وأخذت الحالة لبوسا جديدا ، فكانت حملة قاسية عنيفة ، من كاتب كبير فى صحيفة ذائعة على خريجى دار العلوم ، فكتبت سطورا أدفع بها ما ترمى به طائفتى من شر ، بإظهار الحقيقة كاملة ، وبيان ما تحمل هذه الدعوى فى طياتها من غرض خبيث ، وما تهدف إليه من إشاعة روح الفرقة والبغضاء !

* * *

وأما الشق الثانى فكان تقريرا لواقع الأزهر فى العشرة أعوام الأخيرة ، ولقد عشت فيه ، وقضيت برحابه زمنا ، فوجدت واقعه عفنا ، وأفسق بعقلى إذا ارتضيته أو دافعت عنه ، أو سكت عليه ، أو واطأت أحدا على بقائه . وما أشبه الذين يرتضونه من أبنائه ، بالقروى الذى لم يطعم غير الجبز ، فهو يظنه أحلى ما فى الوجود من فاكهة . ولم أعتب عليهم أبدا ، لقد كنت أنا مثلهم يوما ! ... وكنا لجهلنا المطبق بما تزدحم به الحياة حولنا ، نظن أن علم الأزهر هو كل ماعرفت الإنسانية من ثقافات ، وأن هذا الكلام الذى يدرسه طلاب المدارس على اختلافها هذر سخيف لا جدوى منه ولا فائدة فيه . وكنا نضرب أياما طوالا ، نهتف فيها من أغوار حناجرنا « افتحوا لنا الكلية الحربية .. افتحوا لنا كليات البوليس والآداب » إلى آخر ما كنا نسمع من أسماء الكليات !

كان ذلك من زمن ، وظننت الأزهر — وقد فارقته — قد أصابه مس الحضارة فتغير فى نظمه ، وتطورت عقليته ، كما تغيرت فى مصر أشياء كثيرة ؛ حتى إذا سمعتهم يهتفون أمام اللواء محمد نجيب حين زارهم ، « افتحوا لنا الكلية الحربية » عرفت أن الحال كما هو ، وأن أشقاءنا الأزهريين ، يعيشون فى واد تقطعت به أسباب الحياة !

ولا أزال أذكر من هذا الواقع حتى الساعة ، كيف قدمنا للأزهر للمرة الأولى ، صغار السن طرايا العقل ، فاستقبلنا بالسخف الذى يستقبل به طلابه حتى الآن ، أى المذاهب تختارون ؟ ... مذهب أبى حنيفة ، أم مالك أم الشافعى أم ابن حنبل ؟ ولم نكن نعرف عن واحد من هؤلاء شيئا ، فمن كان والده على شئ من الدهاء ، اختار له مذهب أبى حنيفة ليصبح قاضيا شرعيا ، أما الباقون فيتابعون السير هكذا عميا ، حتى إذا استقر بنا المقام بدأنا نتعصب لهذه المذاهب ، ونتقاتل عليها ، كل يزعم لإمامه العلم والفضل ، وكان المالكية يباهون بأن إمامهم ، مكتوب على فخذه الأيمن أو الأيسر — لست أدرى — بقلم القدرة ، « مالك حجة الله فى أرضه » إلى آخر ما تحكى الكتب من خرافات وأباطيل !

وكان هذا التعصب الأعمى وضيق الأفق ، ينمو معنا شيئا فشيئا ، وهو مفتاح لمعرفة كنه كثير من المشكلات الأزهرية ، فهم فى المعهد الواحد يتعصبون للمذاهب ، وفى الكليات المجتمعة يتعصبون للأقاليم ، وفى الوظائف يتعصبون للأشخاص ، وفى المدارس يتعصبون على دار العلوم ، متابعة لطرائقهم هناك ليس إلا !

وقد فتح هذا التعصب للمذاهب والأشخاص والأحزاب أبوابا لمساومات كان ضحيتها العلم والثقافة دائما ، فانحط مستوى الطلاب انحطاطا بشعا ، انحطاطا دفع أستاذا كبيرا للفلسفة فى دار العلوم ، ندب لتصحيح المنطق بالشهادة العالية لكلية اللغة العربية ، أن يرفض ذلك ، سموا بمنصبه من أن يتخذ ستارا ، وباسمه من أن يستغل لستر ما شهد من فضائح . لقد وجد أن ما درس لطلاب الشهادة العالية فى عام كامل ، ست عشرة صحيفة من كتاب « المنطق التوجيهى » المقرر على طلبة التوجيهية وفى حدود هذه الصفحات التافهة وضع الامتحان !

وكان سباق الأزهر إلى الوراء داعيا إلى الأسى والرثاء ، يضرب الطلاب عاما كاملا ، لا يحضرون فيه غير أسابيع معدودة ، ثم تكون نتائج امتحانات النقل ٩٠ ٪ أو تزيد ... كانت عملية « تفريغ » من نوع فريد ، ينقل الذين فى السنة الأولى إلى الثانية ، والذين فى الثانية إلى الثالثة ، وهكذا ، ويمنح الذين يتخرجون فيه شهادات تحسب له وتعد عليه ، وكاد الغش الجماعى ، إن صح هذا التعبير ، معروفا وذائعا ومرضيا عنه !

وقد حاول الخيرون من أصحاب الضمائر الحية أن يوقفوا هذه الموجة المدمرة ، فكان نصيبهم أن أبعدوا أو اضطهدوا . وأذكر أن الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت وقف من عامين ، وكان رئيسا لامتحان شهادة العالية ، يعلن بأعلى صوته « إن الأزهر يتصدق بشهاداته على الفقراء ! ... » فأبعدوه عنها واختاروا سواه ، على ما هو عليه من علم وفضل وخلق ،

وشيئا فشيئا حطم الفساد فى الأزهر كل معانى الفضيلة والاستقامة ، فكان الطلاب يقيمون فى بلادهم طوال العام ، يعملون فى التدريس أو شيئا آخر ، ولا يحضرون القاهرة إلا ليؤدوا الامتحان . ومع ذلك كله ، كانوا يكتبون حاضرين يوميا ، ويخول لهم ذلك حق الاستيلاء على المكافأة والجراية وبدل الغذاء وبدل الكتب ، وهى مبالغ تخول لصاحبها حياة نظيفة ، لو كان مخلصا للعلم راغبا فيه مقبلا عليه . وآسف جدا أن أقرر ، أن ذلك فتح سوقا نافقة للرشوة ، والاتجار بالضمائر والتلاعب فى السجلات !

٣ - كوليرج

للأديب الناقد . اى . ل . كيلر كورج
بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تتمة

قبل أن نلوم ضعف كوليرج الإنسانى ، دعنا نسأل أنفسنا عما إذا كان من الممكن لأى إنسان أن ينظم قصائد متعاقبة من طراز النوتى القديم ، ولكن إن فرضنا الإعجاز - وهو ما كان موهوبا به - فإنه (أى الإعجاز) ليست له القدرة الكافية بإلزام الرجل على إنهاك نفسه . أو بكلمة أخرى دعنا نبحث ونتساءل عما إذا كان انقطاع الفيض القدسي مرده ضعفه أم سببه هو استنزاف تلك القوة الخفية ؟ وهو ما نعتقده ونؤمن به . والجواب القاطع عن مثل هذا السؤال موجود فى قصيدته (كرستابل) كما أن قصيدته (قوبلاى خان) تشد أزر مثل هـذا الرأى وتعززه بدليل آخر بلا أدنى شك ولا أقل ريب . يحدثنا كوليرج نفسه بذلك فيذهب إلى القول بأنه شرع بنظم (كرستابل) فى سـنة ١٧٩٧ ، أى إما أن يقول ذلك قبل أو فى غضون نظمه (للنوتى القديم . وقد امتازت هـذه الفترة بخلوها من تعاطى الأفيون . ومع هذا فكل من يحاول أن يقلب الصفحات الأولى من (كرستابل) سـيرى بعينه أنه من المستحيل إتمامها بأية حالة كانت . ولا شك أن كوليرج اعتقـد جازما بأن فى قدرته إكمالها ، ولـكنه فى نضاله لتحقيق ذلك كان يجالد أعـداء أقوى من الأفيون وذلك لأنه كان يقارع القادر التى تتحكم فى مصائر الأشياء كيفما تشاء ، فتنتهى على الصورة التى تريدها وبالـكيفية التى ترضاها

أما نغمات (كرستابل) التى أجاد فى وضعها الشاعر ، فهى تعانى فى آذاننا نوعا من التداعى والارتبـاط بجلجلة

وكان هذا الانصراف عن الدرس ، أخطر ما قضى على كيان الأزهر الثقافى قضاء تاما ، فليست الثقافة كتابا يحفظ ، وإلا كانت مصر فى غنى عن الجامعات والمعاهـد العليا ، ولـكنها تفاعل بين مستويات متباينة ، يـكون الفرد فيهـا قدوة لغيره فى ناحية ، ومقتديا فى نواح أخر كثيرة ، وباحثا عن مثله الأعلى فى هذا المحيط . وقد يجده فيه ، وقد يجده فى الطريق أو فى محاضرة ، أو فى مكتبـة أو فى صحيفة ، أو فى ناد أو فى زمالة ، وهى مواد لا توجد فى محيط القرية المصرية بحال !

* * *

ماذا تنكرون مما أقول ؟

إن المثقفين من شبـاب الأزهر يعرفون ما أعرف وزيادة . والفارق بيننا ، أنهم يعالجون الأمر فى مقـالات ملساء ، وأصوات خافتة ، وهمسات ناعمة ، أما أنا ، فأرى أن الفساد أقوى من أن يزعجه النصح الضاحك ، وأعتى من أن يوقفه الإرشاد الحيى ، وأخطر من أن نسكت عليه أو نساومه !

لقد خرجنا من الأزهر بعاهات مستديمة ... عاهات أصبنا بها فى عقولنا وفى ثقافتنا ، وفى أذواقنا وفى شبابنا ، ولن نرضى لإخواننا أن يصابوا بها ، أو أن يذهبـوا ضحايا لها ، ولن نيأس من الدعوة إلى الإصـلاح أبدا ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الـكافرون ،

* * *

هذا هو الحق ، لا تضطربوا ! ...
هذا هو الواقع ، لا تنزعجوا ! ...

الجبناء وحدهم هم الذين يسكتون على ما يعرفون من جرائم وآثام !

الطاهر أحمد مكى

(سكوت) كما هى الحال وبصورة أسوأ مع بايرون الذى استمارها بدوره من سكوت . ولا تزال هذه الفظاظة على شدتها فى أيامها هذه ، لدرجة أن إيقاعها الوسيقى أسف إسفافاً كبيراً ... والخلاصة أن هنالك كثيراً ممن يرى فى (كرستابل) زيفاً لا معنى له متناثراً هنا وهناك ، ومع ذلك فإن أصالتهـا وجمالها فى بعض الأبيات مما يدهش ويبعث على الغبطة والسرور . أما (قوبلاى خان) — فحتى إذا فرضنا أن ذلك الشخص من (بورلوك)[1] لم يبترها — فكيف لنا أن نتصور بأن فى الإمكان إتمامها أو حتى الاستمرار بها قليلا . ولـكنها مع كل ذلك ، أعظم قطعة ساحرة تخلب الألباب وتسلب الأذهان فى الشعر الإنجليزى على الأطلاق . وبعد مضى ثلاثة أسـابيع من تلك الليلة الزاهرة التى أتم فيها أغنيته الخالدة (أعنى النوتى القديم) سار ورفاقه يوما مامنشداً إياها وكان فى معيته آنئذ وردزورث وقد قال كوليرج عنه فى سياق إحدى رسائله إلى أصدقائه « أنه . أى ورد زورث) يتقدم تقدما متواصلا فى مجـالى الشعر وأنه يشعر بأن البلاد تزداد حسناً وجمالا فى كل يوم) وقد أصبح لبهاء هذا الصيف (فى كوانتوك) مكانه اللائق به فى سجل تاريخنا الأدبى . لقد انتهى موسم حصاد كوليرج ، وبدأ موسم ورد زورث الذى بدا زاهراً باهراً فيه الآمال العراض والأمانى المذاب . وبعد ذلك حدث أن ارتحل الأخ والأخت من (الفوكسدن) فى منتصف الصيف ، وفى أيلول لقيهم كوليرج فى لندن فأبحروا جميعاً فى سفرة رائعة إلى هامبورغ فى ألمانيا . ومن الملاحظ فى هذا الخصوص أن (الأغانى) التى نظمها ورد زورث طبعت مـ قبل عدة أيام من أهـداء كوليرج (للنوتى القديم) و (البلبل) و (حكاية المرضعة) و (الزنزانة) . وقـد أطلق كل من الصديقين قذيفته وذهبـا فرحين كل إلى جهة معينة . أما قذيفة ورد زورث فكانت بمثابة صاعقة بكل ما فى هـذه الـكلمة من معنى ، ولو أن بريطانيا قابلتها ببرودتها المعهودة

ولـكن السيدة كوليرج علقت على ذلك بقولها « لا يحب الأغانى أحـد قط ! » . ولم تمض عـدة أيام على وصول الأصدقاء إلى هامبورغ حتى انفرط عقدهم ، فارتحل كوليرج إلى (راتزبورغ) وفى نيته تعلم اللغة الألمانية ومن هنـاك عاد إلى (نيذر ستاوى) فى تموز عام ١٧٩٩ . وفى نهـاية السنة لقى عائلة ورد زورث وطاف معهم فى منطقة البحيرات وبعد ذلك استقر آل ورد زورث فى (دوف كوتيج) فى (كراءمر) وفى تموز من السنة التالية انتقل كوليرج إلى جوارهم فى (كريتا هول ، كيزوك) على مقربة اثنى عشر ميـلا منهم . وكان ورد زورث فى إبان نشاطه ووفرة قوته فى هذه الأثناء ، ومع هـذا فإن التعارف الجديد لم يجلب لـكوليرج ربيعا جديدا . فساوذى لن تعاد مرة أخرى . وهنا لسوء الحظ أو لحسنه يمكن أن تنتهى القصة لسوء الحظ لأن فترة نظم الشعر انقضى أجلها وذهب ريحها ، وفى ذلك يقول كوليرج بالذات « إنه نبذ الشعر ملتمسا النجاة فى الميتافيزيقا » زد على ذلك أنه أسلم نفسه نهائيـا إلى عبودية الأفيون؛ ولحسن الحظ أن نهاية هذه الفترة تحول بيننا وبين اقتفاء أثره فى سفرته إلى برستول ومالطة ، وما تخلل ذلك من منازعات ومصالحات وعهود واختـلاطات وعودة إلى الأفيـون وشفائه منه جزئيا ثم ارتكاسـه وانتكاسه ويأسه ثم غروب شمس حياته النبيلة الطيبة فى دار (جلمان) فى (هاى جيت)

وعلى كل حال دعنا نلاحظ شيئين قبل الاقتناع بمـا يدلى به بعض الذين يكتبون بسخرية عن كوليرج وضعفه . فأولا أنه كافح وجالد وقارع فى أعمق مهاوى اليأس لخرج منتصراً فى نهاية الأمر . لقد نال النصر بعد أن قـدم فى سـبيل ذلك ثمنا باهظا جدا . ولقد أصاب هـذا النضال الشاق الدامى مئات من الـكفايات الممتازة التى كان يتمتع بها ، ولـكن الرجل بالرغم من هذه الجروح والـكلوم التى استنزفت دماء حيـاته ، وخرج وبيده المرتعشة كأس النصر وعلى رأسه الدامى أكليل الغار . أضف إلى ذلك

[1] شخصية خيالية

أن علينا أن نلحظ أثناء مطالعتنا للمنازعات والخصومات ونا تبع ذلك من سوء التفاهم المزمن بينه وبين أصدقائه بأن الوقت كلما محا سببا من أسبابه هذه الأمور التافهة ظهرت طبية كوليرج الطبيعية جلية واضحة سافرة عارية . وكيف أن كوليرج — بمرور الأيام — يخرج بريشا من كل النهم التى الصقت به جزافا بدافع الضغينة والحسد . لقد عرف كوليرج ضعفه واعترف به ، ولكنه ، على الأقل تعلم من ذلك الرقة والشفقة حيال ضعف أصدقائه … ولكن هذا المزاج الرقيق جعله مبهما وغامضا لدى جماعة ساوذى وهازلت ، كما جعله غريبا عند ورد زورث ذى الشخصية المركزية

وهكذا فبهاء فكره هو الذى عزله عن محيط أصدقائه … فالعدل والإنصاف يوجبان علينا تصور كوليرج عندما كان قوة مؤثرة فى محبيه والملتفين حوله فى أيام عزه ، وليس كوليرج أيام (هاى جيت) المتأخرة ، ذلك العملاق الذى انهار صرح مجده وانهدت أركان قوته والذى مسخ صورته كارليل مما ألصق به عيباً لا يمحى ؛ ولا حتى كوليرج سنة ١٨١٦ ، الذى طاب للامب أن يضعه (رئيس اللائكة الذى أصابه البلى) فى رسالة صداقية إلى وردزورث. فليس هذا هو الذى يحببنا بكوليرج ، بل الذى يجذبنا اليه ويجعلنا نتعلق به هو تلك الشخصية السامية التى غدت ذكرى عاطرة وفكرة باقية فى ذهن لامب وعلى شفتيه فى تلك الأيام القليلة التى ظل متعلقا بها بإهاب الحياة بعده . وقد قال بصدد ذلك : (لقد مات كوليرج ، ولكن روحه العظيمة الحبيبة لا تزال تكثر من الترداد على . لم أر مثيلا له ولا يحتمل أن يرى العالم ذلك مرة أخرى . ويظهر أننى أحب البيت الذى قضى فيه نحبه بانفعال أشد من الوقت الذى كان يسكن فيه ، فما كان مسكناله أصبح لدى معبدا) … ومع ذلك فان الناس سيظلون يتخيلون ويخمنون فيما كان يمكن أن يتركه كوليرج من كنوز لو أنه لم يشرب الافيون أو لو أنه تمكن من نبذ الميتافيزيقا أو لو أنه اقترن بدوروثى وردزورث ، أو لو أنه أخذ بنصح أصدقائه الذين أرادوا إنقاذه . وقد كتب بهذا الخصوص الدكتور جارنيت قائلا : عاش كوليرج حتى عام ١٨٣٤ ، ولو أن كل سنة من حياته أنتجت ما أنتجه حصول سنة ١٧٩٣ لأصبح إنتاجه أعظم كمية ونوعية من إنتاج معاصريه جميعا . وأما منا بعد كل هذا ، هذا السؤال الملح : أيهما كان مدينا لصاحبه كوليرج أم وردزورث فى غضون مكثهما فى (كوانتوك) ؟ وهذا السؤال — كما يعتقد السرثوماس براون — سؤال محير . ولم نثر هذا السؤال إلا لاعتقادنا بانه لم يوضع له جواب مقنع الى الآن . ومن المعتاد أن يجادل بعضهم فى هذا ذاهبين إلى أن كوليرج استلم أكثر مما أعطى لأنه كان أكثر تأثيرا فى صاحبه ، ولكننا نعارض هذا الرأى لأننا نعتقد بأنه أعطى أكثر مما استلم لأن مجرد وجوده ، بما امتاز به من قوة إيحائية ، جعلت هيمنة شخصيته واضحة الأثر فى خدينه . وما لنا (للتدليل على ذلك) إلا أن نلاحظ بعض الحوادث فى هذا الباب .فقد نظم كوليرج قصيدته (مظلة شجرة الليمون) فى سنة ١٨٩٨ ، و (البرد فى منتصف الليل) فى شباط ١٧٧٨ ، أما قصيدته الجليلة (البلبل) فهى تعود إلى صيف ١٧٧٨ ، والذى نراه فى هذه القصائد أنها أعظم مما أنتجه وردزورث ولو أنها تدعى الآن (وردزورثية) ، ومع ذلك فان وردزورث لم يبلغ ذروة شاعريته فى سنة ١٧٩٨ اللهم إلا باستثناء قصيدته (الشوك) . فبينما كان كوليرج ينظم قصائده الرائعة كان وردزورث يكتب (سيمون لى) و (جودى بليك) التافهتين . وهكذا لم يتمكن وردزورث من نظم ماله قيمة إلا بعد أن كان كوليرج قد أدى مهمته خير الإداء ، وبذا يكون كوليرج هو الذى علم وردزورث الألحان العذاب فحنها هذا الأخير بدوره . أما ألحان قصيدة (النوتى القديم) فكانت فريدة فى بابها عجيبة فى صياغتها ، بحيث لم يأت شاعر بمثلها لا من قبل ولا من بعد ، حتى شكسبير لم يكد يبلغ أوجها على قيثارة (إيريل)

الرمادى ، بعقوبة : يوسف عبد المسيح ثروت

الشجرة الرائدة

للأستاذ أحمد زكي أبو شادي

سيطر الصقيع على الغابة ، وأخذت الرياح الباردة تضرب الأغصان بعضها ببعض . كانت الأيام باردة نهارا وقارسة ليلا . ولكن إحساسا باقبال الربيع نشأ في الغابة ؛ وإذ نشأ هذا الإحساس واجهه شعور آخر مضاد ، وهو الخوف من أن يؤدي التبدل إلى عاقبة أوخم . فقالت كل شجرة لنفسها : « لن أجرأ على أن أكون الرائدة في الاعتراف بالربيع حتى لا تصاب براعيمي بأذى » . وراحت سنديانة عتيقة تحذر جارة لها من عقبى التسرع . فأجابتها جارتها قائلة : « أيتها السنديانة التي كثيرا ما ضربتها الرياح ! ألا يبهجك مهرجان الحياة التي يأتي بها الربيع ؟ » فساد السكون أياماً ، ثم جاء صبح تمكنت فيه أشعة الشمس من مداعبة شجر الحور ، فتفتقت إحداها ، ثم تبعتها بقية الغابة !

* * *

سيطر البرد والصقيع على الغابة واشتد عصف قاسي الرياح
لم يبال البرد المشؤوم بكنز مستسر[1] في هذه الأرواح
أو لعل الصقيع والبرد كانا يحرسان الحياة بالترهيب
فالبراعيم ملؤها خطرات حالمات في مهدهن العجيب
وتمشى في الغابة الحب والشو ق لدانى الربيع وهو بعيد
أترى كانت البراعيم سكرى أم توارت وكلهن شهود ؟
أيحس النبات إحساس صوفي وإحساس شاعر مسجون
هامساً بالصلاة تنشق في الجو حناناً ورعشة للغصون ؟
ثم ساد الأشجار خوف غريب من جديد يكون شر البديل
ربما كان مرهق اليوم نعمى حين تلقى الغد المخيف الوبيل
ومضت وهي في التباع تناجي نفسها ، لا تود مرأى الربيع
لا تود اعترافها بقدوم موشك قد يخونها للصقيع
فبراعيمها حياة لآتيهـــا ، وإيذاؤها هوان وموت
هي أولادها ، كأن قصيداً تدحواها فهن بيت وبيت !
ومضت سنديانة ضربتها قاسيات الرياح عمراً طويل
في حذار تقول للجارة العقبى إذا جازفت وجود هزيل
فأجابت : ألا تسرين من مو كب هذى الحياة حول الربيع ؟
وإيه يا جارتي ! لقد خانك الرأي ، فان الربيع رب وديع !
إنه واهب الحياة وإن لم يبق في ركبه سوى أيام
إنه الخالد المجدد فينـــا حلو أعمارنا بعام وعام !
فأفاض السكون حساً عجيباً بعد صمت كالسحر ران عليها
ثم وافى صبح تجلت به الشمس بإشعاعها حناناً لديها
داعبت في شعاعها شجر الحور ففذر[2] الصبا الزمرد عنها
واستفاقت في إثرها شجرات فتزيت بكل وارف منها !

* * *

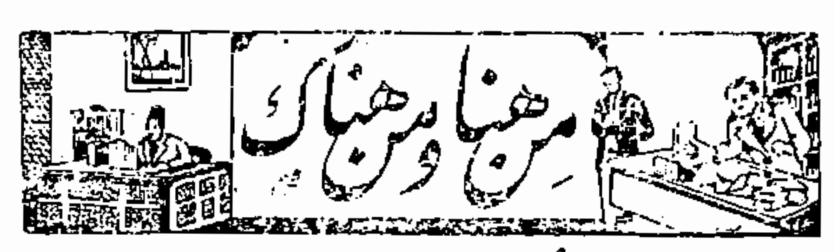
ذاك سر للغابة احتضنته وهو سر النهوض في كل حي
ثورة للتحرر المتناهي واحتقـــار للعجز في كل شي
من يبالي الرياح والبرد لم يسلم ، ومن هم لم يخنه نهوضه
من يهاب الأخطار حامت حواليه ، ومازل من حماه ركوضه
كم شعوب خوف الممات من الموت تمانى ، وما الهامن رائد
هي نهب للجهل والسقم والفقر ، وصيد محلل للصائد !
فلنحي الأشجار في الغابة الحرة ، ولنحي ذكرها في العظات
ولنمجد روح الريادة فيها تلك روح كفيلة بالحياة
كم رموز ملء الوجود تناجينا وتوحي لنا دروس الخلاص
ليس حتماً على الأنام ممات ، إنما الموت صورة من قصاص
ولتكرم من يرفض الموت والذل ، ومن جاء بالبشارة فينا
والذي أخرج الضياء من الظلمة حتى أعز شعبا مهينا !

نيويورك : **أحمد زكي أبو شادي**

---

(١) مستسر — مستتر ومتوار

(٢) فذر — فأطلع



الشاعر الأمريكي همنجوي

يعد إرنست همنجوي في طليعة الكتاب الأمريكيين المعاصرين بل أحد كبار أدباء العالم الأحياء . وقد صدر له مؤخراً كتاب صغير بعنوان « الرجل المسن والبحر » لا يتجاوز ٢٧ ألف كلمة ، كتبه هو وفي مصيفه في كوبا . وقد أثار هذا الكتاب فضول النقاد وجمهور القراء قبل صدوره ؛ وذلك لأن مجلة «لايف» الأمريكية التي يزيد عدد ما يباع منها على خمسة ملايين نسخة نشرت الكتاب بأكمله في عدد من أعدادها قبل أن تذيعه دار النشر بأحد عشر يوما

وللمرة الأولى في التاريخ ينشر كتاب بأكمله في عدد واحد من مجلة ما . وقد علق المؤلف الذي تقاضى من المجلة المذكورة أكثر من ثلاثين ألف دولار على ذلك بقوله : لقد استفزتني فكرة نشر المجلة للكتاب بحيث يكون في متناول مئات الآلاف من القراء مقابل عشرين سنتا . وقد سرني هذا العمل أكثر مما لو كنت ربحت جائزة « نوبل »

وقد مهدت المجلة للكتاب بكلمة مناسبة وأرسلت قبل نشره بعدة أسابيع مسودة كاملة منه لمئات النقاد والصحفيين . أما موضوع الكتاب فهو أن صياداً مسنا من كوبا بعد أن قضى ٨٤ يوما متجولا بزورقه في البحر دون أن يصطاد شيئا أمسكت صنارته في اليوم الخامس والثمانين سمكة ضخمة . ولما كان وحيدا لم يستطع جذب صنارته بصيدها الثقيل ولا شد حبلها إلى الزورق فاضطر إلى أن يظل في جذب ودفع مع السمكة أياما وليالي يعضه الجوع والتعب والألم ويحز الحبل يده . وأخيرا تمكن من إمساك السمكة وربطها إلى زورقه ، ولكنه عاد يكافح في طريقه كلاب البحر ويحاول ردهم عن السمكة . غير أنه لم يبلغ الشاطئ إلا بعد أن كانت كلاب البحر قد نهشت السمكة ولم تبق له منها سوى هيكلها العظمي

هذه هي القصة ببساطتها وروعتها وهي تعد في نظر القسم الأكبر من النقاد أبدع ما كتبه همنجوي حتى الآن . أما هو فقد قال عنها إنها زبدة ما تعلمه في حياته

من شروط القصة

انصرفت أفكار الكتاب أخيرا إلى البحث في حدود القصة وشروطها وأهدافها . ومثل ذلك قام به كتاب القرن الماضي أمثال ستندال وهوجو وبلزاك وجورج صند وفلوبير . وقد كان لكل من هؤلاء الكتاب رأيه الخاص في الأدب القصصي الذي انصرفوا إليه

كان فيكتور هوجو يحمل بشدة على القصص النقلية والوصفية والإنشائية داعيا الكتاب إلى هجر هذا النوع من الأدب القصصي والاعتياض عنه بالأدب التصويري الذي يعبر عن المثل المفيد والقدوة الحسنة والفكرة الناضجة بحيث تكون القصة صورة أمينة للحياة

وكان ستيندال يؤثر القصة التي ترتكز على حوادث بسيطة حقيقية مكتوبة بلغة سهلة وأسلوب طبيعي يكون مفهوما من كل طبقات القراء . ولم يكن أبغض إليه من تلك الوثبات البيانية والبلاغة الانشائية لاعتقاده أنها تصرف الفكر عن إدراك ما في القصة من الحوادث والمرامي والفكر

وكانت جورج صند تعتبر القصة واسطة لإيقاظ العاطفة التي توحي الموضوع ، ولكن بشرط أن يستقيم الموضوع في إطار من الشعور الواقعي العميق

أما فلوبر فقد كان رأيه مخالفا لرأي جورج صند ، كان يريد أن تكون القصة سجلا لحوادث وأفكار ومشاهد واقعية بحتة

وكان بلزاك ، وهو أقدر من عالج الأدب القصصي ، يصرح قائلا أن الحقيقة الأدبية هي غير الحقيقة الطبيعيـة وهي تقضي على القصصي أن يغير ويبدل في أشخـاص روايته بحيث يتحولون إلى أشخاص رمزيين ، وأن يقلل ما استطـاع من تمسكه بالأشخاص الطبيعيين . ومن قوله أن للقصة غاية تهذيبية تجـبره على تصوير الشر ولـكن بشرط أن يرفق هذا التصوير بفكرة أدبية بالغة

هذه هي آراء بعض كتاب القرن الماضي في القصة . أما كتاب هـذا القرن أمثال بروست وجوليني وغيرها فقد انصرفوا من مدة غير بعيدة إلى معالجة هذا الموضوع ولـكنهم لم ينتهوا حتى اليوم إلى نقطة حاسمة

رأي جديد في جان دارك

أصدر الـكاتب المؤرخ جان جريمود مؤلفا حديثا بعنوان « هل أحرقوا جان دارك ؟ » أنكر فيه قداسـة جان دارك معبودة الشعب الفرنسي وأولى بطلاته . وقد أحدث صدور هـذا الـكتاب ضجة في دوائر الأدب وبين أحبـار الـكنيسـة الـكاثوليكية الذين راحوا يناقشون مؤلفـه ويسفهون أقواله . يقول جان جريمود في كتابه إن الإنجليز لم يحرقوا عذراء أورليان في عام ١٤٣١ بل عفوا عنها وأطلقوا سراحها . وهو يستند في قوله هذا إلى ما يأتي : أولا — أن جان دارك التي يقال إنها ابنـة لا بوين فقيرين هي في الحقيقة ابنة لقيطة لدوق أورليـان شقيق كارلوس السابع واليزابث دي بافيرا وقد تبنتهـا أسرة أرك . ثانيا — أن الإنجليز لم يحرقوا جان دارك بل أحرقوا بدلها ساحرة محكوم عليها بالإعدام . ثالثا — أن جان دارك عادت إلى لورانا وتزوجت من شريف خامـل الذكر يدعى روبرت دي ارمواز

ومن الذين ردوا على جريمود الراهب اليسوعي دونكير الذي جعل حياته لدرس تاريخ جان دارك فقال إن كتاب جريمود مملوء من بالأغـلاط فضلا عن خلوه من أية أدلة تاريخية . وفي رأي الـكاتب لوسيان فابر ، الذي ربح جائزة جونكور الأدبيـة ، أن مطالعة كتاب جريمود مسلاة ولـكن براهينه واهية لا تقنع . ولـكن جريمود يؤكد أن البرهان على أصل جان دارك هو في شعارها الذي يحمل الزنبقتين وأكليل شعار العائلة المالـكة ، وأن الفرق الوحيد هو في الخط الذي يخترق الشعار للدلالة على أصلها . ومن قوله أيضا أن جان دارك قابلت كارلوس السـابع في قصر شينون وكشفت له عن أصلها ، وأن الإنكليز الذين أسروها وحاكموها كانوا يعرفون جيدا من هي أسيرتهم ، وأن جان دارك اختفت بصورة غامضة خلال خمس سـنوات قضتها في انكلترا ، وأن المرأة التي أحرقت كانت ساحرة حكم عليها بالإعدام ، وأنهم خلافا لما جرت عليه العـادة لم يسمحوا للجمهور بالاقتراب من المحرقة ، وأنهم سـتروا وجه الضحية بنقـاب كثيف حتى لا تعرف . ومن الأدلة التي أوردهـا جريمود على صحة قوله أن جان دارك عادت إلى لورانا لتقـترن بالشريف روبرت دي ارمواز في أرلون من أعمال لوكسمبورغ ، وأن وثيقة الزواج التي وقعها رئيس كهنة سانت تيبود في متز بتاريخ اليوم السابع من شهر نوفمبر عام ١٤٣٦ تقول : « نحن روبرت دي ارمواز وجان عذراء فرنسا الخ » تثبت أقواله . ومما قاله أيضا أنه سيخصص كل أيام حياته لا كتشاف وثائق جديدة من شأنها أماطة اللثام عن هذه القضية

مذنب عام ١٩٥٤

يقترب الآن من الشمس المذنب المدعو (بون — بروكس) وهو من المذنبات الساطعة المعدودة في الدرجة الخامسة من الإشراق . وستمكن رؤيته بالعين المجردة في طور اقترابه الأخير ويكون موعد تدانيه الأقصى من الشمس في السابع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٥٤

وظهر هذا المذنب للمرة الأخـيرة منذ زهاء السبعين عاما في صيف ١٨٨٣ — ١٨٨٤ وكان يعد حينـذاك في

الدرجة الرابعة من الإشراق وظل باديا للعيان مدى ثلاثة أشهر

أما كاشف هذا الذنب فهو الفلكى الفرنسى جان لويس بون . وقد كشف فى حياته من هذه الأجرام السماوية أكبر عدد تمكن من كشفه عالم واحد حتى اليوم ، ويكفى أن نعلم أنه أعلن وجود ٢٧ نجما منها

ولما عاد الذنب المذكور إلى الظهور عام ١٨٨٣ كشف مركزه العالم و . ر . بروكس وهو كاشف عدة مذنبات أيضا ولذلك نرى هذا الذنب يحمل اسم ذينك العالمين معا

دواء ذرى جديد لأمراض القلب

- فى برقية من شيكاغو أن عددا من أطباء أحد مستشفيات لوس انجليس كشفوا دواء جديدا لأمراض القلب سموه « القتيل الذرى » . ويؤخذ من المعلومات التى أدلى بها هؤلاء الأطباء إلى زملائهم أعضاء الجمعية الطبية الأمريكية أن الدواء الجديد محلول من اليود محضر فى فرن ذرى يحول بهذه العملية إلى أشعة فعالة . ومن معلومات هؤلاء الأطباء أيضا أن لليود فى مثل هذه الحال مفعولا فى غدد العنق يؤدى إلى ارتخاء عام فى أعضاء الجسم الرئيسية وهذا الارتخاء يقلل من ضغط الدورة الدموية فيرتاح القلب ولا سيما فى مرض الذبحة الصدرية

كشف أمريكا والعرب

يؤكد الدكتور جفريس من أساتذة علم تاريخ الإنسان الطبيعى فى جامعة فيترسرند ، أن كولومبس لم يكتشف أمريكا بل العرب هم الذين كشفوها قبله بثلاثمائة أو أربعمائة سنة وأنهم دخلوها عن طريق أفريقية الغربية حوالى عام ١١٠٠ ومن أدلة الدكتور جفريس على صحة هذا الرأى أن كولومبس عندما وصل إلى أميركا وجد فيها مستعمرات صغيرة من الزنوج هم من سلالة العبيد الذين كانوا قد فروا من سادتهم العرب ، كما أن وجود الجماجم فى كهوف جزيرة باهماس يدعم هذا الرأى . ومن أدلته أيضا أن كولومبس وجد فى جزيرة كارايباس زراعة القنب التى جئ بها من أفريقية ، بينما الذرة والنديوكا التى هى من مزروعات أميركا الخاصة كانت تزرع فى العالم القديم قبل ولادة كولومبس . وهذا يدل على أن الذين نقلوا زراعة القنب إلى أمريكا نقلوا هذه المزروعات إلى بلادهم بما فيها الذرة التى كانت تدعى « الحنطة التركية »

كشف نقود عربية قديمة

من أخبار استوكهلم عاصمة اسوج أنهم عثروا فى جزيرة غوتلندا الواقعة فى بحر البلطيق على ألف ومائة قطعة من النقود العربية القديمة يعود تاريخها إلى القرن العاشر للتاريخ المسيحى . وجميع هذه النقود من الفضة ، والكتابة فى أربعمائة منها واضحة لم يؤثر فيها مرور الزمن . والاعتقاد السائد هو أن تلك النقود العربية وصلت عن طريق روسيا إلى تلك الجزيرة الشمالية التى كانت فى ذلك العصر مركزا ممتازا للتجارة والثقافة والمعاملات المالية كافة فى عهد قبائل الفنكس التى اشتهرت فى ذلك الحين

محاضرات ومناظرات

حياتنا الأدبية والفنية

على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

احتشد بقاعة (يورت) بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة السابق آلاف من الناس، لسماع هذه المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين، حتى ضاقت بهم القاعة على رحبها، وامتاز هذا الجمع الكبير بأنه كان يضم أكبر عدد يمكن أن يضمه جمع مثله من الصفوة المختارة من رجال الأدب والسياسة والتعليم، واستغرق الدكتور طه حسين في إلقائها ساعة كاملة وانتهى منها والناس تكاد أكفهم أن تدمى من التصفيق الملتهب، ويمكننا أن نلخص للقراء هذه المحاضرة فيما يأتي : —

أيها السادة :

أعترف لكم أنني تعرضت لكثير من الحيرة قبل أن أقدم على إلقاء هذه المحاضرة؛ فموضوعها غامض من جهة وشائك من جهة أخرى . غامض لأن العهد الجديد — وإن كان شيئا نحسه ونعرفه ونلمسه — فإن فلسفته لم تكتب بعد ولم تؤلف فيه الأسفار ولم تصنف له الكتب، وأنا — كغيري من الرجال الجامعيين — رجل ينبغي عليه أن يقرأ وأن يرجع إلى الكتب وأن يحيط بالموضوع قبل أن يهم بالحديث أو الكتابة

وهو شائك لأنه قد ينتهي إلى مواطن لا يؤمن فيها الزلل؛ فأحاديث العهد الجديد — كأحاديث العهد القديم — إذا اتصلت بالسياسة فربما جرت إلى الزلل أو إلى ما هو أكثر من الزلل !

ولكنني اعتمدت على الله — الذي أعتمد عليه دائما في كل أمر — وجئت للتحدث إليكم وأمري وأمركم إلى الله !

وأول ما ينبغي أن نلاحظه إنما هو حال الأدب قبل العهد الجديد، كيف كان ؟ وبم كان يشكو ؟ وبماذا كان الأدباء يضيقون ؟ والملاحظة اليسيرة تدلنا على أن أول مظهر من مظاهر الأدب قبل أن تشب نار الثورة إنما هو (الخوف) الذي كان يملك على الأدباء أمرهم ويضطرهم إلى كثير من الجهد والحيلة والمناورة والداورة ليقولوا — ما يريدون أن يقولوه — دون أن يتعرضوا لبطش السلطان وتضييق الرقابة، سواء أكانت هذه الرقابة سافرة عند قيام الأحكام العرفية أو مستخفية كتلك التي كانت تفرضها (النيابة) حين تكون الأحكام العرفية نائمة !

ولا أدري هل كنتم تحسون ذلك الخوف أم لا ؟ وإن كان أغلب الظن أنكم كنتم تحسونه وتلحظونه من بين ثنايا ما تقرءون، أما أنا فإني أتحدث إليكم عن علم ويقين؛ ذلك أني كنت أحد الأدباء الذين امتحنوا في العهد القديم، فقد تحدثت خلاله وكتبت أكثر مما تحدثت وكتبت خلال العهد الجديد، وأؤكد لكم أنني لم أكن أفرغ يوما أو ليلة لكتاب أو حديث دون أن أستشعر غضب السلطان علي وبطشه بي إذا كان الغد ! والأدباء — والحمد لله — بارعون مكرة مهرة في اصطناع الحيلة للتخلص من بطش السلطان، بل للعبث بعقل السلطان ! فهم يلتمسون من طرق الرمز ومن التواء التعبير ومن فنون المناورات والمداورات فيما يكتبون وفيما يقولون ما يورط الراقبين في ألوان من الارتباك لا حد لها !. ولقد كنت في أوربا يوما مع الكاتب الكبير (أندريه جيد) فجاءتنا صحيفة تعلن بأن اسماعيل صدقي — في محاربته للشيوعية — قد استطرد فسن قوانين لعقاب الذين يدعون للعدل الاجتماعي ويطلبون الحرية للناس، فضقنا بذلك أشد الضيق، وكتمت في نفسي غيظا بالغا، وأضمرت عزما على مقاومة هذه القوانين، فلما عدت إلى مصر — والرقابة في أوج طغيانها — لم أجد أيسر أو أبسط في مقاومة تلك القوانين من أن ألجأ إلى آيات من القرآن الكريم تدعو إلى العدل بين الناس، وتنادي بحقهم الطبيعي في الحرية

والكرامة ، فأجعلها موضوعا لكتاباتي ، فإن استطاع إسماعيل صدقي أن يصادر القرآن الكريم فقد ورط نفسه ووقع في حرج شديد ، وإن لم يستطع قرئ القال وسمعت الدعوة إلى العدل الاجتماعي والحرية !

ولم أكن منفردا بهذا المكر والاحتيال بل كان الأدباء جميعهم كذلك ، وكانت بينهم وبين (النيابة) حرب متصلة ، وكانوا يقهرون (النيابة) في أكثر الأحيان بما يحذقون من مكر واحتيال !

وهذا أمر — وإن نجا الأدباء من عقابيله — فقد كان يفسد على الأدباء تفكيرهم ويجعلهم منغصين دائما ، فليس من الطبيعي ألا تفكر وألا تكتب إلا وأنت تعلم أن وراءك رقيبا يحاسبك ويؤاخذك ويستطيع أن يجرك إلى مالا تحمد عقباه !

تلك كانت الظاهرة الأولى من ظواهر الأدب قبل العهد الجديد ، وأما الظاهرة الأخرى فهي ظاهرة (الرغبة) .
وأنتم تعلمون أن في الناس ضعافا لا يقدرون على المقاومة ، وإن قدروا يوما فلن يستطيعوا المضي في المقاومة والثبات على متاعبها ومصاعبها ، وأن فيهم الكثيرين ممن يستهويهم الإغراء وتستذلهم المنفعة . وحياة الأدباء — كما تعلمون — معرضة لكثير من الضيق والعنت والإقلال ، فما أيسر أن يضعف البعض منهم أمام مظاهر الإغراء وملحاته فيضعوا أدبهم موضع التجارة والمساومة ، والأدب الذي ينتهي إلى تلك الخسة والمهانة شر ليس وراءه شر ، وفساد للذوق وللخلق وللنفس ، وليته فساد يقف عند حد منشئه ولكنه يتجاوزه إلى قرائه وقد يكونون آلافا من الناس القليل منهم من يفطن للإفساد أو لا يضعف أمامه

ولقد حدثني الأستاذ مصطفى عبد الرازق رحمه الله أن كاتبا من الكتاب كان له راتب معلوم كل شهر من المصروفات السرية ، فإذا جرى عليه هذا الراتب في ميقاته المضروب سكت عن كل معارضة ، وصمت عن كل قول يغضب له الإنجليز أو الوزراء الذين يستانمون الإنجليز .

أما إذا تأخر هذا الراتب عن ميعاده المضروب عارض وثار وكتب — وكان سعد في المنفى — يطالب بعودة (سعد) من منفاه ، فتنتبه إليه السلطة وترسل إليه راتبه فينسى سعدا إلى أن يدور الشهر فيعود فيذكر سعدا !

وهكذا دواليك ! ... هاتان هما الظاهرتان الملحوظتان — في وضوح كثير — على أدبنا قبل العهد الجديد ، وإذا كنت قد فهمت أحاديث قائد الثورة وخطبه وبياناته — وما أشك في أني فهمتها لأنه لا يحسن المداورة ولا يعرف المصانعة ولا يخشى رقيبا ! — فأظن أن أول مظهر لفلسفته إنما هو تحرير المصريين جميعا من الطغيان وهو إذا حرر المصريين من الطغيان فقد حرر أدب المصريين من الخوف ومن الرغبة ومن كل أعقاب الطغيان ، وقد بدأ في ذلك موفقا من غير شك

فالذين يظنون أن الثورة لم تهد — بعد — إلى الأدب شيئا مخطئون ، فقد أهدت الثورة إلى الأدب أن أتاحت له أن يظهر جليا صريحا سافرا لا يلتوي ولا يداور ولا يحتال ولا يخشى عنتا أو بطشا

لقد كان أدبنا تصويرا للبؤس والحرمان والشقاء والظلم الذي كانت الأمة ترسف في أغلاله ، كان مرآة للظلام الحالك الذي كانت تحيا فيه الأمة ، والمرآة في الظلام لا تكاد تعكس شيئا فكنا نفر من هذا الظلام إلى غير مصر ، كنا نبعد في الزمان ونبعد في المكان فنتكلم في التاريخ القديم وفي الأمم القديمة والمعاصرة لنسلي أنفسنا وقراءنا عما نحن فيه من البأساء والضراء

ولكننا اليوم وبعد اليوم سنقبل على حياتنا راغبين في تصورها مطمئنين إليها واجدين فيها ألوانا من الأدب وفنونا من القول لم نعرفهما من قبل .. ولكن هذا ليس كل ما ننتظره من الثورة ، فالأدب والفن أزهار لا يمكن أن توجد أو تزدهر في بلد كثرته جاهلة وقلته متعلمة تعليما ليس خيرا من الجهل إلا قليلا ! وما هو الأدب في حقيقة

الأمر ؟ وما هو الفن ؟ الأدب والفن هما تفكير وتعبير وكتابةً أو قول ، ثم آذان تسمع أو عيون تقرأ ، وقلوب تعى ، وشعور يحس ويتأثر ، وأذواق تذوق فتشعر بالمتعة والجمال ... هذا هو الأدب وهذا هو الفن ، فإذا وجدت القلة التى تفكر وتعبر وتكتب وتتحدث وتذيع ثم لم توجد الكثرة التى تسمع لهـا أو تتذوق منها ، فإن تلك القلة تكون أشبه شئ بالزهرات التى تظهر فجأة فى الصحراء أعقاب الغيث ثم لا تلبث أن تمسها الشمس وتلح عليهـا فيصيبها الذبول والضمور والزوال ... فلا تريحوا أنفسكم ولا تريحوا حكامكم ولا تريحوا ثورتكم حتى يصبح التعليم ماء وهواء وحتى يصل إلى النـاس فى قراهم ومدنهم دون أن يجدوا مشقة أو يلاقوا عناء . ولا تصدقوا أن فى انتشار التعليم — بجميع مراحله — شرا إلا على الذين يؤثرون أنفسهم بالخير من دون الناس ، أولئك الذين يريدون أن يسودوا ليتخذوا الناس عبيدا !

الإصلاح أقوى دعامة

فى قاعة المحاضرات بدار جمعية الشبان المسلمين اجتمع — يوم السبت الأسبق — عدد كبير من صفوة رجال الفكر والعلم لسماع هذه المحاضرة التى ألقاها الأستـاذ محمد فؤاد جلال وزير الإرشاد القومى ، والتى اقتطع الأستـاذ لإلقائها ساعة ونصف الساعة من اجتماع مجلس الوزراء الذى كان منعقدا فى نفس الوقت . وكانت نبرات الأستاذ المحاضر ونغماته — ونغمة الصوت كما يقولون نصف اللغة — تدل على ما بنفس الرجل من رغبة مكينة فى الإصلاح الشـامل السريع ، وعقب عليه — كشأنه دائما — الدكتور منصور فهمى فكان تعقيبه فيضا من الثناء أسبغه على المحـاضر ، والمحاضر ينطوى على نفسه حيـاء وخجلا ! ونلخص المحاضرة بما يأتى : —

عندما نتكلم عن « الإصلاح » فإنما نتكلم عن شئ فكر فيه الجميع وعالجه الجميع واتفق عليه النـاس جميعـا . فكلنا يعتقد بضرورة (الإصلاح) ، الفلاح والعـامل والموظف والسياسى والاقتصادى والاجتماعى وغـيرهم ، ولـكل من هؤلاء أسلوبه الخاص وهدفه الذى يسعى إليه. وتلك الأساليب والأهداف هى — دون سـواها — ما يختلف الناس عليه عندما يتكلمون فى الإصلاح

والإصلاح هو أن ترى فى يومك خيرا ممـا رأيت فى أمسك ، وأن تجد فى غدك أحسن مما وجدت فى يومك ، أى أن تتجه إلى الأمام دائما دون وقوف أو رجوع إلى الوراء

ولـكن : كيف نقوم بهذا الإصلاح ؟ وكيف نحققه فى حياتنا الواقعية ؟ إن الإصلاح يجب — ابتداء — أن تكون له فى أذهاننا صورة واضحة كاملة حتى يمكن أن نتجه إلى شئ له كيان قائم ومعالم معروفة ، وتلك أولى الخطوات فى كل إصلاح بل فى كل عمل ، فإن الأفكار إذا لم تتضح جليا قبل تنفيذها بحيث تعرف لنا دقائقهـا وتفصيلاتها فهيهات أن نستطيع تحقيقهـا . والإصلاح ينصب على حياة الناس من كافة جوانبها وزواياها ، ولن ينهض إنسان إذا قام منه جانب ومال جانب ، فإن الجانب المائل يشد إليه الجانب الذى سمق وارتفع فإذا بهما منحدران معا إلى منحدرهما القديم ؟

والإصلاح لا يقف عند حد ، فما دامت الحياة فهناك إصلاح مطرد ، والإنسان طموح دائما ولن يقف طموحه إلا بوقوف نبضات قلبه ! والمصلحون هم نحن أنفسنا دون سوانا ، ولن يصل أحد إلى دخائل نفس الإنسـان سوى نفسه ، والفرد هو الوحـدة المتكررة التى يتكون منها المجتمع ، فيجب أن يتجه الإصلاح أول ما يتجه إلى عقله وذهنه وسلوكه وبهذا نخلق الوعى بين المواطنين فيصبح طريق الإصلاح ممهدا ويقل ما ننفق فى الإصلاح من جهد وننتفع بما ننفق أكبر انتفاع

على متولي صلاح

أخبار أدبية وعلمية

مؤتمر إسلامي في القاهرة

كانت (الرسالة) أول من دعا إلى عقد مؤتمر إسلامى بينت الدواعى إليه ورسمت الخطة له وأوضحت الغرض منه فى مقال افتتاحى بعنوان (لا بد للاسلام من مؤتمر)

وقد فكر الأزهر اليوم فى الدعوة لهـذا المؤتمر فقابل وكيله هو والمرشد العام للأخوان الرئيس القائد محمد نجيب وعرضا عليه فكرة عقد مؤتمر إسلامى للشعوب الإسلامية بالقاهرة وأوضحا الأهداف التى ستتناولها أعمال هذا المؤتمر

وقد تلقت مشيخة الأزهر من رياسة مجلس الوزراء أن الحكومة لا تمانع فى عقد هذا المؤتمر وأنها ترحب به وأنها ستقدم كل التسهيلات للمشتركين فى هـذا المؤتمر الشعبى الإسلامى

وقد استقر الرأى على أن يوجه الدعوة إلى زعماء المسلمين والهيئات الدينية فى البلاد الإسلامية لحضور المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

وقد ألفت لجنة لتنظيم أعمال المؤتمر تضم ممثلين من مختلف الهيئات الإسلامية فى مصر

والمؤتمر سيبحث بصفة عامة أحوال المسلمين فى جميع البلاد وتقوية أواصر المودة بينهم والعمل على ضم صفوفهم

وكان معروفا من قبل أن المؤتمر سيبدأ جلساته فى شهر مارس المقبل ، ولكن لضيق الوقت رئى عدم تحديد موعد جلسات المؤتمر الآن حتى تتم الوسائل الخاصة به وعندئذ يكون من السهل تحديد موعد اجتماعه

كتاب الروضة الغناء فى أصول الغناء

عثر الأستاذ عثمان الكعاك حافظ المكتبة العمومية بتونس على كتاب نفيس نادر من آثار الاندلس القيمة هو كتاب «الروضة الغناء فى أصول الغناء» وهو كتاب فى علم الموسيقى وأصولها ينتهى فيه المؤلف بعد تحليل كل صوت من الأصوات وذكر فروعها بإيراد الأزجال والوشحات الملحنة فى ذلك الصوت والتى كان يتغنى بها فى عصور الاندلس الزاهرة

خريطة للقمر

نشرت جريدة فلكية أول خريطة شاملة تنشر فى العالم للقمر ، ويقول العالم الذى علق على هذه الخريطة أنه لا بد أن يكون فى القمر سهل فسيح الأرجاء يغطى جزءا كبيرا من المنطقة التى يمكن أن تسمى بالشمالية من هـذا الكوكب السيار ، أما الجنوب ففيه أودية عميقة وجبال عالية تؤلف قممها الشكل الذى يبدو على سطح القمر وكأنه وجه إنسان ، وقد استغرق العمل فى إعداد هـذه الخريطة ١٤ سنة ، وقد صنع الأصل على شكل كروى قطره خمسة أمتار

والمعروف أن أكثر هـذه الخرائط يعتمد على الصور التى تلتقط للقمر فى أوقات شتى بواسطة المناظير المقربة. (ألتلسكوب)

جامعة عائمة يفترمها أغا خانه

كتبت الصحيفة الباكستانية (كريتيك) أن أغاخان سيطالب فى المستقبل القريب بتمويل «جامعة إسلامية عائمة» تنشأ على ظهر باخرة وتجوب موانى الشرق الأوسط حتى يستطيع الطلاب فى علمى الاقتصاد والصناعة دراسة مشاكل الأمم الإسلامية المختلفة

وقد قدم هذه الفكرة من قبل الأستاذ جلال حسين . وقد عرضت مؤسسة فورد أن تدفع لهـذه الجامعة مثل ما يدفع لها أغا خان .

سكان العالم يتضاعفون بعد ٧٠ سنة

تقول آخر احصائيات الأمم المتحدة أن سكان العالم

سيتضاعفون خلال سبعين سنة إذا بقـ - نسبة ازدياد السكان الحالية محافظة على مستواهـا ذلك سيصبح سكان العالم بعد هذه المدة ٥ مليارات و ٢٠٠ مليون تقريبا لأن عدد سكان العالم فى الوقت الحاضر يقدر بحوالى مليارين و ٧٠٠ مليون

تمثال مصرى عمره ٤٠٠٠ سنة

حصل المتحف الملكى فى اسكتلندا على تمثال نصفى مصرى قديم منحوت من حجر ذى لون قرمزى يرجع تاريخه إلى أربعة آلاف عام ، وقد يكون منحوتا من الجرانيت الوردى المعروف ، وقد وصف بأنه مثال بديع لفن النحت فى عهد المملكة الفرعونية الوسطى

ويغلب على الظن أن هذه الآثار من مخلفات الموظفين البريطانيين السابقين فى مصر

خبراء المطر الصناعى يقومون بتجارب فى صحراء مصر

يؤخذ من نبأ ورد من نيقوسيا أن خبراء المعونة الأمريكية سيجرون تجارب لإنزال المطر الصناعى فى صحراء مصر الغربية لإنشاء مناطق لزراعة الفاكهة واستنبات المراعى. وسيعمل الخبراء على تكوين سحب متجمعة فوق المناطق الساحلية تتجه نحو الصحراء ثم تنزل عليها المطر

نقل الروائع العربية إلى اللغات الأوربية

تتابع اليونيسكو إصدار سلسلة الروائع الإنسانية المترجمة ، وكانت قد أنشأت بالاتفاق مع الحكومة اللبنانية لجنة دولية فى بيروت تتولى اختيار هذه الروائع وتشرف على ترجمتها من العربية وإليها رغبة فى ربط حضارات الشرق والغرب . وقد وقع اختيار هذه اللجنة على — كتاب — الإشارات والتنبيهات ، لابن سينا ، وكتاب — البخلاء — للجاحظ — فتولت نقلهما إلى اللغة الفرنسية على أن يترجما فيما بعد إلى الإنكليزية والإسبانية ، وأصدرت أخيرا حلقة ثالثة هى كتاب — أيها الولد — للغزالى

الوصول إلى القمر فى صاروخ

صرح أربعة من كبار الفلكيين فى مجلة (نيوز آند وورلد ريبورت الأمريكية بأنه قد يكون فى الإمكان الوصول إلى القمر فى صاروخ بنفقات هائلة .. ولكن الرجال الذين يكونون فى داخل الصاروخ قد لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة حتى تنتهى الرحلة . ولاحظوا أن الإنسان يحتاج للخروج من نطاق الطبقات الجوية المحيطة بالأرض إلى سرعة تبلغ سبعة أميال فى الثانية . وأن الرحلة تستغرق إلى القمر قرابة عشر ساعات ، وإلى المريخ سبعين يوما . وأن الرحالة يحتاج فى الفضاء الكونى إلى رداء خاص للتجول فى أنحاء القمر ، ومع ذلك فقد يتجمد حتى الموت أو تصدمه ذرة كونية سريعة قد تقتله لكنه لن يسمع صوتا فوق القمر وقد لا يجد زرعا

المسلمون فى بريطانيا

جاء فى الاحصاءات الرسمية إن المسلمين أصبحوا أكبر جالية أجنبية فى بريطانيا ، ويقدر عدد المسلمين الباكستانيين وحدهم بنحو خمسين ألفا . والمسلمون منتشرون فى لندن ومعظم المدن الكبيرة والموانئ ولكن أكثر الأماكن ازدحاما بهم برمنجهام وكوفنترى التى هدمتها القنابل الألمانية خلال الحرب الأخيرة ، ويليها فى ذلك كارديف وجنوب ويلز . ثم مانشستر وليفربول وجلاسكو

ويؤلف المسلمون فى برمنجهام وكوفنترى مجتمعا صناعيا هاما وكثيرون منهم قاموا برحلات كثيرة فى العالم قبل أن يستقروا فى هذه المنطقة ، والبالغون فيهم نحو سبعة آلاف ، وأما المسلمون فى كارديف فهم من بلاد شتى على رغم تآلفهم واتحادهم ، فهم من الأردن وفلسطين ومصر وسوريا والمملكة السعودية والعراق وعدن والصومال والحبشة وشمال أفريقية وزنجبار

ولمصر ٧٣٧ طالبا في انجلترا ويليها في ذلك إيران بسبعمائة طالب ، أما الباكستان فلها ٩٨٠ طالبا

وللمسلمين في انجلترا أربعة مساجد أعظمها مسجد « شاه جيهان » في ووكنج بمقاطعة صرى ، أما المساجد الثلاثة الأخرى فهي في كرديف (في ويلز) ، وايست أند بلندن ، ومسجد الأحمدية في بوتني بلندن أيضا ، وسوف ينشأ مسجد خامس كبير في حدائق المركز الإسلامي ريجنت بارك بلندن ، وهذا غير ١٢ مصلى في بيوت إسلامية أخرى ، أما المسجد الجديد فإن نفقاته لاتقل عن ١٥٠ ألف جنيه تبرعت الحكومة بأرضه وتبرع نظام حيدر أباد بخمسين ألف جنيه له وجمت له اكتتابات بلغت ١٥٠ ألفا

مؤتمر للشعر

سيعقد في مدينة بروكسل مؤتمر هو الأول من نوعه للشعر والشعراء ؛ وقد دعى إلى الاشتراك فيه فحول الشعراء في العالم وذلك لمعالجة مشكلات فن الشعر وانحطاط قيمته الجوهرية عقب الحرب

وسيقام المؤتمر برعاية رئيس وزراء بلجيكا وتحت إشراف هيئة اليونسكو ونادى القلم الدولى والمجمع العلمى الدولى في بروكسل . وسيمثل أدباء العروبة في هذا المؤتمر الشاعر رياض معلوف

الإسلام في أفريقيا

نشرت صحيفة «فيدس» التي تذيع أنباء الفاتيكان الرسمية أن عدد الذين اعتنقوا الدين الإسلامى في أواسط أفريقيا وشرقها وغربها ضعف عدد الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكى وقد أصبحت مجموعات من القرى في بعض أنحاء شرق أفريقيا البريطانى إسلامية بعد أن كانت وثنية منذ عشر سنين

ويقال إن عدد المسلمين ٨٠ مليونا والكاثوليك ١٥ مليونا من مجموع سكان أفريقيا وهم ٢٠٠ مليون و ١٧٤ ألف نسمة

وتقول « فيدس » إن الأسباب التي أدت إلى انتشار الدين الإسلامى هى سهولته ويسره وميزته في ذلك كله على تعاليم الوثنية ومطالبها وشعور معتنقيه بأنه أحد أبناء دين من أعظم أديان العالم واقتناعه بأنه ارتقى من الناحية الاجتماعية عما كان قبل اعتناقه

وتتوقع « فيدس » أن يزداد انتشار الإسلام في أفريقيا بسرعة أشد مما هى عليه في الوقت الحاضر

طلاب الشرق في الجامعات البريطانية

يؤخذ من إحصاء نشره أخيرا المجلس البريطانى في لندن أن عدد الأشخاص الذين يتلقون العلم بالجامعات البريطانية على نفقة المجلس بلغ في السنة الدراسية الحالية ١٦١ طالبا قدموا من ستة وخمسين دولة . وهؤلاء الطلاب من ذوى المؤهلات الجامعية ممن حصلوا على درجات عالية في الدراسات التي تنظمها فروع المجلس المختلفة في خارج بريطانيا . ومن بين هؤلاء طلاب من مصر والأردن وإيران

مبيد للمكروبات جديد

أضيفت حلقة جديدة لسلسلة العقاقير المبيدة للمكروبات باكتشاف البوليميسين (ب) وهو على رأى طائفة من الأطباء الأمريكيين جدير بالقضاء على مجموعة من الأمراض المعدية التي تتحدى منذ طويل جهود علم الطب

والفرق بين البوليميسين (ب) والترامايسين أن الترامايسين فعال الأثر في عدد كبير من الأمراض بينما العقار الجديد قليل الشهية للجراثيم ، ولكنه يختص بمجموعة معينة من الجراثيم خصوصا ما هو معروف منها باسم bacillus pyocyaneus الذى يوجد طبيعيا في أمعاء الإنسان ولكنه لا يستشرى إلا إذا ضعفت مقاومة الشخص أو انعدمت كما أثبت الدكتور إرنست زانتز فائدته في علاج (الزحار) الديسنطاريا الباسيلية المزمنة وبعض أمراض الأطفال

في عالم الكتب: نقد وتعريف

ضرب الكليم

ديوان شعر لشاعر الشرق والاسلام الدكتور محمد إقبال رحمه الله

تعريب الدكتور عبد الوهاب عزام

للأستاذ مسعود الندوى

بين يدى الآن ، ديوان « ضرب الكليم » الذى قام بتعريبه الأديب الألمعى والشاعر المفلق ، صديقنا الأجل الدكتور عبد الوهاب عزام ، أتصفح أوراقه وأسرح النظر فى مرعاه ؛ والذاكرة تستعيد بيت (إقبال) الذى شكا فيه عدم انتشار شعره بين الناطقين بالضاد :

لو أن من به عجم آتش كى أفروخت

عرب زنغمة شوقم بنوزبى خبراست

(لقد أذكى شعرى الجذوة الخامدة فى بلاد العجم ؛ لكن العرب لا تزال تجهل ما أبثه من تباريح الشوق والوجد) قال ذلك (إقبال) قبل نيف وعشرين سنة ، حينما كانت مصر والأقطار العربية مفتتنة بأدب (تاغور) وشعره ، ولا تكاد تلتفت إلى شعر (إقبال) وحكمته الخالدة المستفيضة من معين الكتاب والسنة ، لما استولى عليها يومئذ من نزعات الوطنية المتطرفة . ولو عاش شاعرنا إلى هذا اليوم ، لشاهد بعينيه أنه قد تبدلت الأرض غير الأرض ، وقد هب القوم يستعيدون مجدهم العربى ويحاولون باسترداد عزهم الإسلامى الخالد ، وذلك بفضل دعوة (الإخوان المسلمون) ورجالها العاملين المخلصين الذين حطموا قيود الفرعونية وفكوا أغلال الإقليمية والعنصرية وقاموا فى الأمة ينادون باسم الإسلام ، يحيون له ويموتون فى سبيله . وهذا ما كان يدعو إليه (محمد إقبال) الشاعر الحكيم بشعره الرصين البليغ الممتلئ حكمة وإيمانا . فما أحسن هذه الفرصة وما أوفق هذه الظروف الملائمة لترجمة (شعر إقبال) وعرضه على قراء العربية .

ومن أجل هذا وذاك كان سرورنا عظيما إذ تصدى صديقنا النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام لهذا العمل الجليل ؛ ولعمرى هو خير من كان يمكن أن يقوم بهذا الواجب الخطير فى باكستان والبلاد العربية كلها ، إذ لا يتأتى لكاتب أو شاعر باكستانى أن يفرغ شعر إقبال البليغ فى قالب من العربية فصيح تبقى عليه مسحة من بلاغة (إقبال) وروائه : وقد جرب ذلك كاتب هذه السطور غير مرة فلم يكتب له النجاح . وكذلك لا يوجد فى أدباء العرب وشعرائهم — فيما أعرف — من يعرف اللغات التركية والفارسية والإنكليزية حق المعرفة ، وله اطلاع لا بأس به على الأدب الأردى ، مثل الدكتور عبدالوهاب عزام . فإنه أحاط بمؤهلات الموضوع من جميع أطرافها . أقول فى أدباء العرب وشعرائهم ، وذلك بعدما تتبع الأدب العربى الحديث منذ خمس وعشرين سنة . وجملة القول أن الدكتور عبد الوهاب هو خير من كان يمكن أن يعنى بتعريب شعر إقبال ودواوينه بالفارسية والأردية . ومن حسن حظنا وحسن حظ الأدب والعلم أن انتدب لتمثيل أرض الكنانة فى بلاد (باكستان) فلم تحظ بلادنا فى الست سنين الماضية من استقلالها بسفير أو ممثل سياسى وافق طبيعة الباكستانيين وأذواقهم مثل الدكتور عزام ، غير الأستاذ الأديب السيد عمر بهاء الأميرى وزير سورية المفوض سابقا ، فإنه أيضا استأنس به أهل هذه البلاد كما يستأنس أخ بأخيه ، وذلك لحميته الدينية ونشاطه المحمود فى حقول الأدب والاجتماع

وبعد ، فقد جلست الآن أمام منضدتى لكتابة كلمة أعرف بها ترجمة (ضرب الكليم) العربية إلى القراء وأنوه بالنجاح الباهر الذى أحرزه المعرب فى هذا المجهود الأدبى المشكور ، لكن الحديث ذو شجون والقلم قد اشتطت به الأفكار ، فمعذرة إلى القراء

هـذا الديوان يحتوى على ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط (علاوة على المقدمة وكلمة التعريف). وفى أولها مقدمة « ومدخل » للمعرب بين فيها منهاجـه فى التعريب وعرف بفلسفة (إقبال) والقطب الذى تدور حوله رحى كلامه، حتى يسهل للقارئ، التفطن إلى دقائق تعاليمه وحكمه. وأيضا شكر المعرب فى المقدمة الذين ساعدوه على فهم شعر (إقبال) من أصدقائه فى (كراتشى) عاصمـة باكستان. ثم تلوها كلمة لكاتب من كتاب باكستـان ليشرح بها فلسفة (إقبال) وتعاليمه. والكلمة فى الأصل مكتوبة بالأردية، عنى بتعريبها أو بتعريب « الجزء الأكبر منها » صديقنا الدكتور السيد محمد يوسف الهندى، نزيل القاهرة — ولكنى لم أجد مسوغا لتحلية جيـد هذه الحسناء بمثل هـذه القلادة الشوهاء — وكان من الميسور أن يجد المعرب فى العاصمة رجالا لهم معرفة دقيقة بفلسفة (إقبال) ويقدرون أن يشرحوها أحسن شرح بالعربية نفسها

وهذا الديوان لباب تعاليم (إقبال) وحكمته، جادت به قريحته، وهو فى المرحلة الأخيرة من مراحل حياته، وقد نضجت أفكاره وبلغت حكمته وفلسفته قمة العلو والكمال، إلى أن جعل ينشرها دررا منظومة وغير منظومة. فقد سمى هذا الشعر المبثوث فى هـذا الديوان « ضرب الكليم » أو إعلان الحرب على العصر الحاضر. ومن أجل ذلك، يعد هـذا الديوان خير شئ لمن أراد الاطلاع على فكرة (إقبال) ونظريته فى الحياة ومشاكلها ومسائلها المتنوعة المتشعبة

أما هل نجح المعرب فى إبراز محاسن شعر إقبال فى حلة قشيبة من لغة الضاد، حتى يتأثر بهـا قراء العربية والناطقون بها، فهذا سؤال يصعب الجواب عليه بسهولة. فإن الترجمة — مهما أوتى المترجم من قوة الأداء وملكة البيان — قد تذهب فى أكثر الأحيـان برواء الأصل وبهائه فى الشعر. والذى يقـدر على أن يبقى على طلاوة الأصل وما له من تأثير بعد الترجمة، فلا شك أنه ممن بلغ قمة الإعجاز وارتفع فوق المستوى البشرى المعتاد فى الأداء وقوة البيان. هذا فى الشعر. أما النثر، فله شأن آخر، وفيه متسع للقول. وإذا نظرنا من هذه الوجهة إلى ديوان « ضرب الكليم » المعرب، رأينا أن المعرب قد نجح فى مسعاه وأدى إلى قراء العربية معانى شعر (إقبال) السامية بدقة وأمانة، وبأسلوب عربى نقى، قلما نظفر بمثله عنـد جمهرة الكتاب. وذلك أقصى ما يقدر عليه كاتب وشاعر مهما كان من قدرته البيانية وملكته الأدبية. والمعرب الفاضل يستحق أجمل الثناء وأسنى كلمات الشكر من جميع المولعين بإقبال والمفتتنين بشعره

والكتاب مطبوع طبعا أنيقا على ورق جيد، عنيت بنشره جماعة الأزهر للنشر والتأليف، إلا أننا ما رأينا وجها لإدخال أداة التعريف على (باكستان) فى (سفير مصر لدى الباكستان) فإنه خطأ شائع، ينبغى تجنبه. والدكتور عزام قد استعمل الكلمة (باكستان) مجردة عن لام التعريف فى المقدمة مرارا فلعل هـذه الزيادة ممن تولى الطبع والنشر. وعلى كل، فلجماعة الأزهر للنشر والتأليف، شكرى وتقديرى وتحياتى

مسعود الندوى

شاعر الشعب

تأليف الدكتور سامى الدهان

للسيدة وداد سكاكينى

تقتدى بعض دور النشر فى مصر والبلاد العربية بما تصنع أمثالها فى الغرب فإن ناشرى الكتب يدأبون على إصدار سلاسل شهرية أو أسبوعية تشتمل على كل شائق وطريف يتعلق بالفكر والثقافة، فلما ظهرت سلسلة «إقرأ» ذكرت من فورى سلسلة « لو » الفرنسية، وقد استبشرنا الخير فى ظهور سلسلتنا العربية وفرحنا بالحلقات الذهبية

التى ضمتها إذ شمت نورا وجمالا ، ثم لم نلبث أن رأينا فيها حلقات من معادن لا يجوز أن تسلك مع الذهب فى نظام واحد ، فما كان فى الدهر عقد ذهبى يجمع حلقات من نحاس أو قصدير

فمن هذه الحلقات كتاب « شاعر الشعب » لمؤلفه الدكتور سامى الدهان ؛ تناولته وأنا أحسبه دراسة أدبية مبسطة أو بحثا ممتعا مقربا ، وإذا به موضوع لا يرقى إلى الموضوعات المدرسية المنظمة ، وقد سماه المؤلف شاعر الشعب ليستهوى الجمهور ببراعة العنوان دون أن يدل على المقصود ، فمن هو شاعر الشعب ، وأى شعب أراد المؤلف فى ظاهر الكتاب ؟

أما فى باطنه فهو يعنى بالكلام على شاعر النيل حافظ إبراهيم الذى ملأ صيته الشرق ، وليس بحاجة إلى دراسة خفيفة أو بحث مرتجل ، فرجل الشارع بمصر والبلاد العربية سمع بحافظ إبراهيم ، فما بالك بالمتعلمين والمثقفين ؟ وإنما يعوز حافظ إبراهيم اليوم أن يتصدى لدراسته من يستطيع تحليل شعره وعصره وبحث حياته ووطنيته من شتى نواحيها متعمقا فيها ، مستغرقا أطرافها وخوافيها

ويبدو أن المؤلف الفاضل آثر الراحة ورضى الجمهور والناشر فقد بات أكثر أدبنا بضاعة مزجاة خاضعة لقانون العرض والطلب فى عالم الاقتصاد ، فلم الدكتور الدهان أصول كتابه وفصوله من ديوان حافظ إبراهيم الذى نشرته وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٧ وشارك فى جمع شعره وشرحه وتنسيقه الأساتذة الثقات أحمد أمين وإبراهيم الأبيارى والمرحوم الزين

وقد كتب المقدمة الشاملة العالم البحاثة أحمد أمين فكان من أغرب ما صنع المؤلف أن أهمل ذكر هذا المصدر الفياض الذى استقى منه آمنا مطمئنا غير حاسب أى حساب للمطلعين المتتبعين ، وكان يهون الأمر لو أن هذا المصدر كان لعابرين مغمورين ، لكنه لمعاصرين مشهورين ،

وكانت أمانة العلم تقتضيه ألا يغفل ذكر كاتب المقدمة الذى كفاه عناء البحث والتنقيب

وفى هذا المؤلف الصغير ناقض الدكتور الدهان نفسه كثيرا ، فمرة يقول فى أمر إيجابا ثم يقول فى هذا الأمر سلبا ونفيا ، فمن أمثال هذا قوله إن حافظا لم يتلق ثقافة عميقة واسعة ولا دراسة منظمة ثم يشيد فى مكان آخر بوعى حافظ ومعرفته مساقا مع المعجبين بثقافته ، فيقول (ولا يخطئ الدارس حين يرى فى مجلس الإمام ، مدرسة عالية أو جامعة ثقافية يتخرج فيها الطالب كما يتخرج فى الجامعة سواء بسواء . ولا حرج إذا وجدنا فى صلة حافظ بهذه الدروس والمجالس صلة الطالب بالجامعة فقد أخذ بها حافظ وعب من منابعها فكان فى دار الإمام يتلقى اللغة والحكمة ويقرأ الشرح فى المنار) ويتمرس بالشعر والوطنية

ثم يسرد المؤلف أقوال صحب حافظ من أمثال البشرى وبركات ومطران والعقاد وطه حسين حتى يملأ صفحات من كتابه من هذه الأقوال دون تحليل لها أو تعليل لما جاء فيها . والأصل فى الاستشهاد بالدراسات الأدبية أن يستنبط منه الباحث الحكم والدليل ، ولكن الدكتور الدهان روى الاقوال ونقلها ليزيد فى عدد الصفحات

ومن التناقض فى الحقائق التى سردها المؤلف قوله إن حافظا أجاد شعره فى شبابه ونظم أحسن قصيدة وهو فى الرابعة والعشرين ؛ ثم ذكر بعد صفحتين « هذا بعض شعره وقد جاوز الخامسة والعشرين طبعه بطابع القدماء وليس فيه إلا تهويل وتزويق ، ولا براعة تشع منه ولا اختراع »

ومرة يجد المؤلف مجال القول واسعة فى الكلام على حافظ من ناحية معينة ومرة لا يتجاوز الصفحتين حيث يبغى التفصيل والتعليل ، وذلك حسب نطاق الاقتباس واختصار الأصل ، والظاهر أن المؤلف الفاضل كان فى كلتا الحالين من حكمه وكلامه خاضعا لسياق نفسى واختيار

متخلف عابر

وإن أدب قال فلان وروى عن فلان من غير دليل أو تحليل قد فات أوانه إذ كان من بضاعة المرحلة الفائتة فى أدبنا المعاصر

وكنا ننتظر من الأستاذ الفاضل الدكتور سامى الدهان أن يتحفنا ببحث شائق عن حافظ إبراهيم فى سورية ولبنان ، فقصيدته الرائعة التى قال فيها :

حيا ربوع الحيا أرباع لبنان   وطالع اليمن من بالشام حيانى

حافلة بصور المودة والعروبة ومباهج الطبيعة والجمال ، وهى جديرة بالدرس والمقارنة ، وفيها قال حافظ :

وقد وقفت على الستين أسألها   أسوفت أم أعدت حر أكفانى

وقد اتفق أن كانت نهاية الشاعر بعد هذه الوقفة بشهور . على أن هذه الوقفة الشاعرة الملهمة كان جديرا بالمؤلف أن يستغلها لو مر بها ، فإنها تصلح لانبثاق مسارح العاطفة من شاعر خالد اتفق له أن تنبأ بموته وصدقت نبوءته . لقد سبق المتنبي حافظا إلى مثل هذه النبوءة المحققة حين فارق فارس فقال قبيل فراقها :

وأنى شئت يا طرقى فكونى   أذاة أو نجاة أو هلاكا

ومن عجب أن يقول المؤلف إن حافظا لم يحس بالطبيعة ولم يحدثها أو تحدثه ، وكأنها لم تنقش فى ذهنه إلا كما ينقش الأزميل فى الماء أو القلم فى الصحراء » وقد فاتته القصائد الوصفية التى نشرت فى ديوانه الأخير من ص ٢٠٥ إلى ص ٢٣٩ وفيها مقطوعات وأبيات فى وصف الطبيعة بين السماء والأرض ، وما زال فى خاطرى من عهد الدراسة قصيدة حافظ فى وصف الشمس ، وهل الشمس إلا أم الطبيعة ومحور الكون ؟ وقد وصف شاعر النيل الزلازل والبراكين ، وصور البحر وخفوق الرياح أروع تصوير ، ولم يترك جنان الربيع ولا منازل الجزيرة فى وطنه الجميل

ولا ينبغى أن يغيب عن كفتى ميزاننا الأدبى الحديث أن حافظا وشوقيا والبارودى وصبرى قبلهما لم يعنوا بوحدة الموضوع كما نطالب بها اليوم شعراءنا ، ولروح الشعر العربى طبيعة تختلف عن طبائع الشعر الغربى إذ أن شعرنا لا يخلو من التنوع واختلاف الصور فيه على الرغم من كل تجديد

وثمة كلمة نابية جاءت ص ٣ ذكرها المؤلف وهو يتحدث عن حافظ وشعره فقال « ظل يهذى حتى قال الشعر » وما كان حافظ مهذارا فى شعره ولا هاذيا ، وإن النكتة التى شاعت فى أحاديثه الخاصة لم تكن لتذهب من وقاره وقدره . ولعل المؤلف أراد أن يقول : حاول حافظ الشعر أو غرزم فيه حتى تمرس به

وبعد فإن كتاب «شاعر الشعب» مثل من الدراسات الخفيفة العابرة وما كانت منتظرة وهى على هذه الصورة من مؤلف ولا ناشر ، على أن لمؤلف هذا الأثر الأخير آثارا قيمة تشهد له بالبراعة والاقتدار

داود سلمان كينى

آراء وأنباء

وا إسلاماه !

هكذا سيصيح القارئ بعد ما يفرغ من قراءة مقالى الأستاذ محمود شاكر : أبصر طريقك وباطل مشرق . فالأستاذ الكريم ينظر إلى العالم الإسلامى الآن بعد الغزوين الأوربيين : العسكرى والفكرى ، فيراه قد انقسم إلى طائفتين . فطائفة نسيت ماضيها وتنكرت له . ورأت فى الرجوع إليه مخالفة لروح العصر ؛ وطائفة أهمها ماضيها وعز عليها أن تتنكر له فانبرت تقدمه للناس فى ثوب جديد . لا تألو فى ذلك صبرا ولا اجهادا

والأستاذ الكبير يخاف على الإسلام أشد الخوف من هذه الطائفة « التى اتخذت كلمة الإسلام لغوا على ذنباتها » ومما زاد الطين بلة والجرح ألما نشاط هؤلاء الناس ، وانصراف كل داعية منهم إلى ناحية مدعيا ترميمها وتجديدها على أسس هى « فى جوهرها من الحياة التى أنشأها الغازى الصليبى بيننا . لذلك ، وبسبب هؤلاء فالعالم الإسلامى « مقبل على هزيمة منكرة عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا » هزيمة منكرة ؟ عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا ؟ واغوثاه ! أين هؤلاء المجددون ؟ دلنا عليهم يا أستاذنا ؛ فأنت وحدك أدركت الخطر . وعرفت السر الخطير . دلنا عليهم وإلا فأنت تقاتل فى غير عدو . وليس المجال مجالى . وحسبى أن أنبه من هو أقدر منى ليطمئن الأستاذ على الإسلام وأنه لا خوف عليه من هؤلاء المجددين . فالإسلام صالح لكل زمان ومكان

الصافية عبد الفتاح محمد الجزار

هل فى مصر أزمة ثقافية ؟

دأب كبار المفكرين فى مصر على ترديد دعوى لا برهان عليها وهى « أن الأدب فى محنة » « والثقافة المصرية فى أزمة » وأن الشعر قد مات بموت شوقى وحافظ ، إلى آخر هذه الدعاوى العريضة التى تشغل أعمدة من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية — ويعلم الله أنه لا ضعف ولا نكوص ، وأن مصر اليوم غير مصر الأمس ، غيرها فى كل شئ .. فى عدد القراء ، وتنوع الأدب ، والمستوى الثقافى العام .. ويذكرنى هذا بتعقيب الأستاذ « أبو حديد » على ندوة من ندوات الشعر فى جمعية الشبان المسيحية إذ قال : « وفيما شاهدت أكبر برهان أرد به على دعوى الذين يزعمون أن الأدب فى محنة — فالشعر الذى كان جدولا واحدا لا يتغير فى عهد شوقى ، قد تعددت ألوانه ومذاهبه » هذا ما قاله « أبو حديد » لأنه استطاع أن يبرح البرج العاجى الذى يقبع فيه كبار الأدباء فى هذه الأيام وشاهد بعينيه ندوات الشباب التى لم يكن لها نظير فى عهد شوقى وحافظ ...

ويقول الأستاذ « سعيد العريان » إن الكتاب الجيد لم يعد يطبع منه إلا بضعة آلاف نسخة لا تنفد فى أقل من عامين — فهذا كلام حق ويجب أن يكون — فالقراء اليوم — وهم كثير — قد عرفوا معنى التعاون ؛ فالكتاب الواحد يقرؤه العشرات من طلاب المعرفة بواسطة التبادل الثقافى فيما بينهم وأصبحوا يقصدون دور الكتب المختلفة — خاصة وقد أصبح فى كل مدرسة مكتبة ، وفى كل شارع من شوارع القاهرة وفى كل مدينة من مدن القطر مكتبة أو أكثر تتوفر فيها أسباب الراحة لطلاب المعرفة ..

وإذا أردت دليلا على كثرة القراءة وارتفاع المستوى الثقافى فى مصر فاهبط يوما إلى حديقة الأزبكية حيث تجد -

طرائف وقصص

انتحار

للكاتب الفرنسي جورج مورفير

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه يدرك الإنسان المعنى الذى تنطوى عليه كلمات فلوبير : هنالك بقاع فى العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن سان رومانو وا أسفاه تشبه أيضا ثمرة لذة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذى يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس ؛ فى جنبات المدينة تقابلك الوجوه الذاهلة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفة ... وفى كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : ألا ليتنى وضعت على رقم ٧ ! ... آه ! هذا الأحمر الملعون ، لقد كسب عشر مرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن فى البلد كله من يلقى أدنى التفاتة إلى المناظر الساحرة الأخاذة التى تنبث فيه . كانت الأرض عندهم « روليت » ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠

وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغا لم يكن جد كبير ، غير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نوى ذات صباح كيلا أجد معى سوى اثنى عشر فرنكا مع أنى مدين لصاحب المنزل الذى أقيم فيه

الآلاف من عشاق الثقافات المختلفة يحومون حولها ويحدقون بعيون ظمأى إلى أكداس الكتب البالية المرصوصة على سور الحديقة ، ولا يضنون فى سبيل الحصول عليها بالقروش اليسيرة التى تفضل عن « قوتهم » . أما أن يطبع لهم كتاب جيد ويفتن صاحبه فى انتقاء الورق واختيار الغلاف وتحليته بالصور الجميلة ثم يطلب منهم الثمن الباهظ ، فهذا مالا يستطيعه إلا القليل . وإن أردت التأكد من ذلك فاسأل دور النشر التى تطبع الطبعات الرخيصة فى هذه الأيام كدار الهلال ، ودار كتب للجميع .. وغيرها ، عما تبيعه من هذه الكتب فسوف تسمع ما يسرك وما يجعلك تعود فتقول : حقا إن عدد القراء قد زاد زيادة عظيمة . .

ولقد زاد عدد القراء أضعاف ما كان عليه والمتعلمون لا يزيدون عن المليون . ولقد أصبحت الأفكار والآراء التى كانت وقفا على عدد قليل فيما مضى من كبار المثقفين — فى متناول جميع طبقات الشعب يلفظون بها فى أحاديثهم اليومية ، وقد يتندرون بالمسف منها ، وإن الأدب الذى كان يهلل له جمهرة القراء فيما مضى ، لم يعد يرضى أذواقهم كثيرا فى هذه الأيام . وإنهم ليتطلعون إلى الأدب الحى الذى تصوره الأقلام المصرية الأصيلة أصدق التصوير ولم يعد هذا الجيل يهاتر حول بيت من الشعر ، أو أن كلمة « مرجان » قد أخطأ فيها الشاعر عشر أخطاء أو خمسا . وحينما يرتفع المستوى الاقتصادى فى مصر ويستطيع صاحب القصة أو الديوان طبع قصته أو ديوانه ، ويستطيع القارئ شراء نسخته — فسوف يموت أدب وينتعش أدب . وسوف ترتعد فرائص الذين يعيشون خلف الأسوار — حين يدهمهم هذا السيل الذى ترعف به أقلام الشباب

كيلانى حسن سند

بخمسة عشر فرنكا ؛ لذلك اختبرت مسدسي فألفيته يزخر بست رصاصات قواتل كانت فى ظنى كافيــة لتمزيق رأس فارغ كرأسي. وفتحت نافذتى . كان « صباحى الأخير » رائعا جميلا فالسماء زرقاء صافيــة والأمواج خضراء هادئة والنسيم يسبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطىء لأملأ صدرى المنفعل بهذا النسيم الفواح ... بيد أنى كررت عائدا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعا شديدا ، وفى أثناء عودتى ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية ، وهى صحيفة مثيرة ، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها إبان الطعام فاسترعى نظرى عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بخاطرى دون أدنى انفعال : « هنا سيعلن خبر موتى أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفا محرر هذا الباب الذى سيعلن نعيى فى هذه الصحيفة

وعلقت عيناى بخبر انفرد بعلامة الصليب فى صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثــة جوسو جاكوبسن — أمريكى الجنس — معلقــة فى إحدى النخيل الذى ينمو على الشرفة — وقد وجد فى جيبــه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك — طبعا »

جوسو جاكوبسن ؟ إنى أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنبا إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معه رأيته يتنهد فى عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدى وهزها بحرارة ونظر إلى بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماما ... وداعا يا صديقى » ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يعثروا فى جيبــه على ثلاثة آلاف فرنك ... وماذا تعنى بحق الشيطان هذه الكلمة « طبعا »

ولاح لى قسر كشف لى الأمر وأبان الطريق .. يالى من غبي ! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا المال فى جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسباب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائى رحت أفكر ! كم يا ترى يدسون فى جيبى إذا حزمت أمرى وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقــد خسرت بقدر ما خسر جاكوبسن ... وسربت إلى رأسى فكرة بأسرع مما كان مقدرا أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتا ؛ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق وأكدت له أنى سأدفع له حسابه فى المساء ثم أضفت :

— هذا إذا بقيت حيا ...

— إنا نثق فيك كل الثقة يا سيدى

— إذن فأقرضنى مائة فرنك حتى المســاء ... إنى أنتظر وصول مال من باريس

— بكل سرور يا سيدى

وقضيت سحابة النهــار على الشاطئ حيث وضعت — بروية وإمعان — خطــة السير فى انتحار يعود على بربح وفير

وفى مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابى وقد أبنت للملأ أنى جئت أجازف بآخر ما بقى لى .. وأنى سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت المائة فرنك ... فبدا على الانزعاج فى بادئ الأمر ... ثم انقلبت أعلمل غاضبا حنقا ... وأخيرا بدوت كالذاهل المأخوذ

ورآنى لحالى شاب قامت بينى وبينه معرفة ، وسألنى ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أنى أفلست ، فأخــذ يواسينى ويخفف عنى ثم قال :

— لا تيأس فما زلت تملك نفقات السفر إلى وطنك

إن الكازينو — فى هذه الحال — يتطوع ! فقاطعته بيأس قائلا :

— إن السفر الذي أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة »

فنظر إلى مشدوها وقال :

— لا أحسبك جادا فى هذا القول … آمل ألا تكون قد جننت

فظللت صامتا ، ثم أدرت له ظهرى ورحت أجيل بصرى ذاهلا فى أرجاء المكان بضع دقائق … وقد لمحت أصحاب « الكازينو » يراقبوننى من طرف خفى وانفرط عقد اللاعبين فى الساعة الحادية عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلقى بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعى أصوات كان جنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجعلت وجهتى — وقد أجمعت أمرى — حرشا قريبا من الكازينو ، بقمة هادئة تعد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذى أزمعته ؛ وكان ثمة تمثال من الرخام لغانية من غوانى البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدورى

ودوت فجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد المقاعد فى وضع مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات وسقطت على عينى المسبلتين ظلال المقبلين

— يا إلهى ! . إنه هو …

— يا للمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين معا

وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم … أسرع قبل أن يرانا أحد . تباً له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوقى فشعرت كأنما اندس شئ فى جيبى هنالك ارتعدت قليلا … وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عينى ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى بعناية وحرص ناظرا فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد حولى . وفى عدم اكتراث أخذت قبعتى والمسدس الذى كان ما زال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفا

وكان المحتشدون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام … وقلت فى غضب :

— عجباً لكم يا قوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيدا عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب منى أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال فى تلعثم واضطراب :

— سيدى الفاضل … أرجو … هل … إذا … ماذا تقصد بهذه المهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتعكيرك الأمن

— لتعكيرى الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت الجمع ظهرى واتخذت سبيلى ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديونى من الآلاف الثلاثة التى أخذتها مقابل قيامى بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال ؛ ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إعادته ، إذ اعتبرت أن هذا المال من حقى ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمنا كبيرا لانتحارى

وقد عمدت إلى إغاظتهم ببقائى فى سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس … وقد سمعت أن المبلغ الذى دس فى جيبى قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

محمد عبد الفتاح محمد

لغويات

قطط

أنكر أحد الباحثين استعمال الجمع (قطط) مع أنه صحيح لأنه جمع قطة أنثى القط بكسر القاف فيهما . وهذا الجمع قياسي فهو بديهي لا يحتاج إلى نص . وللقطة والقطط نظائر لا تحصى كثرة

وقد جاء في المعاجم اللغوية : الهرة وجمعها هرر مثل قربة ، وقرب والهرة والقطة متحدتان وزنا ومعنى . وجاء في المعاجم : القردة أنثى القرد وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء ، ومن نظائرها : بدعة وبدع وحكمة وحكم وسلمة وسلع

فقولهم : ذكاء القطط ، ومخالب القطط ... صحيح ، ولنا الحق في أن نقول : قط من القطط (على التلفيق) مثل قولهم خليفة من الخلفاء لأن خليفة جمعه خلائف ، وأما خلفاء فجمع خليف مثل شريف وشرفاء

الدستور في اللغة

الدستور : لفظ فارسي معرب (دستور) بفتح الدال وبدون ال وهو مركب من (دست) أي يد أو قاعدة ومن (ور) أي صاحب فمناه صاحب اليد ويراد بها القوة والسلطة أو صاحب القاعدة لاشتماله على القواعد والقوانين الأساسية التي يعمل بمقتضاها وهو كما ترى بفتح الدال في اللغة الفارسية ولما عرب ضموا الدال ليلتحق بأوزان العرب وقد زعم الحريري أن فتح الدال خطأ بناء على أنه لا يوجد وزن (فعلول) بفتح الفاء وهذا ليس بصحيح ، وله نظائر كثيرة وردت بضم الأول وفتحه مثل : سندوق وصندوق وعصفور ...

جربوع

جاء في (المصباح المنير — مادة ربع) اليربوع : دويبة (تصغير دابة أي حيوان) نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة والجمع يرابيع والعامة تقول (جربوع) بالجيم

وقيل إن اليربوع نوع من الفيران . ويظهر أن شكله يلفت النظر . ومنه ندرك السر في قولهم فلان جربوع وهي جربوعة وهم جرابيع ، وقد اشتقوا منه أفعالا وأوصافا فقالوا : جربوع وتجربع ، إذا صار مثل الجربوع في شكله وهيئته ، والجرابيع اسم بلد بمديرية المنيا

ثقات لا ثقاة

من الأخطاء الشائعة قولهم (ثقاة) بالتاء المربوطة في جمع (ثقة) لأنه جمع مؤنث سالم وهو يكتب بالتاء المفتوحة لا غير ونظيرها صفة وصفات وصلة وصلات وعدة وعدات وهبة وهبات ، والثقة في الأصل مصدر وثق به ومن شأن المصدر أن يوصف به المفرد والمذكر وفروعهما بدون تغيير ، فيقال : هو أو هي أو هما أو هم أو هن ثقة ، وقد يجمع باعتبار إفراده وأنواعه فيقال هم أو هن ... ثقات ، ولعل حضرات القراء يراعون هذا ونحن في عهد التحرر والتطهير

قشطة وقشدة

القشطة لغة عربية صميمة من قشطه يقشطه قشطا مثل كشطه فهي بمعنى المقشوطة مثل القطعة بمعنى القطوعة لأنها تقشط ، وأما القشدة فهي من قشده يقشده قشدا بمعنى قشطه وكشطه أيضا . ولا يخفى أن القشطة خفيفة لطيفة ومألوفة فلماذا نلجأ إلى الغريب نؤويه ، وإلى الميت نحييه ، ونشكك الجمهور في لغته الصحيحة

ومن الغريب أن اللغويين ذكروا لغة أخرى وهي (القشذة) بالذال المعجمة وهي كما ترى أثقل من زميلتها

علي حسن هلالي



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ١٦ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

الفن بخير

للأستاذ محمود تيمور

المسرح يقاسى اليوم محنة عسراء، محنة يدركها وطأتها أهل الفن، ويخشون منها أسوأ العقبى. ولست أعنى مسرحنا المصرى وحده، فالمحنة عامة يصلى نارها المسرح كله فى العالم المتحضر أجمع

لا يغرنك ما عسى أن تراه من إقبال الناس على دور التمثيل، وما تشهد من شغفهم بها فى مختلف الأمم. فإن الحقيقة الواقعة التى يعرفها الواقفون على بواطن الأمور أن المسرح لا يستطيع الثبات فى الميدان الفنى، معولا على نفسه، مكتفيا بقوته؛ فهو فى غالب شأنه ينشد العون، ويلتمس من العوامل المتنوعة مايكفل له البقاء والاستمرار

لقد أتى على المسرح حين من الدهر لم يكن فيه مفتقرا إلى مؤازرة وناصر، وإنما كان فى ازدهاره وتألقه موفور القوة، شديد الأسر، مشارا إليه بالبنان. فأما اليوم فانه يفقد ما سلف له من تألق وازدهار، بل إنه ليبلغ منه

فهرس العدد

٤٠٥١٦

الاضمحلال كل مبلغ ، حتى أن بعض النقاد ليبادرون إلى نعيه ، والترحم عليه ، وما زال فيه رمق ، وما برحت تتردد فيه أنفاس !

ولو صدق هذا التطير بمستقبل المسرح ، لكان ذلك رزءا يثير الأسى ويستتبع الحسرة ، فللمسرح من العشاق والشايعين خلق كثير ، وإنهم ليعدون رحيله عن عالم الفن زوالا لمظهر أنيس جذاب ، صحب الإنسانية ردحا من الدهر وكان له أطيب الأثر فى صقل الأذهان وتبصيرها ، وفى رياضة النفوس والترفيه عنها

فماذا دهى المسرح حتى تغشاه هذا الاضمحلال ؟

وما تلك الأسباب التى تسوغ التشاؤم بمستقبله ، وتوقع القضاء عليه ؟

ربما تباينت الأسباب واختلفت ، بيد أنها تتجمع كلها فى كلمة واحدة ، هى : « السينما »

حقا لقد استطاعت « السينما » خلال ثلث قرن أن تزعزع قواعد المسرح ، وأن تنال من سلطانه ... وهى التى تديل دولته إن كان مقدرا عليه أن يصير إلى زوال

نشأت هذه « السينما » تعمل فى ميدان المسرح نفسه منتهجة أغراضه متخذة أدواته ، ولم تكن نشأتها ضربا من العبث ، أو لونا من التطفل ، وإنما كانت وليدة عوامل طبيعية قضى بها حكم الحياة ونظام العمران

لقد أخذ العالم منذ القرن الماضى يصطنع الآلة فى شتى أسباب العيش ، فكانت « السينما » نتيجة من نتائج هذا التطور الآلى ، وكانت لونا من ألوان التطبيق العملى له ، فهى إذن مظهر طبيعى يلائم العصر ، ويساير التجدد

من سرف القول أن تعد « السينما » خصما للمسرح فالفن السينمائى فى جوهره هو ابن المسرح وربيبه ، تخلق من لحمه ودمه ، واغتذى بلبانه ، فهما مما يتقاسمان عناصر الفن من رواية ومنظر وتمثيل

فإذا أردت الدقة والتعمق تجلت لك « السينما » على أنها امتداد للمسرح ، أو تطور له ، وفقا لحقيقة التجديد وطوعا لروح العصر ، فهى مسرح آلى مستحدث ، يستكمل ما عجز عنه المسرح القديم ، ويخلفه فى أداء رسالة الفن للجيل الجديد

لا غلو فى القول بأن « السينما » قد حلت محل المسرح وقد تناولت منه المشعل ، لتمضى به أسطع توهجا ، وأبعد مدى ، بيد أن هذا لا يمنع أن يبقى للمسرح نوع من الحياة فى إطار ضيق ، وإن فقد ما كان له من سيادة وقيادة

لكأن المسرح قصر عظيم على الطراز القديم ، تكاملت له الفخامة والأبهة . ولكنه لم يعد يوائى العصر الحاضر بحاجاته ومطالبه

أو لكأنه « جنتلمان » هرم يتباهى بمجده ، ويعتز بأرستقراطيته ، ولكنه قاعد متخلف يدب فيه البلى ، ينافسه ما للشباب من فورة ووثبة ونشاط

أو لكأنه مؤسسة نبيلة الغرض ، رفيعة الهدف ، ولكنها لا تملك أن تعيش بما لها من جهد ، فهى أحوج ما تكون إلى ضروب الصدقات وألوان المعونات ، لكى تؤتى ثمارها طيبات

أو لكأن هذا المسرح إمبراطورية عظيمة ، فقدت عناصر المرونة للتطور الحديث ، فلم تعد مواءمة لروح الشعوب التى تحكمها ، فليس لها إلا أن تغدو دويلة صغيرة تساير ركب الدول ، متنحية عن مكان الزعامة الذى كانت تملأه فيما خلا من العهود !

وفى معتقدى أن المحاولات التى يبذلها للمسرح أنصاره ومحبوه ، جديرة أن تشد من عضده ، ولكن هذه المحاولات — مهما تبلغ من قوتها — لا تحتفظ للمسرح بما كان له من مركز الزعامة ، ولا تستطيع أن تزحزح « السينما » عن مكانها الذى سمت إليه ، لتؤدى فيه رسالة الفن على أوسع نطاق

ليس من الخير أن ننظر إلى المسرح و « السينما »

باعتبارها عدوين ، فلنجعلهما يمضيان معا جنبا إلى جنب ، يبذل المسرح « للسينما » ما يبذل الأب لأبنه من عطف وحدب ، وتعرف « السينما » للمسرح حق الأبوة من بر وولاء

لقد تكاثر حديث النقاد في شأن المسرح و « السينما » على تباين واختلاف ... فهذا يقيم من حديثه حفلا تكريميا « للسينما » يؤيد به ما أوتيت من زهو ، وما بلغت من فوز . وذلك يجعل حديثه مناحة أليمة للمسرح ، يسح فيها الدمع الهتون على الفن الشهيد !

ولسنا في هذا المقام نريد تكريما « للسينما » أو تأبينا للمسرح ، وإنما نبغي استكناه ذلك التطور الفني الذي مهد « للسينما » أن تتسنم تلك المكانة ، فساق المسرح إلى ذلك المصير

في الغرب والشرق جميعا جمهرة من المفكرين ينعون على « السينما » أنها ليست من الفن في شيء ، بل إنها تقضي على الروح الفنية التي أذكاها المسرح ونشرها في جوانب المجتمع البشري ، ولهذه الجمهرة من المفكرين معارضون كثيرون ينتقصون من قدر المسرح ، وينادون بأنه ليس إلا طورا من أطوار الفن عتيقا ، لم يعد للتقدم العصري كفئا ، فعلينا أن نقوم على تكفينه ، وأن نشيعه إلى مقره الأخير ، نهيل عليه تراب النسيان !

وأولئك الذين يضيقون « بالسينما » يأخذون عليها أنها « آلية » فهي تعتمد على الآلة كل الاعتماد . وليس ضيقهم « بالسينما » إلا نوعا من ضيقهم « بالآلية » في كل مظهر من مظاهرها في العصر الحديث ، إذ يحسبون أن هذه الآلة لا تمتد إلى لون من ألوان الفنون إلا أفقدته عنصره الأصيل ، وجوهره الرفيع !

فهل صدق الساخطون على الآلة في حسبانهم أنها تقضي على الفن ، أو على الأقل تمسخه وتشوه جماله ؟ وهل الآلة كما يقولون رمز تدمير للحضارة ، وانهيار للعالم على وجه عام ؟

شد ما يغلون في هذا الحكم ! وشد ما يستسلمون لأوهام الفروض والتخمينات حين يستشعرون الذعر من الآلة ، ويقدرون لها أوخم الآثار !

لنكن متفائلين بالعصر الآلي وما ينجم عنه ، وليكن هذا التفاؤل على أساس أن العالم يتطوره متجها أبدا وجهة الخير ، لأن القوة التي إليها مرد الأمر كله في هذا الكون قوة خيرة في صميمها ، وبذرة الخير الكامنة في الطينة البشرية هي التي تدفع به دائما إلى التجدد والتطور ، فهذا العالم ماض إلى الخير قدما ، وإن تعثرت خطاه بأشواك الشر حينا بعد حين

وبرهان هذا ساطع كل السطوع في تاريخ البشرية والحضارة منذ الأحقاب الخالية ، منذ كان الكون سديما إلى أن انبسط أديم الأرض ، ودب على ظهرها الإنسان ، وقامت هذه المدنيات العظيمة على أنقاض الكهوف والغابات

وما برح التطور موصول الخطا ، نحس به فيما ندرك من نواميس الطبيعة ، وقوانين الحياة ، وفيما نتخذ من وسائل الحضارة وأنظمة الاجتماع

وهذا التطور ينتقل به المجتمع البشري من حسن إلى أحسن ، إلا أنه يقتضي مزاولة التجربة بعد التجربة . وهيهات أن يستقر للحياة طور من أطوارها إلا بعد أن يثبت كفايته في ذلك الميزان العظيم : ميزان بقاء الأصلح ... فالأحياء لا يبقى منها إلا ما يصلح أن يكون عونا على تطور الإنسانية والمضي بها إلى الأمام . والأنظمة على اختلاف أهدافها ومناحيها لا يستقر منها إلا ما هو كفء لتوفير الحياة المثلى

وما أقسى هذه التجارب التي يزاولها الإنسان !

وما أكثر ما يكون فيها من تعسف وعنت !

ولكن ذلك كله لا مفر منه لكي تظفر البشرية بالانتقال من طور إلى طور يمضي بها خطوة في سبيل الخير العام

والآلة ليست إلا وليدة ضرورة طبيعية أحس بها الإنسان . وهي نتيجة حتمية للتطور البشري الذي لم يكن منه بد . وإننا لنجد الآلة وقد أتت بالمعجزات في مجال التحضر ، وبها تأثرت مذاهب الاقتصاد ونظم الاجتماع حتى أصبحت هناك قيم للحياة جديدة ، تلائم ذلك التطور الذي أدت إليه الآن في عصرها الجديد

وفي مقدورك أن توازن بين الإنسان القديم ، إذ كانت الآلة لم تخترع ، أو على الأصح حين كانت الآلة في مظهرها العاجز المحدود ، وبين الإنسان الحديث ، إذ بلغت الآلة هذا المبلغ العظيم من القوة والجبروت ، فإنك إذا أجريت هذه الموازنة تجلى لك الفرق شاسعا بين الماضي والحاضر في مجال الرقي الثقافي والاجتماعي ، المادي والمعنوي . وإذن يستبين لك فضل الآلة فيما غمر الإنسانية من رخاء وانتعاش ، وفيما فاض عليها من بركة وخير

وهذه الآلة من صنع الإنسان ، توسل بها إلى أن يختصر المسافات ، وأن يختزل الأزمنة ، وأن يسخر بها ما في الأرض والسماء من قوى وعناصر . وهي في يده ، يحركها بإرادته ، ويسيطر عليها بحكمته . فإن وقف منها موقف الحزم والتبصر استطاع أن يفيد منها ما شاء . فأما إن أساء استعمالها ، وأفلت منه زمامها ، فإنها تدمر مدنياته وتدمره معها . ولكن الأمل وثيق ألا يفقد الإنسان رشده ، وأن يظل ضابطا للآلة في يده ، حتى تكون طوع خيره ... بها يتم نفع العالم ، وعليها تقوم عمارة الكون

وإن صحبة الإنسان للآلة فيما يمارس من أسباب عيشه ومرافق حياته ، ستخلق منه إنسانا جديدا يتخذ له في نظامه الاجتماعي طرازا جديدا ، وإذا هو يتطور في نزعاته النفسية ، وفي مطالبه العقلية ، وفي ذوقه الفني ، وفق التطور الحديث الذي تسنه الآلة على المجتمع البشري

ما من شيء كانت تصنعه الأيدي إلا وقد امتدت إليه الآلة تصنعه ؛ والناس إزاء هذا يتناقلون أن «شغل اليد» هو العمل الفني ، وأما صنع الآلة فهو عمل غير فني . وحجتهم في ذلك أن اليد تعمل بوحي الإنسان ، وتستمد حركتها من رأسه وعاطفته ، فالإنسان ينفض نفسه في كل وحدة من وحدات عمله الفني ، وأما الآلة فتستمد قوتها من محركات صماء

وللناس في تعزيز هذا الرأي ضروب من التمثيل . فهم يضربون المثل بالحلة المفصلة على قد إنسان بعينه ، فيرونها ألبق بصاحبها ، وأدق صنعا وأوفر فنية ، من الحلل المجهزة على أقيسة عامة ... وكذلك الصورة الزيتية ، يرونها أروع من الصورة « الفوتغرافية » أو الصورة الطمية الملونة ، فهذه آلية وتلك يدوية ... وكذلك الصوت لا يسحر السامع إذا سمعه من الحاكي أو المذياع ، قدر ما يسحره إذا سمعه من فم المغني نفسه

وأنت قد تجد في زخرف هذه الحجة التي يسوقها الناس مظهر الحق ، ولكنك إذا أنفذت بصرك إلى الأعماق تكشفت لك حقائق لا تبغي عنها حولا . فإن هذه الآلة التي نزري بها وجدت منذ وجد الإنسان ، منذ خرج من إطار الحيوانية الغافلة إلى مستوى البشرية المفكرة . وقليل من التدبر يقنعنا بأن الآلة هي العنصر الأساسي في بناء الدنيات منذ فجرها الأول ... ولعل ما نسميه « شغل اليد » لا وجود له بالمعنى الحقيقي في تاريخ الإنسان . فالمغزل والمنسج والإبرة في أطوارها الأولى ليست إلا آلات بدائية . والرقم للرسام والأزميل للمثال كلاهما آلة ، ولماذا نذهب بعيدا واليد نفسها ليست إلا آلة توسل بها الإنسان للقيام بعمل فني ؟

فهذه الوسائل والوسائط ، أو بتعبير آخر : هذه الآلات البدائية ، ظلت تقوم بالأعمال الفنية ، يسيطر عليها الرأس ، وتوحي إليها العاطفة ... ثم تطورت مع الإنسان آلاته ، تساير حاجاته ، وتواتيه بمطالبه ، حتى انتهى بها الأمر إلى هذا المظهر الآلي العجيب المعقد الذي بدأنا نخشاه ..

أرأيت إذن أن تلك الآلة الحديثة ليست إلا امتدادا وتطورا للآلة القديمة التي عاصرت الإنسان منذ درج الإنسان ؟

دونك « الكتاب » مثلا ... ذلك الذى نحوطه بالتقديس ، ونعده ذخرا وموئلا للعلوم والفنون والآداب ، ونرى فيه مرآة العقل الإنسانى ، والفكر البشرى ، ومن ثم نخشى عليه أن تنال منه « الآلية » الحديثة التى تكمن فى « الراديو » و « السينما » وما إليهما ، ونطلق صرخة الرعب والفزع ، طالبين حماية الكتاب من هذه الويلات ... بل إن فينا من يقول بأن ثقافة المستقبل سيتطرق إليها الوهن إذا ضعف شأن « الكتاب » وانتسخ ظله ، وأنه ليس من شئ يقوم مقامه ويعوضنا عنه ، وينهض بالعبء الذى نهض به

والحق فى ذلك أن « الكتاب » ما هو إلا سجل يضم نتاج القرائح ، ويحوى عصارات الأذهان ، وماهو إلا مظهر للتعبير عن الإحساسات والمشاعر ... وقد كان هذا « الكتاب » يوم كان لوحا محفوظا فى الذاكرة يتلقاه الأخلاف من الأسلاف ، وكان كذلك أحجارا وجلودا ولحاء شجر ، ثم كان بعد ذلك مخطوطا على الأوراق لا تزيد نسخه على العشرات . فلما جاء عصر الطباعة اتخذ « الكتاب » هـذا الشكل الحديث ، وأتيح له ذلك التعميم ، فهو مدين للآلة بما بلغ من جاه عريض ، وصيت بعيد

وما دام « الكتاب » فى حقيقة أمره وسيلة تعبير ، فلا ضير على المدنية الحديثة إذا اصطنعت لها وسيلة أكثر ملاءمة للتطور ، وأبعد مدى فى تحقيق الغرض . ولن تكون الوسيلة المستحدثة إلا امتدادا « للكتاب » فى مظاهر آخر هو أقرب إلى روح العصر ، وأدعى إلى نشر الثقافة بين الناس ، وإذن فالآلة تخدم غرض « الكتاب » ، وإن كانت فى الظاهر تحمل « الكتاب » . فهدف الآلة دائما هو التيسير ، هو أن تتيح للجمهور الأكبر ما هو متاح للخواص من استمتاع وإنتفاع ، وكذلك تعمل الآلة على أن توفر من الجهد ، وتقتصد فى الوقت ، ليستفاد بذلك فى ميدان الابتكار والتجديد والتجويد

وإليك الغناء مثلا آخر ، فالمغنى لا يملك إلا أن يسمع طائفة من الناس فى زمن مخصوص ، وبذلك يقتصر الاستمتاع به على القليل ، ولكن الآلة تنهض بدورها فى إشاعة هذا الصوت المحبب ، وفى تقريب مناله من الأسماع فى كل زمان وفى كل مكان

وكذلك الشأن فى التمثيل ، فالرواية التى تشهدها جمهرة لا تتجاوز بضع مئات ، بأجور مرتفعة لا تتيسر للكثير ، تستطيع « السينما » أن تبذلها للألوف بثمن بخس ، فى قدرة على التنقل ، وفى حرية من الوقت ، وتمكن من التكرار ، وأمان من وطأة التكاليف

على أن الذين يسلمون بأن « السينما » تيسير للفن ، وتعميم له ، يتساءلون : أليس التيسير يسئ إلى الفن ؟ أو ليس تعميمه يدعو إلى تبسيطه ، والنزول به عن مستواه الرفيع ؟

والجواب عن هذا التساؤل يصدق على « السينما » كما يصدق على المذياع والكتاب . ولقد كان الكتاب وما يزال درجات ، فيه الرفيع الخاص ، وفيه المنخفض العام ... وما شأن « السينما » والاذاعة إلا كذلك ، يجب أن يكون فيهما لكل طالب حاجته ، ولكل مستوى ما يناسبه

والواقع أن تيسير الفن لا يحط من الفن ، بل أن هـذا التيسير سبيل إلى أن يتذوق الشعب ما يقدم له من الأعمال الفنية ، فتتأثر بها نفسه ، ويرتفع مستواه ، ويصبح للفن عونا على النهوض والازدهار ...

والذين يأخذون على « السينما » أنها آلية ، ويؤثرون عليها المسرح لأنه غير آلى ، ينسون أن المسرح نفسه يتخذ من الآلات ما يعينه على بلوغ أغراضه ... فأنت إذا دخلت مسرحا من المسارح الراقيـة ألفيت نفسك فى مصنع كبير تحتشد فيه عدد وآلات ، يستكمل بها المسرح عناصر

التمثيل ، ويتلافى ما فيـه من نقص وعجز ، ويساير بها ما بلغ الفن من تقدم وتطور ، وقد يبعثك هـذا الذى تراه على القول بأن هـذه « السينما » لم تكن إلا عونا من الآلة على تحقيق أحلام فنيـة لم يستطع المسرح تحقيقها فى نطاقه الضيق ، ووسائله المحدودة

ولتجدن كثيرا من المتعصبين للمسرح يقولون :

حسبك من ميزة له على « السينما » أن عماده وجوهره هو الممثل الحى ، هو ذلك الذى تراه بشرا سويا حيالك ، تملأ منه عينك ، وترعيه سمعك ، فأما « السينما » فما هى إلا أخيلة وأطياف ، والفرق واضح بين حقيقـة ماثلة ، وخيال موهوم !

والهاتفون « بالسينما » لا يعدمون ردا على المتعصبين للمسرح بهذه الحجة ، فهم يقولون بأن فنية التمثيل لا تزيد فيها واقعية المسرح ، ولا تنقص منها خيالية « السينما » .. إذ المعول كله على الإجادة والإتقان ، حتى يتيسر بذلك اندماج المتفرج فى العمل الفنى المعروض ، فإذا هو يستجيب لما يسمعه وما يراه

واعتبر ذلك بالغناء ، فإن الأغنية الرائعـة هى التى لا تـكاد تهز أوتار سمعـك حتى تهتز أوتار قلبك ، فإذا أنت تفنى فيها ، وتحلق معها ، وذلك هو جوهر الإمتاع بالسماع ، فأما الأغنية التافهة فهى التى لا تتجاوز الآذان هى التى تضل الطريق إلى مشاعرك ، فلا استجابة بينك وبينها ولا اندماج

وكذلك الشأن فى التمثيل ، فهو يقوم فى جـودته وإتقانه على أن ينسلخ المتفرج مما حوله ، ويمضى فى مساق القصة المعروضة ، يعايش أجواءها ، ويعاشر أشخاصها ، ويشاركهم مايزاولون من تجربة إنسانية صادقة غير مكذوب بها على الحياة

وربما تلقف أنصار « السينما » هذا القول بالتعويل على فنية التمثيل ، فاتخذوا منه حجة للفن السينمائى . قائلين :

إن المسرح فن ناقص ، إذ يشعرك فى كثير من ظواهره بأنك أمام أخشاب ملونة ، وأوراق مقواة ، ومناظر ملفقة سرعان ما تصدمك ، فتعيد إليك وعيك ، وتحول بينك وبين الاندماج فيما تحاول تمثيله من واقع الحياة . وأن مناظر البحار والأنهار ، وتمثيل الغرق والحريق ، وتصوير البواخر والقطارات والطائرات ، لتخفق الإخفاق كله على منصة المسرح ، بل أنها لتبعث على الهزؤ والسخرية ... ومن ثم لجأ المسرح الحديث إلى الرمز يستعين به على التأثير ويعالج به أن يوحى إلى الأذهان بالجو المنشود فى القصة المبسوطة . ولـكن « السينما » بمنجاة من ذلك النقص ، فالوسائل فيها أقوى على تصوير الواقع ، وتمثيل الحقيقة ، إذ أنها تنقل المشاهد والمواقف ، بحيث لا يشك ناظر إليها فى أنها قطعة من الحياة لازيف فيها ولانشوز ولااستكراه ، وبذلك يبلغ الفن السينمائى ذروته فى ضمان التأثير ، وفى تنويم الوعى ، وفى تيسير الاندماج بين النظارة والتمثيل

ومما يثيره أنصار المسرح فى مجال الموازنة بينه وبين « السينما » أن الممثل المسرحى يشمر بشخصيته كاملة يعبر عنها يوما بعد يوم فى طلاقة وتجدد . فإنه فى الرواية الواحدة يستطيع أن يتشكل ويتطور فى أدائه لدوره ، كلما مضى فى تمثيله مرة بعـد مرة . وفى هذا التشكل والتطور تتوهج شخصية الفنان وتتألق

على أن أنصار « السينما » يرون ذلك حجة على المسرح لا حجـة له ، إذ أن العبرة فى أداء العمل الفنى بإجادته وبلوغ أعلى درجاته . والممثل الذى لا يتقيد فى أداء دوره كلما أعاد تمثيله هو الممثل الذى يعلو مرة ويهبط أخرى ، والمتفرجون فى هذا هم المظلومون ، إذ تتفاوت حظوظهم فى مشاهدة الرواية الواحدة للممثل الواحد . فمنهم من يرى الممثل فى الذروة ، ومنهم من يراه فى الحضيض . فأما فى « السينما » فالمتفرجون جميعا يرون الممثل دائما فى درجة اتقانه القصوى ، تلك الدرجة التى سجلتها له « الـكاميرا »

وهو فى أحسن حالاته . ومثل هذا يقال فى الغناء ، فإن المغنى يظل يمارس تجاربه حتى يستوفى ، ثم يسجل صوته وهو فى أوج اكتماله وازدهاره

وفى مناسبة هذا الحديث عن الغناء يقول المعترضون على « السينما » إنها لا تنقل إليك صوت المغنى على طبيعته وإنمـا تنقل إليك صوتا آخر يقرب أو يبعد عن ذلك الصوت الطبيعى ، فإذا سمعت المغنى عينه ، وسمعت صوته مسجلا من بعد ، أدركت الفرق واضحا كل الوضوح ، وربمـا كان ذلك الصوت المسجل خيرا من الصوت على طبيعته ، ولـكنه على أية حال تزييف وتبديل

والذين ينتصرون « للسينما » يجيبون من هـذا بأن الأمر لا يعدو إحدى اثنتين ، فإما أن يكون العيب عيب الآلات التى لم تبلغ حد الـكمال حتى اليوم فى نقل الأصوات ولا ريب أنهـا بالغته بفضل ما يجرى فيها من تحسين وإتقان حتى تؤدى كل صوت على حقيقته . وإما أن هذا التغيير الذى نلحظه فى نقل الأصوات تغيير مقصود ، يراد به معالجة ما عسى أن يكون فى صوت المغنى من قصور . فالآلة السينمائية تهدف إلى أن تقدم الأصوات قوية صافية مصقولة ، فهى تحتفظ بجوهر الصوت ، ولـكنهـا تعالج ضعفه ، حتى تصل به إلى الغاية الفنية الموجودة

وإذا كان الفن الرفيع هو الفن الصادق فى نقل الحياة فلا ينـال من رفعة الفن أن يعمل على تجميل ما ينقله من ظواهر الحيـاة ، ووفقا لهذا نبتت فكرة المناظر السينمائية الملونة ، فذلك تجميـل للمناظر الطبيعية يكفل الخـلابة وحسن التأثير

ومـما يعاب على «السينما» ما يسمى «الفوتوجنيك» أى القابلية للتصوير السينمائى ، فلقد يظفر وجه بإعجاب « الـكاميرا » فتسجله رائما يسحر الأعين ... ولقد تغضب « الـكاميرا » على وجه ، فلا تبدو فيه وسامة ولا فتون . ومن أعجب العجب أن تسيطر على هذا هذا المنح والحرمان آلة صماء !

والعيب فى ذلك أنه يحد من المواهب الفنية التى تتوافر لوجوه لا توهب منحة « الفوتوجنيك » وإن كانت هذه الوجوه فى حقيقتها وافية الملاحة والجمـال ؛ موفورة الحظ من حسن التقويم

والرد على هذا عند من ينتصر « للسينما » أن العصر الحاضر يركن إلى المخترعات الدقيقة الحساسة يستجلى بهـا الدقائق ... وفى مجالات العلوم والفنون والآداب تتخذ آلات خاصة للـكشف عن الحقائق المستورة التى لا تنالها الأعين ولا تدركها الأفهام . وقد بات واضحا أن هـذه الحواس الخمس المعرفة لم تعد كافية فى استجلاء الأشياء ، والحـكم على جوهرها الأصيل ، وما الجمـال إلا حقيقة من حقائق الحياة الـكبرى ، فلا ضير علينا إن استعنا بالآلات البصيرة الـكاشفة لاكتناه أسرار الجمال . ولعل هذه «الـكاميرا» أنفذ بصرا عما يكمن من الفاتن ، وما يدق من القسمات ، فهى تكشف لنا عنها ، وتقرب منالها من العيون

ومهما يكن من قول يساق لنصرة «السينما» أو للدفاع عن المسرح ، فلا أثر لذلك كله فى حـكم الزمن وطابع العصر . فما أشبه أحـكام الأزمنة وطوابع العصور بأقدار تجرى ، لا يملك ردها أحد !

ومما لا مرية فيه أن « السينما » ماضية فى طريقهـا ، تحمل راية عصر الآلة الذى نعيش فيه ، ولا منجاة لنا منه بشقشقة الألسن ومنطق العقول

فإذا شاء عشاق المسرح ، الأوفياء لعهده ، أن يخدموه وأن يطيلوا من عمره ، وأن يفسحوا له الميدان الفنى يؤدى فيه رسـالته ، فلا سبيل لهم إلا أن ينأوا بالمسرح قـدر ما يستطيعون عن المجال الحيوى «للسينما» ، حتى لا ينافسها فى نطاق عملها الذى تؤديه فى قوة وجبروت . وكلما عملنا على أن نجعل لـكل فن مجالا خاصا به ، وأمضينا كل فن فى طريقه ؛ كان لنا أن نأمن مغبة التنازع والاضطراب

وقد نشأت « السينما » فى عهـدها الأول صامتة ،

فتركت للمسرح روعة الحوار ، وأنس الحديث ، واختصت بسرعة الحركة والإشارة ، والوفاء بالمشاهد والمناظر ، فكان « للسينما » فن خاص بها ، وللمسرح فن خاص به ... فأما الآن وقد نطقت « السينما » وغلبت المسرح على أمره فيما كان من خاصة شأنه فقد وجب أن تنحو بالمسرح نحوا جديدا يجنبه عنف ذلك الفن الآلي القادر فنخص المسرح بموضوعات تخلو من عناصر الموضوعات السينمائية التي تعتمد على سرعة الحركة ، وكثرة الأشخاص ، ووفرة المواقف والمناظر ، وفخامة الملابس والأشياء المعروضة ... ولتكن مناظر المسرح ومواقفه وملابسه أقرب شيء إلى الرمز حتى لا ينافس « السينما » في مجال هي صاحبة الغلبة فيه على أية حال

وعلينا أخيرا أن نؤمن بأن المسرح ليس إلا مظهرا للفن ، وأن الفن جوهر يتطور مظهره ويتغير ؛ فهو بالأمس مسرح ، وهو اليوم «سينما» وقد يكون في الغد القريب أو البعيد شيئا غير «السينما» . وغير المسرح جميعا ... فلنكفكف من غلوائنا في تقدير المظاهر ، مادام الفن في جوهره بخير

محمود تيمور

شعراء الوطنية

٣ – البارودي

(١٨٤٠ – ١٩٠٤)

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي

محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة ، وباكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث ، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين ؛ فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود

كانت نشأته علمية حربية . تخرج من المدرسة الحربية وبدت عليه سليقته الشعرية وهو بعد في عهد التلمذة . وانتظم بعد تخرجه في سلك المناصب المدنية ثم العسكرية وخاض غمار الحروب في ثورة كريد سنة ١٨٦٦ . وفي الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ ، فصقلت المعارك مواهبه الشعرية

وكان من زعماء الثورة العرابية . وتولى رآسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢ . ثم كانت الهزيمة . ونفى مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل في منفاه نيفا وسبعة عشر عاما . وأسبغ عليه النفى سمات التضحية والبطولة .

الحنين إلى الوطن

كانت حياة الزعماء في منفاهم حياة ألم وحزن . إذ انقطعت صلتهم بالناس . وطال اغترابهم عن أرض الوطن ، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم . ولم يكترث لهم أحد . ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب !) وجادت قريحة البارودي بشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن . والحزن على فراقه ، مما يعد آية في البلاغة . وبلغت سليقته الشعرية في منفاه ذروة العظمة والجلال

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المها مني
فشبت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة
إلا شد ما ألقاه في الدهر من غبن

إلى أن قال :

ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري أن يعود فعزني وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
وما هي إلا خطوة ثم أقلعت
بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن

فكم مهجة من زفرة الشوق فى لظى
وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن
وما كنت جربت النوى قبل هذه
فلما دهتنى كدت أقضى من الحزن
ولكننى راجعت حلمى وردنى
إلى الحزم رأيى لا يحوم على أفن
ولولا بنيات وشيب عواطل
لما قرعت نفسى على فائت سنى

الصبر على الشدائد

وتجلت فى منفاه صفاته العالية من الشمم وعلو النفس واحتمل آلام النفى بشجاعة وإباء . وصبر وإيمان . وله فى ذلك شعر يفيض بهذه المعانى السامية

قال وهو فى سرنديب (سيلان) :

لم اقترف زلة تقضى على بما أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلماً واغترب ؟
فلا يظن بى الحساد مندمة
فإننى صابر فى الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت
أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية
ولا يشيد بذكر الخامل النشب (1)

وقال مشيراً إلى مصادرة أملاكه :

يا ناصر الحق على الباطل خذ لى بحق من يدى ماطل
أخرجنى عما حوته يدى من كسبى الحر بلا ناطل (2)
من غير ما ذنب سوى منطق ذى رونق كالصارم القاطل (3)
فإن أكن جردت من ثروتى
فقضل ربى حلية العاطل

(1) النشب المال والعقار (2) الناطل الشئ القليل
(3) القاطل القاطع

وقال من قصيدة أخرى فى مقاومة الظلم والصمود أمام المحن والخطوب :

إذا المرء لم يدفع يد الجور أن سطت
عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته
أضر عليه من حمام يؤده
وأقتل داء رؤية العين ظالماً
يسئ ويتلى فى المحافل حمده
علام يعيش المرء فى الدهر خاملا
أيفرح فى الدنيا بيوم يعده ؟
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش
بها بطلا يحمى الحقيقة شده

ومن قوله فى الحنين إلى الوطن والصبر على الشدائد :

فيادموع القطر سيلى دما ويا بنات الأيك نوحى معى
وأنت يا نسمة (وادى) النضا
مرى برياك على مربعى
وأنت يا عصفورة المنحنى بالله غنى طربا واسجعى
وأنت يا عين إذا لم تفى بذمة الدمع فلا تهجعى
أبيت أرعى النجم فى سدفة ضل بها الصبح فلم يطلع
فهل إلى الأشواق من غاية أم هل إلى الأوطان من مرجع
لا تأس يا قلب على ما مضى
لا بد للمحنة من مقطع

يتمنى أن يرى مصر

وقال فى منفاه يتمنى أن يرى مصر :

يا حبذا جرعة من ماء محنية
وضجعة فوق برد الرمل بالقاع
ونسمة كشميم الخلد قد حملت
ريا الأزاهر من ميث وأجراع (4)

(4) الميث جمع ميثاء الارض اللينة

يا هل أرانى بذاك الحى مجتمعا
بأهل ودى من قومى وأشياعى ؟
وقال فى هذا المعنى :
أبيت حزينا فى (سرنديب) ساهرا
طوال الليالى والخليون هجد
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة
نزت بين قلبى شعلة تتوقد
شباب وأخوان رزئت ودادهم
وكل امرئ فى الدهر يشقى ويسعد
وقال أيضا فى منفاه :
ردوا على الصبا من عصرى الخالى
وهل يعود سواد اللمة البالى ؟
ماض من العيش ما لاحت مخايله
فى صفحة الفكر إلا هاج بلبالى
أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبال
لا عيب فى سوى حرية ملكت اعنتى عن قبول الذل بالمال
قلبى سليم ونفسى حرة ويدى مأمونة ولسانى غير ختال
بلوت دهرى فما أحمدت سيرته فى سابق من لياليه ولا تالى
حلبت شطريه من يسر ومعسرة
وذقت طعميه من خصب وإمحال
لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه إلا صحابة حر صادق الخال
وأين أدرك ما أبغيه من وطر
والصدق فى الدهر أعيا كل محتال
لا فى (سرنديب) لى إلف أجاذبه
فضل الحديث ولا خل فيرعى لى
أبيت منفردا فى رأس شاهقة مثل القطامى فوق المربأ العالى
إذا تلفت لم أبصر سوى صور فى الذهن يرسمها نقاش آمالى
علام اجزع والأيام تشهد لى
بصدق ما كان من وسمى وأغفالى
راجعت فهرس آثارى فما لمحت
بصيرتى فيه ما يزرى بأعمالى
فكيف ينكر قومى فضل بادرتى
وقد سرت حكمى فيهم وأمثالى
أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
وإن غدوت كريم العم والخال
ولى من الشعر آيات مفصلة تلوح فى وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته ويهتدى بسناها كل قوال
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
فى صفحتيه فقولى خط تمثالى
ولا تغرنك فى الدنيا مشاكلة بين الأنام فليس النبع كالضال
إن ابن آدم لولا عقله شبح مركب من عظام ذات أوصال
ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر .
خليلى هذا الشوق لا شك قاتلى
فميلا إلى (المقياس) إن خفتما فقدى
فنى ذلك (الوادى) الذى أنبت الهوى
شفائى من سقمى وبرئى من وجدى
وقال فى هذا المعنى :
طال شوقى إلى الديار ولكن
أين من (مصر) من أقام (بكندى)[1]
حبذا (النيل) حين يجرى فيبدى
رونق السيف واهتزاز الفرند
تتثنى الغصون فى حافتيه
كالعذارى يسحبن وشى الفرند
قلدتها يد الغمام عقودا هى أبهى من كل عقد وبند
كيف لا تهتف الحمام عليه وهى تسقى به سلافة قند
كلما صورته نفسى لعينى قدح الشوق فى الفؤاد بزند
وإلى العدد القادم حيث أتم الحديث عن البارودى
وشعره الوطنى

(١) كندى مدينة صغيرة فى جزيرة سيلان (سرنديب)

عبد الرحمن الرافعى

في سنن الله في الاجتماع

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

الإسلام دين الفطرة . بذلك شهد الله سبحانه إذ يقول في سورة الروم (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم) فأحكام الإسلام إن هي إلا تطبيق محكم من الله للسنن التي فطر الله عليها الناس في الاجتماع

والناس في اجتماعياتهم لم يهتدوا بعد إلى قوانين الفطرة وإنما يحدسون ويظنون . فنجاحهم في الكشف عن سنن الفطرة في المادة لا يعادله إلا فشلهم في الكشف عن سنن الفطرة في الروح ، روح الفرد وروح الجماعة . وهم أنجح في تفهم روح الفرد في علم النفس منهم في تفهم روح الجماعة في علوم الاجتماع . وآية ذلك الاختلاف السائد في هذه العلوم في حين أن لا اختلاف هنالك في العلوم الطبيعية ، علوم المادة والطاقة ، لا في قوانينها ولا في وقائعها وإن كان هنالك طبعا اختلاف في الفروض والنظريات المتعلقة بما لا يزال منها قيد البحث والنظر والتمحيص . فعلوم الاجتماع في كثرة اختلافها وقلة اتفاقها تشبه العلوم الطبيعية في جزئها المجهول وما تعلق به من فروض ، أي أنها لا تزال في دور التكوين ، دور الحدس والتخمين

ودور الحدس والتخمين دور ضروري يمر به كل علم في بحث ظواهره قبل أن يصل فيها إلى يقين . لكن علوم الاجتماع يعوزها ما ليس يعوز العلوم الطبيعية من معيار يفصل به بين الحق والباطل ، ويميز به بين الخطأ والصواب . فالعلوم الطبيعية تحتكم إلى التجربة العلمية في الفصل بين الفروض المختلفة التي يؤتى بها لتفسير الظاهرة الواحدة ، أي تحتكم في الواقع إلى الفطرة نفسها التي تجيب دائما نفس الجواب عن نفس السؤال كلما أحسن العلم الطبيعي توجيهه . وهذا إن هو إلا مظهر لاطراد الفطرة في سننها ، ونتيجة لازمة لذلك الاطراد . لكن العلوم الاجتماعية لا تملك ما يملك العلم الطبيعي من التجربة العلمية التي يتحكم العالم في إجرائها بالصورة التي يرى أنها أدنى أن تؤدي إلى الكشف عن الحق في موضوعها . صحيح أن علماء الاجتماع يستعينون أيضا بنوع من المشاهدة ، ولولا ذلك ما كانت هناك علوم اجتماعية قط . لكن شتان بين المشاهدتين: بين مشاهدة يكيفها ويضبط ظروفها المشاهد كما في العلم الطبيعي ، وبين مشاهدة لا يكاد يكون هناك سبيل إلى التحكم فيها أو ضبط ظروفها وتكييفها كما في العلم الاجتماعي . وهذا الفرق الأساسي هو سبب نهوض العلوم الطبيعية ، وقعود العلوم الاجتماعية عن أن تبلغ من الدقة والإصابة المبلغ الذي يليق

هذه النتيجة ليست راجعة إلى فضل فريق من العلماء على فريق ، وإنما ترجع إلى طبيعة الموضوع في كل علم . فموضوع العلم الطبيعي هو المادة والطاقة والحياة في غير الإنسان . وما نفقد أو نخسر من ذلك أثناء التجارب لا يكاد يهم لأنه يمكن تعويضه . كما تلفت أثناء التجربة الفاشلة كمية من المادة مثلا أعدنا التجربة بكمية جديدة في ظروف جديدة حتى نهتدي إلى ما نريد . لكن مادة العلم الاجتماعي هي الإنسان متفرقا أفرادا أو مجتمعا بطونا وشعوبا . ومن المحظور أن نعرض الفرد أو الجماعة إلى تجربة تؤدي إلى التلف أو حتى إلى ضرر ملحوظ ، بل نفس احتمال الضرر في التجربة يكفي لمنعها وتحريمها قانونا . فليس أمام العالم الاجتماعي إلا أن يشاهد ما يجري في حياة الجماعات من غير أن يكون له سلطان على تكييف ظروف الحياة تكييفا يصل من خلاله إلى ما يريد من اختبار فرض أو اختيار الأرجح من رأيين والأصح من نظريتين . وهذا معناه أن سيطول الأمد على العلم الاجتماعي أو الفلسفة

عموما قبل أن يصل أو تصل إلى إثبات سنة من سنن الفطرة فى الاجتماع كما قد وصل العلم الطبيعى إلى إثبات الكثير من سنن الفطرة فيما هو موضوعه من مادة الكون عدا الإنسان من حيث هو إنسان

وعجز العلم الاجتماعى عن الوصول إلى الحق ، مهما تكن أسباب ذلك العجز ، لن يعفى أحدا من عواقب الخطأ أو التخبط فى الحياة الاجتماعية نتيجة لجهل سنن الله التى طبع عليها الفطرة فى الاجتماع . فليس ميدان الروح والحياة الإنسانية بأقل خضوعا لنواميس الفطرة من ميدان المادة والطاقة ، وليست نواميس الفطرة فى ناحيتها الإنسانية الاجتماعية بأقل دقة وصرامة من نواميس الفطرة فى ناحيتها المادية وإن خفى ذلك على الأكثر الأغلب من الناس . فالفطرة فى حقيقتها كل شامل متصل وإن جزأه الإنسان ميادين وعلوما متباينة لعجزه عن دراسة الفطرة دفعة واحدة . إن الإنسان مضطر إلى التحليل أولا ليتوصل بعد إلى التركيب ؛ مضطر إلى دراسة الجزء قبل أن يستطيع إدراك الكل فى أمر من الأمور . فإذا قدر للانسان فى علومه المختلفة أن يحيط بالفطرة أجزاء منفصلة فسوف يستطيع إذا اهتدى إلى فلسفة غير فلسفته الحاضرة أن يبصر الطريق إلى ضم بعض تلك الأجزاء ، على تباينها ، إلى بعض ضما يجعل منها كلا متصلا تتجلى فيه الفطرة وحدة موحدة يجلوها علم عام جامع لشتات العلوم كلها هو علم الفطرة . عندئذ يرى الإنسان أن سنن الله فى الكون واحدة فى اطرادها وتناسقها ، وفى دقتها وصرامتها ، لا سبيل إلى تغييرها ولا إلى الإفلات من عواقب مخالفتها سواء فى ذلك ناحية المادة والطاقة منها وناحية النفس والروح فى الأفراد والجماعات

ومهما عذر الناس فى جهل أن الفطرة وحدة واحدة فى طبيعياتها واجتماعياتها فالمسلمون من بينهم لا عذر لهم ؛ لأن كتاب الله فاطر الفطرة قائم بينهم يخبرهم من ذلك عما جهلته الفلسفة ولم يدركه العلم ، فى آيات هى فى أيدى المسلمين وا أسفاه كالمصابيح فى أيدى العميان ، من نحو قوله تعالى من سورة تبارك (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ومن سورة فاطر (فهل ينظرون إلا سنة الأولين ؟ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

والعجيب أن هذه الآية الكريمة وأمثالها فى القرآن لم تنزل فى سنن الله فى المادة وإنما نزلت فى سنن الله فى الاجتماع لتنذر الناس عواقب كفرهم إن كفروا بالدين الذى هو دين الفطرة ، وليبين لهم أن لله فى هذه الناحية سننا لا تتخلف جرت فى الأولين بالإهلاك حين عصوا واتبعوا أهواءهم ، وهى جارية لا شك فى الآخرين إن هم عصوا أيضا وخرجوا عن سننه سبحانه التى فطر عليها الناس ، سواء أكان خروجهم ومخالفتهم عن جهل أم عن عناد

ولقد بين الله سبحانه هذه الحقيقة فى كتابه الكريم بشتى صور البيان . فتارة يجمل كما فى نحو قوله تعالى من سورة الحج (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها) . وتارة يفصل ثم يدل على موضع الحجة والعبرة فى التفصيل كما تجد فى سورة القمر مثلا إذ قص سبحانه ماجر التكذيب بسننه ورسله على قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون ، حتى إذا بين سبحانه من ذلك ما شاء تفصيله التفت إلى كفار قريش مخاطبا بقوله (أكفاركم خير من أولئكم ؟) فدل بذلك على أن سنته فى الكافرين المكذبين بكتبه ورسله سنة عامة لا استثناء لها ولا منجى منها إلا بالإيمان والعمل بالدين الذى تتمثل فيه قوانين الدين فى الفطرة ، وتتضمن أحكامه التطبيق المحكم لسننه سبحانه فى الاجتماع ؛ تلك السنن التى علم الله أن السبيل إليها وإلى تطبيقها غير ميسور للناس على الزمن ولا مضمون خلافا لسننه سبحانه فى المادة والطاقة وما إليهما فأمرهم أن يطلبوا هذه بأنفسهم ومن عليهم

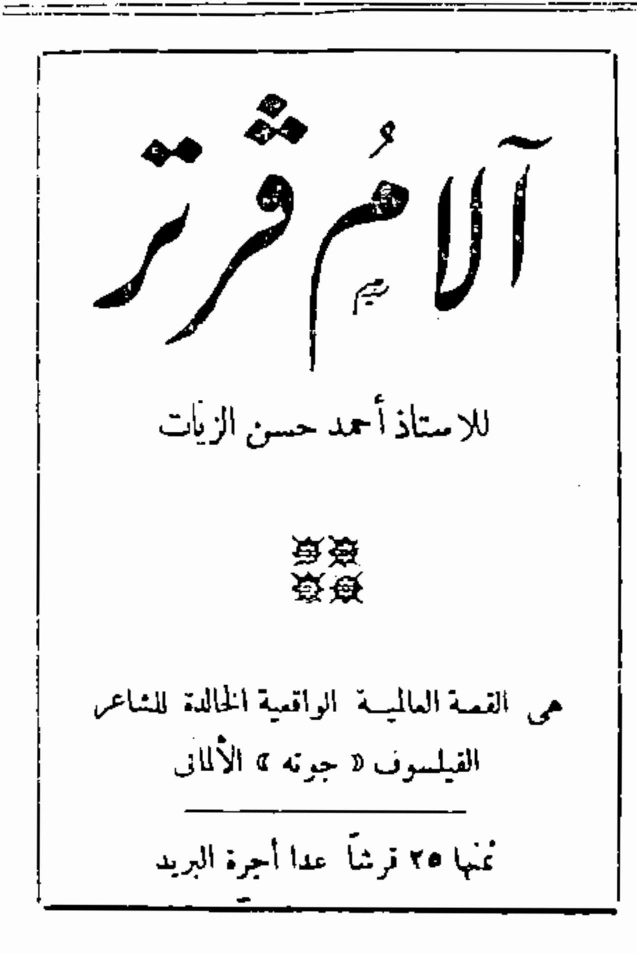
بتلك مطبقة محكمة فى أحكام الإسلام

ونحن اليوم نرى صدق عموم تلك السنن رأى العين فيما حاق بمخالفيها فى الغرب وفى الشرق ؛ فالغرب قد نال من العلم الطبيعى عن طريق البحث التجريبى ما نال حتى ظن أنه قد ملك الأرض يفعل فيها ما يريد غير مراقب فى الناس إلا ولا ذمة ، ولا مراع فى اجتماعياته شرعاً لله ولا سنة . فإذا بنفس علوم المادة تنقلب عليه نقمة ، وإذا بأمواله تتحول بتلك العلوم مناجل وقنابل تحصد أهله ، وتمزق شمله ، وتترك دياره العامرة بلاقع ومدنه الزاخرة حطاما (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) وسيان أن يهلك العاصون لله وسننه بحجارة من سجيل يطرونها على أيدى الملائكة ، أو بقنابل ذرية وغير ذرية يطرونها على أيدى أمثالهم من الناس مصداقاً لقوله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون)

ومن عجب أن الغرب لاقى ببغيه ومعصيته حربين هائلتين أنسته أولاهما حروب التاريخ ، وأنسته أخراهما أهوال الأولى ، وكان فى كل منهما يبكى ويستبكى ، ويدعو ويتضرع ، ويعد ويمنى ؛ حتى إذا خرج من الأولى نسى ما عاهد عليه الله، ونقض ما عاهد عليه الناس فأذاقه الله بالثانية لباس الجوع والخوف فلم يعتبر ولم يرتدع ورجع إلى بغيه الذى ألف كما تشهد أعماله فى مصر وفلسطين ، وفى المغرب الأقصى وإيران وفى كينيا وكوريا وما إليهما . فلم يبق إذن إلا الثالثة تأتيه فلا تبقى منه ولا تذر . وأنى له أن يتجنبها وهو ينحدر إلى هاويتها بالاستعداد لها — زعم — كالمنزلق من جبل لا يستطيع إلا أن يزداد انزلاقا حتى يهلك . فكان الغرب فى ماضيه وحاضره مثلا آخر مرعبا مؤسفا للمكذب المفتر الظالم لنفسه ولغيره ؛ فهو يوشك أن يحق عليه كلمة الله فيلقى ما لاقاه قوم قال الله فيهم (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين)

وأعجب من أمر الغرب أمر هذا الشرق الإسلامى الذى لا يزال يتخذ الغرب فى اجتماعياته إماما ، كأن فشلها وخطلها لم يثبت بما أشاعت فى الغرب من فرقة وبغض ، وما جرت عليه من ويل وحرب . أو كأن هذا الشرق ليس بيده نور الله يهديه ودين الله يعتصم به . فلئن لم يتدبر قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) وقوله سبحانه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) فيسمع لأول كل منهما ويطيع ، ليوشكن أن يحق عليه سائرهما ؛ فإن رأس سنن الله أن يطاع ، وأن من لا يطيع يهلك . وسنن الله لا تتخلف كما يشهد به العلم فى المادة ، وكما يشهد به القرآن فى الاجتماع

محمد أحمد الغمراوى



الشهيد الأعزل ..!

للاستاذ محمد عبد الله السمان

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى
امام جائر فأمره ونهاه .. فقتله » حديث شريف

إن الأسبوع الثانى من شهر فبراير من كل عام ، ليحمل فى طياته ذكرى هى من أجل الذكريات لدى الشبيبة المسلمة ، والقلوب المؤمنة — لا فى مصر وحدها — بل فى كل بقعة أشرقت بنور الإسلام ، وفى كل رقعة سلطت عليها شعاعات التوحيد.

أما الذكرى ، فهى ذكرى الشهيد الأعزل « حسن البنا » ، والحديث عن « حسن البنا » يعتبر جديدا فى موضوعه ، مهما طال ، ومهما تكرر ، إذ ليست شخصيته بالشخصية العادية التى يكفيها من الحديث أقله ، فقد كان « حسن البنا » ملء السمع والبصر ، دوى صوته فى الشرق ، فاهتزت جوانبه مؤذنة ببعث جديد ، ومعلنة ميلاد فجر مشرق ، ومنذرة بالرحيل استعمارا بغيضا أصر على الخلود بين أرجاء الشرق ، ليتخذ منه مطية ذلولا ، وبقرة حلوبا ، وضيعة نائمة لا صاحب لها ، ولا حارس عليها ، ولا مسئول عنها ، ودوى صوته فى المسلمين فأيقظهم من سباتهم ، وأزاح عنهم كابوس الدعة ، وهيأهم ليليقوا بالإسلام فى عزته ورقيه وعظمته

ظل « حسن البنا » زهاء عشرين عاما يدعو إلى الله وحده ، ويصيح من أعماق قلبه : الله غايتنا .. وتردد وراءه الألوف المؤلفة من الشباب المصوغ فى بواتق من الإيمان بالله والثقة به ، وظل زهاء عشرين عاما ، يدعو إلى الإسلام المصفى .. الإسلام الذى يشيد بالعزة والمنعة والقوة ، وينفر من الذلة والضعف والمسكنة.. الإسلام المرن السمح ، الذى لا ثقل فيه ولا تعقيد ، ولا جمود ولا تزمت ، الإسلام الخالص من شوائب الجهلة من الحق ، والأنذال من المرتزقة ..

وظل « حسن البنا » زهاء عشرين عاما ، يكافح الاستعمار فى مصر والشام وجزيرة العرب ، والمغرب وجنوبى أفريقيا وجزائر الهند الشرقية وغيرها ، فلم يخمد له صوت ، ولم تفتر له همة ، ولم يهن له عزم ، ولم تتزعزع له عقيدة ، ويكافح الحكم الإقطاعى القائم على استغلال الحكم ، كمورد للثروة ، ومصنع للجاه ، ومرتع قذر للرشوة والمحسوبية ، ويكافح ضعف الشعوب المغلوبة على أمرها ، حتى تعرف قدر نفسها ، وتؤمن بحقها على الحكومات الإقطاعية المسلطة عليها ، لتذيقها ألوانا من العنت والتعسف والإرهاق !

وظل « حسن البنا » زهاء عشرين عاما ، يكافح من أجل الشباب حتى أنتشله من حضيض التدهور والتفكك والإنحلال ، وخلصه من مواخير العربدة والاستهتار والمجون ، وغذاه بالمثل العليا والمعانى الحية ، وصبه فى بواتق من الشرف والإباء والطموح ، وأعده إعدادا كاملا للكفاح من أجل الإسلام القابع فى زوايا الإهمال ، وأوطانه الرازحة تحت أعباء الاستعمار والاحتلال ، وتجلت قيمة هذا الشباب فوق تربة فلسطين الذبيحة ، وأرض القنال يوم معركة القنال ...

كانت كلمة « حسن البنا » شبحا هو مصدر قلق للديمقراطية الفاجرة فى انجلترا وفرنسا وبلاد العم سام ، ومصدر قلق للشيوعية المضللة فى الصين الشيوعية وروسيا الحمراء ، كما كانت مصدر فزع للعروش الاستبدادية ، ولذا كانت المؤامرة على دعوة الشهيد الأعزل ثلاثية ، الديمقراطية بالإيعاز والإيحاء ، والشيوعية بالدس والوقيعة ، والديكتاتورية الممثلة فى العروش الطاغية بتنفيذ المؤامرة ، مستعينة بالحكومات الهزيلة التى لم تكن تملك من أمرها شيئا ،

ولم تكن تستطيع أن تكون فى حكمها أكثر من أداة مسخرة حمقاء!

ولقد قامت مصر بدور البطل فى المؤامرة على الدعوة الإسلامية ، ولم يكفها أنها بدأت بالضربة الأولى ، بل إنها أخذت على عاتقها أن تريع الاستعمار المثل فى الديمقراطية الفاجرة، والفوضى المثلة فى الشيوعية المضللة ، والديكتاتورية المثلة فى العروش المستبدة — أخذت على عاتقها أن تريع هؤلاء جميعا من « حسن البنا » ولتقدم بعدئذ رأسه قربانا للصبى العربيد « فاروق » فى عيد ميلاده ، ولتضيع دماء « حسن البنا » الشهيد الأعزل هدرا ، فى غوغاء الاحتفالات ، وضوضاء المهرجانات ، وزحمة السرادقات التى كانت تملأ شوارع القاهرة ، حفاوة بعيد ميلاد الجالس على العرش ، الصبى المدلل ، والمعتوه المقدس ، والملك الخليع الذى ورث عرش مصر عن ورع وأمون!

وبينما كانت المارة تسمع أزيز دماء الشهيد وهى تنزف فى شارع الملكة ، كانت الشياطين تصفق لجوانب القصر « الحرب » تتماوج لهوا وفجورا وعبثا ، لتقدم فروض الولاء والتهنئة للصبى المخلوع ..!

لقد قتل « الشهيد الأعزل » غيلة وغدرا ، وظن الصبى الفاجر أن ملكه أقوى وأعز وأمنع من أن تتسرب إليه الشبهات ، ولم يكن يدرى أن البقية الباقية من الشبيبة المؤمنة خارج القضبان ، كانت تعد منشورات بعد ساعات من استشهاد الشهيد الأعزل ، جاء فيها « لقد قتل حسن البنا ، وعرف القاتل ، ولكن يدا خبيثة تحميه ، ويد الله أقوى منها ، ستصل إليه وترديه والله أكبر ولله الحمد » ، وظن القتلة السفاكون أنهم سيظلون فى حصن منيع ، وفى أمن من قبضة القضاء ، وأيقنا نحن بأن عين الله لم تنم ، وعدالة السماء لم تغفل ، والقصاص آت لا ريب فيه ..

ومرت سنون أربع ، فإذا الملك المخلوع يحتفل بعيد ميلاده فى منفاه على موائد الميسر والخمر ، وبين أحضان الفاجرات والساقطات ، وإذا مصر تحتفل بعيد التحرر من سلطان فاجر أبى إلا أن يتربع على عرش من العربدة والفسق والفجور ، وحوله شرذمة من الأفاقين ، وإذا بالسفاكين المجرمين فى قبضة العدالة ، وفى انتظار القصاص العادل ، الذى أدخرته السماء لمصر حتى تطمئن أرضها ، وإذا بالدعوة الإسلامية بخير تؤدى رسالتها ، وتقطع منهاجها الذى رسمته لنفسها ، وإذا بالقلوب المسلمة فى مصر والشرق ، لا تكاد تذكر مأساة الملك المخلوع ، حتى تذكر دماء الشهيد الأعزل « حسن البنا » الذى خر صريع البغى فى سبيل الحق ، فلم تنصفه الأرض ، وأنصفته السماء ..!

إن استشهاد « حسن البنا » سيظل خالدا إلى أن تقع السماء على الأرض ، ورمزا للفكرة الإسلامية التى أخذت على عاتقها أن تحرر الإسلام من الشوائب ، وأن تحرر وطنه من جرائم الاحتلال والاستعمار ، ولئن كان من الممكن للتاريخ أن يجور ويظلم ، ويتصنع التهاون والإهمال ، فلن يقوى بحال من الأحوال أن يجور أو يظلم ذكرى الشهيد الأعزل ، أو يتصنع الإهمال والتهاون فيها ، لأن ذكر حسن البنا قد سجلت لنفسها الخلود ، ونقشت فى القلوب ، وامتزجت بالعقائد ..!

محمد عبد الله السمان

حياة المازنى

المرأة فى حيـــــاة المازنى

« ما أكثر ما عشت فى تلك السنوات الأولى من شبابى »
المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

رثى المازنى زوجته فكأنما كان يرثى نفسه أو بضعة منه ، لا مجرد زوجة ، وناجاها فى تفجع مرير « وا أسفى عليك ، لا بل على ، لم يبق إلا طيف يعتاد ذا كرتى . لا أثر على الرمال الخائنة التى كنا نمشى فوقها ونرقد عليها ونملأ أكفنا منها ، وندع ذراتها تتساقط خيوطا من بين فروج أصابعنا . ولقد نسيتك النجوم التى كنت تحبينها وتشيرين إليها ببنانك وتعدينها ، ولم تستوحش خلو مكانك إلى جانبى تحت عيونها المتلاحمة ، بل هى لم تذكرك حتى يقال نسيتك . والقمر ، الذى كنت تأنسين بطلعته وتخالسينه النظر من بين خصل شعرك الدجوجى المرخى على وجهك تحت ضوئه الفضى اللين ، لا يزال يبتسم كالعهد به ابتسامة الساخر والمسهوم كأنه لم يفتقدك . كلا ما من شئ فيما أرى يحس افتقادك ، كأنك لم تحيى وجه هذه الطبيعة الخامدة الحس الميتة الشاعر ، التى تروعنا ولا تحفلنا ، وتنبينا ولا تذكرنا .. وماذا أنا الآن ؟ حى من الأحياء لا يدرى الناس أنى مت منذ سنين ، وأنى قبر متحرك كشمشون ملتون ، أو جثة لم تجد من يدفنها ، أو صورة باهتة لما كنته فى حياتى . ولقد كنت كما يتوهمنى الناس الآن ، حيا تتدفق الدماء الحارة فى عروق ، فلما تأملت مصائر الخلق ركدت الدماء قليلا وابتردت ، ومات منى شئ . ثم قضى ولدانا فأحسست دبيب الفناء ، وضحى ظلك فتساقطت أزهار الحيـاة بين يدى وذوت نوارات آمالى تحت عينى ، وإذا كفى ملأى بميت الزهر مما قطفت قدما »

* * *

وكان يتخذ بيته فى ذلك الحين على تخوم العالمين أو على حدود الأبد ، ويستريح إلى قضاء لياليه فى الصحراء حيث يلفه الظلام فى شملته ، ويرقد على الرمال كما كان يفعل مع زوجته ، ويجمـل عينه قيد السماء ، يراعى النجوم ويناجيها ، وتذهله خواطره السود عن نفسه وما حوله

وإنه لغارق فى لجج هذه الخواطر ذات ليلة — والجو ساج شاحب بدره — « .. إذا بفتاة رود تعدو إلى وتنادينى باسمى ، فأفقت ورددت إلى الدنيا ولـكن كما يفيق المغشى عليه ؛ يتلفت فى كل ناحية ويسأل أين هـو ؟ ويعجب لنفسه ولمن حوله ، ويذهنه بعض الـكلال ، وعلى عينيه كالغشاوة . ثم اعتدلت فوق الرمل ونبهت حواسى ومداركى بجهد ، وقلت : من عسى تكونين يا فتاتى ؟ قالت : لقد ذهبت أملأ جرتى من بيتكم هذا كعادتى كل ليلة بعد أن تنقطع الرجل ، ألم ترنى قبل الليلة ؟ قلت : نعم ولـكنى لم أذكرها . فمضت فى كلامها وهى تلهث وتلقى على الأسئلة ولا تنتظر جوابها : إنى كل ليلة أتسلل إلى البيت وجرتى تحت ملاءتى وأدفع الباب برفق . لماذا لا توصد بابك ؟ ألا تخشى سارقا ؟ ولـكن لو كنت توصده لتعذر على أحيانا الدخول ، ولـكنت أخجل أن أزعجكم كل ليلة من أجل جرة ماء ! وبعد أن أدخل وأضع جرتى فى الحوض أتركها تمتلئ على مهل وأرود الحديقة ، ولـكنى والله لم أقطف منها شيئا ، وإن كنت أحب ثمر الحناء . وقـد انتهرتنى ليلة وأنا أتمشى تحسبنى أريد أن أسرق ، فخفت وبـكيت فى الطريق وقلت كيف يسئ الظن بى . نعم ، كيف أسأت الظن بى ؟ فقلت : لم أكن أعرفك يا فتاتى فلا تغضبى ، وخذى ما شئت من الحديقة فما بها مايستحق أن يضن به المرء . فانحنت إلى وأنا قاعد على الرمل ووضعت

راحتيها على ركبتيها وأكبت بوجهها على وجهي وحدقت في عيني وقالت بلهجة العاتب المحاسب: كيف لم تكن تعرفني؟ ألست أحييك كلما دخلت ورأيتك جالساً في ذلك الركن المظلم تحت الكرمة؟ فتناولت وجهها بين كفي وجذبته إلى في رفق وقبلتها، إذ لم يكن ثمة بد من ذلك، وقلت: لا تغضبي يا فتاتي، وإذا كنت تريدين ثمر الحناء فاجنيه كله، أو العنب فعناقيده لك، ولكن خبريني من دلك على مكاني؟ ونهضت، فعادت إلى التحدث وقالت: من دلني؟ ياله من سؤال! كأن الدنيا كلها لا تعرف، ولقد وجدت بابك الليلة موصداً فعلمت أنك خرجت إلى هنا فجئت أبحث عنك لتفتحه لي، فإني أستحيي ان أقرعه قلت: أحسنت، فتعالي إلى هذه الصخرة. قالت: لماذا؟ قلت: لتعدي لي النجوم! قالت: أو هذا ممكن؟ إنها كثيرة جداً جداً! قلت: نعم، ولكنك كلما عددت نجماً وأسرت إليه بأصبعك اختفى واستسر حتى لا يبقى في السماء ولا الأرض إلا عيناك! قالت: أصحيح هذا؟ وجعلت تثب وتصفق حتى خلتها إحدى بنات الليل. ومضينا إلى الصخرة وجلست وأجلستها على ركبتي وطوقتها بذراعي، وانطلقت هي تعد النجوم وأنا ألثم فاها كلما عدت واحداً، وهي فرحة بلثماتي، تردها مضاعفة حارة، وتهز رأسها وتنفض شعرها ثم تلقي بنفسها على ذراعي كرة أخرى وتستأنف العد ووجهها إلى السماء، وشعرها المرسل متدل إلى الأرض ... »

وأيا ما كان أمر هذه العلاقة العابرة وحظها من الواقع أو الخيال فثمة علاقة أخرى مما عرض للمازني في تلك الفترة من حياته، بعد وفاة زوجته، لا شك في أنها حقيقة مؤكدة وواقع صرف. وذلك حيث يذكر في مقدمة روايته « إبراهيم الكاتب » أنه عرف سيدة نمسوية (١) تزاول الصحافة والتعليم في آن معاً؛ وتوثقت بينهما الصداقة فقد طال مقامها في مصر. وكانت — كما يصفها — حسناء في مقتبل العمر، عالمة واسعة الاطلاع في الآداب والفلسفة على الخصوص. ويقول المازني إنها أطلعته على صفحة من حياتها حافلة بالكروب والمتاعب. ولعلها وجدت فيما حدثها به من قصة حياته — وكانت لا تزال تعاوده صبابة من الحزن على فجيعته بفقد زوجته — ما جعلها تعطف عليه وتأنس به وزاد ذلك بينهما حتى آض، على الأيام، صفواً وتعاطفاً وودا .. « حتى لقد هممت بأن أتخذها زوجة، ثم عدلت عن ذلك وصرفت نفسي عنه، وصارحتها بالسبب، وإن كنت لا خطبتها، ولا كان بيننا ما يخطر ببالها أني قد أعرض عليها الزواج »

* * *

كلا! لم يحي المازني قط بمعزل عن المرأة، فقد كانت أكبر علائق الحياة عنده، وعليها درس فلسفة الغريزة والجنس، ومن معرفته وفهمه لطبيعتها كانت شخوص قصصه من النساء نماذج طبيعية للمرأة تصدر جميعاً عن فطرة سليمة وعاطفة مستقيمة. على أنه لم يكن يرتفع بالمرأة فوق مكانها من الجنس أو ينأى بها عن وظيفتها إزاء الرجل والنوع كله، فهي عنده الأنثى التي هيأتها الطبيعة لتكون أداة حفظ النوع وصيانته

وقد ماتت عنه زوجته الأولى فما لبث أن تزوج بعد سنوات لأنه لم يستطع كما يقول أن يشيح بوجهه عن أهم جانب من جوانب الحياة. وما كان ليعترف بالعزوبة أو يؤمن بجدواها في حياة الأديب. ويقول إن أكبر مزية للزوجة هي أنها « سكن » وأنها تفيض على نفس الرجل وتفرغ على قلبه سكينة هي في رأيه السعادة التي يحق للانسان أن يطمع فيها ولا يعجز عن الفوز بها. والزوجة عنده سبيل معرفة المرأة فليس يعرف المرأة من لا يعرف الزوجة ولو عرف ألف امرأة غيرها »

والحب، أو هذه العاطفة التي تكون بين الرجل والمرأة، أو بين الذكورة والأنوثة على الإطلاق، هو عند

(١) الدكتور لوته اشترنباخ جارتنر، وكانت تصل مراسلة لصحيفة neue wi e النمسوية

المازنى مظهر الغريزة النوعية فى الإنسان أو هو الوسيلة التى تتخذها الحياة لبقاء مظهرها الإنسانى ، والأداة التى تستخدمها لحفظ النوع . وهو بهذه المثابة ، ليس إلا ضربا من الجوع ، كالجوع إلى الطعام ، وإنما يشتهى المرء بغريزته النسل فيطلب المرأة ، وتشتهى المرأة النسل فتطلب الرجل . وليس الرجل أو المرأة بعد ، كما يقول المازنى ، بالغاية المنشودة من هذا الشعور الدافع الذى نسميه الحب ، وإنما الغاية هى استخدام هذا الشعور لاتصال الرجل بالمرأة اتصالا يؤدى إلى التناسل أى حفظ النوع

وعند المازنى أن الحب أشد استغراقا للمرأة ، لأن مدار حياتها على حفظ النوع . ولهذا كانت الغريزة الجنسية فيها أقوى منها فى الرجل

ولا يؤمن المازنى بما يسمى الحب العذرى أو الأفلاطونى ويقول إنه « مظهر شذوذ أو ضعف فى الطبيعة الإنسانية » وآية ذلك عنده ماينتهى إليه فى أكثر الحالات من الخبل أو الجنون .. » وإذا كان الحب لا يدفع إلى طلب الجنس الآخر فلا بد أن تكون هنالك علة أو آفة كالعلة التى تصرف الجائع عن الطعام »

وليس الحب عنده بعد ذلك تضحية أو إيثارا أو شيئا من هذا القبيل ، بل هو أنانية صارخة من كلا الجانبين على السواء « فكل محب همه الاستيلاء على محبوبه والاستئثار به دون خلق الله جميعا »

على أن أهم ماذهب إليه المازنى فى فلسفة الحب هو رأيه المعروف القائل بالتعدد ، وأن القلب الإنسانى يتسع لأكثر من حب واحد فى وقت واحد ، أو فى أوقات متقاربة ، وإن اختلف كل حب فى القوة والنوع والوجهة ، وهو بعد حب صحيح يملق القلب ويحرك الحس ويغير فى النظرة إلى الحياة . ويؤكد المازنى أن الإنسان لا يعرف التوحيد فى الحب ، « فلا الرجل يعرفه ولا المرأة تعرفه ، والحقيقة أنه أكذوبة ضخمة وخرافة يلهج بها اللسان ولا يصدقها القلب » . وقد كانت روايتاه الطويلتان إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثانى تطبيقا لهذا الرأى وتمثيلا له فى هذه الحدود

* * *

والكلام عن المرأة فى حياة المازنى لا يتم بغير الإشارة إلى شخصية كان لها أثرها البارز فى حياته وأدبه

تلك هى أمه . وقد مر فى بعض هذه الفصول وصف وجيز لها . وهنا نقول إنها كانت لابنها أكثر من أم ؛ فقد كانت له فى طفولته أمه وأباه ، وكانت له فى رجولته أخته وصديقه . وكان ، وهو أب وزوج ، يعود حيالها طفلا لا رأى له دونها ، ويكل إليها كافة شأنه تصرفه له وتعينه عليه . ومن الحوادث التى تدل على شخصيتها القوية وأثرها الموحى ، أنه جاءها يوما ، عقب استقالته من وزارة المعارف وكان ذلك فى بدء الحرب الكبرى ، فألقى بين يديها بقراطيس فيها (مرتبه) نقودا فضية ، وقال لها : هذا آخر ما أقبض من مال الحكومة . قالت : يعنى ؟ فأخبرها أنه استقال ، فلم ترد على أن قالت : على بركة الله

ومن حنانها عليه وحبها له أنها كانت تقاسمه الدواء إذا مرض ، وتجرع منه أمامه قبل أن تقدمه إليه ، فينكر ذلك منها ويقول لها يا أمى كفى عن هذا . فلا يكون جوابها إلا أنه قلب الأم

وقد كان المازنى ينطوى لها على الحب والاحترام والوفاء وأهدى إليها فى حياتها كتابه « رحلة الحجاز » وكان لا يفتأ يذكر فضلها عليه ، ويسرد حوادثها معه ، ويتحرى فيما يعمل مرضاتها وهناءتها . ويقول : لو وسعنى أن أجعل حياتها نعيما خالدا وسرورا دائما وجذلا لا تنضب ينابيعه ولا تجف موارده لما قصرت ولا كنت صانعا إلا بعض ما يجب لها » . فلما ماتت ظل يستوحيها فى كل ما يقوم بخلده أو ما يمضى عزمه عليه ، كأنها حاضرة معه لم تفارقه وكان ربما عن له الشىء فلا يلبث أن يستدبره وينصرف عنه ، لما يقوم فى نفسه من أن أمه لم تكن لترضاه له أو تشير عليه به لو كانت بقيد الحياة

محمد محمود حمدان

صور من الحجاز

الموقف الأكبر ...

للأستاذ محمد كامل حته

أدى الكاتب فريضة الحج هذا العام، وقد نشرنا له فى عدد مضى من الرسالة فصلا عن « الدعوة الوهابية وأهدافها الدينية والسياسية » وفيما يلى يحدثنا عن الموقف الأكبر فى عرفات ...

قال صديق :

— هنيئا لك حجك فى هذا اليوم ؛ إنه يعدل سبعين حجة !

قلت : وما ذاك ؟

قال : لقد كانت حجة الوداع فى يوم جمعة ، وهو يومنا هذا ؛ ولهذا قيل إن الحج إذا وقع فى يوم جمعة ، تضاعف أجره سبعين مرة ...

قلت : إن الذى يضاعف أجر الحج ليس وقوعه فى هذا اليوم أو ذاك ، وإنما فى وقوعه من القلوب بمنزلة الإيمان الواعى البصير ، الذى تنعكس أنواره فتسرى فى المشاعر كالكهرباء ، ثم تترجمها المشاعر إلى أعمال مبرورة ، وكلم طيب يرتفع بصاحبه إلى السماء !

* * *

ولاحت لنا عرفات ، ذلك السهل المنبسط الفسيح ؛ وقد أقيمت فيه الخيام على مد البصر ، وفى أقصاه جبل « إلال » أو جبل الرحمة كما يقولون ، وقد بدا كأنه جبل من البشر لا من الصخور ...

إن آلاف الحجاج يغطون جوانبه حتى القمة ، وإنك لتشهدهم هكذا حتى فى وقت الظهيرة تحت وهج الشمس المحرقة ، وفى أتون الحر اللافح الشديد !

وارحمتاه لأولئك المسرفين فى العبادة ، تنطلق بهم أشواقهم إلى بعيد ، حتى لتكاد تبلغ بهم المهالك ، وهم هائمون ذاهلون ...

وليس ذلك من الإسلام فى شئ أيها الإخوة المسرفون أيها المسرفون على أنفسهم ، وعلى دينهم السمح اليسير ؛ هذا الدين الذى لن يشاده أحد إلا غلبه ، مهما أوتى من قوة وطاقة ، ومهما أسرف على نفسه من جهد وعناء

خذوا ذلك عن سيد العابدين ، وأوغلوا فى الدين برفق كما يقول

ثم ما هذا الوقوف على جبل « إلال » وما مكانه من مناسك الحج كما شرعها محمد بأفعاله وأقواله ؟

إن الحج عرفة ، ذلك السهل المنبسط الفسيح . وكل مكان فيه موقف لأداء هذه الفريضة ، وقد وقف الرسول عند جبل « إلال » ولم يصعد جانبه أو يتسنم قمته كما يفعل هؤلاء الغلاة المسرفون ؛ وأقر مئة ألف من أصحابه على الوقوف حيث هم من ذلك السهل المنبسط الفسيح ، يتوجهون إلى الكعبة بالتهليل والتسبيح والدعاء

وارحمتاه لأولئك المسرفين على أنفسهم وعلى دينهم !

إن منهم من يقدم إلى الحج فى أخريات أيامه ، محطما هزيلا متهالكا من شيخوخة وإعياء ؛ وليست لديه إلا أمنية واحدة ، هى أن يموت فى هذه الأرض الطاهرة البيضاء ...

وهو فى سبيل تحقيق هذه الأمنية التى تملك عليه كل مشاعره ؛ يحاول جاهدا أن يستعجل هذه النهاية ، ويختصر فى الوصول إليها أسباب الحياة !

إنه يجد فى أشعة الشمس المحرقة خيوطا ترقى عليها روحه إلى السماء ، فهو يتعرض لها ويتشبث بأسبابها ليبلغ من أمنيته ما يريد ...

وهو يقسو على شيخوخته وضعفه ، بل إنه ليجد هذه الشيخوخة وذلك الضعف بما يدفعهما به دفعا إلى مصيره

الرهيب الحبيب !

إنه الانتحار ... الانتحار على أخبث صورة وأبعدها فتنة وضلالة ؛ لأنه انتحار بلبس ثوب الشهادة فى سبيل الله ؛ والله ورسوله من ذلك براء

* * *

وجدير بى وأنا أتحدث عن أولئك المسرفين على أنفسهم وعلى دينهم ، من أمثال أولئك الشيوخ الفانين ، وغيرهم ممن لا تتوافر فيهم شرائط « الاستطاعة » كهذا الذى يقدم على الحج وهو ضعيف معتل ، لا يقوى على متاعب الحج ومشاقه ؛ أو ذاك الذى يبيع كل ما يملك من حطام الدنيا ليظفر بأداء هذه الفريضة ، لا يعنيه بعد ذلك أن يعود إلى بلده معدما يستجدى النـاس ما يعول به نفسه وأهله

جدير بى فى هذا المقام أن أضرب مثلا بما فرضته دولة إسلامية ناهضة هى إندونيسيا ؛ إذ اشترطت على من يريد أداء فريضة الحج شروطا منها : ألا تزيد سنه على خمسين عاما ، وأن يجتاز فحصا طبيا تثبت به سلامته من العلل والأمراض ، وتدخل فى ذلك المرأة أيام حملها ؛ وأن يكون لديه من المال — عدا نفقات السفر والإقامة — ما لا يقل عن سبعين جنيها . وإذا ثبت أنه باع عقارا لا يملك سواه لينفق منه على رحلة الحج ، منع من السفر ورد إليه عقاره

ولم يكن من نتائج هذه السياسة أن انصرف الإندونيسيون عن الحج ؛ فإنهم ليفدون على البيت الحرام أفواجا مؤلفة ؛ وإنما كان من نتائجها أنها جنبت العجزة منهم كثيرا من المهالك والمآثم ، وبعثت إلى موسم الحج بالنماذج القادرة الصالحة لأداء هذه الفريضة

* * *

... واجتمع فى عرفات ثلثمائة ألف أو يزيدون . وفى هذا الموقف تتجلى روعة الحج وحكمته ؛ هذا المؤتمر الإسلامى العظيم الذى يهرع إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ليشهدوا منافع لهم

ولكن أى منافع تلك التى شهدناها فى هذا الموقف الجامع ، وأى ثمرات جنيناهـا من ذلك المؤتمر الخطير الذى لا تتهيأ أسبابه المادية والروحية إلا يوم عرفه ؟

... وأخذتنى سنة من النوم وأنا جالس فى المخيم الذى أعده فندق مصر لنزلائه ، أتفيأ الظل وأقرأ فى كتاب . وإذا بى أشهد جبل « إلال » قد أقيمت عليه مظلة كبيرة تخفق فوقها عشرات الأعلام ، وقد جلس تحتها نفر من الناس فى لباس الإحرام ، على منصة ذات أسوار . وإذا رجل منهم يقف أمام جهاز للاذاعة فيهتف :

– الله أكبر ، ولله الحمد

ثم ينطلق فى حديث تردده أجهزة للاذاعة أقيمت بين الخيام ...

إنه يتحدث عن هذا الموقف العظيم ، ويرجو أن يكون شهوده جديرين بأن يباهى الله بهم ملائكته فى السماء !

ثم هو يتلو على الناس ما اتخذه مؤتمر الحجيج فى الموسم السابق من قرارات ، وما قامت به الدول الإسلامية لتنفيذ هذه القرارات من جهود . وهو يستعرض بعد ذلك قضايا العالم الإسلامى ، وعلاقاته بغيره من الدول ، فى إحاطة وإيجاز . ويتنحى عن مكانه بعد أن يقدم للحديث أولئك النفر الذين يجلسون حوله واحدا بعد الآخر ...

فهذا آية الله الكاشانى يتحدث عن تأميم الزيت فى الحقول الإسلامية ؛ وعن مشروع الكتلة الثالثة ، التى تحفظ على العالم الإسلامى والعربى كيانه ، وبعتدل بها ميزان الأمن والسلام الذى تتأرجح كفتاه بين الشرق والغرب

وهذا محمد البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء فى الجزائر ، يرسم الخطوط العملية لتحرير المغرب العربى من نير الاستعمار

وهذا سردار عبد الرب نشتر وزير الزراعة فى باكستان يتحدث عن تجارب بلاده فى سياسة الاكتفاء الذاتى ،

ويعرض مشروعا للتعاون الاقتصادى بين البلاد الإسلامية

وهذا بشــير السعداوى زعيم طرابلس ، يكشف عن المؤامرات الاستعمارية التى أحالت استقلال ليبيا بعدجهادها الدامى أربعين عاما ، إلى أسطورة سياسية …

وهــذا الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهــورية الإندونيسية ، يروى قصص البطولة النادرة ، التى صرعت الاستعمار الهولندى وأسناده فيا وراء البحار …

وهذا عبد الله الفاضل المهدى ؛ يعدد جرائم الاستعمار البريطانى فى السودان ، وخاصة فيا وراء الستار الحديدى فى الجنوب

وهذا الأمير سيف الإســلام عبد الله ، يتحدث عن الـكنوز المدنية المخبوءة فى حقول اليمن وجبالها ، ويدعو أهل الفن وأرباب المال فى البــلاد العربية والإسلامية ، لـكشف هذه الـكنوز واستغلالها ؛ وبذلك تزداد موارد الثروة الاقتصادية فى العالم الإسلامى ، وتتخلص اليمن مما هى فيه من فقر وجهل ومرض وتخلف عن ركب الحياة

وهــذا أمين الحسينى يؤبن الفردوس المفقود ، ويردد أنات شعب فقد الوطن ، وفقد معه حقه فى الحياة ، وأنكر الأولياء من أبناء عرقه وملته ؛ قبل أن ينكره الأباعد والأعداء

وهذا حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة ، يتحدث عمــا ابتدعه المسلمون فى دينهم من طقوس ، وما أحدثوا من ضلالات ؛ الأمر الذى أوشك أن يعود بالإسلام غريبا كما بدأ ، وأوشك أن يجعل المؤمنين به ، القائمين على شريعته غرباء فى هذه الحياة !

وهذا نجيب الراوى سفير العراق فى مصر ، يعرض مشروعا أعدته بلاده لتعمير ملايين الأفدنة الغــامرة على ضفاف دجلة والفرات ، ويرى أن نجاح هذا المشروع فى العراق ؛ وقيام مثله فى مصر ؛ كفيل بأن يمحو عنهما وصمة استيراد « الحبوب » من البلاد الأجنبية ، ويفتح مجــالا واسعا لترقية مستوى المعيشة ، بازدياد الإنتــاج الزراعى ، وإنعاش الحياة الاقتصادية فى البلاد

وهذا حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية ، يتحدث عن التقريب بين المذاهب ، وعن الاجتهاد فى الشريعة ، حتى توائم تطور العصر وتواجه مشكلات المجتمع . وحتى يصبح التشريع الإسلامى مادة حية فى المجتمع الإسلامى ، وليس أثرا جامدا فى الـكتب الصفراء …

وهــذا الأمير فيصل يتحــدث عن مشروع خمس الســنوات الذى وضعته الحـكومة السعودية للنهوض بمرافق الدولة ومستوى الشعب ، ورصدت له مائة مليون من الجنيهات

ثم عاد المتحدث الأول إلى « الميكرفون » يقول :

— والآن ، أيها الإخوة ، نختتم هذه الجلسة الأولى للمؤتمر . وموعدنا معكم أيام التشريق فى « منى » حيث تجتمع اللجان الفنية لدراسة ما لديها من مشروعات ، وما تقدمونه إليها من مقترحات ، ثم تعرض تقاريرها على المجالس الأعلى للهيئات النيابية ، فيحولها إلى مواثيق تأخذ طريقها إلى التنفيذ

— الله أكبر ، ولله الحمد !

* * *

وأفقت من غفوتى على ضجة فى المخيم ، وتلفت فإذا الخدم يحملون أكواب الشراب المثلج ، والناس يتصايحون ليطفئوا ظمأهم الشديد

ثم هدأت الضجة ، ولم يزل أثر هذا الحلم الجميل يداعب أجفانى ، ويراودنى على الإغفاء من جديد !

وساءلت نفسى : أين نحن فى موقفنا هذا من تلك الصورة التى طافت بى فى المنام ؟ وأين هى تلك المنافع التى جئنا لنشهدها فى هذا الموقف الجامع العظيم ؟

إن جبل « إلال » ما يزال ماثلا أمامى تغطى جوانبه وقنته آلاف الحجاج ، تصهرهم أشعة الشمس المحرقــة ، ويرمضهم حرها الشديد ؛ ولا تطوف بخواطرهم إلا معان

غامضة ساذجة ، ليس بينهـا وبين تلك المعانى المشرقة الرشيدة التى طافت بخواطر أولئك النفر الذين تخيلتهم فى منامى ، إلا ما بين الحقائق والأحلام

وإن هؤلاء النفر الذين يمثلون الصفوة المفكرة المجاهدة من رجالات الأمة الإسلامية ، والذين تخيلتهم فى موقفهم ذاك على جبل « إلال » يتحدثون ويلهمون ؛ فتهتز لحديثهم جنبات الوادى ، وتتجاوب مع كلـاتهم قلوب الملايين من مسلمى الأرض ، وتتخلع أفئدة زبانية الاستعمار وقراصنة الشعوب … هاهم أولاء بذواتهم يؤدون فريضة الحج ، ويقفون فى عرفة . ولـكن وقوفهم هـذا أبعد ما يكون عن وقوفهم ذاك ؛ بعد الأرض عن السماء

إنهم هنا لا يؤدون تلك الأمانة العظمى ، فيتحدثون إلى مئات الألوف ، ومن ورائهم مئات الملايين ؛ ومن ورائهم دول العالم ترهف السمع والقلب — حديث التوجيه والإلهام والبعث والبناء ؛ ولـكنهم يقفون كغيرهم من عامة الناس ، ممن لا يحملون أمانة ، ولا يضطلعون بمسؤولية . وإذا تحدث أحدهم لا يتجاوز حديثه بضعة أفراد ، ولا يتخطى أبواب الخيمة وآذان سامعيه !

أين هى إذن تلك المنافع التى جئنا لنشهدها فى هـذا الموقف الجامع العظيم ؟

إن منفعة واحـدة هى التى أزعم أننى أفدتهـا . ويزعم الـكثيرون

هى الشعور بهذا النقص الخطير فى تمثل حكمة الحج وتلك المسؤولية الـكبرى فى إهدار هذه الفرصة التى لا تتاح للمسلمين إلا مرة كل عام

محمد كامل حتة

شعر مختار

رباعيـات

للدكتور عبد الوهاب عزام

يتبع الشعر والشواغل شتى كانبجاس الزلال بين الرمال
أبصر اللاء صافيا لست أدرى كم فياف سرى بها وجبـال

قد عبدنا حدائق الحسن فى الأرض
تربنا الثمـــار كل شهى
وكبرنا عن أن نسف إليها فضينـا كطائر وحشى

قلت لليل كم بصدرك سر أنبئنى ما أروع الأسرار ؟
قال : ما ضاء فى ظلامى سر كدموع المنيب فى الأسحار

قد تهاوى إلى الحضيض أناس وخذوا حين حوسبوا بالظواهر
ليت شعرى فما يكون أناس ما يكونون يوم تبلى السرائر ؟

قالت النفس لا تسل لست أدرى
فى خضم الحيـــاة بالمقصود
غير أنى أرى شراعا وريحا ومنارا يلوح لى من بعيد

لا يبالى الأخيار فى هذه الأر ض بباغ ومفتر وحسـود
لو يبالون لم يشقوا طريقا بين هذى الآفات نحو الخلود

كم سمعنا وكم رأينا عجيبا : فى أناس طبيعة الحرباء
فهم يبـــدلون لونا فلونا فى غـداة وضحوة ومساء

لا ترج الثواب عنـد عباد خاب من يرتجى ثواب العباد
كم يجازون بالإسـاءة إحسا نا وبالـكفر ما لقوا من أيادى

لا يعادى الإنسـان كلبا عقورا أو يخاف الملام إن فر منه
كم عقور من الأناسى فاحذر ه ولا تخز إن تبـاعدت عنه

علمـاء الزمان فى درجات لا من العلم بل من الأموال
إنما هـــذه الوظائف أثما ن بهـا قومت قدور الرجال

عبد الوهاب عزام

لقد «أنجبت» أرض الكنانة منقذا

للشاعر الفلسطيني الأستاذ مصباح العابودي

معاذ العلا أن تقبل الخسف موردا
وتغدو مسودا بعد أن كنت سيدا
وحاشاك أن تحيا على الناس عالة
وتهجر ميدان الكفاح وتقعدا
وأنت الذي أحنى له الدهر هامه
وسطر للأمجاد سفرا مخلدا
بنى فوق هام الشهب أهرام مجده
ومن مهج الأبطال صرحا مشيدا
أغرت على الأهوال سهما مسددا
وسلت على الأحداث سيفا مجردا
فأوشك ثغر الصبح يفتر باسما
وكاد طريق النصر يبدو معبدا
ولكن «شيوخ» العرب «لله(1) درهم»
أبوا لك إلا أن تكون مشردا
عجبت لكم فيم التفاخر بينكم
فهل ظل غير «البيت» أن يتهودا
ويا ليت هذا البيت أضحى مهدما
وصينت لنا الأعراض بيتا ومسجدا
تشاد بيوت الله إما تهدمت
وما انهار من أعراضنا لن يشيدا

* * *

محرر وادي النيل إعجاب شاعر
يرى فيك للاسلام عزا وسؤددا
فلسطين لن تنساك برا بأهلها
حفيا ولن تنساك عونا ومنجدا
وأن [illegible] أمرقته فوق تربها
سيبقى على الأيام هديا ومرشدا
لنا فيك آمال كبار أجلها
قبولك جيش اللاجئين مجندا
نشارك في تحرير مصر وحسبنا
نرد جميلا أو نموت فنحمدا
فنحن وهبنا المجد ما في أكفنا
ونحن مهرناه نفوسا وأكبدا
إذا دعت العلياء يوما فإننا
لأول شعب مستجيب إلى الندا
بلادي لك البشرى ولي فرحة اللقا
ظلامك قد ولى وصبحك قد بدا
لقد «أنجبت» أرض الكنانة منقذا
وقد بعثت كف السماء «محمدا»

(1) المعنى المقصود «لا در درهم»

غضبة ريح الشمال

للأستاذ محمود عماد

لبثت الدهر ياريح الشمال ... رخاء سجسجا في الانتقال
يناشدك العليل شفاء داء ... ويسألك الحزين صفاء بال
فكيف غدوت عاصفة تذري ... ديار القوم تذرية الرمال ؟
كأنك مارد شرس غضوب ... يروع بالعزيف وبالصيال
تركت البر بحرا ذا سفين ... ولج البحر برا ذا جبال
فأغرق طائر إذ طار حوت ... إلى شجر بأقصى الشط عال
وأفلتت الشباك الصيد إلا ... أوابد من نساء أو رجال
ولاقى الغرب ما لاقاه منه ... أخوه الشرق من سوء الفعال
فمن الريح بالتأديب أوحى ... وعلمها التفوق في النزال ؟
وأشهدها بمصر وإندنسيا ... وفي مرا كش هول النكال ؟
لئن جاز الشمات لنا شمتنا ... وقلنا عشت ياريح الشمال !
ويا ريح الجنوب ترحميها ... غلوا في الدمار وفي الوبال
ولكنا لآدم انتسبنا ... إذا انتسبوا إلى وحش الدغال
وأن يعوزهمو خلق جميل ... ففي أخلاقنا سمة الجمال
فياريح ارحمي الظلام مما ... به نكبوا الأواخر والأوالي

مسرح وسينما

مسرحية (ست البنات)

تأليف : الأستاذ أمين يوسف غراب . إخراج : الأستاذ حمدي غيث
تمثيل : فرقة المسرح المصري الحديث

للاستاذ علي متولي صلاح

بدأ التنافس يشتد بين المؤلفين وبين الفرق المسرحية عندنا على تقديم المسرحيات الهزلية (الكوميدية) حتى أوشكت أن تستغرق المسرح المصري كله . ومرد ذلك — من غير شك — إلى أن هذه المسرحيات قريبة من أهواء الجماهير ، محببة إلى نفوسهم ، وإلى أنها تجلب من (الإيراد) ما لا تجلبه سواها من المسرحيات !

ولست أدري ما الذي يهدف إليه الكثيرون من مؤلفي هذه المسرحيات ؟ اللهم إن كان كل ما يهدفون إليه هو إضحاك الجماهير — دون نظر إلى أي إعتبار آخر — فليس عليهم من بأس إذا هم تركوا المسرحية واكتفوا (بالنكتة) الشعبية ، أو (القافية) البلدية ، أو هز البطون وتلعيب الحواجب وإخراج اللسان وما إلى ذلك ، فإن في هذا غناء لهم أي غناء ، ومتسعا لهم أي متسع !

أما إذا كانوا يهدفون إلى الإضحاك عن طريق (المسرحية) فإن لزاما عليهم أن يراعوا قواعد هذه المسرحية ، وأن يدرسوا أصولها ، وأن يجعلوها غرضهم الأول بحيث يكون الضحك منبعثا عنها ، متشمما من داخلها ، لا منصبا عليها انصبابا من الخارج في افتعال وإقحام ؛ ليستمر ضحك الجمهور ، وترتفع قهقهته ، فيضمن المؤلف والفرقة إزدحام الناس ووفرة الإيراد !

وليست المسرحية التي نعالجها اليوم نموذجا أعلى لهذا اللون من المسرحيات التي يقصد منها إلى الإضحاك وحده وإن أخذت بالكثير من أسبابها — ولكن هذه الظاهرة واضحة في مسرحياتنا الهزلية ، جنح إليها المؤلفون جنوحا كبيرا حتى جعلوا مقدار نجاحهم يساوي تماما مقدار ما تؤدي إليه مسرحياتهم من إضحاك ، دون نظر إلى مقومات المسرحية أو إلى الغرض التهذيبي أو العقلي منها !

ومسرحيتنا اليوم (ست البنات) تقوم على قصة شاب يشتغل محاميا تزوج حديثا ، ولكنه ظل سادرا في غيه وضلاله ، منصرفا عن بيته وعن مكتبه إلى عشيقاته الكثيرات اللائي اتخذ لهن مسكنا خاصا أنيقا يقضي فيه معهن السهرات الممتعة والليالات الملاح ! ولكن زوجته — وقد ضاقت بذلك كثيرا — اتخذت صورة خادمة المنزل واتفقت مع وكيل مكتبه — بعد أن بذلت له الوعود المعسولة ! — على أن يوافيها بأنبائه جميعا ، ويطلعها على حركاته وسكناته ، ويفضي إليها بأسراره ومواعيده مع عشيقاته . واتخذت — من ناحية أخرى — صفة مندوبة جمعية وهمية تسمى (جمعية الهلال الأخضر) . وجعل وكيل المكتب — وقد سحره جمالها وجمحت به رغبته في تحقيق وعودها ! — يفضي إليها كل يوم بتلك الأنباء والمواعيد . وأخذت هي — بصفتها مندوبة جمعية الهلال الأخضر — تتصل بآباء عشيقاته . وتعمل جاهدة على أن تفسد عليه كل خطة . وأن تأخذ عليه كل سبيل

ثم انتهت إلى أن عرفت مكان مسكنه الخاص ومأوى عشيقاته . ففجأته فيه ذات ليلة . ولكنها لم تجده به . وإنما وجدت صديقا له كان قد استبقاه وطلب إليه القيام بخدمة كبرى ! فقد اجتمع له في مساء تلك الليلة موعدان مع عشيقتين تريد إحداها وتأبى الأخرى . ولن يستطيع أن يجمع بينهما في صعيد واحد ! فطلب إلى صديقه هذا أن ينتظر بالمنزل حتى تحضر هذه (الأخرى) فيحاول أن يتخذ معها موقفا مريبا يفجؤهما فيه هذا الزوج فيثور عليها ويطردها من المنزل فيصفو له الجو مع عشيقته التي يهواها !

ولكن الزوجة هي التي حضرت — قبل المشيقة

المرتقبة — فحسبها الصديق تلك المشيقة ورغب في القيام بالمهمة التي طلبها إليه صديقه . ورغبت هي أيضا — بينها وبين نفسها — في ذلك لإشعال نار الغيرة في صدر زوجها. فالتقت الرغبتان . وجاء الزوج فرأى هذا الموقف المريب . فتاب وأناب . وأقسم لها بالله العظيم أن يهجر هذا المنزل . وأن يثوب إلى زوجته وإلى عمله مدى الحياة

ذلك هو الخط الرئيسي لمسرحية (ست البنات) ؛ ولست أفهم سببا لإطلاق هذه التسمية على مسرحيتنا هذه إلا أن هذه الكلمة من صميم كلام الشعب . وليس مما يصح في الأذهان أن يسمى المؤلف إحدى بطلات مسرحيته باسم (ست البنات) مثلا ، قاصدا إلى ذلك متعمدا إليه . ثم يجعل من هذا الاسم المفتعل اسما للمسرحية كلها دون أن توجد أدنى علاقة بين هذا الاسم وبين موضوع المسرحية. فإن هذا خداع للناس وتضليل لهم يجب أن ينأى عنه كرام المؤلفين . وقد أشرت إلى ذلك عند حديثي عن (صندوق الدنيا) ..

والعجيب في أمر (ست البنات) هذه — وهي زوجة المحامي — أنها ظهرت لنا في الرواية — أول ما ظهرت — طيبة القلب ساذجة سليمة الفؤاد صابرة مؤمنة تقول بأن (الست تعيش مرة واحدة وتتجوز مرة واحدة) — وإن كان ذلك يؤذي شعور بعض السيدات ويخالف ما شرع الله ! — وتقول بأن (الدموع في بيت الزوج أحسن من الضحك في بيت الأب) ... ثم إذ بنا نراها بعد قليل جدا من الزمن . وقد انقلبت امرأة لعوبا خبيثة ماكرة تمثل دور الخادمة في حذق وإتقان . وتلعب بعقل وكيل مكتب زوجها — وهو رجل كهل كثير التجارب — وتغريه بالأماني المعسولة ، وتستدرجه فيفضي لها بكل ما تريده ، وتمثل — في نفس الوقت — دور مندوبة جمعية الهلال الأخضر — وهي جمعية وهمية كما قدمت — وتستمر في هذا التمثيل طويلا دون تعثر أو اضطراب حتى تحقق ما تريد ! فمن أين جاءها كل هذا المكر والدهاء على حين فجأة ؟ ... وعلى العكس منها تماما كان زوجها ، فهو — كما بدا من أول الرواية حتى قبيل نهايتها — رجل عابث مستهتر ، زير نساء ، واسع الحيلة ، كثير التجارب في أمور النساء خاصة ، ثم هو محام فوق ذلك كله ، وهو قد استشعر التجسس عليه وأحسه ولمسه حتى قال (كل الناس بيتجسسوا على حتى التليفون !) ... رجل هذا شأنه كيف لا يدرك أن موقف زوجته مع صديقه — في منزله الخاص — تمثيل منها وصناعة ؟ كيف لا يدرك ذلك وهو يعرف أخلاق صديقه ، ويعرف أن زوجته لم تلتق به ولم تعرفه إلا منذ لحظة ؟ ويعرف أن الأمر يقع في منزله الخاص الذي لم تدخله زوجته إلا هذه المرة ، والذي لا تأمن فيه أن يحضر زوجها في أي وقت لأنها تجهل نظام المنزل ومواعيد حضوره فيه — وهذا في نظر الزوج طبعا — كيف يجتمع له كل ذلك ثم ينخدع في هذا الموقف ويؤمن بأنه حقيقة خالصة ؟

ثم لماذا تاب وأناب ؟ ألأنه قد انكشف أمره ؟ إن ذلك لا يكون سببا فهو يعلم أن أمره مكشوف من زمن بعيد ، وأن الناس يتجسسون عليه ، وأن التليفون يتجسس عليه أيضا كما قدمنا ! أم لأنه انخدع فظن السوء بصديقه وزوجته ، وذلك أمر لا يعني من كان على شاكلته ، ثم هو قد علم بعد لحظة يسيرة بأنه كان تمثيلا من الزوجة وكان خطأ من الصديق كما صرحا له بذلك ! إن الممثل الذي كان يقوم بدور الزوج — وهو الأستاذ صلاح سرحان — قد اختلج واضطرب عندما أراد أن يقوم بهذه التوبة والإنابة فأكبرناه وحمدنا له هذا الاختلاج والاضطراب ! إنه إحساس منه بحرج الموقف ، وشدة المفارقة ، والنقلة الفاجئة من الضلال البعيد إلى الهدى والاستقامة !

وكم كان خيرا لو أن المؤلف نأى عن الكلام الذي يمس الناحية الجنسية كقول الخادمة مثلا عن وكيل المكتب الذي طلب أن يكون متقدم أتعابه قبلة (إذا كان النيل

بيمعل كده على القدم !) وكقول المؤلف — متهكما — عن نظام علاقة الزوج بعشيقاته إن (جلساته تنعقد فى البارات ، والحكم على السلم ، والتنفيذ هنا فى الشقة !) وغيرها فإن هذا — وإن أضحك البعض كما يقصد إليه المؤلف — فإنه يؤذى شعور البعض الآخر والمسرح للناس جميعا

وكم كان خيرا لو أنه نأى عن الكلام الذى فيه تعريض ببعض الناس أو زراية ببعض الطوائف مثل قوله للخادمة (أنت خدامة ولا مدرسة إنشاء !) ومثل قوله (إنها متخرجة من حى زينهم) ومثل زرايته المستهجنة بالشعراء وإظهاره لأحدهم وهو يخور كالثور قائلا (عا — عا) ويدق صدره بيده كالمجنون ، ويقبض قبضات من الهواء يضحك لها الناس فيرضى المؤلف ويعلن سرورا بضحكهم ! وأرجو ألا تجمح الرغبة فى الإضحاك ببعض المؤلفين إلى هذا الحد. وكم كان خيرا لو قال — نوعا ما — من الاعتماد الكثير على التليفون الذى استمر معه طول الرواية والذى يذكرنا بالمغنى الضعيف الذى يجعل أكبر اعتماده على (التخت) !

ولا أدرى كيف يشهد الزوج الريبة بين زوجه وصديقه ويؤمن بهما إيمانا تاما ، ثم يدور الحوار بينهم طويلا ، وصديقه ينحيه ويبعده عنها — باعتبار أنها صديقته التى صارت خليلة لصديقه هذا — ويستمر هذا الحوار ربع ساعة دون أن يعلن أنها زوجته ؟ كيف يحتمل الزوج هذا كله ؟ وما الذى عقل لسانه عن إعلان أنها زوجته ؟ بل ما الذى أقعده عن قتله أو قتلها وهو ما يفعله الكثيرون فى مثل هذا الموقف ؟

أما المخرج والممثلون فأشهد أنهم — فى جملتهم — قد أمدوا هذه المسرحية بحياة ليست منها فى شئ ، فإنهم قد بذلوا جهدا مشكورا وحملوا مشقة كبيرة ، وأخص بالذكر منهم (أحمد الجزرى) ، (نور الدمرداش) ولكنى أسأل الأستاذ المخرج : كيف — وقد جعل المؤلف فصل الرواية الأول يمثل نهارا كاملا — لم يعمل فاصلا يوضح به مرور هذا الزمن الطويل ، ولم يغير الإضاءة كما تتغير فى واقع الحياة ؟ وكيف يجعل الخادمة تقابل الضيف الكبير وهى تحمل (القشة) بل تضعها أمامه على المنضدة وهو أمر غير مألوف فى الحياة ؟ وكيف يظلم مكتب المحامى إظلاما دامسا ويدعه فارغا من كل صوت ومن كل إنسان فترة من الزمن ؟ وكيف يملأ القسمين اللذين انقسم إليهما المسرح — فى الفصل الثانى — بالحركات الكثيرة هنا وهناك فتشغل إحداهما عن الأخرى وتكون سببا فى إضعافها وإماتتها ؟

وأسأل الأستاذ (عدلى كاسب) لماذا يتشبث بمحاكاة (بشارة واكيم) فى هيئته وحركاته وكلماته فيذكر الناس (بشارة) وينسون (عدلى) ؟ وكيف يمد يده — مغازلا — لمندوبة جمعية الهلال الأخضر فى بيتها بمجرد لقائه بها فى منزلها بدون أى مقدمات تشجعه على ذلك ؟ وكيف يطلق العنان لأنفه فيسترسل فى (الشخير) مرات عديدة اللهم إلا إذا كان ذلك لأنه رأى الجمهور يستريح لهذا الشخير ويضحك منه ؟ ولماذا يطلق الرصاص على الوكيل — الذى حسبه المحامى — بافتعال واضح وهو يقفز ويضحك ويجرى ؟ ويطلقه فى الهواء دون هدف ؟

وأسأل (صلاح سرحان) ، (سميحة أيوب) لماذا يطلبان التليفون بإدارة أربعة أرقام لا خمسة كما يجب — وقد تكرر هذا منهما — وهما يعلمان أن التمثيل يجب أن يمثل الحقيقة بحذافيرها وأنه إذا دخله الزيف فقد انهار من أساسه ؟

وأسأل (أحمد الجزرى) لماذا يخلع الحذاء ويهم بأن يضرب به المحامى وصديق المحامى ثم لا يفعل — دون أن يرده أحد عن هذا الفعل — وهو عمل غير مستحب ؟ ولماذا — وهو يحاول إفهام السيدة أن اسمه دردير أفندى بالدال — يشير بيديه — ممثلا صورة حرف الدال — إشارة تمثل أحد الأعضاء الجنسية فى الإنسان ، ليضحك

أخبار أدبية وعلمية

الحوانيت الغامضة

يصدر نفر من كتاب الطليعة الأوروبيين في روما العاصمة الإيطالية مجلة جديدة من نوع غريب تحمل اسم «الحوانيت الغامضة Botteghe Oscure» يشترك في تحريرها بعض الناشئين من الكتاب الإيطاليين والفرنسيين والإنجليز باللغات الثلاث. وتدعى هذه المجلة أنها لسان حال الأدب العالمي الجديد. وقد انبع محررو هذه المجلة أسلوبا مستحدثا في الكتابة والتعبير، فهم لا يتقيدون بقواعد الصرف والنحو وأبواب القريض التقليدية. فالنقط والفواصل وما إليها من الإشارات التعبيرية والكتابية والتحريرية مفقودة من نص المقالات أو مدونة في أماكن لا يصح أن تستعمل فيها

وعدد صفحات المجلة ٧٩، وتصدر في غير انتظام، وبعض مقالاتها وأشعارها رؤوس أقلام لأعمال أدبية تخمة يطمح كتابها أن يتوسعوا فيها حين يطيب لهم مثل هذا التوسع! والغموض يكتنف مجلة «الحوانيت الغامضة» حتى ولو حاول القارئ استيعابها في ضوء أشد المصابيح اشراقا

ترجمة جديدة لأشعار بودلير

صدرت في هذا الشهر ترجمة إنجليزية جديدة لديوان «زهور الشر» للشاعر الفرنسي المعروف بودلير. وقد أثارت هذه الترجمة جدلا حول صعوبة ترجمة المنظوم من الأدب الأجنبي والصعوبة التي يواجهها المترجم في نقل الروح الشعرية واللفظية التي يتميز بها الشعر بين أدب وآخر من الآداب العالمية

وقال نفر من النقاد إن أسلوب ترجمة الأشعار الكلاسيكية لأشعار بودلير يجب أن يتفاوت ما استطاع الابتذال في التعبير، وأن يتعمد صياغة الترجمة في الأسلوب اللغوي القديم الذي من شأنه أن يحيط الترجمة بهالة الجلال الأدبي الذي يتناسب مع عظمة التراث الأدبي للمترجم له

وقال نفر آخر من النقاد إن القارئ المعاصر يجب أن يزود بترجمة خالية من التعبيرات القديمة وإن جاء ذلك على حساب الأمانة الأدبية في النقل

ويبدو أن الاتجاه الثاني هو السائد في حاضر الأدب الإنجلو سكسوني. وليس أدل على هذا من المجهود الأخير الذي قامت به الكنيسة البروتستانتية في إعادة ترجمة التوراة في لغة عصرية تخلصت من بعض التعابير البائدة التي كان الكثيرون من عشاق «الكتاب المقدس» يعتقدون أنها خير ما في هذا الكتاب من مزية أدبية

كتاب جديد لجابريل مارسل

يعتقد جابريل مارسل الفليسوف الفرنسي المعاصر وأحد اتباع المدرسة الوجودية Existentialisme بأن أخطر ما يهدد الحضارة الغربية اليوم هو «رجل الشارع» ورجل

الناس، وهو يعلم أن هذا شيء لا يجوز؟ وكيف يسمح المخرج بهذه الفعلة؟

وأسأل (سميحة أيوب) كيف تجرى وراء زوجها وهو يفض الخطاب كأنها تستطلع ما فيه مع أنها قرأت صورته كاملة أمامنا — نحن جمهور الشاهدين — منذ لحظة يسيرة مع أنها وقفت خلفه بحيث نراها نحن ولا يراها هو؟

أرجو أن يتنبه الممثلون إلى أن هذه الدقائق في أعمالهم ليست دقائق في أعين الجمهور الذي يرقب كل حركاتهم في يقظة شديدة وانتباه كبير

علي متولي صلاح

الشارع كما يعرفه جابرييل مارسل علم على الاتجاه الأدبي والفكري والفني الذي يحاول أن يبسط الفن والأدب والثقافة بشتى ألوانها بحيث يسهل هضمها على رجل الشارع الذي لا تتوفر لها مؤهلات ثقافية وملكات أدبية وفكرية تعينه على استيعاب الأدب والفن كما يطمع في معالجتهما المبدعون من الكتاب والفنانين

وجابرييل مارسل يدعو إلى توطيد دعائم الحضارة المسيحية كما يفسرها أتباع المدرسة الوجودية . وهو أميل إلى تقليد الفيلسوف كيير جيكار Soren Kierkegaard منه إلى الانضواء تحت علم بول سارتر . وكلاهما من أئمة المدرسة الوجودية

وجابرييل مارسل في دعوته إلى إحياء الأسس الروحية للحضارة المسيحية لا يصر على التقيد بألوان التعصب الديني الذي يحلو للكنيسة الكاثوليكية التشبث به . ومارسل في انتقاده للكنيسة الكاثوليكية ينتقد الصوفية الغامضة التي يطيب للأدباء الكاثوليك تمجيدها وبث الدعوة إليها في إنتاجهم الفكري المعاصر . ويعتقد مارسل بأن هذا اللون من الصوفية هروب من المسؤولية الأدبية ؛ فكما أنك لا تطلب من « رجل الشارع » أن يتذوق الأدب والشعر لذلك لا يليق بك أن تطلب من المثقفين الدخول في عوالم الصوفية وأجوائها الغامضة

وجابرييل مارسل لا يؤمن بالشيوعية ويعتقد بأنها في دعوتها لتبسيط الأدب والفن والثقافة لتكون في متناول « رجل الشارع » تبتذل الفكر وتهين الأدب والفن والثقافة الرفيعة ، وتقيد من حرية الفنان والمبدع وتنكر الأسس الروحية للحضارة الإنسانية

ومارسل لا يؤمن بأن العالم الانجلوسكسوني خير من يحفظ تراث الحضارة المسيحية . فذلك العالم مادي في جملته إلحادي في روحه . ولكن مارسل مع ذلك لا يجد بأساً من أن تتحد فرنسا مع العالم الإنجلوسكسوني لأن « مادية » الأمريكان والإنجليز أقل تطرفاً من مادية السوفييت ، ولأن القيود المفروضة على الحياة الروحية والإنتاج الأدبي والفني والثقافي في أمريكا وانجلترا ضئيلة بالقياس إلى تلك التي يفرضها الاتحاد السوفييتي على حفظة التراث الثقافي

وقد ترجم كتاب مرسل الجديد إلى الانجليزية بعنوان:

Man against mass Society. By, G-briel Marcel
Published by. Henry Regency Co. New york 1953

مظاهر الاضطهاد الفكري على المسرح الأمريكي

من بين المسرحيات القوية التي افتتحت بها برودواي (حي المسارح في نيويورك) موسمها الشتوي الجديد مسرحية « التنكيل » وهي من وضع الروائي الأمريكي الشهير أرثر ميللر مؤلف المسرحية الخالدة « موت البائع » التي استمر تمثيلها ثلاث سنوات متتابعات على أحد المسارح الكبرى في برودواي ، والتي تعالج فقدان الطمأنينة الروحية في عالم تكتنفه المادة من كل الجهات

والمسرحية الجديدة تتخذ حقبة من التاريخ الأمريكي مجالا لانتقاد موجة الاضطهاد الفكري الذي يواجهها الفنان الأمريكي حين يتطرق إلى معالجة موضوعات فكرية أو سياسية يشوبها طابع متطرف لا يتمشى مع سياسة الحكومة الأمريكية في مواجهة الشيوعية السوفيتية

وتدور وقائع المسرحية في مدينة (سالم) الأمريكية التي شهدت في أواخر القرن السابع عشر موجة من الاضطهاد الفكري تولى إثارتها نفر من رجال الكنيسة ضد بعض المتحررين من قيود الفكر المسيحي العتيق ، والذين أصبحوا فيما بعد من دعائم الفكر المسيحي البروتستانتي المعاصر في العالم الجديد

وقد تعمد المؤلف في صلب الحوار أن يقسو أشد القسوة على بعض محترفي السياسة الأمريكان الذين أعمتهم مصالحهم السياسية عن تقدير الرغبة الطبيعية في الانطلاق من القيود الثقيلة التي تهيمن على الفنان المبدع وعلى

المثقفين إجمالا

والواقع أن عددا كبيرا من المسرحيات الأمريكية لهذا الموسم الشتوى هزلية أو جدية تحمل فى ثناياها طابع الثورة على هذا النفر من الساسة الأمريكان الذين أخذوا فى الآونة الأخيرة يكيلون التهم لكل من يعالج موضوعا لا يتقيد بأصول الفكر السياسى والاجتماعى الذى يتبعه رجال الحكم الأمريكان

معجم روسى — إنجليزى جديد

خصصت المؤسسة القومية للعلوم الطبيعية فى نيويورك مبلغ ٤٠ ألف دولار لوضع معجم روسى — إنجليزى جديد يعنى بشرح المصطلحات العلمية الروسية ليمين طلاب العلم ودوائر الاستخبارات العسكرية الأمريكية على متابعة التقدم الصناعى والعسكرى فى الاتحاد السوفييتى بعد أن تشعبت المصطلحات العلمية فى اللغة الروسية فى ظل الحكم السوفييتى مما جعل من الصعب إدراك مفاهيمها من المعاجم الروسية — الإنجليزية القديمة

ويشترك فى وضع هذا المعجم الجديد أكثر من ٢٠٠ مترجم يعاونهم عدد من خبراء وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الأمريكيتين ونفر من علماء الروس الذين هجروا الاتحاد السوفييتى فى الآونة الأخيرة . وقد تولت دائرة العلوم السلافية فى جامعة كولومبيا فى نيويورك الإشراف على وضع هذا المعجم

رواج تجارة اللوحات الفنية المزورة

يواجه تجار اللوحات الفنية الأثرية موجة من التزوير المتقن لعدد من كبار الفنانين الخالدين بدأت فى فرنسا بعد أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها وبلغت من الإتقان حدا أذهل كبار الخبراء فى فن الرسم ، وقد بلغ عدد اللوحات المزورة أكثر من ٦٠٠ ، ابتاع أكثرها السواح الأمريكان الذين يؤمون باريس بحثا عن اللوحات الفنية فى مونمارتر والضفة اليسرى من نهر السين

وهذا النوع من التزوير الفنى يقتصر على أئمة الفن القدامى الذين ضاع أكثر انتاجهم

وقد تخصص أحد تجار الرسوم الفنية فى باريس مؤخرا فى فحص هذه اللوحات المزورة وأصبح مرجعا وثيقا يؤمه الناس من كل مكان . والرجل (واسمه أندريه شولر) فى الرابعة والسبعين من عمره وقد جنى ثروة طائلة من هذا التخصص

سلسلة أفلام ملونة عن جحا

شرعت إحدى الشركات السينمائية التركية فى إصدار سلسلة من الأفلام السينمائية الملونة عن «جحا» الشخصية الفكاهية المعروفة فى الأدب الشعبى . وستعتمد هذه الأفلام ابراز النوادر المليحة التى حيكت حول هذه الشخصية الفكاهية المحبوبة ، وبعض هذه النوادر من صنع الرواة والبعض الآخر من صنع جحا نفسه . وقد اقتبست الشركة التى تولت هذا الإنتاج أسلوبها فى بناء هذه السلسلة السينمائية عن هوليود وعن كتاب القصص الفكاهية المتسلسلة التى يحسن الأمريكان صنعها . وهذه القصص تدور حول شخصية شعبية معينة وتستمر فى استعراض نوادره وما صاحبها من ظرف وعبث فى حقبة بعض حقبة وقد تطول هذه السلسلة إلى أعوام فى أعمدة الصحف أو فى الأفلام السينمائية القصيرة التى يرجع تاريخ بعضها إلى أكثر من عشرة أعوام ولا تزال تصدر بانتظام

وسيسجل الفلم التركى الأول عن « جحا » وحياته كمدرس فى إحدى قرى الريف التركى وصاحب هذه الحقبة من تاريخ هذه الشخصية الفكاهية من ألوان النوادر والملح

في عالم الكتب: نقد وتعريف

بعد الغروب

تأليف الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

للدكتور عبد القادر القط

هذه قصة للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله نشرت قبل هذا العام ثم أعاد نشرها نادي القصة منذ شهرين . وهي تصور أزمة عاطفية في حياة شاب تخرج في كلية الزراعة فمضى يبحث عن عمل . وانتهى به المطاف إلى أن يشتغل ناظر زراعة في مزرعة يملكها أديب كبير . وكان المالك وابنته أميرة يزوران القرية لماما فيمضيان بها أياما أو أسابيع يعودان بعدها إلى القاهرة . وكذلك أحب الفتى أميرة حبا صامتا لم يرد أن يفصح عنه لأنه كان يرى نفسه أفقر من أن يتطلع إلى من كانت في مثل ثرائها . ولكن خادمته زينب — وكانت بدورها تحبه حبا يائسا — تقرب بين الحبيبين حتى يتصارحا . ويعرف عبد العزيز — وهذا هو اسم الفتى — أن والد أميرة يريد أن يزوجها لابن عمها سامي فيستبد به الحزن ولكنه يحاول أن يعرف شعور أميرة نحو هذا الخطيب ويتكفل له بذلك صديقه صالح الذي يقيم في القاهرة فيراقبها ويتتبعها وينتهي إلى أنها لا تحمل لابن عمها شيئا من الحب . وتعد أميرة بأن تحدث أباها في الأمر ، ولكنها تتريث وتتردد حتى تجد أباها جاثيا على فراش الموت يبارك بنظراته المعبرة زواجها من ابن عمها . وهكذا تجد أميرة نفسها مضطرة إلى اصطناع الانصراف عن عبد العزيز لأنه فقير . ويفترق الحبيبان .

والقصة كما ترى قصة « رومانسية » تصور سلسلة من التضحيات المفتعلة البعيدة عن واقع الحياة . فالأب يضحي بمستقبل ابنته في سبيل الوفاء لأولاد أخيه ، والبنت تحبها في سبيل الوفاء لذكرى أبيها وتحقيقا لرغبته وهو على فراش الموت ؛ وزينب تضحي بحبها لتسعد سيدتها فتجعل من نفسها رسولا بين العاشقين ؛ وصالح يبذل تضحية من نوع آخر فيكلف نفسه أن يراقب بيت أميرة في إحدى الضواحي عدة أيام ليتابعها ويعلم مبلغ علاقتها بابن عمها ، حتى القصة القصيرة التي كتبها سيد العزبة ترمز إلى هذه المثالية المفرطة ، فبطلها العامل الفقير يضحي بحبه لتتزوج فتاته ثريا تنتفع أسرتها الفقيرة بثروته . وقد تحسن المثالية في القصة إذا كانت ثورة على قيم زائفة وأوضاع خاطئة وصراعا بين عواطف سامية وأخرى وضيعة ، أما إن كانت استسلاما مطلقا لمشاعر بينة الانحراف فهي عيب لا شك فيه . فإغراق الأب في الوفاء لأولاد أخيه على حساب ابنته عاطفة زائفة ، وتبرع زينب للتوفيق بين سيدتها وسيدها الذي تحبه هي نفسها شيء غريب ، وما صنعه صالح في سبيل صديقه أمر يتنافى مع الكرامة والجد . وقل ذلك في سائر التضحيات التي تحفل بها هذه القصة . وأبطال القصة بهذه المثالية الزائفة يتنكرون لأنسانيتهم ويذعنون لقضاء قيم باطلة تتحكم في مصايرهم دون أن يكون هناك على الأقل صراع عنيف قد ينتهي بالفشل أو النجاح ، ولكنه في كلتا الحالين يؤكد إنسانية الشخصية وبطلان هذه القيم سواء خرجت من الصراع منتصرة أو مخذولة

واختفاء الصراع القوي نتيجة لهذه الفضائل المفتعلة يفرض على المؤلف أن يختلق مبررا لكل عمل يجانب — في رأيه — المثل الأعلى للسلوك الفاضل ؛ فأميرة تحب عبد العزيز وتنصرف عن ابن عمها لا لأنها أحست ميلا فطريا نحوه ، ولا لأنها إنسانة يمكن أن تتحول مشاعرها إذا ما لقيت رجلها المنشود ، لا ... فإن ذلك لا يتسق مع العالم الفاضل الذي يرسمه المؤلف إذن فليكن ابن عمها شابا « ألذ الأوقات التي يقضيها في أربع وعشرين ساعة وقت يمضيه عند الحلاق أو في الحمام أو واقفا أمام واجهة أحد المحال ليرى أكثر الألوان انسجاما على ذوي الوجوه البيض ... يجيد التحدث عن الأفلام ويحفظ أسماء الممثلات .

خاصة حتى لقد نظمت إحدى المجلات الأسبوعية مسابقة عويصة الموضوع فكان الفائز فيها . وكانت هذه المسابقة هى أن رسمت المجلة عشرة أزواج من عيون الممثلات بين غربيات ومصريات وكتبت فى أعلى الصفحة « أتستطيع أن تعرفهن من عيونهن » وكان الأستاذ سامى هو الذى عرفهن جميعا بما له من عبقرية ... يمضغ الكلمة مرة أو مرتين قبل أن يتفضل بها عليك فيخرجها من فمه ثم يرسلها من بين شفتين تأخذ سفلاها وضعا وتأخذ علياها وضعا آخر عند مخرج الكلمة . يحرك عنقه بتقدير لأنه يخاف على بنيقة قميصه المنشاة أن تنكسر ، وعلى عقدة رباط العنق أن تتحول الخ » وهكذا يجد المؤلف عذرا لبطلته إذا ما انصرفت عن ابن عمها المخنث إلى الفتى الجاد المستقيم دون أن يمس ذلك ما ينبغى لها من عفة العواطف ومثالية الأحاسيس ، وهذا بعينه ما فعله السباعى فى قصته « إنى راحلة » حين وصف زوج بطلته بأفذع من هذا ليبرر فرارها منه إلى حبيبها . وإذا جاز للوالد فى قصة السباعى أن يزوج ابنته لهذا المخنث سعيا وراء الجاه والمال فكيف جاز للوالد فى قصتنا هذه أن يرتكب هذا الإثم وهو الأديب الكبير والقصاص الخبير بدخائل النفوس ولم يكن له من وراء ذلك مغنم ؟ وكيف استباح أن يقول لابنته « إن سامى شاب لا أرى فيه ما يمنع أن يكون زوجا لك » وفيه تلك الخصال الذميمة التى وصمه بها المؤلف ! إن أية فتاة فى موقف أميرة يمكن أن تحب أى فتى يعترض سبيلها مادام فيه شئ من رجولة تناقض ما فى سامى من تخنث . وعندئذ يكون حبها فرارا من خطيب خلا من كل ما يجتذب المرأة لا استجابة لشعور طبيعى بأن فى ذلك الرجل مقومات الرجولة المتمثلة فى نفسها . وتلك عاطفة لا يمكن أن ترضى المحبوب ولا تتأصل فى نفس المحب . لذلك خلت القصة من الصراع الجدى الذى يخلق من المواقف والمشكلات ما يعقد الأحداث ويرتفع بالأزمات النفسية إلى مستوى يتجاوب معه القارئ وينفعل به . فالقصة تمضى هادئة رتيبة ، انتظار من عبد العزيز لقدم أميرة وأبيها إلى القرية ، ومناوشات عاطفية غامضة مكبوتة ، ثم رحيل مفاجئ إلى القاهرة ، ثم انتظار جديد من عبد العزيز ، ثم عودة من أميرة . والبطلان فى كل ذلك لا يكادان يبذلان أية محاولة جدية للتغلب على ما فى طريقهما من صعاب . ومن العجب أن تتخاذل أميرة وتستسلم لمصيرها المحتوم فى مثل هذا الفتور وقد صورها المؤلف ذات شخصية قوية يهابها عمال المزرعة أكثر مما يهابون أباها

هذا عن شخصيات القصة وطابعها العام . أما بناؤها الفنى وتسلسل حوادثها ففيها أيضا كثير من التكلف . وترتيب الوقائع كما يشتهى المؤلف لا كما يقتضى منطق الواقع وطبائع الأشياء . وأضرب لذلك مثلين : الأول حين يكتب عبد العزيز إلى صديقه صالح فى القاهرة يطلب إليه أن يراقب أميرة ليعرف مدى علاقتها بابن عمها سامى . ودعك مما فى هذا الطلب من غرابة ومما فى استجابة الصديق له من تبذل ، وانظر كيف تسنى لصالح أن يعرف أن أميرة تحب صديقه عبد العزيز . لقد انتظر أمام بيتها عدة أيام دون طائل ثم أسعفه الحظ فرآها خارجة مع أختها الصغيرة . وتسأل الصغيرة عن سر نزولهم إلى القاهرة بلا سيارة فتجيبها : أتعتقدين أنه من الضرورى أن يركب كل الناس سيارة خاصة .. سنركب القطار والترام . ونفهم من هذا الحوار أن هذه كانت أول مرة تخرج الفتاتان فيها بلا سيارة ، لا لشئ إلا ليتيح المؤلف لصالح أن يتبعهما . ثم تدخل الفتاة مسكنا فى الطبقة الأولى من إحدى العمارات عرف صالح أن ساكنه يحترف قراءة الكف . وهكذا يقتضى تلفيق الحوادث مرة أخرى أن تختار الفتاة هذا اليوم من بين الأيام جميعا لتستشير العراف فى أزمتها العاطفية وأن يكون مسكنه فى الطابق الأول حتى لا يتكلف الطارد من أمره عسرا .. ! ثم تدخل السينما فيوفق الحظ « صالح » فيجلس بالقرب منها ثم تكون المفاجأة الأخيرة حين تصور القصة على الشاشة مأساة عبد العزيز وأميرة ،

ويلتفت صالح فإذا هي تـكفكف دمعها بمنديلها الأبيض فهي إذن تحب صديقه عبد العزيز !

أما المثال الثاني فحين يستشير عبد العزيز صديقه صالح « قاموس الحب » ماذا يفعل حتى تصرح أميرة بحبها له فيشير عليه بأن يثير غيرتها ، ودعك من سذاجة هذه النصيحة وانظر كيف رتب المؤلف الحوادث بعد ذلك . تقدم أميرة إلى العزبة في إحدى زياراتها المتقطعة ، ولأول مرة نرى بصحبتها صديقة « مرحة طائشة ذات ضحكة ناعمة ، وصنوعة الزينة الخ ... » ويفهم القارئ بلا عناء أن المؤلف قد ساق هذه الفتاة إلى القرية وصنعها بهذه الصورة ليطبق عليها عبد العزيز الدرس الذي تلقاه من صديقه . وهكذا كان ... وفي لمحات خاطفة اشتبك الإثنان في غزل صريح مكشوف دون مقدمات لينتهي المؤلف من غايته سريعا فيثير غيرة أميرة . وقد كان المؤلف يستطيع ألا يقدم لهذه التجربة بتلك النصيحة من صالح وكان يستطيع أن يصور الزائرة طبية متزنة وكان طبيعيا حينئذ أن يحتفي بها عبد العزيز إكراما لها كزائرة وأن تضيق صاحبته بهذه الحفاوة فيفطن إلى هذه الحقيقة النفسية البسيطة وعفى في استغلالها ، ويكون الموقف عندئذ من واقع الحياة . لا من « القاموس »

وبمناسبة الحديث عن القاموس نحب أن نقول كلمة قصيرة عن لغة القصة وأسلوبها ؛ فالمؤلف حريص أشد الحرص على الأسلوب العربي الرصين الذي لا يتلون كثيرا باختلاف المواقف والأشخاص . وهو يفضل الحوار العربي على العامي ولو كان الأخير أقدر على تصوير الشخصية أو الموقف . وقد يكون في هذا مجال لاختلاف وجهات النظر ولكني لا أستطيع أن أقره على استعمال « المحط » مثلا بدل « المحطة » تلك الكلمة الحية المألوفة . وإذا كانت لغتنا الأدبية غير قادرة على التطور الذي ينبعث من استعمال اللغة في الحديث فلا أقل من أن تتيح لها التطور على أقلام كتابها . وفي القياس مندوحة عن هذا التزمت فكلمة المحطة لها نظائر في اللغة كالنزلة والنزل بمعنى مكان النزول وسلطان الثقافة العربية القديمة واضح كل الوضوح في صور المؤلف وتشبيهاته ، فهو يقول مثلا إنه قبل عنق صاحبته « فكأنما قبل عاجا دافئا » ! ترى لو قبل المؤلف قطعة دافئة من سن الفيل أكان يستعذب هذه القبلة ! إن التشبيه أداة فعالة في يد الروائي تغنيه في كثير من الأحيان عن الوصف المطول والتحليل المبسوط وخير له إذا لم يوفق إلى تشبيه معبر طريف ألا يلجأ إلى الصور التقليدية التي لا معنى لها ، خاصة أن تشبيه العرب الجلد بالعاج كان يقصد به دائما اللون لا اللمس

بقيت كلمة قصيرة أخرى عن نهاية القصة فإن بها شيئا من الغموض . فالبطل يقص علينا أنه نشر قصة حبه فلما قرأتها أميرة جاءت تفسر موقفها وتعتذر عن زواجها من ابن عمها . والقصة التي بين أيدينا هي قصة حبه كذلك فهل هي طبعة ثانية من القصة الأولى أضيفت إليها الخاتمة !

عبد القادر القط

آراء وأنباء

بين الأزهر ودار العلوم

أولى بالذى يريد الإصلاح أن يجادل بالتى هى أحسن وأن يبرز العيب فى صورة النصيحة .. وبذلك يستطيع النفاذ إلى غرضه

أنا لا أجرد الأزهر من العيب عامة ، ولا أجرد الأستاذ الطاهر مكى من النية الحسنة عامة ، ولكن العيب غير ما ذكر ، والنية الحسنة تعثرت فى سوء . التعبير وكان حريا به أن يذكر الحقائق مجردة عن التهويل والمبالغة ، وألا يستند فى اتهامه إلى الكلمات التى يرددها طلاب الأيام الأولى من السنة الأولى الابتدائية ، يدعى كل أن الحكمة والفلاح فى مذهب الإمام الذى يدرس الفقه على طريقته

والحضور والغياب وعملية التفريغ ليست بالوجه الذى ذكره الأستاذ وإن كان القليل منها وباء قد أصيب به جسد التعليم فى مصر عامة لا فى الأزهر فحسب . وليس بخاف علينا جميعا تفنن بعض الطلاب فى طرق الغش وأساليبه ، وإقبال نفر من المدرسين على بيع أسئلة الامتحانات لمن غمرت جيوبهم الأموال ، أو كانوا على قسط من المحسوبية أو القرابة .. والتخلص من هذا الوباء يحتاج إلى علاج جماعى يرتكز على تلقين مبادئ الأخلاق والاعتماد على النفس للتلاميذ والطلاب على اختلاف أشكالهم ، وتباين مدارسهم ومعاهدهم . والمكافأة والجراية وبدل الغذاء وبدل الكتب ، قد أخطأ الأستاذ فى عدها . وأغلب الظن أن المسألة قد عالت فى يده — من ثلاثة إلى أربعة — من غير موجب ، أو لموجب يعلمه هو . فالجراية وبدل الغذاء شئ واحد فقط ، ثم كيف تكفل هذه الدراهم القليلة حياة نظيفة ؟! فبدل الكتب لا يفى بشراء اليسير منها ، وبدل الغذاء لا يطعم وجبتين والمكافأة ثلاثمائة قرش للطالب فى كلية اللغة العربيه ومئتان للطالب فى كليتى الشريعة وأصول الدين ، والطالب فى القسمين الابتدائى والثانوى لا يتقاضى مكافأة ما ... اللهم إلا إن كان للحياة النظيفة مقياس خاص عند الأستاذ الطاهر

هذه هى الحقائق التى نشرت مزيفة نقدمها للأستاذ ؛ فإن كان يريد الإصلاح حقا — والأزهر فى حاجة إلى إصلاح شأنه شأن جميع مرافق الدولة — فليسلك فى نقده مسلكا حسنا ، ولينهج فى علاجه نهجا مستقيما ، وليرم بفأس الهدم بعيدا فما أمس حاجتنا فى هذا الوقت إلى الترميم والتعمير ، والتشييد والبناء

عبد اللطيف فايد

سى وست

نشرت مجلة الرسالة الغراء فى عددها ١٠٢٠ الصادر فى ١٩ يناير سنة ١٩٥٣ ما كتبه الأستاذ جمال مرسى بدر إلحاقا لما كتبه فى العدد ١٠١٦ من تلك المجلة . فرأيت أن أقول :

١ — كان نشر فى العدد ٧٦٦ من مجلة الرسالة الصادر فى ٨ مارس سنة ١٩٤٨ شئ حول كلمة ست نقلا عن رسالة الغفران

٢ — وأيضا ورد فى الصفحة ٧٦ من (معجم عطية فى العامى والدخيل) تأليف الشيخ رشيد عطية ؛ المطبوع عام ١٩٤٤ فى دار الطباعة والنشر العربية : سان باولو : برازيل . ما أعيد نقله هنا (ست : يعنون بها سيدة . قال الفيروزبادى : وستى للمرأة أى ياست جهاتى وهو لحن . الصواب سيدتى . وفى الشفاء : وقولهم ستى بمعنى سيدتى خطأ وهى عامية مبتذلة ، ذكره ابن الأعرابى وتأوله ابن الأنبارى فقال يريدون يا ست جهاتى وتبعه الفيروزبادى وهو تكلف وتمحل وإليه أشار البهاء زهير : -

بروحى من أسميها بستى فتنظرنى النحاة بعين مقت

يرون بأنني قد قلت لحنا وكيف وأنني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت جهاتي فلا لحن إذا ما قلت ستي

٣ — ومن مراجعة الصفحة ١٢٢ من كتاب شفاء الغليل فى ما فى كلام العرب من الدخيل تأليف شيخ الإسلام وخاتمة العلماء الأعلام شهاب الدين أحمد الخفاجي قاضي العساكر بمصر . المطبوع بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٢ كما ورد فى الصفحة ٤١٣ ج ٣ مجلد ٢٣ من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق — نجد أن المؤلف المذكور قال : (سيدة : وقولهم ستي بمعنى سيدتي خطأ وهي عامية مبتذلة ذكره ابن الأعرابي وتأوله ابن الأنبارى فقال يريدون يا ست جهاتي وتبعه فى القاموس فقال وستي للمرأة أى يا ست جهاتي كناية عن تملكها له ولا يخفى أنه تكلف وتمحل وإليه أشار إليها زهير وذكر الأبيات

٤ — وقبل أن أقفل كلمتي هذه أقول : لا أدرى كيف قال الشيخ رشيد عطية — على سعة إطلاعه — الفيروزبادى وكان يجب أن يقول الفيروزابادى كما ذكر فى كتاب (ضبط الأعلام) وهذا ما كنت ذكرته للأستاذ عباس خضر فى عدد الرســالة ٨١٢ وجاوبني عليه فى العدد ٨١٣ منها فانظرها والعدد الذى بعدها أيضا

أكتفي بما ذكرت حول كلمة ست . وسلامي واحترامي إلى السيد جمال مرسي بدر أولا وآخرا

أحمد الظاهر

إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

قرأت فى العدد (١٠٢٢) من الرســالة الغراء مقالة الدكتور أحمـد فؤاد الأهواني عن ترجمة الأســتاذ أحمد عبد الغفور عطار لكتاب « الزنابق الحمر » لطاغور

وقد استوقفني فيه قوله : « والمترجم من مكة المكرمة ، ولكنه درس فى مصر ، ولذلك لا يحس فى أسلوبه أو عبارته أى غرابة عن اللغة المصرية . وهو يعرف اللغة البنغالية .. الخ »

والذى كنت أعرفه عن مصر — إلى وقت قريب — أن لغتها العربية ، وأنها أكبر معقل لهذه اللغة التي هي أيضا لغة الحجاز والعراق وكل قطر عربي ، وإن هذه اللغة على الاختلاف البسيط فى لهجاتها العامية — شـأن كل لغة — إذا كتبت صحيحة ، كانت واحدة أينما كتبت ، ومن أى بلد عربي كان كاتبها

فهل يتفضل الدكتور فيفيدنا شيئا عن هذه « اللغة » الجديدة التي درسها المترجم الحجازى الفاضل فأتقنها ، حتى خلص أسلوبه وعبارته من « شوائب » لغته الأصلية .. وهي العربية ، فيما أظن ... وهل له أن يدلنا — مشكورا — أين يمكن تعلم هذه اللغة وهل هناك كتب خاصة لتعليمها ؟

نجدة فتحي صفوة

مصر تساهم فى تشييد مدرسة إسلامية فى كرديف

أعلنت الجالية الإسلامية فى كرديف التي تشرف على جامع « نور الإسلام » فى تلك المدينة أنها قد انتهت من وضع الخطط الخاصة ببناء مدرســة جديدة لتعليم الأطفال المسلمين اللغة العربية قراءة وكتابة مع دراســة شــاملة للقرآن الكريم

وجدير بالذكر أن كرديف تضم أكبر جالية إسلامية فى بريطانيا إذ يبلغ تعداد أعضائها خمسة آلاف مسلم منهم العربي والصومالي والأفريقي والهندى والباكستاني

وقد نظم مسجد (نور الإسلام) تحت إشراف إمامه الشيخ أحمد حسن القلمى ، دراسات مسائية لأطفال الجالية يحضرها حوالى ٢٥٠ طفلا . ومعظم هؤلاء الأطفال تقريبا يتكلمون العربية بطلاقة تامة كما درسوا سنن الرســول صلوات الله عليه . ومع أن جميع هؤلاء الأطفــال يتلقون العلم فى المدارس الإنجليزية إلا أن الجالية فكرت فى تشييد

هذه المدرسة للمحافظة على الثقافة الشرقية وما تمتاز به من طابع خاص

وستشيد المدرسة الجديدة بجوار مسجد «نور الإسلام» وهي تتكون من طابقين وتضم خمسة فصول تتسع لعدد يتراوح بين ١٢٠ و ١٥٠ طفلا . وسوف تستغرق عملية البناء أربعة عشر شهرا ، كما سيكون المبنى على الطراز العربي ، أما تكاليف البناء فتبلغ ٣٥ ألفا من الجنيهات الاسترلينية ستجمع تبرعات من المسلمين في مختلف أنحاء المعمورة . ويشرف على هذه التبرعات الشيخ عبد الله الحكيمي الذى يقوم بجولة الآن في الشرق الأوسط لهذا الغرض . ويؤخذ من الأنباء التي بعث بها الشيخ الحكيمي من القاهرة أن الرئيس اللواء محمد نجيب وكبار المسئولين في الأزهر قد وعدوا بتقديم المساعدات لتشييد مدرسة كرديف ، كما وعدت مصر أيضا بإيفاد ثلاثة من المدرسين للعمل في هذه المدرســة

حول العروض في قصيدة

طالعت بمجلة «الكتاب» الشهرية عدد فبراير ، رسالة بعث بها من النطيف الأستاذ محمد سعيد المســلم فحواها أنه قرأ الملحمة الشعرية التي نشرتها مجلة الكتاب ويلاحظ ما يأتى :

أن مطلع القصيدة مختل ، فصدره من بحر بينما عجزه من بحر آخر ووزنه هكذا

قدع الشماخ يذ نك عن قو واسم الباتر في حيث أتاها
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
(من بحر المديد التام) (من بحر الرمل التام)

ثم يقف عند هذه الأبيات الثلاثة حائرا لا يدرى إلى أى بحر يردها

- كيف قال الشيخ ؟ كلا ! إنها بعضى ! والمال ؟ بل المال فداها !
إنها الفاقة والبؤس نعم ! هذا غنى ! كلا .. وشاها
بل كفافى فاقة .. لا كيف أنساها ؟ وإنى ! وهواها

وأنا أوافق الأستاذ على ملاحظته في البيت الأول فصدره من بحر وعجزه من بحر ولكنى أقول له إن التفعيلة الأولى من الصدر « فعلاتن » لا فاعلاتن فهى مبدوءة بمتحركين لا بمتحرك فساكن

أما الأبيات الثلاثة الأخيرة فأستطيع أن أجيب عن حيرته في البيت الأول بأنه من بحر الرمل

كيف قال الشيخ كلا إنها بعـ ـضى والمــال بل المال فداها

فدخل الخبن (وهو حذف الحرف الثانى الساكن) في كل تفعيلة من تفعيلات العجز . والوزن مختل بالنسبة للبيتين الأخيرين إذ يلزم لكل منهما تفعيلة كاملة حتى يصير مثل سابقه

وتحياتي للأخ « المسلم » وساكن القطيف

محمود نجيب الربيعى

معجبة ولا طحن

دأب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أن يدفع إلى مجلة « الكتاب » بقصائد لأمير الشعراء فاتها حظها من الذيوع واحتلال مكانها بديوانه إلى جوار أخواتها

وقد دفع إلى تحرير مجلة « الكتاب » عدد أكتوبر ١٩٥٢ م بقصيدة « الله » ص ٩٧٤ . ولقد وفق في نشرها وأصاب وألذ الشراب ما صادف غليلا

واسترقفنى وأنا أطالع عدد ديسمبر ١٩٥٢ م من المجلة : استوقفنى هذا العنوان « شوقية أخرى » وذيل بكلمة ما أراها إلا من أسرة تحرير المجـــلة جاء فيها « ... وها هو ذا اليوم يتحف القراء بشوقية جديدة لم ترد في الديوان بل نشرت في جريدة اللواء بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٠٤ م ... »

وأخذت أقرأ القصيدة الجديدة فإذا هى قصيــدة « ضجيج الحجيج » المنشورة في ديوان شوقى جزء أول ص ٢٥٢ !

طرائف وقصص

قارئ الأفكار

للأستاذ كمال رستم

ما أسعد هؤلاء الذين يستطيعون قراءة الأفكار! إنهم يحيطون بنظرة واحدة بكل ما يدور في رؤوس الناس فيدركون ما يكنونه لهم من حب أو بغض. ولا تجدي في خداعهم هذه الوجوه التي تكتسي بمظاهر انفعالات كاذبة، ولا هذه الكلمات التي لا تنطوي حقيقتها إلا على الحقد والشر! فيدركون بنظرة واحدة تنفذ إلى أعماق النفس، وتسبر أغوار القلب إن كان من يخاطبونهم صادقين أو كاذبين! مخلصين أو مخادعين! أشرارا أو أخيارا! ويعيشون بفضل هذا العلم سعداء مجدودين!

تواردت هذه الخواطر على ذهنه وهو جالس إلى المائدة أمام صديقه الجندي الهندي، وكان قد التقى به لأول مرة في إحدى القهوات العامة وعلم منه أنه أحد أفراد الوحدات الهندية التي جاءت إلى مصر فيمن جاء من جنود الحلفاء للدفاع عن الإمبراطورية! واتصلت بينهما صداقة متينة فقد كان الجندي «نهرو» مثالا لدماثة الخلق ولين الطباع. وكان إلى ذلك ملما إلماما واسعا بعلم قراءة الأفكار!

بهر أحمد هذا العلم الذي يمزق أستار المجهول ويرده في نظرة واحدة واقعا ملموسا .. ولقد قرأ نهرو أفكاره وتحقق له أن ما قاله كان صحيحا كله!

ود أن يبلغ مبلغ نهرو من القدرة على قراءة أفكار الناس .. واستغرق في تأمل عميق حلو وقد شبه له أنه وهب هذه القدرة .. وبدا له أنه ليس على أديم الأرض من هو أسعد منه!

لقد صارت له نظرة نهرو الفاحصة النافذة .. ولن يعود في مستطاع عملائه الكثيرين أن يخدعوه، وسيعرف من منهم الذي يبيت له النيات الطيبة ومن الذي يبيت له النيات الخبيثة .. فيعامل الأول ويجفو الثاني .. وسيحرر

ورجائي أن نتعود التحري، وأن نحد من غلواء الثقة. وسوء الظن عصمة

محمد محمد أحمد الناجي

إلغاء جائزة تيسير الكتابة العربية

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية إلغاء الجائزة، التي كان قد أعدها منذ سنوات، لتيسير الكتابة العربية، ومقدارها ألف جنيه. وكان قد تقدم لها كثيرون بمقترحاتهم

دواء للسل يفيد في الجذام

تلقى المكتب الإقليمي التابع للهيئة الصحية العالمية من ريو دي جانيرو وسان باولو، حيث عقد مؤتمر خبراء الهيئة للجذام — أنباء تفيد أن الأبحاث التي تناولوها قد تدعو إلى أمل كبير في إمكان مكافحة هذا المرض وعلاجه

وكان من أهم الآراء التي ظهرت في المؤتمر أن استئصال الجذام لا يتمشى مع نبذ المصابين به وأن المجذوم أقل نشرا للعدوى من المصاب بالسل، وأن العقاقير الحديثة التي يتناولها المرضى عن طريق الفم يظهر لها مفعول ناجح

وأن الـ (ب. س) الذي يتقى به السل الآن له نفس الخواص الوقائية للجذام، كما أن المرأة المصابة تستطيع أن تلد أطفالا أصحاء

ويقول الدكتور ايف بيرود ممثل الهيئة الصحية العالمية في المؤتمر إن آمالا جديدة تبدو لإمكان سيطرة الطب على هذا المرض

نظره فى وجوه أصدقائه الكثيرين فيعرف المخلص من المنافق .. والطيب من الخبيث ويستخلص لنفسه منهم هؤلاء الذين اجتازوا بنجاح امتحانه الصامت الرهيب الذى لا يعلمون عنه شيئا لأنه لن يطلع أحدا على أنه أوتى هذه الموهبة الفذة !

أما هؤلاء الذين يريد أن يفيد منهم ، فإنه سيمرر فى وجوههم نظره الثاقب فيعرف المرتشى الذى لا يؤدى عملا إلا بالرشوة ، ومحب الملق الذى لا يقدم صنيعا إلا إذ تملقه الناس وخدعوه .. ويعرف الذى ينتوى خدمته من الذى يعطيه وعدا لا يزمع إنجازه .. كل شئ سيحيط به وفى نظرة واحدة فلا يعود ثمة ما يخفى عليه من أفكار الناس ولا من أخلاقهم .. فيراهم كما يرون أنفسهم .. وكأنه كامن فيهم !

طافت بذهنه هذه الخواطر فانتشى لها وطرب .. ونازعته نفسه إلى أن يكاشف صديقه نهرو برغبته فى أن يتعلم منه علم قراءة الأفكار .. وتردد طويلا قبل أن يتهادى إلى أذنيه صوت صديقه نهرو يقول :

— لقد قرأت ياصديقى مايدور بذهنك .. وليس أحب إلى نفسى من تحقيق أمنيتك !

وشاعت الفرحة فى قلبه وهو ينصت إلى قول صديقه الطيب وقال والدنيا لاتكاد تسعه من فرط سروره وسعادته

— إنى عاجز عن شكرك ياصديقى نهرو .. ولست أدرى بماذا أكافئك على هذا الصنيع الذى لن أنساه لك مدى حياتى !

شرع نهرو يدرس لصديقه أحمد علم قراءة الأفكار وبذل فى سبيل ذلك من الجهد والوقت ما جعل لسانه يلهج بشكره والثناء عليه .. ولم يدخر أحمد من ناحيته وسعا فى استيعاب دروس أستاذه واستذكارها والرجوع إلى (المراجع) التى وضعها تحت يده ، فقد كانت تشتعل فى نفسه الرغبة فى إجادة هذا العلم الذى أحبه وعشقه والذى سيعود عليه بالنفع والخير ويسلكه فى عداد السعداء المجدودين !

وكان لا ينى عن القراءة فى الليل وفى النهار .. فى المنزل وفى الطريق وفى القهوة التى كان يختلف عليها هو وصديقه نهرو .. وكانت تستغرقه السعادة وهو يطالع هذا العلم الحبيب ، وراح يرقب فى صبر أرعن ذلك اليوم الذى يفرغ فيه من دراسته ويخرج إلى الناس إنسانا جديدا وهو يعلم ما لا يعلمون !

ولم يبح لأحد عن سره .. حتى أفراد أسرته لم يكن بينهم فرد واحد يدرى سر وحدته المطرقة وانكبابه على تلك الكتب التى كان يحرص على ألا تمتد إليها يد أو تقع عليها عين ! إنه كان زوجا مخلصا وأبا بارا لابن وابنة ، وكانوا سعداء به كما كان سعيدا بهم .. ولكنهم فى هذه الشهور الأخيرة وقد لمسوا منه إنصرافا عنهم وعزوفا عن ملابستهم، زايلتهم السعادة وتقبضهم الحزن وأمضهم الألم .. ولكن أحدا منهم لم تبد منه معارضة أو جأر بشكوى فقد كان العهد بهم أن يرضوا عن كل تصرف منه دون جدل أو نقاش !

عكف على دروسه يستذكرها ، وقبل أن يضع مواهبه تحت اختبار أستاذه نهرو قام برحلة استغرقت أشهرا استعاد فى غضونها ما حصله ، وامتحن فيها تجاربه .. ولما اطمأن إلى النتيجة التى حصل عليها ، واقتنع بأنه بلغ مبلغ الرضا من أستاذه عاد إليه توا ووضع مواهبه تحت الاختبار العسير الذى أجراه له .. ويا للسعادة الكبرى التى استغرقته حين قال له أستاذه نهرو :

— تستطيع الآن ياصديقى أن تطمئن إلى أنك وصلت .. فإليك تهنئاتى !

وشد على يده فقال له :

— إن الفضل فيما أحرزته من نجاح إنما يرجع إلى صدق عزيمتك وعظيم إخلاصك ...

أجابه نهرو قائلا :

— لا تقل ذلك يا رجل !

.. ودرج فى الطريق وهو عظيم الثقة بنفسه ، قوى الإيمان بالمستقبل السعيد الهانئ الذى ينتظره ، واستطاع فى نظرة واحدة إلى الوجوه التى صافحته .. وجوه الرجال والنساء أن يحيط بما كان يدور فى رؤوسهم من الأفكار وكانت تسكن هذه الرؤوس الأفكار الطيبة والأفكار الخبيثة والآمال القريبة والآمال البعيدة الطائشة .. أدرك من السعيد المجدود ومن التعس المنكود .. والمؤمن والملحد .. ومن المخلص والمخادع .. وبهرته النتيجة التى حصل عليها ، والنجاح الذى أحرزه فشاعت الفرحة فى أعطافه وأيقن أنه ملك ناحية السعادة وحقق غارب أمانيه !

وتقدم من أحد باعة الفاكهة ليبتاع منه بطيخة ، واستملى البائع الماكر من وجهه نظرة عابرة وحدث نفسه قائلا :

— إنه رجل ثرى .. هذا ما يبدو لى من ثيابه ومن مظهره النبيل .. وأغلب ظنى أنه رجل طيب القلب ساذج وإذا لم تخذلنى فراستى فإنى لن أجد أدنى صعوبة فى أن أتقاضى ثمنها منه مضاعفا .. سأطلب منه عشرين قرشا !

وضحك أحمد فى نفسه ، فقد قرأ أفكار الرجل ووعى ما طاف بذهنه وقال فى هدوء .

— أتبيعها بعشرة قروش ؟

وأجابه الرجل وهو يصطنع الاستخذاء والضعف :

— أقسم لك يا سيدى أنى أخسر إن بعتها بأقل من عشرين قرشا .. من أين يأكل رجل فقير مثلى رب أسرة كبيرة إذا لم يربح ربحا حلالا من رجل كريم مثلك .. أقسم لك أن هذا هو الثمن الذى أبيعها به لكل إنسان .. فأنا لا أفرق أبدا بين زبائنى !

وكان يعلم أنه يغرر به فقال له :

— لا تجهد نفسك فلن أدفع أكثر من عشرة قروش

ومضى فى سبيله ، وما كاد يخطو بضع خطوات حتى تناهى إليه صوت البائع يقول :

— تعال يا سيدى .. هات العشرة قروش .. عوضى على الله : علم الله أننى أخسر فيها !

ولج به السرور عندما ذكر أنه اعتاد أن يبتاع نظائرها بأضعاف هذا الثمن ، لأن الباعة كانوا وقتذاك يخدعونه ولكنه ابتداء من اليوم لن يستطيع أحد خداعه أبدا !

ونقد البائع الثمن وحمل (البطيخة) على ذراعه ومضى !

وبلغ البيت ، واستقبلته زوجه بابتسامة آسرة رفت على شفتيها وقالت له فى صوت يسيل رقة وعذوبة :

— يا زوجى الحبيب !

وتطلع إلى وجهها ... وفى نظرة واحدة بلغ ما لم يبلغه فى سنوات طوال ... وكانت تتواكب فى ذهنها هذه الخواطر

لم عاد هكذا سريعا ؟ لشد ما أبغضه ! لو يدرى هذا الرجل أننى لم أشعر يوما واحدا ولا لحظة واحدة بأننى أحبه .. لو يدرى أننى أخدعه وأخونه !

هاله ما قرأ من أفكارها .. وكادت الصدمة أن تذهب رشاده ، وتطيح بلبه بعد أن تحقق له أنه كان مخدوعا فيها .. وكان قد حول بصره عنها فعاد وصعده فى وجهها الذى بدت عليه البراءة والسذاجة .. وشعر بالامتعاض والتقزز حينما مر بذهنه خاطر خيانتها .. وعجب لامرأته كيف تحمل وجها صافيا ونفسا كدرة كالماء الآسن .. وزخرت بالألم نفسه ، ونهش الحزن صدره ، وانسرقت قواه فتهالك على المقعد فى تراخى بدن مجهد .. وأحس بيد ناعمة تعبث بشعره وطرق سمعه صوت ابنته الحبيبة تقول له :

— فيم تفكر يا أبى .. ألا تخلع ملابسك وتمضى معى

إلى المائدة ؟

ورفع إليها بصره ، وعلقت عيناه بوجهها الجميل ..
وفى لحظة واحدة .. أحاط بكل ما كان يدور بذهنها ..
وكانت تحدث نفسها قائلة :

— إن أبى يقف حجر عثرة فى سبيل سعادتى ..
فهو لن يرضى مطلقا عن زواجى ممن أحب لأنه يريد
لى زوجا ثريا .. إننى لا أحب أبى .. والفرار مع من أحب
هو السبيل الوحيد لتحقيق سعادتى !

أذهله ما قرأ من تفكير ابنته .. وهاله ألا يكون نصيبه
من جملة مشاعرها سوى شعور الكراهة والبغض ، وأن
ينحط تفكيرها إلى حد أن تزمع الفرار مع شاب غريب ..
غير عابئة بالألم والعار اللذين يخلفهما فرارها لأبيها ! وعجب
لأنه عاش ردحا من الزمان بين زوجة تخدعه ، وابنة لا تتردد
فى أن تثلم شرفه وتمرغه فى العار وقالت له ابنته

— لم تنظر إلى هكذا يا أبى ؟

أجابها !

— لا شئ يا ابنتى ، لا شئ

.. وخلع ملابسه ومضى معها إلى المائدة .. فرأى
هناك ابنه .. ابنه الذى وقف على مستقبله سعادته وآماله ..
واستملى من وجهه نظرة عابرة ألمت بأفكاره كلها ..
وكان يقول لنفسه :

— إن أبى قوى البنية شديد الأسر .. وقد يدركنى
الموت ويتخطاه .. فكيف السبيل إلى الخلاص منه لأرثه ..
سأدس له السم فى كوب الشاى الذى ألف أن يحتسيه
عصرا .. وسوف لا يدور بذهن أحد أننى الذى فعلت ذلك .
وإنما سينصرف الذهن إلى أن تناول الشاى فى الخارج ..

وتحدر بصره عن وجه ابنه .. ابنه المجرم الذى يريد
أن يقتاله . وأحس بالألم الممض يعتلج فى صدره وشق عليه
الأمر فنهض دون أن يقرب الطعام وارتدى ملابسه وانطلق
إلى الطريق !

وفى الطريق قابله بعض الأصدقاء وقرأ فى وجوههم
ما يضمرون له .. فرأى أنهم خبثاء كذابون مخادعون ..
رأى أنهم يريدون أن ينهشوه .. أن يسرقوه .. أن يدنسوه ..

وقرأ كذلك أفكار الناس الذين كانوا يعبرون الطريق
فرأى أن غايتهم إلحاق الضرر بالوادعين من الأصدقاء ..
بالضعفاء من الناس .. وجد أنهم كلهم مراؤون .. مخاتلون
لا تنطوى نفوسهم على ما تبديه وجوههم من وداعة ونبل !

وجفل من الناس ، وأوى إلى أفكاره يمايشها .. بدا
له الآن أنه خسر الحياة منذ تعلم قراءة أفكار الناس ..
ولقد كان يحدس أنه سيغدو سعيدا إن هو بلغ ذلك يوما ..
ولكن ها قد تحقق له الآن

— وقد تم له ما أراد — إنه شقى تعس ! يريد به
أعز الناس لديه وأقربهم إليه الشر والأذى !

وقال لنفسه :

— لقد كنت سعيدا وقتما كنت جاهلا بنيات الناس ..
وكان الخير فى أن أبقى كذلك !

ولكن لم يكن فى مستطاعه الآن أن يعود كما كان ..
فيتحرر من علم اكتسبه .. وأيقن أنه سيعيش مدى حياته
شقيا تعسا ما دامت فيه هذه الموهبة المشئومة وما دام
كل الذين يحيطون به ويعيشون معه لا تنطوى نفوسهم
إلا على أحط الغرائز وأبشعها ..

وفى اليوم التالى وجدوه مشنوقا فى غرفته بعد أن ترك
لهم رسالة أثبت فيها موهبته المشئومة وأنه اطلع على خداع
الزوجة .. وعقوق الابنة وشروع الابن فى قتله ..

وكانت وصاته لهم أن يجردوا أنفسهم من نوازع الشر
ما استطاعوا ...

كمال رستم

لغـــــويات

عنبر

ترى وتسمع وتقرأ وتكتب : عنبر البضائع ، وعنبر المرضى أو المستشفى ، وعنبر السجن أو المساجين وعنبر العمال أو الورشة وعنبر التلاميذ أو المدرسة وتعرف المراد ، ولكن إذا رجعت إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة لا تجد فيها (العنبر) بالمعانى الحديثة المألوفة اللهم إلا ماجاء فى (محيط المحيط) ونص عبارته العنبر ... ومخزن الغلة مولدة (ج) عنابر ا هـ

وأنا أقول إن العنبر محرف عن (عنبار) وهذا أصله (أنبار) والأنبار له معان منها :

(١) المخزن والحاصل والكلار والبيت .. وما أشبه ذلك من المستودعات

(٢) الأهراء والأكداس والأكوام .. وما أشبه ذلك من الودائع والمحفوظات . ويؤخذ من بعض النصوص أن المخزن ونحوه هو المعنى الأصلى ، ويؤخذ من بعضها العكس كما أن الهرى له معنيان كما ترى وإليك الأدلة :

(١) جاء فى (الألفاظ الفارسية ص ١٥٠ : الأنبار : فارسى محض أى الهرى وأصل معناه الممتلئ ومنه ... أنبار أو عنبار بالتركية والكردية الخ

(٢) وجاء فى (كنزلمات) أنبار : مخزن . حاصل . هرى . كلار

وجاء فيه : أنبارجى وكيل المخزن . مخزنجى . كلارجى

(٣) وجاء فى المعاجم الأنبار : بيت التاجر ينضد فيه المتاع

(٤) وجاء فى مادة (هرى) الهرى بضم الهاء وتسكين الراء بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان والجمع إهراء قال الأزهرى ولا أدرى أعربى هو أم دخيل وجمعه اهراء مثل قفل وأقفال ا هـ

(٥) وجاء فى شرح القاموس : الهرى بالضم وكسر الراء وتشديد الياء ؟ ... قلت والعامة تكسر الهاء والراء ومنها الاهراء التى بمصر فى بنسويه (بنى سويف) من الصعيد الأدنى تجمع فيها الحبوب ميرة الحرمين الشريفين فى زماننا ا هـ . وضبطه لاهرى أولا وأخيرا خطأ كما سبق والعامة تكسر الهاء فقط مثل جسم وأجسام

(٦) وجاء فى معجم البلدان فى الكلام على مدينة الأنبار ... وقيل إنما سمى الأنبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الإسراء فيه وقال أبو القاسم سميت بالأنبار لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة (القمح) والشعير والقت (البرسيم) والتبن وكانت الأكاسرة ترزق (تمون) أصحابها منها وكان يقال لها الاهراء فلما دخلها العرب عربتها فقالت الأنبار ، وقال الأزهرى الانبار اهراء الطعام واحدها نبر ، ويجمع على أنابير جمع الجمع ، وسمى الهرى نبرا لأن الطعام (الحبوب) إذا صب فيه انتبر أى ارتفع الخ ا هـ

(٧) وجاء فى المعاجم اللغوية الانبار اهراء الطعام (القمح ونحوه) وأكداسه ، واحدها نبر بكسر الباء وفتحها

(٨) ويقال فيه عمبر بالميم كما هو مقرر فى المعاجم اللغوية بالنسبة لمعانى العنبر الأخرى

المبنى الجمع

اسم أطلقوه على البناء الحكومى فى ميدان الحرية لأنه يجمع شمل المصالح الحكومية المتناثرة . ولا يخفى أن هذه التسمية غريبة وشاذة فبعضهم يقول (المجمع) بفتح الميمين ، وبعضهم يضم الميم الأولى ويشدد الميم الثانية مكسورة أو مفتوحة ، وأرى تسميته (ديوان المصالح) أو ما أشبه ذلك من الأسماء العاربة المألوفة

على حسن هلالى



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ جمادى الآخر سنة ١٣٧٢ — ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

الرسالة تحتجب !

فى الوقت الذى كانت (الرسالة) تنتظر فيه أن يحتفل أصدقاؤها وقراؤها، وأولياء الثقافة والصحافة فى وادى النيل، وزعماء الأدب والعلم فى أقطار الشرق، بانقضاء عشرين سنة من عمرها المبارك المثمر؛ وفى الوقت الذى أشرق فيه على مصر صباح الخير بثورة الجيش الظافر، بعد ليل طال فى الظلام، وعرض فى الضلال، وعمق فى الهول؛ فاسفرَّ وجه العيش، وافترَّ ثغر الأمل، وشعر كل مصرى فى ظلال العهد الجديد أن وجوده إلى سمو، وعمله إلى نمو، وأمره إلى استقرار؛ نعم فى هذا الوقت الذى نشأ فيه لتوجيه الإرشاد وزارة، ولتنمية الإنتاج مجلس، ولتعميم الإصلاح خطة، تسقط (الرسالة) فى ميدان الجهاد الثقافى صريعة بعد أن انكسر فى يدها آخر سلاح، ونفد من مزودها آخر كسرة؛ فكأنها جندى قاتل اليهود فى فلسطين على عهد فاروق، أو فدائى جاهد الإنجليز بالقناة فى حكومة فاروق! ولكن فاروقا دال ملكه وزال حكمه، فبأى سبب من أسباب الفساد يؤتى المجاهد من جهة أمنه لا من جهة خوفه، ويقتل بيد شيعته لا بيد عدوه؟

تموت الرسالة اليوم فى ضجة من أناشيد النصر فى مصر ، وأهازيج الحرية فى السودان ، فلا يفطن إلى نزعها هاتف ، ولا يصغى إلى أنينها منشد ! ومن قبل ذلك بشهر ماتت أختها (الثقافة) وكان الناس يومئذ فى لهو قاصف من مهرجان التحرير ، فلم تبكها عين قارئ ، ولم يرثها قلم كاتب ! كأن عشرين سنة للرسالة ، وست عشرة سنة للثقافة قضتاها فى خدمة الأدب والعلم والفن والإسلام والعروبة لم تهيئ لهما مكانا فى الوجود ، ولم تنشئ لهما أثرا فى الخواطر ! وكأن هاتين المجلتين اللتين أنشأتا فى أدب العصر مدرستين نشئ فيهما جيل ، وابتدأت بهما نهضة ، واجتمعت عليهما وحدة ، لم تكونا إلا ورقا مما ينشر فى الطريق للاعلان ، يجيء به الموزع وتذهب به الريح !

وما أحب أن أحمل تبعة ما أصاب الرسالة والثقافة على زهادة الناشئين فى الأدب الجد ، ولا على فشل المعلمين فى تعليم القراءة ؛ فإنا اخترنا هذا النوع من الصحافة ونحن نعلم مايعترضه من عوائق ، وما يكتنفه من مكاره ، أقلها هذه الأمية المدرسية التى تقنع من الثقافة (بفك الخط) وقشور العلم ، فلا تهيئ المصاب بها إلا للقراءة السهلة المضحكة ، ليرى نكتة تملأ فمه بالضحك ، أو صورة تدغدغ جسده بالشهوة !

اخترنا هذا النوع من الصحافة المجاهدة المستشهدة ، ووقفنا بالرسالة على الأعراف بين آخر النقص وأول الكمال ، تأخذ بيد الأدنى ليصعد ، وتثبت قدم الأعلى ليستمسك ؛ ثم تدفع المرتفع صعدا فى السماء ليكون باستمداده أقرب إلى الحق المطلق والخير المحض والجمال الكامل .

وحسبنا أن يصحبنا فى هذا الطريق من تهيئهم فطرهم السليمة لبلوغ الغاية منه ، وهم بحكم الندرة فى الكمال والكرم قلة . ومن السهل القريب أن تصلح القلة لتصلح الكثرة ، وأن ترفع الخاصة لترفع العامة . وليس وراء القلة مال يبتغى ولا جاه يرجى ، وإنما سبيل المال والجاه لمن أرادهما ، العامة يستميلها بالتهريج ، والسياسة يستغلها بالدجل ، والحكومة يستدرها بالملق . والعدة إلى ذلك يسيرة المنال : حنجرة صلبة تخطب ، ويراعة مداهنة تكتب ، ونية فاسدة تملى ! ولو أرادت (الرسالة) زهرة الحياة الدنيا لعرضت ضميرها للبيع وقلمها للايجار . ويومئذ تتحول أكداس الورق فى مطبعتها العجيبة من أوراق طبع إلى أوراق نقد !

ولكن الله الذى يحبب فى سبيله إلى المجاهد الاستشهاد وليس فى مزوده إلا حفنة من سويق أو قبضة من تمر ، حبب إلى (الرسالة) الجهاد فى الميدان المجدب الموحش ولا عدة لها إلا الصدق والصبر والزهد ، لتظفر بنصر المجاهد إذا فاز ، أو بأجر الشهيد إذا قتل !

إنما التبعة فى خذلان الرسالة والثقافة على الحكومة بوجه أعم ، وعلى وزارة المعارف بوجه أخص .

كانت الحكومات الحزبية لا ترحمها الله تخاف ولا تختشى . كانت تبذل العون فى صوره المختلفة للمجلات التى تعارض لتسكت ، وللمجلات التى تؤيد لتقول . أما الصحف التى لا تملك لها نفعا ولا ضرا فى سبيل الحكم والغنم ، فكانت لا تلتفت إليها إلا كما تلتفت إلى الشعب المسكين : تأمره ليطيع ، أو تسخره ليعمل . وما كانت طاعته أو عمله فى رأيها إلا واجبا مفروضا لا شكر عليه ولا أجر له !

ومن عدلها الذى أخجل عدل عمر أنها أرسلت إلى الرسالة مأمور الضرائب الذى ترسله إلى الجرائد العظمى ، والمجلات السياسية الكبرى ؛ فلما رأى إيرادها ثلاثة أرقام وربحها رقما أو صفرا ، أخذه الدهش ، وملكه العجب ، وقال بلهجة المستنكر : كيف يكون إيراد المصور وأخبار اليوم وروز اليوسف كـــذا متعددة ، ويكون إيراد الرسالة كذا واحدة ؟ ! لابد أن يكون السجل ناقصا والدفاتر مزورة ! ورفض المأمور الذكى الدقيق الوثائق وعمد إلى التقدير الجزاف ، فصال وجال ، وتخيل ثم خال ، وفرض فيما فرض أن فى كل عدد من أعداد المجلة خمسين إعلانا على التقدير الأقل ، أجرتها فى الأسبوع كذا ، وفى

السنة كذا ؟ فلما نبهته عيناه اللتان فى رأسه إلى أن كل عدد لا يزيد ما فيه على إعلانين فى الواقع ، أمرهما ألا تدخلا فيما لا يعنيهما ! ومضى بسلامة الله يكره القواعد الأربع على أن (نعمل له حسابا) كما فكر وقدر ، حتى بلغت جملة ما على الرسالة لمصلحة الضرائب : (٢٤٨٥٥) جنيها فى سبع سنوات ! فكم كان الربح إذن ! وهالت أرقام هذا التقدير (لجنة التقدير) فخفضتها إلى (١٢٦٠٧) بالتقدير الجزاف أيضا . ثم حجزت على المطبعة والدار ، وأمرتنا بتنفيذ هذا القرار ! ولما لجأنا إلى القضاء عوقه محاموها سنتين عن الفصل ، ومازالوا يعوقونه بالتأجيل العابث ، والمصلحة لا تكترث ولأنهم مادامت تطالب وتهدد ، والممول يسارع ويسدد !

ثم كانت الحكومة تبعث إلى الرسالة ببعض الفتات من إعلانات الوزارات فى حدود الفائض من الصحف المؤيدة . فلما نقصت الموارد وضاقت الميزانية قصوا الأطراف الزوائد من (المصروفات) فكان منها على زعمهم نصيب المجلات الأدبية !

أما التبعة التى على وزارة المعارف خاصة فهى أثقل من أن يحملها ضمير مسئول . كانت هذه الوزارة ولا تزال تعين المدارس الحرة ، وتمون المكتبات العامة ، وتمول الفرق التمثيلية ، وتدير الجامعة الشعبية ، وتعنى بألوان الثقافة على الجملة . ولكنها — واعجبا — لم تدرك إلى اليوم أن المجلة الأدبية الجدية مدرسة متنقلة ، تدخل كل مكان فى أى بيئة ، وتعلم كل إنسان فى أى سن ، وتفعل مالا تستطيع أن تفعله الوزارة نفسها من إحياء الأمة ، وإنهاض الأدب ، وتبسيط العلم ، وتعميم الثقافة ، وتوجيه الرأى ، وتأليف القلوب ، وتوحيد العرب . والسفارة بين مصر وأقطار العروبة ، والتمكين لزعامتها الفكرية فى بلاد الشرق . فلو أنها أدركت ذلك لأعانت المجلات الأدبية على أداء رسالتها ببعض ما تمين به معاهد التعليم ومسارح التمثيل ومراكز الثقافة ؛ ولكنها — وا أسفا — لم تدرك منذ العام الماضى إلا أن اشتراكها فى ثمانمائة نسخة لمدارسها ومكتباتها من الرسالة والثقافة ، هو الذى أثقل كفة المصروفات فى ميزانية التعليم فألغته لتعتدل الكفتان ! وبهذه القشة المباركة قصمت ظهر البعير !

* * *

كانت الرسالة منذ فحش غلاء الورق ، وفدحت نفقات الطبع ، تكفى نفسها أو تخسر قليلا . وكنا نواجه هذه الحال بالتعفف والتقشف والصبر فتنساغ مرارتها أو تخف . فلما شاءت الضرائب ألا تعقل ، وأرادت الحكومة ألا تملن ، وقررت المعارف ألا تشترك ، أخذت الخسارة تنمو وتطرد حتى بلغت فى العام المنصرم ألفا ومائة وعشرين جنيها . فرأينا فى مطلع هذا العام أن نقوى الرسالة لتصمد ، وأن نعيد (الرواية) لتساعد ، فإذا بالخسارة تتسع ، وبالطاقة تضيق ، وبالأزمة تشتد ، وبالأمل يضعف ؛ فلم نجد بدا من الإذعان لمشيئة القدر !

لقد قلنا يوم بلغت الرسالة عددها الألف أو عامها العشرين : « إنا نطمع فى فضل الله أن تزيد الرسالة قوة فى عهد مصر الجديد . وما تسأل الرسالة العون إلا من الله ، فقد عودها جل شأنه ألا تفزع إلا إليه فيما يحزب من أمر وفيما ينوب من مكروه . ولعل السر فى بقائها إلى اليوم على ضعف وسيلتها وقلة حيلتها ، أنها عفت عن المال الحرام فلا تجد لها اسما فى (المصروفات السرية) ، ولا دملا فى المهاترات الحزبية ، ولا حرفا من الإعلانات اليهودية

وإذا لم يكن للفضيلة رواج فى عهد غرق فيه (القصر) فى الفحش والمنكر والبغى والاغتصاب والاستبداد والقتل ، وارتطمت فيه (الحكومة) فى الاحتلاس والغش والخيانة والرشوة والمحاباة والختل ، فإنا لنرجو أن يكون لها من السيادة والفوز نصيب ، فى عهد يتولى الأمر فيه بإذن الله محمد نجيب »

ولكن القضاء غالب . والرجاء فى الله أولى . ولكل أجل كتاب . ولكل سافرة حجاب . ولكل بداية نهاية !

احمد حسن الزيات

الحكم فى الاسلام

جمهورية مدى الحياة

للاستاذ على الطنطاوى

يا أهل مصر . هذا هو الطريق فماذا التردد بين الاقدام والإحجام ؟ لماذا تقدمون رجلا نحو (الجمهورية) وتؤخرون أخرى ؟

إن هذه (الملكية الوراثية) بدعة فى الإسلام ابتدعها سيدنا معاوية ، غفرها الله له ، نخالف بها عن طبيعة العرب التى طبعهم الله عليها ، وشريعة الإسلام التى شرعها الله لهم ، وأحالها كسروية قيصرية ، وقد كانت بكرية عمرية ، وجعلها ملكية بغى واستبداد ، وقد كانت خلافة عدل ورشاد

بدعة جرت ذيلها على تاريخنا ، فمحت كثيرا من فضائله ، وخلفت فيه رزايا وبلايا ، صيرته مثل تواريخ الأمم ، وقد كان تاريخنا ما ولدت أم التاريخ قبله ، ولن تلد بعده تاريخا يساويه أو يدانيه . كان تاريخ خير وبر وعدل وإحسان ، تاريخ قوم هم لباب البشر ، وهم خلاصة الناس ، وهم هداة الدنيا ، وهم ملائكة الأرض

أفسدت تاريخنا على صلاح الزمان ، وأضاعت دنيانا على قوة الدين ، وأذكت فى النفوس غرائز البغى ، طبائع الشر على قرب العهد بالإسلام ، فكيف بنا اليوم والزمان فاسد ، والدين ضعيف ، والعهد بعيد ، والقلوب قاسية ، والمنكرات فاشية ؟

مالنا نجرب المجرب ومن جرب المجرب حلت به الندامة ؟ ونعود فنمد أيدينا إلى الجحر الذى لدغنا منه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! ونرجع إلى الهاوية فنتردى فيها بعد أن انقذنا الله منها ، ولما ننكب !

أنتبع الإسلام ، ثم نأتى بما ينكره الإسلام ؟

* * *

إن الحكم فى الإسلام جمهورية انتخابية تدوم مدى الحياة ، ما لم يبدل الرئيس أو يتبدل ، فنستبدل به .

وإن دعائم الحكم فى الإسلام هى الانتخاب الصحيح[1] ، والديمقراطية الصادقة ، والرقابة الدائمة

ولا عبرة بقول من أخذ من الفقهاء بظواهر الأمور ، بلا نفاذ إلى بواطنها ، وأمسك بطرف المسألة وترك أطرافها ، فقال بأن الخليفة تثبت خلافته بانتخاب النفر من أهل الحل والعقد — أخذا من انتخاب أهل السقيفة أبا بكر ، أو بالعهد استنادا على عهد أبى بكر لعمر ، فان أبا بكر ما صار خليفة إلا بالبيعة العامة ، ولو خالف عليه أهل قطر من الأقطار لما كان لهم (على الحقيقة) بخليفة — إلا أن يكونوا خارجين على إرادة لأكثر فيعاملوا معاملة الخارجين . وإن عمر لم يستخلف بعهد أبى بكر بل بالبيعة ؛ وخلاصة ما جاء فى بيعته من النصوص — هو ما جمع فى كتابى (أبو بكر الصديق) الذى طبع فى دمشق من نحو ثمانى عشرة سنة

وفيه أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه ، فقال :

— إنه قد نزل بى ما ترون وما أظننى إلا ميتا ، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فانكم إن أمرتم فى حياة منى ، كان أجدر ألا تختلفوا بعدى

فتشاوروا فى ذلك ، فلم يستقم لهم أمر ، فرجعوا إليه ، فقالوا :

— رأينا يا خليفة رسول الله رأيك

— قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده

ثم إنه دعا بعد ذلك عبد الرحمن بن عوف — فقال له : أخبرنى عن عمر بن الخطاب

— قال له : ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى

— قال : وإن !

— قال : هو والله أفضل من رأيك فيه

(١) لا الانتخاب المزور الملفق ، ولا هذا الانتخاب الأعمى البرلمانى

ثم دعا عثمان ، فقال له مثل ذلك . فقال :

— علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وليس فينا مثله

ثم شاور سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار — فقال أسيد :

— اللهم ، اعلم الخيرة بعدك . يرضى للرضا ، ويسخط للسخط ، والذى يسر خير من الذى يعلن ، ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه

عند ذلك كتب العهد المعروف وخرج به عثمان على الناس مختوما ، وأشرف أبو بكر من كوته على المسجد (وقد كان هو البرلمان الإسلامى) ، فقال :

— يا أيها الناس إنى قد عهدت عهدا ، أفترضونه ؟

— فقال الناس ، رضينا ، وقام على فقال :

— لا نرضى إلا أن يكون عمر !

— قال : إنه عمر !

فأقروا بذلك جميعا ورضوا به ثم بايعوا ... (إلى آخر ما جمعت فى الكتاب ، من أخبار هذا الباب .) والستة الذين سماهم عمر ، لم يكونوا إلا لجنة استشارية ، عملها تنظيم المرشحين ، والعمل على فوز مرشح واحد بالتزكية وهذا ما فعله عبد الرحمن ، وما ثبتت خلافة عثمان إلا بالبيعة

فالبيعة هى الدعامة الكبرى فى الحكم الإسلامى ، ولم يستطع الخلفاء المستبدون ، فى أكثر العصور ظلما ، وأشدها ظلاما ، أن يهدموا هذه الدعامة ، فكانت البيعة هى الأساس ، وإن تحولت ، كما تحولت أكثر حقائق الإسلام عند أكثر المنتسبين إليه — من جسد وروح ، ومظهر وجوهر ، إلى أجساد ومظاهر فقط

أما الديمقراطية الصادقة ، فهى الدعامة الثانية ؛ فالخليفة ليس أفضل الأمة ولكنه أكثرها عملا ، وليس المالك لرقابها ولكنه أجيرها ، ولا يمتاز دونها بطعم ولا ملبس ولا مسكن . هكذا كان الخلفاء الأولون ، قبل أن تصير الخلافة ملكا ، وهذى خطبهم و (تصريحاتهم) ، وهذى سيرهم وأعمالهم ، شاهدة على أكثر مما نقول :

والدعامة الثالثة الرقابة . كل فرد من الأمة شرطى يراقب الحاكم ، يطيعونه ما أطاع الله ، ويقومون بأمره ما أقام الدين . إن أحسن أعانوه ، وإن نسى ذكروه ، وإن اعوج قوموه . وكان عمر يتمنى أن ينصب الناس أميرا إن استقام أطاعوه ، وإن جنف قتلوه

قال له أحد الصحابة (نسيت اسمه [٢]) :

— أفلا قلت : عزلوه ؟

— قال : لا . القتل انكى لمن بعده !

* * *

ونحن لا نبالى إن اجتمعت لنا هذه الخلال فى رجل : البيعة والديمقراطية والاستقامة ، أن يسمى رئيسا أو ملكا أو إماما أو أمير المؤمنين . هى اصطلاحات لا تقدم ولا تؤخر ، لكن منها ما يخف على الأذن سماعه ، وعلى القلب احتماله ، كاسم الرئيس ، ومنها ما يشعر الظلم والاستبداد والعبودية والذلة ، كاسم الملك

أما وراثة الحكم ، فلا تجتمع مع الإسلام فى دستور . أيرث الولد ملك رقابنا ، نحن الشعب كله ، كما يرث الأبن بقرات أبيه وعنزاته ؟ أعوذ بالله ! وهل بعد هذا مهانة أو ذل ؟

إنه لا شئ أثقل على نفوس الناس ، ولا أفسد لنفس صاحبه من ولاية العهد . أنخضع رقابنا ، وتنحنى جباهنا لطفل يحدث فى لباسه ؟ لماذا بالله ؟

ألأنه خرج من فم أمه أو من أذنها ، وسائر الناس يخرجون من حيث يخرج سائر الناس ؟ أخلق الناس من ماء وطين ، وخلق هو من الحليب [٣] والشكولاتة ؟

(٢) والخبر فى كتابى (عمر بن الخطاب) ولكن ليس الكتاب تحت يدى الآن

(٣) الحليب من العامى الفصيح

أله دماغان فى رأسه — وأربعة عيون فى وجهه — ويطير بجناحين ، لا يمشى كالناس برجلين ؟

لقد ألف الناس الخضوع للرجل القوى الأمين ، أما الخضوع لطفل ، أمثاله يؤمرون فيطيعون ، ويؤدبون فيضربون ، أو لامرأة ، فشىء لم نألفه ، وما نألفه أبدا

يقولون إن الملك رمز ، كملك الإنكليز يملك ولا يحكم

والجواب، إنه ليس فى الإسلام رئيس يملك ولا يحكم ، بل الرئيس فى الإسلام يحكم (بحكم الله) ولكن لا يملك ؛ لأن الناس فى نظر الإسلام أحرار لا يملكهم أحد

الرئيس عندنا هو الذى يجتهد فى وضع الشرائع مستنبطة من أصولها ، وهو الذى يقضى القضاء ، وهو الذى يدير الإدارة ، وهو الذى يقود الجيش ، وله أن يوكل عنه من تتحقق أمانته ومقدرته ، أى أن أقرب الأنظمة اليوم إلى نظام الإسلام ، جمهورية كجمهورية أميركا ، على أن تكون مدى الحياة

وفى مقابلة هذا السلطان ، لا يمتنع الحاكم على انتقاد ولا يترفع عن نصح ، ولا يكون له فى القضاء ما ليس للناس . وليس فى الإسلام تهمة القدح بالذات الشاهانية ، ولا محاكم خاصة للملك وأهله ، بل ليس لأهل الملك مزة أبدا ، ولا يأخذون من مال الدولة ، أو ينالون من خيرها فضلا (٤) عن آخر فرد من الأمة

وليس للحكم طبقة ولا قبيلة . وما ورد من أن الخلافة فى قريش ، هو أولا حديث معارض بحديث عمر : لو كان حذيفة حيا لوليته . وحذيفة كان مولى ؛ وحديث : لو ولى عليكم عبد حبشى ... وهو ثانيا حديث مبتور له تتمة ، والقاعدة عندهم ، أن الزيادة من العدل مقبولة ، وتتمته : ما أقاموا الدين

وطبيعة الإسلام تنافى هذا الحديث إلا أن يكون المراد منه غير عموم لفظه ، فالقيم فى الإسلام معنوية ، ولا عبرة بالانساب أبدا . والشريف هو الشريف بعمله لا بنسب إلى الرسول ، هو على الغالب نسب ملفق مكذوب كأكثر أنساب (الأشراف ...) اليوم . والنبى يقول لبنته فاطمة سيدة النساء : يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئا

وهذا الحديث إن صح ، يدل على أن القرشية تكون من أسباب الترجيح ، إن استوى مرشحان للخلافة فى خلال الخير كلها وكان أحدهما من قريش

وإلا فأين قريش اليوم ؟ وأين غير قريش من قبائل العرب ؟ لقد تغيرت الدنيا ، وتبدل الزمان ، وشريعة الرسول لكل زمان ومكان . ولو أن الرسول قال هذا الحديث حقا ، وبعث اليوم من رووه عنه لما فهموا منه مايفهمه اليوم من يفكر بعقول فقهاء الظاهرية ، وهم أضيق الفقهاء فكرا ، وأقربهم نظرا ، وأبعدهم عن درك مقاصد الشريعة. إلا ابن حزم ، وما كان ظاهريا مثلهم وإن تفقه بكتبهم

فإذا نحن لم نقبل أن تكون الخلافة قاصرة على قريش وهم سرة الأرض ، وأسرة النبى ، وسدنة البيت الحرام ، افنقبل أن يكون الملك مقصوراً على قريش الأناؤوط ، وأسرة فاروق ، وأهل قولة (١) ؟

حسبكم من فضائل هذه الأسرة ، أنها سرقت الأرض ، وانتهكت العرض ، وأضاعت الدين ، وأفسدت الخلق ، وأذلت الرقاب !

حسبكم اسماعيل وتوفيق وفاروق . لا تجلبوا لأنفسكم فاروقا جديدا ، كلهم فواريق !

يا أهل مصر . هذا هو الطريق ، فاسلكوه . يا أهل مصر لا ترددوا ، ليس بينكم وبين الغاية إلا خطوة واحدة !

على الطنطاوى

(١) صدق أخونا الاستاذ سعيد العريان ، أن هؤلاء هم بقية المماليك ، فضموهم إليهم ، والحقوهم بهم ولقنوا ذلك الصغار فى المدارس ، والكبار فى الصحف والإذاعات

(٤) الفضل الزيادة

شعراء الوطنية

البـــارودى

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

تتمة

فى مقالنا السابق تحدثنا عن (محمود سامى البارودى) وعن شعره فى منفاه. واليوم نتم الحديث عن شعره الوطنى

يشيد بعظمة الأهرام

قال يصف (الأهرام) ويشيد بعظمتها :

سل(الجيزة)الفيحاءعن(هرمى)مصر
لعلك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناءان ردا صولة الدهر عنهما
ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
أقاما على رغم الخطوب ليشهدا
لبانيهمـــا بين البرية بالفخر
فكم أمم فى الدهر بادت وأعصر
خلت وهما أعجوبة العين والفكر
تلوح لآثار العقول عليهما
أساطير لا تنفك تتلى إلى الحشر
رموز لو استطلعت مكنون سرها
لأبصرت مجموع الخلائق فى سطر
فما من بناء كان أو هو كائن
يدانيهما عند التأمل والخبر

وختمها بقوله :

فيا نسمات الفجر أدى تحيتى
إلى ذلك البرج المطل على النهر
ويا لمعات البرق إن جزت بالحمى
فصوبى عليها بالنثار من القطر
عليها سلام من فؤاد متيم
بها لا بربات القلائد والشذر (١)
ولا رحت فى الدهر وهى خوالد
خلود الدرارى والأوابد من شعرى

شعر القتال

ومن قصيدة له فى وصف إحدى المعارك التى خاضها ويبدو منها مبلغ شجاعته وصبره على أهوال القتال

ولما تداعى القوم واشتبك القنا
ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وزين للناس الفرار من الردى
وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا
سقينا بكأس لا يفيق لها شرب
صبرت لها حتى تجلت سماؤها
وإنى صبور إن ألم بى الخطب

الفساد فى عهد إسماعيل

وقال من قصيدة يصف سوء الحكم وظلم الحكام فى عهد إسماعيل ، وينصح قومه بالمطالبة بحقوقهم والمبادرة بإصلاح شؤونهم قبل أن تسوء العقبى . وهى من شعره السياسى الوطنى الرائع :

قامت به من رجال السوء طائفة
أدهى على النفس من بؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه
بغضا ويلفظه الديوان . من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظل فى خلل

إلى أن قال :

فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا
شكالة الريث فالدنيا مع العجل

---

(١) الشذر صغار اللؤلؤ

وطالبوا بحقوق أصبحت غرضا
لكل منترح سهما ومختتل
حتى تعود سماء الأمن ضاحية
ويرفل العدل فى ضاف من الحلل

الجيش والدستور

وقال فى أوائل عهد الخديو توفيق يدعو إلى الشورى وتقوية الجيش :

أمران ما اجتمعا لقائد أمة — إلا جنى بهما ثمار السؤدد
(جمع) يكون الأمر فيما بينهم — (شورى) وجند للعدو بمرصد

يندد بالدسائس

وقال من قصيدة يشكو فيها من الدسائس التى كانت تحاك حوله :

نقموا على حميتى فتألبوا — حزبا على وأجمعوا ما أجمعوا
وسعوا بقربتهم فلما صادفوا — سمعا يميل إلى الملام توسعوا
لا عيب فى سوى حمية ماجد — والسيف يغلبه المضاء فيقطع

العودة إلى الوطن

وقد عاد إلى الوطن سنة ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه فى منفاه . فاستقبل مصر بقصيدته التى مطلعها :

أبابل مرأى العين أم هذه مصر
فإنى أرى فيها عيونا هى السحر
فإن يك موسى أبطل السحر مرة
فذلك عصر المعجزات وذا عصر

إلى أن قال

وإنا مرؤ تأبى لى الضيم صولة — مواقعها فى كل معترك حمر
أبى على الحدثان لا يستفزنى — عظيم ولا يأوى إلى ساحتى ذعر

عبرة الحوادث

ومن قصيدة له قالها بعد عودته من المنفى تفيض توجعا لحالة البلاد بعد أن جثم الاحتلال على صدرها . وقد تذكر عندما مر بقصر الجزيرة أيام إسماعيل حين كان فى أوج سلطانه . وما انتهى إليه أمره من خلع وخسران . وتذكر أخطاءه التى كان لها أثرها فى التمهيد للاحتلال . فلم يترحم على عهده . ونظم هذه القصيدة معتبرا ومذكرا وهى من آيات الشعر فى العظة والاعتبار . قال :

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع
هيهات قد ذهب المتبوع والتبع !
هذى (الجزيرة) فانظر هل ترى أحدا
ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع
أضحت خلاء وكانت قبل منزلة
للملك منها لوفد العز مرتبع
فلا مجيب يرد القول عن نبأ
ولا سميع إذا ناديت يستمع
كانت منازل أملاك إذا صدعوا
بالأمر كادت قلوب الناس تنصدع
عاثوا بها حقبة حتى إذا نهضت
طير الحوادث من أوكارها وقعوا
لو أنهم علموا مقدار ما فغرت
يد الحوادث ما شادوا ولا رفعوا
دارت عليهم رحى الأيام فانشعبوا
أيدى سبا وتخلت عنهم الشيع
كانت لهم عصب يستدفعون بها
كيد العدو فما ضروا ولا نفعوا
أين المعاقل بل أين الجحافل بل
أين المناصل والخطية الشرع ؟
لا شئ يدفع كيد الدهر إن عصفت
أحداثه أو يقى من شر ما يقع
زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم
ولا تعطلت الأعيـــاد والجمع
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
وإنمـــا صفوه بين الورى لمع

لو كان للمرء فكر فى عواقبه ... ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع
وكيف يدرك مافى الغيب من حدث ... من لم يزل بغرور العيش ينخدع
دهر يغر وآمال تسر وأعـ ... ـمار تمر وأيام لها خدع
يسعى الفتى لأمور قد تضربه ... وليس يعلم ما يأتى وما يدع
يا أيها السادر المزور من صلف ... مهلا فإنك بالأيام منخدع
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له ... لعل قلبك بالإيمان ينتفع
إن الحياة لثوب سوف تخلعه ... وكل ثوب إذا ما رث ينخلع

وظل البارودى بعد عودته من المنفى فى عزلة عن الناس . لا يجتمع إلا بالصفوة المختارة من الأدباء والشعراء والحافظين لعهده . إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٠٤ . تخلف مجدا لا يبلى على الزمان

عبد الرحمن الرافعى

٤٠٥١٩

غرارة ملقاة

للأستاذ محمود محمد شاكر

إليك عنى ، أيتها النفس ، فأنا وأنت كما قال عبيد ابن الأبرص :

إذا أنت حملت الخؤون أمانة ... فإنك قد أسندتها شر مسند

وقد أبيت على أن أكتب ما كنت أريد ، لأنك أردت أن تكونى لى على غير عهدى بك منذ ساعات قلائل . فدعينى أحدث عنك بما أسررت من مضمر أو مكنون

ما كدت أجلس إلى مكتبى حتى تبعثرت خواطرى ، وتهاربت منى أفكارى ، وانتشرت على عزيمتى ، وتفرقت عنى إرادتى ، وتطايرت فى الآفاق سوا كن نفسى ، وغادرتنى همتى ، وكأنى غرارة ملقاة على مدب الحياة . وربما هجس فى نفسى الهاجس ، فما أكاد أقول : هذا هو ! حتى أجدنى على جناح أمر آخر ، وإذا بينهما مسيرة ما بين مشرق الشمس ومغربها . فأين المفر ! وكيف القرار ! لا أين ولا كيف ! بل ألتمس مذهبا لا غاية له ، لعلى واجد فيه بعض ما أسرى به حيرتى : أن أقيد ما يعن لى — أم ينبغى أن أقول : أن أقيد ما أعن أنا له — على عجل ، وبلا ترتيب ، وكما يتفق

ولكن ما نفع هذا لك أنت أيها القارئ ؟ هل يعنيك شيئا أن تطلع على حيرة نفس فى ساعة من حياتها ؟ أم هل يجدى عليك أن تطلع ؟ بل مالى ولك ! أترانى أكتب لأنفعك ؟ ما أسخف هذا ! وماذا عندى مما تنتفع به ؟ كيف أستطيع أن أدعى أنى أنفع بالذى أكتب الآلاف من القراء مثلك ؟ وأنى لى علم هذا السحر : أن أجمع فى أسطر معدودات حاجة كل نفس ؟ أوليس من السخف ، ومن الغرور أيضا ، أن يزعم امرؤ أنه يملك القدرة على نفع أحد ، فضلا عن آلاف ؟ وما أملك إلا أن أصارحك بأنى ما كتبت قط إلا لنفسى وحدها ، ثم لا ألبث أن أعرض عليك ما أكتب — لا لأعلمك أو أنفعك ، بل لتعرف كيف يفكر إنسان مثلك ! وكيف يخطئ وكيف يصيب ! وكيف يصدق وكيف يخون ؟ فإذا كان ذلك كذلك فلا بأس عليك إذن ، إذا تصفحتنى فى ساعة من شتاتى وحيرتى ، كما تتصفحنى فى ساعة هدأتى وسكينتى

* * *

كيف ! هل يمكن هذا ؟ هل يمكن أن يصبح الإنسان غرارة ملقاة على مدب الحياة ، ثم هى إنسان يحس بالحياة

وأحيائها يمرون عليه غادين أو رائحين . هذا واطئ يطؤه ، وهذا مقتحم يقتحمه ، وهذا ذاهل عنه وفى عينيه نظرة التأمل ، وهذا متلفت إليه يرمقه كالمتعجب ! وكلهم لا يبالى . وهو أيضا لا يبالى أن يكون ما كان : غرارة ملقاة على مدب الحياة والأحياء

وما دامت الغرارة الملقاة تحس بالحياة وأحيائها يمرون عليها غادين أو رائحين ، أفليس هذا حسبهـا من الحياة وأحيائها ؟ وما الحياة ؟ هل الحياة إلا إحساس محض ؟ إحساس بالألم ، وإحساس باللذة . إحساس بالرضى ، وإحساس بالسخط . إحساس بالجمال ، وإحساس بالقبح . إحساس بالنور ، وإحساس بالظلام . إحساس بالشبع ، وإحساس بالجوع . إحساس بالحلو ، وإحساس بالمر . إحساس بالشذا الطيب ، وإحساس باللخن الكريه . إحساس مجرد مرهف نافذ لا يعوق نفاذه شئ . إحساس حر كشعاع الشمس

أوهؤلاء الغادون والرائحون أعرق فى حس الحياة من الغرارة الملقاة على مدبها ؟ وما الحركة التى تسير بهم غادين أو رائحين ؟ أهى تزيد الإحساس وتضاعفه ، أم هى تنقص منه وتتحيفه ؟ أوليست الحركة شاغلا يشغل عن تجريد الإحساس وإمحاض للمحسوس ؟ وأيهما أنفذ : غرارة ملقاة يستغرق حسها نابض الحركات حتى تظل حية هامدة ، أم غاد ورائح ، تتخون الحركة من حسه حتى يكل مرهفه ويفل مضاؤه ؟

* * *

بل كيف يستغرق الحس الحركة ؟ يا عجبا كل العجب ! إنه أمر لا يكاد يدركه إلا من مارسه فى سريرة نفسه . لذة لا توصف ، ولكنها تعقب أحيانا ألما لا يستقر . لذة تتملى بها وحدك ، وإذا هى تتسرب بك إلى جنة مونقة تدلت عليك بأثمارها . أما الألم ، فهو الذى يلذعك إذا روعك عن استغراق حسك طارق لم تكن تتوقعه

أجدنى أحيانا فى أمر والناس معى ، ثم يستغرقنى عنهم حس أنفرد به ، وإذا أنا معهم ولست معهم . ثم ينبرى سائل فيسألنى عن شئ غير الذى أنا فيه ، فأنتبه كالمذعور ، ويختلط على ما أنا فيه بما سئلت عنه . وعندئذ أرى كل شئ يفر منى كأنى ما عرفته من قبل ، ويأخذنى ما قدم وما حدث ، ويخرجنى التنبه قسرا من استغراق الحس إلى حركة لم أتهيأ لها ، وتتضارب على لسانى كلمات لم أردها ، وأقول ذاهلا ، ما لو تأنيت قليلا حتى أستقر لما قلته . إنه قول منزعج عن حقيقته ، لو اطمأن لاستقام على وجهه . فمن لى بمن يحس بما أحس به ، حتى يتفق حسى وحسه ، ثم يقظتى ويقظته !

* * *

أمن الممكن حقا أن تجعل إنسانا يحس بما تحس به ؟ باطل محض . الحس عمل متصل لا ينقطع ، بعضه يأتى فى أعقاب بعض . أجل ، ليس من الممكن أن تفرغ نفس إنسان من ماضى إحساسها ، وتفرغ نفسك من سالف إحساسها ، كى تبتدئا معا ، وتسيرا معا إلى النهاية . هذا مستحيل . وإذا استحال ، فيستحيل معه أيضا أن تجعل إنسانا يحس بما تحس به . نعم قد يستقيم فى بعض الكلام أن تقول لأخيك : « إنى أحس بما تحس به » ، ولكنك تعنى عندئذ أنك توجهت بإحساسك إلى شئ كان إحساسه قد توجه إليه . أما لو ظننت أن إحساسك بمثل إحساسه ، فهذا باطل . وألفاظ اللغة تضلل من لا يتوقى مجاهلهـا

* * *

كل امرئ منا عالم وحده ، لأنه يحس إحساسا واحدا لا يشركه فيه أحد من بنى جلدته . وكل امرئ منا هو فى أصل طبيعته يعيش فى خلوة تامة — فى غرفة مغلقة الأبواب . وإذا فسدت عليه هذه الخلوة ، فسد إحساسه بالحياة وأحيائها . وإذن ، فمن الإثم والعدوان ، أن تحتال على أحد ، متوهما أنك قادر على أن تجعل إحساسه بالأشياء كإحساسك . إنك آثم لا محالة . إنك تفسده

وتفسد عليه حياته . إنك تعنف به حتى يخرج من خلوة الفطرة من حرية الحس . نعم ، بل أنت تتلذذ باستلحاقه فى إحساسك ، تتلذذ بخضوع سر حريته لسطوتك ، تتلذذ تلذذا بشما باستعباده !

* * *

باطل الأباطيل أن يحس جماعة من البشر بإحساس واحد . إنه خلط قبيح . إنه إذلال كل فرد لطاغوت مكذوب يقال له الجماعة . كل امرئ منا له حس منفرد ، يجرد للاحساس لشئ واحد ، هو ما انطوت عليه هذه الحياة الدنيا ، كما فطرها فاطر السموات والأرض ومن فيهن . والذى يجمع البشر فى هذه الحياة ، هو هذه القضية المركبة : حس ينفرد به كل امرئ منهم ، يتجرد للاحساس بعالم واحد يتعايشون فيه . العالم الواحد هو الذى يربطهم ، لا تطابق إحساسهم تطابقا تاما أو غير تام

والإنسان ليس مدنيا بالطبع ، كما يزعم الزاعمون ، بل هو مدنى بالضرورة . والضرورة هى هذا العالم الواحد الذى نعيش فيه ، والذى لا فكاك منه إلا بحسام المنية . هذا العالم الذى يأسرنا ، هو وحده الذى يربط بيننا ، وهو وحده الذى يؤلف بين هذه الأحياء المحسة به ، وكل حى منها منفرد بإحساسه ، مستقل به وحده

لا يتطابق حسان بإحساس واحد أبدا ، بل يتطابق حسان على الإحساس بشئ واحد ولا مفر . وهما قضيتان مختلفتان فى أصلهما ، مختلفتان فى نتيجتهما

* * *

أنبل جهدك أن توقظ إنسانا حتى يحس ، وسبيلك أن تفطن إلى شئ واحد : هو أنك أحسست بهذا الشئ أو ذاك . فإذا فطن له وتهيأ أن يحس به ، فذلك حسبك وناهيك . غايات الغايات : أن توقظ حسه لكى يحس . والذى لاريب فيه ، أنه سيحس بغير الذى أحسست . هذا غاية جهد أعلم العلماء وأبلغ الأبيناء ، وهو الأمانة التى كتب عليه أن يؤديها بما آتاه الله من علم وبيان . فإذا جاوز هذا إلى أن يحتال عليك ويختلك ويماسحك ، ثم يتلصص إلى خلوتك ليضع فيك إحساسه ، لكى تبلغا « اتحاد الإحساس » فاعلم أنه لم يزد على أن أفسدك وشوهك . فاحذره . إنه يستعبدك ! إنه يميت إحساسك ! إنه يتركك تقلد الحس وأنت لاتحس ، كالببغاء تقلد الكلام وهى لا تتكلم !

هذا إثم يرتكبه كثير من الجماعات ومن أصحاب المذاهب . يزعمون إصلاح الناس ، وحقيقة فعلهم تخريب الناس ، وإماتة الإحساس الحى ، واستعباد الحس الحر المنفرد فى كل نفس . إنه تدمير الفطرة فى سبيل الجماعة ، أو فى سبيل المذهب ، أو فى سبيل الدولة ! حذار من فتك هؤلاء الفتاك ، وإن جاؤوك فى ثياب النساك

* * *

صورة الإنسان واحدة ، مذ كان الناس على الأرض . الآلاف بعد الآلاف منذ أقدم الدهر . بنية واحدة بها يعرف الجنس أنه « إنسان » ، ولكنهم متباينون ، فلا يتشابه إنسانان أبدا . وكذلك الحس أصل واحد فى كل إنسان ، ولكن يتباين الحس ، فلا يتشابه حسان أبدا ، ولا يتطابق إحساسان البتة

لاحيلة لأحد حتى يستطيع أن يدمج إنسانا فى إنسان ولو رام ذلك أحد لدمرهما جميعا . أما الحس ، فبالختل يتطابق ، وبالخداع يندمج . ختل هو القسر ، وخداع هو الاعتساف . ولا يتم ذلك إلا بتشويه الحس وتدميره . والذى هون على الناس أمر هذا التشويه والتدمير ، هو أن من الممكن أن يعيش المرء حياته بحس مدمر خرب ، وإن كان مستحيلا أن يعيش بصورة مدمرة خربة

ومن هوانه على الناس ، أن يفعله غير متحرج أكثر الآباء والأمهات ، وأكثر المعاهد والمدارس ، وأكثر الجماعات والمذاهب والدول . يدمرون حس الإنسان بالختل والخديعة ، حين يزعمون إصلاح الناس بتطابق إحساسهم واندماجه . يدمرون الحس لأنه باطن ، ولأنه لا قوام له

يحول بينهم وبينه، كما يحول قوام صورة الإنسان الظاهرة بينهم وبين ما فعلوه في شقيقها وقرينها

***

الحياة إحساس محض، والحس حر مطلق، فأيما مذهب أو جماعة أو دولة، حاولت أن تدمج بالختل حسا في حس، وأن تطابق بالخديعة إحساسا في إحساس، فلا غاية لها إلا استعباد أحرار الحياة، وتدمير سر النشأة وتخريب بنيان الله بأخس الأسلحة: بالكذب والمكر والتغرير والختل والخديعة والعبث. إنهم يريدون أن يجعلوا المذهب أو الجماعة أو الدولة، طاغوتا يعبده الضالون داعين متضرعين «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»

أليس هذا بحسبك بعد الذي أفضت فيه. وقد عرضت لك جانبا من خواطر نفس حائرة تتصفحها، فتفكر وتدلي، واحذر ما يقول القائل.

فبينما الأمر تزجيه أصاغره إذ شمرت لحمة شهباء تستعر
تعيي على من يداويها مكايدها عمياء، ليس لها شمس ولا قمر

محمود محمد شاكر

ثلاثة حوادث من التاريخ الإسلامي

ساعدت على نمو العربية وانتشارها

للأستاذ عبد الحميد العبادي

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

نظرت في حوادث التاريخ الإسلامي فوجدت أن ثلاثة منها كانت ذات تأثير عميق بعيد المدى في نمو اللغة العربية وانتشارها العظيم. أول هذه الحوادث تعريب الدواوين على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥هـ ٨٦هـ). الثاني أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١هـ) بتدوين الحديث النبوي. الثالث أمر الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ — ٢١٨هـ) بنقل كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية. وسأتكلم على هذه الأحداث الثلاثة واحدا واحدا، مبينا الباعث عليه، وكيف تم، وأثره في نمو اللغة العربية وانتشارها. ثم أختم كلامي بالمقارنة بين ما حصل منذ أكثر من ألف سنة وما هو حاصل بالفعل بالإضافة إلى نهضة العربية في عصرنا الحاضر

إن نظام الديوان نظام مستحدث في الدولة الإسلامية ظهر على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عندما توالت الفتوح وتدفقت الأموال من الأقطار المفتوحة، فاقتضت الحال اتخاذ نظام لتقييد أسماء المقاتلة وقبائلهم ومبالغ أعطياتهم، فاستشار عمر ذوي الرأي على عادته في كل أمر حازب وحدث مهم، فأشاروا عليه بوضع الديوان

و «الديوان» كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية لفظ إيراني الأصل له صلة بكلمة «دبير» ومعناها «الكاتب». وقد أطلق في أيام الفتوح العربية على السجلات التي كانت تشتمل على حساب أموال الدولة، ثم أصبح يضاف في العصر العباسي إلى كل فرع من فروع الإدارة العباسية، فقالوا ديوان الزمام وديوان التوقيع وهكذا

ولقد كون عمر لجنة لتدوين أسماء الجند وبيان أنسابهم وأعطياتهم على نظام اتفق عليه وفصله الماوردي في كتاب «الأحكام السلطانية» فكان من ذلك الديوان المعروف بديوان الجيش. وهو أول ديوان وضع في الدولة الإسلامية وكان محرر بالعربية من أول أمره. ثم تلاه ديوان آخر هو ديوان المال والجباية، وكان مقر دواوين الأموال في عواصم الأقطار المفتوحة. وكانت تسجل فيها أسماء القرى ومساحاتها ومقادير ارتفاعها وتوزيع ذلك على هيئة جزية أو خراج. وكان هذا الديوان يكتب في كل قطر بلغة أهله أو لغة الدولة التي كانت لها السيادة عليه قبل الفتح الإسلامي

فكان ديوان العراق وفارس يكتب بالفارسـية ، وديوان الشام بالرومية ، وديوان مصر بالرومية والقبطية . وكان يتولى شئون هذه الدواوين عمال من أهل الأقليم ، فكان عمال ديوان العراق من موالى الفرس ، وعمال ديوان الشام من الروم ، وعمال ديوان مصر من الروم والقبط

وقد ظلت دواوين المـال والجباية تكتب فى الأقطار المفتوحة باللغات الأجنبية المذكورة يتولاها عمال من موالى الفرس والروم والقبط حتى كان زمن عبد الملك بن مروان . وكانت العربية قد انتشرت بين الأعاجم وحذقها قوم منهم إلى جانب لغاتهم الأصـلية . ثم أن الدولة الأموية قد أصبحت راجحة النفوذ فى الميزان الدولى ؛ هذا إلى عصبيتها الشديدة لـكل ماهو عربى ، فلم يكن من الطبيعى أن تظل دواوينها تكتب بغير العربية . واتجهت سياسة عبد الملك إلى تعريب إدارة الدولة ، وبدأ بالعملة فضربها عربيـة بعد أن كانت رومية وفارسية . قال البلاذرى بأسناده أن عبد الملك أول من ضرب الذهب بعهد عام الجمـاعة أى سنة ٧٤ . وضرب الحجاج الدراهم آخر سنة ٧٥ ثم أمر بضربهـا فى جميع النواحى سنة ٧٦ هـ . » ثم اتجهت عزمة عبـد الملك وعامله الحجاج إلى تعريب الدواوين

يروى البلاذرى نقلا عن المدائنى عن أشياخه فى بيان السبب الذى من أجله نقل ديوان العراق فيقول « قالوا لم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق بالفارسية ، فلما ولى الحجاج العراق استكتب زاذان فروخ ابن بيرى ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم يخط بين يديه بالفارسية والعربية ... فوصل زاذان فروخ صالحا بالحجاج وخف على قلبه ، فقال له ذات يوم إنك سببى إلى الأمير وأراه قد استخفنى ، ولا آمن أن يقـدمنى عليك وأن تسقط . فقـال لا تظن ذلك ! هو أحوج إلى منه إليك ؛ لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى . فقال والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته . قال فحول منه شطرا حتى أرى ، ففعل ، فقال له تمـارض ! فتمارض ، فبعث إليه الحجاج طبيبه ، فلم ير به علة . وبلغ زاذان فروخ ذلك فأمره أن يظهر . ثم إن زاذان فروخ قتل فى أيام عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث الـكندى ... فاستكتب الحجاج صالحا مكانه فأعلمه الذى كان جرى بينه وبين زاذان فروخ فى نقل الديوان ، فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية وقلد ذلك صالحا . فقال له مراد نشاه بن زاذان فروخ : كيف تصنع بدهويه وشيشويه ؟ قال أكتب عشر ونصف عشر ! قال فكيف تصنع بويد ؟ قال : أكتبه «وأيضا» والويد النيف والزيادة تزاد . فقال : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسـية ! وبذلت له الفرس مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك ، فأبى ونقله . فكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد يقول لله در صالح ! ما أعظم منته على الـكتاب ! » . ويقال إن الحجاج أجل صالحا أجلا حتى قلب الديوان »

هذا عن نقل ديوان العراق وفارس . أما ديوان الشام فيروى البلاذرى أيضا سـبب نقله فيقول « قالوا ولم يزل ديوان الشام بالرومية حتى ولى عبد الملك بن مروان . فلما كانت سنة ٨١ هـ أمر بنقله ، وذلك أن رجلا من كتاب الروم احتاج أن يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال فى الدواة ، فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه ، وأمر سليمان بن سـعد بنقل الديوان ، فسأله أن يعينه بخراج الأردن سنة ، ففعل ذلك وولاه الأردن . فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك ، فدعا بسرجون كاتبه ، فعرض ذلك عليه ، فغمه ، وخرج من عنـده كئيبا ، فلقيه قوم من كتاب الروم ، فقال : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ! فقد قطعها الله عنكم ! قال وكانت وظيفة الأردن التى قطعها له معونة مائة ألف وثمانين ألف دينار »

أما ديوان مصر فيقول الـكندى فى كتاب « القضاة والولاة » فى أمر نقله « وبويع الوليد بن عبـد الملك ...

فأقر أخاه عبد الله على صلاة مصر وخراجها وأمره بالدواوين فنسخت بالعربيــة ، وكانت قبل ذلك تــكتب بالقبطية ، وصرف عبــد الله بن أشناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص »[1]

ومهما يكن ما ترويه المصادر القديمة من أسباب مباشرة لتعريب الدواوين فالذى لا شك فيه أن عبــد الملك وابنه الوليد وعاملهما الحجاج كانوا شديدى العصبية لــكل ما هو عربى ، وأن الدولة قد اتجهت إلى تعريب إدارتها كما قدمنا ، استكمالا لمظاهرة سيادتها وتوفير لــكرامتها

ولقد ترتب على هذا الحادث التاريخى الهام عدة أمور خطيرة : —

فالعربيــة الفصحى أفادت ألفاظا جديدة كثيرة كما يؤخذ من ترجمة دهوية وشيشوية وويد ، فهى مثال لما حصل بالفعل على نطاق واسع . وظهرت فى العربية ألفاظ كثيرة إما معربة أو منقولة عن أصولها الأعجمية المستعملة فى الحساب والمساحة والزراعة والتجارة والصناعة مما لم يكن للعرب عهد به من قبل

ثم إن الأعاجم مسلمين أو غير مسلمين أقبلوا على تعلم العربية ، بعامل المصلحة الذاتية ، وذلك للانتظام فى أعمال الــكتابة والخراج وما يتصل بهما ، ولسهولة التقاضى فى المنازعات التى كان ينظر فيها قضاة من العرب بطبيعة الحال. وبذلك لم يكد ينصرم القرن الأول الهجرى حتى كانت العربية قد عمت أهل فارس والعراق والشام ومصر وغلبت الفارسية والرومية والقبطية على أمرها فأخذت هذه تتضاءل وتضمحل حتى صارت إلى الزوال أو ما يقرب من الزوال

وبانتشار العربيــة بين الأعاجم واضمحلال اللغات الأجنبية ثم ذهابها ظهرت فى الأقطار المفتوحة لهجات عربية شعبية تبين لنا المصرية منها خاصة مجموعات البردى التى كشفت فى مصر والتى تصاحب تاريخ مصر الإسلامى من أول الفتح العربى إلى القرن السادس

تشتمل هذه الوثائق النفيسة على رسائل صادرة عن ولاة مصر مثل قرة بن شريك وغيره وبعض المثقفين من العرب ومكتوبة بلغة صحيحة فصيحة ، كما تشتمل على عدد عظيم من وثائق المبايعات والمداينات ، وعقود الزواج والتمليك والشئون اليومية ؛ وهذه مكتوبة بلغة شعبية مباينة للفصحى وفيها كثير من خصائص العاميــة المصرية الحاضرة ، من ذلك إبدال الضاد من الظاء فى « إحفض » بدلا من « إحفظ » وإسقاط الهمزة رسما ونطقا إسقاطا يكاد يكون مطردا فيقال « ويضا » بدلا من « وأيضا » و « وحد عشر » بدلا من « أحدعشر » وعدم المبالاة بالإعراب فيقال « اثنين » حيث يجب أن يقال « اثنان » وهلم جرا . وقد نشر جانبا من هذه البرديات المحفوظة بدار الــكتب المصرية الأستاذ المستشرق أودلف جروهمان النمسوى فى ثلاثة أسفار كبار طبعتها دار الــكتب قبل الحرب الأخيرة كما وضع جنابه حديثا كتابا قيما فى هذا الموضوع أسماه « من عالم البرديات العربية » وقد نشرته جمعية الدراسات التاريخية المصرية

وأهم النتائج التى ترتبت على تعريب الدواوين من حيث مستقبل الثقافة الإسلامية أن أصبحت اللغة العربية الأداة الوحيدة للتخاطب لتبادل الآراء والأفكار فى العالم الإسلامى الذى كان يمتد إذ ذاك من حدود الهند والصين إلى سواحل المحيط الأطلسى

* * *

هذا ، عن تعريب الدواوين وما ترتب عليه من الآثار . أما تدوين الحديث النبوى فالمعروف أنهم كانوا طوال القرن الأول يكرهون كتابة الحديث حتى لا يكون إلى جانب القرآن الــكريم كتاب آخر يشغل المسلمين عن تلاوته وتدبر معانيه ؛ بيد أن هذا التحرج لم يمنع نفرا من الصحابة والتابعين أن يكتبوا مجموعات من الأحاديث لأنفسهم خاصة

(١) وإتماما لهذا العرض التاريخى أقول أن سعادة الســيد حســن حسنى عبد الوهاب باشا العلامة التونــى وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية أخبرنى أن ديوان المغرب نقل من اللغة اللاتينية إلى العربية فى حــوالى الوقت الذى عربت فيه دواوين الشرق وأنهم عثروا فى ض بنواحى المغرب على دينار عربى من زمن الأمير موسى بن نصير

لا بقصد النشر والتداول . فلما ظهرت أحاديث لا يعرفها أعلام الصحابة والتابعين قوى الاتجاه إلى تدوين الأحاديث الصحاح . يروى الخطيب البغدادى فى كتاب «تقييد العلم» أن ابن شهاب الزهرى قال لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها ولا نعرفها ما كتبت حديثا ، ولا أذنت فى كتابته . فلما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز أمر ابن شهاب الزهرى بجمع السنة وكتابتها . وعن إبراهيم بن سعد قال « أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا » . ثم استفاض تأليف الكتب فى الحديث بعد ذلك حتى كانت الكتب الستة المشهورة

والذى نخصه بالملاحظة من هذه الظاهرة العظيمة أن الأحاديث سواء كانت مروية باللفظ أو بالمعنى ، هى فى طبقة عالية من البلاغة فأفادت اللغة من تدوينها نموذجا للعبارة البليغة مكن للفصحى بعد المنزلة التى بلغتها بالقرآن الكريم أى تمكين . وإن حرص المسلمين فى كل عصورهم على هذين المصدرين الأقدسين وبالغ عنايتهم بهما أقام الفصحى على أساس راسخ لا يتطرق إليه وهن مادام فى الأرض مسلمون وإسلام

ثم إن الأحاديث المروية عن الرسول العربى تعتبر المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى ، ومن ثم وضعت كتب فى الحديث مرتبة على أبواب الفقه كموطأ الإمام مالك وصحيح البخارى فكان منها مادة عظيمة غذت لغة الفقه الإسلامى وعلوم الحديث وانبعثت فيها تعبيرات ومصطلحات يعرفها من يطلع على الكتب المؤلفة فى هذين العلمين الجليلين

* * *

ثم انتقل ، إلى الحادث الثالث وهو أمر المأمون بنقل كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية ، فأقول لما فتح العرب بلاد الشام والعراق ومصر وجدوا فى أمهات مدنها مدارس للسريان والفرس والقبط تدرس بها العلوم القديمة وخاصة علوم اليونان وكانت هذه العلوم قد نقلت إلى السريانية فى الشام والعراق رغبة من النساطرة واليعاقبة فى درسها بلغتهم مبالغة منهم فى مقاطعة اللغة اليونانية ، لغة الكنيسة البزنطية التى انفصلوا عنها من الناحية الدينية . وكان أكثر ما يدرس فى هذه المدارس الفلسفة اليونانية وخاصة المنطق وما وراء الطبيعة ثم الطب والنجوم والكيمياء . وقد نقلوا كذلك كتبا عدة فى الرياضيات وغيرها عن الفارسية والهندية والقبطية والنبطية

واستمرت هذه الحال فى العصر الأموى وأخذ المسلمون يتصلون شيئا فشيئا بهذا الجو العلمى الذى كان يسود الشرق الأدنى بفضل مدارس الإسكندرية وأنطاكية وقيصرية ونصيبين والرها وجنديسابور حتى رووا أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية درس الكيمياء على راهب اسكندرى اسمه ماريانوس وأنه ألف فى الكيمياء ثلاث رسائل . فلما كان زمن العباسيين الأوائل اذداد إقبال المسلمين على دراسة هذه العلوم ، وكان للخليفة المنصور ولع خاص بالطب والنجوم فترجمت له كتب فى هذين العلمين من السريانية . وكان للبرامكة أثر كذلك فى تشجيع النقل عن السريانية والفارسية ، فلما جاء المأمون وكان ميالا بطبعه إلى البحث الفلسفى وآراء المعتزلة كالقول بخلق القرآن وغيره من مسائلهم ، فقد سلك مسلكا جديدا بالمرة ، إذ أنشأ فى بغداد «بيت الحكمة» للدرس والبحث . والظاهر أنه حذا بيت الحكمة هذا على مثال مدارس السريان التى أشرت إليها ، ثم إنه أحب أن تنقل كتب الفلسفة الإغريقية عن اليونانية رأسا دون وساطة لغة أخرى كالسريانية وغيرها . ويروى ابن النديم فى « الفهرست » السبب الذى بعث المأمون على ذلك وهو أن المأمون رأى فى منامه أرسطوطاليس وسأله بعض الأسئلة ، فلما نهض من نومه طلب ترجمة كتبه ، فكتب إلى ملك الروم يسأله الأذن فى إنفاذ ما يختار من الكتب القديمة المدخرة ببلد الروم ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم

الحجاج بن مطر وابن البطريق ، وسلم « صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل . ثم أنه حول يحرض الناس على قراءة تلك الكتب ؛ ورغبهم فى تعلمها كما يذكر ابن العبرى فى كتابه مختصر تاريخ الدول

واقتدى بالمأمون كثير من رجال الدولة وجماعة من أهل الوجاهة والثروة فى بغداد ، فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء جزيرة العراق والشام وفارس وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والنبطية واللاتينية وغيرها . وأقبل الناس على الاطلاع والبحث أيما إقبال . وقد ظلت الحال على ذلك حتى أنه لم يكد ينتهى القرن الرابع حتى كان قد تم نقل أهم كتب القدماء إلى العربية

ولقد كان أثر هذا النقل الواسع المدى عظيما بالإضافة إلى اللغة العربية فقد نقل المترجمون مئات الألفاظ الفلسفية والطبية والكيميائية والرياضية وغيرها إلى اللغة العربية ، مترجمين بعضها إلى ما يقابله فى العربية وناقلين بعضها بلفظه مما حمل من علماء اللغة على أن يخصوه بتأليف خاصة مثل كتاب « المعرب والدخيل » للجواليقى . ومهما يكن من شئ فقد كسبت اللغة العربية مادة غزيرة وفيرة مكنت النحاة والتكلمين والفلاسفة الإسلاميين من خوض مسائل علومهم المختلفة بلغة مواتية وألفاظ دالة على المعانى التى يريدون التعبير عنها

* * *

وبعد فإنا إذا اعتبرنا ما أداه تعريب الدواوين إلى اللغة العربية فى مجال المصطلحات الإدارية المالية ، وما أنتجه تدوين الحديث فى مجال السنة والفقه ، وما أثمره نقل كتب الفلسفة والطب والرياضة والكيمياء فى ميدان العلوم العقلية والطبيعية فإنا نجد أن اللغة العربية قد أصبحت فى القرن الرابع بحرا خضما مما اقتضى وضع معاجم تجمع ماديتها وتشرح معانى مفرداتها . وهذا كله بفضل ما فى هذه اللغة نفسها من قوة وحيوية عجيبة ، ثم بفضل السياسة التى انتهجتها الدولة بأزائها على النحو الذى بيناه

وأخيرا أختم كلمتى فأقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ، فبعد مضى أكثر من ألف سنة عادت اللغة العربية إلى شبه الحال التى كانت عليها فى أزهى عصور الإسلام . لقد عربت دواويننا بعد أن كانت تكتب بلغات أجنبية بين تركية وفرنسية وانجليزية ، ثم ها هى ذى حركة نقل قوية عن اللغات الأوربية فى مختلف العلوم والفنون والآداب يقوم مجمعنا الموقر على توفير المصطلحات العربية اللازمة لإنجاحها . وكما كانت العربية أداة التفاهم وتبادل الرأى والفكر فى الدولة الإسلامية القديمة ، فانها بسبيل أن تصبح كذلك فى عالم شرقى حديث يمتد من أقاصى إندونيسيا إلى مراكش . وهو لعمرى أوسع وأشمل من العالم الإسلامى القديم . ولكن هذا معناه تزايد العبء الملقى على أبناء العروبة وحماة لغة الضاد ، وأخص منهم بالذكر رجال مجمعنا الموقر ، أن الآمال المعقودة عليهم فى جعل العربية تنهض فى المستقبل القريب نهضتها فى الماضى البعيد لآمال قوية لا يعرف اليأس إليها سبيلا . فاذا ما تحققت هذه الآمال وهى متحققة باذن الله فسيكون للعربية شأن أى شأن فى نشر الثقافة العليا فى القارتين الآسيوية والأفريقية والله ولى التوفيق

عبد الحميد العبادى

أسف واعتذار

نعتذر آسفين لمشتركى الرواية من توقفها عن الصدور بسبب الخسارة الفادحة التى منينا بها فى أعدادها الخمسة التى ظهرت ، ونرجو ممن دفعوا بدل الاشتراك سلفا أن يستردوه نقدا أو يشتروا به كتبا من مطبوعات الدار

من وحى الثورة وأهدافها

الفرد وقيمته فى المجتمع المصرى

للأستاذ محمود الشرقاوى

أمران هما اللذان حركا فكرى لأن أتناول بالكتابة هذا الموضوع . وكلا الأمرين من وحى الثورة المباركة ، كما أعتقد أن الغاية التى يحققها هذان الأمران وأمثالهما ، هى من أهداف ثورتنا ، أو يجب أن تكون من أهدافها

أول الأمرين ما سمعته أذناى ، عرضا ، وأنا أسير إلى جوار رجلين من عامة الشعب . فقد سمعت أحدهما يقول لصاحبه : الآن لا كبير ولا صغير ، ولا سيد ولا عبد ، فيجب أن تطلب حقك ، وتشكو ظلمك ، وأنت مطمئن شجاع . وقد أحسست فى نفسى شعورا بالعزة ، والرضى إذ أجد هذا الإحساس الذى هو وليد الثورة بلا شك ، فى قلوب المهضومين من أبناء الوطن

ولكنى وددت لو أستطيع أن أقول لهذين المتحدثين وأمثالهما من الناس ، إنه لا يوجد الآن سيد ولا عبد حقا ، ولكن يوجد ويجب أن يوجد دائما ، كبير وصغير ، فهذه هى الحياة . وهكذا خلق الله الناس . ولكنه أمرهم أيضا أن يرعى كل حق أخيه . فحق الصغير على الكبير البر والمودة والمواساة . وحق الكبير على الصغير ، العرفان ، والمحبة

أما ثانى الأمرين ، فهو ذلك الخطاب الذى قرأته ، عرضا أيضا ، والذى ترسله الهيئة المشرفة على توزيع معونة الشتاء

فقد جاءت إلى امرأة فقيرة ، معدمة ، عمياء . تمد يدها تحمل ورقة . وعلى وجهها الأسود البائس شئ من أمل وشئ من سرور . وقرأت ما احتوته هذه الورقة من سطور فإذا هى قليلة الكلمات ، ولكنها تحمل من الدلالات والمعانى ما ليس بالقليل . وما بلل عينى بالدمع ، بعد أن تلونه

كان كتابا جاءها من المشرفين على توزيع هذه المعونة يطلب إليها أن تذهب إليهم فى مقرهم . وليس فى هذا كله شئ جديد ، ولا أمر يستحق أن يكتب فيه . ولكن صيغة الكتاب هى التى تحمل من المعانى والدلالات ، كما قلت ، شيئا كثيرا . فهى تدعوها ، وأندادها من الفقراء ، الذين لم يكن يدعوهم أحد ، « بالمواطن » . وهى ، أى لجنة الأشراف على التوزيع ، « تتشرف » بدعوتها فقط ، وفى ذلك من الرقة ، وحسن اللياقة ، والأدب فى الخطاب ، ومراعاة الشعور الإنسانى ما فيه ، وما ليس يخفى . ثم يوقع الخطاب ، بعد هذه الصيغة المهذبة الرفيعة باسم اللواء أركان حرب محمد نجيب

فهؤلاء القوم الذين طحنهم البؤس ، والحرمان واليأس ، والذين لم يكن يذكرهم أحد إلا بالسخط ، ولا يخاطبهم أحد إلا بالزراية ، يوجه إليهم مثل هذا الخطاب الذى يفيض أدبا ، ورقة ، وحنانا ، ورعاية من رئيس الحكومة ، وقائد الجيش الذى أحدث أعظم انقلاب فى تاريخ مصر كله !

ذلك شئ جديد لم يروه من قبل ، ولم يكن يخطر بأحلامهم . ثم هم بعد هذه الدعوة المهذبة يذهبون فيجدون من بر إخوانهم ما يكسوهم من عرى ، ويغنيهم عن سؤال ، ويجدون أن ما أخذوه ليس صدقة ولا منة ، بل هو حق الفقير عند القادر

وهذا شعور جديد عند الحاكم لم يألفه وطننا مغزاه أن كل « مواطن » أخ كريم له من العزة والكرامة والحقوق ما لكل أخ قبل أخيه مهما يكن هذا المواطن فقيرا بائسا محروما

وهل قامت هذه الثورة البارة الخيرة إلا ليسعد بها الفقير ، والبائس ، والمحروم ؟

* * *

ولست أعتقد أن هـذا الأسلوب المهذب فى خطاب الفقراء كان أدبا فى الخطاب فحسب ، بل أحب أن أعتقـد أنه يبطن وراء هذا الأدب غاية أخرى هى إشعار الفرد بقيمته الذاتية وكرامته الإنسانية التى هى حق كل مواطن ، والتى هى الركن الأول لكرامة الوطن والجماعة ، فلن تكون جماعة كريمة عزيزة إلا وأساسها فرد كريم عزيز ، ولن يكون وطن كريم عزيز إلا وأساسه ولبناته أفراد كرام على نفوسهم أعزاء عند مواطنيهم

والقيمة الذاتيـة للفرد هى أيضا ، أساس الحكم الديمقراطى المستقيم النظيف المنتج ؛ فعلى قدر الاحساس الذاتى بالكرامة يكون الحرص على الحقوق الخاصة للفرد ، والحقوق العامة للجماعة

ولن تجد إنسانا يشعر بقيمته الذاتية وكرامته ثم يرضى بحكم فاسد أوجائر يظلمه أو تحكم به جماعته . أو يخضع له وطنه . والذى يعرف لنفسه قدرها يحرص عادة على أن يعرف أقدار الآخرين فلا يظلمهم ، ولا يرضى بما يقع عليهم من ظلم غيره

ولن تجد إنسانا يشعر بقيمته الذاتية وكرامته ثم يرضى بأن يكون عاطلا أو ضعيف الإنتاج ، ولا أن يعيش فى الحياة على مستوى مادى أو ثقافى يأباه لنفسه الرجل الكريم

فالقيمة الفردية لكل إنسان ، هى الأساس الأول لكل إصلاح ، وخير ، ونهضة متينة البنيان ، والأساس الأول لبناء الوطن الحر القوى الكريم

وقد قرأت فى الأيام الأولى لهذه الثورة أن القائد الرئيس محمد نجيب لاحظ وهو يسلم على أحد الأفراد أنه ينحنى ، ويخفض رأسه ، فهز يده وهو يقول : إرفع رأسك ، وانظر فى عينى فقد مضى زمن الخضوع

وهذه هى الروح التى لا بد للثورة أن تنميها ، وتزكيها فى مجتمعنا المصرى ، والتى أعتقد أن كثيرا من قوانين الثورة كقانون إلغاء الرتب والألقاب ، وقانون الإصلاح الزراعى ، كانت تهدف إليها ، فى ضمن ما تهدف

كما أعتقد أن هيئة التحرير ، التى تشمل فروعها بلادنا كلها الآن ، ستجعل من أهم أهدافها تعزيز هـذه الروح وإشعار الفرد بقيمته مع رعاية حق الآخرين

وحبذا لو احتذت مصالح الحكومة فى خطاب الأفراد حذو هذا الكتاب الذى أرسلته الهيئة الشرفة على معونة الشتاء إلى الفقراء ، وخرجت عن أسلوب خطابها الذى يوحى بالاستعلاء والتفرد

وحبذا لو اهتدى موظفوها بهدى هذه الروح فى معاملة أصحاب الحاجات من روادها

محمود الشرقاوى

الاسلام والفن والحياة

للاستاذ منصور رجاب الله

ما زال القلم ينازعنى فى التعقيب على نبأ طالعته فى الصحف قبل أشهر، وما برحت أطامن نفاره وأرده عن جماحه حتى غلبنى على أمرى فكان هذا المقال!

وقصارى هذا النبأ أن «جمل المحمل» نفق، وليس فى هذا شئ، فما كان نفوق حيوان ليسترعى الأذهان، ولكن بعض الصحف أبرز هذا الخبر فى إطار مبالغة فى الاهتمام به ولفت النظر إليه. إذن فليس الأمر أمر حيوان نفق وصار جيفة من الجيف، فلا بد أن للخبر وجها آخر يعادل هذا الوجوم المرتسم على كثير من الوجوه التى طالعها الخبر

إن الذين قرأوا نبأ نفوق جمل المحمل، عرفوا من قبل أن «طلعة المحمل» قد ألغيت منذ هذا العام، وأن أهل القاهرة سوف يحرمون هذه «البدعة» التى جرت بها التقاليد منذ عهد «أم خليل المتعصمية» المشهورة فى التاريخ باسم شجرة الدر، ومن ثم كان الحزن وكان الوجوم، وكان التساؤل: أى خير فات الأمة من بقاء المحمل؟ ومتى نهى الدين عن المحمل؟ وهل من الخير أن نقحم الدين فى كل شأن من الشئون؟

وقبل عام وبعض عام كانت المعركة محتومة بيننا وبين الطغاة المحتلين على ضفاف القناة، وكنا نعبئ قوانا ونستنهض الهمم والعزائم، وإذا بشيخ جليل القدر كبير المكانة، يطلع علينا بمقال ضاف فى إحدى الصحف بأن تقبيل زمام جمل المحمل حرام، وأن الدورات السبع لجمل المحمل لم ترد فى الكتاب ولا فى السنة، وقرأنا هذا الكلام ونحن فى قتام المعركة وقبل أن ينجلى عن الملحمة غبارها، نهد للشيخ الوقور من يقول له إن تقبيل زمام الجمل لا يعنى إلا تمجيد المعنى الذى يعنيه سفر المحمل إلى البقاع القدسية وأن التقليد القائم على دورات المحمل السبع لا يعنى إلا التمثل بالأشواط السبعة حول الكعبة المشرفة أو بالأشواط السبعة بين الصفا والمروة

وكنت أحب أن أرد على الشيخ، وكانت النفس فى سورة جامحة، ذلك أن إثارة ذلك الموضوع فى هاتيك الأيام لم يكن يقصد به وجه الله، وإنما كان يراد به صرف الأذهان عن مجاهدة الأعداء

واليوم أرجو أن أستميح القارئ عذرا إذا تحدثت فى هذا الموضوع، فلقد كثر الحديث فى هذه الأيام حول ولاية علماء الدين فى الإسلام وتمرض الأزهر الشريف لمحنة سوف يخرج منها إن شاء الله منصورا مبجلا من أهله ومن غير أهله

ولقد قدمنا الحديث بجمل المحمل، ولا نريد أن نتزيد أو نحمل الألفاظ أكثر من معانيها؛ وإنما نقولها صريحة إن «المحمل» ليس من الدين، ولم يكن ثمة «محمل» فى عهد رسول الله ولا فى عهود الخلفاء الراشدين ولا ملوك الأمويين ولا العباسيين، وإنما ابتدع المحمل فى نهاية الدولة الأيوبية، ليكون هودجا لشجرة الدر، ثم جرى به العرف والتقليد من ذلك العصر، فكانت قافلة تعبر القاهرة المعزية إلى السويس ثم تجتاز صحراء سيناء، والركب خلال ذلك يهللون ويكبرون، فتتجاوب الأصداء بكلمة الله بين تلك المهامه البيد والتنائف الفيح حتى يبلغ الركب البقاع المقدسة التى ضمت بيت الله الحرام وقبر الرسول الأعظم عليه صلوات الله ومقابر الصحابة والتابعين عليهم رضوان من الله أكبر

فأى جلال هذا الجلال، وأى جمال هذا الجمال!

أبعد قرابة ألف عام يطلع علينا من يزعم أن المحمل «بدعة» فى حين أن البدعة على ما فهمها الفقهاء «كل

شيء ليس له أصل في الدين » وليس المحمل يندرج تحت هذه البدعة ، وإنما هو مظاهرة دينية فيها فن وفيها جمال ، ولقد بصرت بعيني مواكب المحمل ورأيت الألوف من الشاهدين تموج عيونهم بالدمع ، وهم يودعون ركب المحمل ويقبلون الكسوة وهي في طريقها إلى الكعبة أو إلى قبر الرسول . لقد رأيت الناس يذرفون الدمع المتون شوقا إلى البقاع المقدسة ويعاهدون الله أن يزوروها إذا مد لهم في الأجل . فإذا لم يكن للمحمل إلا هذه الفائدة ، لكفاه فخرا ، وهل بعد التشويق لزيارة البيت الحرام زيادة لمستزيد ؟

وإني لأذكر الساعة أن ركب المحمل منع من السفر من مصر إلى الحجاز أحد عشر عاما ، ثم أذن له بالسفر عام ١٩٠٧ وتواكب الناس لرؤيته من كل فج حتى عمرت القاهرة واكتظت جنباتها ، وقيل إن عدد المشاهدين بلغ ألف ألف ، وأذاع المسئولون عن النظام يومئذ أنه رغم هذا الجمع الهائل لم تحدث سرقة واحدة ولا حادث مخل بالآداب . أبعد هذا يقال إن المحمل « بدعة » لأنه لم يكن في عهد النبي ولا في عهد الخلفاء الراشدين !

لقد كان المحمل ضربا من « الفن » قضينا عليه بأيدينا ليعلم غير أهل الإسلام — بغير حق — أن الإسلام عدو للفن والتقاليد الصالحة ، ولأننا صرنا إلى حال من الفوضى الدينية لا يرضى عنها عدو ولا نصير . ولسنا نعرف والله ماذا يضير الإسلام في قواعده الخمس التي لا يأتيها الباطل إذا بقيت التقاليد التي لا تمس الجوهر والتي فيها الجمال الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى « ولكم فيها جمال »

إن رجال الأديان الأخرى فهموا الدين على حقيقته الطبيعية ، فجعلوا منه فنا وتراويق وموسيقى تغري الناس باعتناقه ونحن في القرن العشرين نريد أن نجعل من الإسلام دينا تجريدياً لا يفهمه إلا الفلاسفة ، وهيهات أن يكون الناس كلهم فلاسفة

فإذا رخم المؤذن صوته بالآذان وحلاه ، قلنا هذه بدعة ، وينبغي أن يكون الآذان خاليا من الطلاوة والحلاوة وأن يؤديه صاحبه بجلافة وكأنما يفجر قنبلة أويلقى حجرا ، وكأنما غاب عنا أن لحلاوة الصوت مدخلا للآذان ومعبرا إلى الإيمان . ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري يرتل القرآن بصوت حنان فأعجبه الصوت الندى وأثنى على صاحبه بقوله « كأنما أوتيت مزمارا من مزامير داود » وهش أبو موسى لهذا الثناء وقال « والله يا رسول الله لو كنت أعلم أنك تستمع إلى لحبرته لك تحبيرا » أي لزاد في حلاوة الصوت وجمال الترتيل

فهذا خاتم المرسلين قد قدر الفن وشجع أهل الفن وجئنا من بعده ندعو إلى غير ما يدعو ، وصرنا نرمى كل ذي رأي بالابتداع أو بالوثنية

ولقد انصرف كثير من الوعاظ عندنا إلى التنفير من كل فن وغاب عنهم أن الإسلام مجد الفنون ودعا إلى الأخذ بها ، وإنما نهى عن الشرك بالله ، ودعا إلى إقامة دعائم الدين ، وليس من الدين أن يقصر كثير من الشيوخ حديثهم حول الوسيلة والشفاعة ، والقول بأن الصلاة على النبي بعد الآذان بدعة وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة بدعة

وهنا أقف قليلا لأرى في صيغة الصلاة على النبي بعد الأذان ضربا جميلا من فن النغم ، وليس في الأمر بدعة وإنما هو شيء طبيعي ، وليس لدى الساعة مرجع تاريخي يسعفني لأذكر الميقات الحقيقي لدخول هذه الصيغة المحببة على الآذان ، وإن كنت أستبعد أنها وقعت في العهد الايوبي كما ذكر بعض المؤرخين ، وإنما أرجح أنها جاءت لعهد عمر بن عبد العزيز الذي استبعد سباب أهل البيت بعد الآذان

كذلك أبعدنا الإسلام عن كل فن حين قلنا بهدم القبور والانصراف عن زيارة مقابر الأولياء ، وزعمنا أن كل أولئك « بدعة » بل هو ضرب من الوثنية ، فى حين أننا نقرأ فى السيرة النبوية أن النبى صلى الله عليه وسلم حين دفن وحيده إبراهيم سوى عليه بيده الشريفة ورش الماء وأعلم عليه بعلامة وقال « إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحى »

ولما طاف عمر بن الخطاب بالكعبة فى أول خلافته استلم الحجر الأسود وقال « اللهم إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » وورد فى بعض المراجع أن ابن عباس شوهد يوما — وهو فى طريقه إلى الحج — راكبا ناقة يدور بها حول شجرة ، ولما قيل له فى ذلك أجاب بأنه رأى مرة ناقة الرسول عليه السلام تطوف بهذه الشجرة فأراد أن يتبرك بآثار ناقة الرسول

وفى القرآن الكريم ما يدل على التبرك بآثار الصالحين فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا » « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا »

ونمضى فى القول بأنه فضلا عن التبرك بآثار الصالحين فإن فى إقامة هذه المقابر ضربا من الفن ، لأن الأضرحة تشيد على أنماط خاصة وزخرفة خاصة تأخذ العين وتستهوى القلب وتدفع النفس إلى التذكرة . والاستشهاد بالحديث الشريف « لا يشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » لا ينفى على الإطلاق زيارة مساجد الأولياء ؛ فكما أن المرء يشد رحاله لزيارة صديق أو قريب لا عليه أن يسافر ليصلى الجمعة فى مسجد الإمام الحسين أو فى مسجد السيد البدوى مثلا

ويجرنا هذا إلى الحديث عن الإيمان التجريدى مرة أخرى ذلك الإيمان الذى لا يعرفه حق المعرفة إلا خاصة الخاصة ممن اصطفى الله ، ولسنا نطالب عامة الناس بمثل هذا النوع السامى من الإيمان ، فالناس يخاطبون على قدر عقولهم ، وقد سأل النبى مرة جارية أعجمية « أين الله ؟ » فأشارت إلى السماء فعدها الرسول الكريم مسلمة

ولقد كان الخليفة المأمون رجلا فيلسوفا يؤمن بالله إيمانا مجردا ، بيد أنه رزئ فى أخريات أيامه بصحبة القاضى أحمد بن أبى دؤاد فزين له أن يحمل رعاياه كلهم على ما كانته أى من المعتزلة ، فأوقعهم فى النازلة الكبرى التى سودت تاريخه ولطخته ، ونعنى بها محنة خلق القرآن ، ومات المأمون ، وبلغت المحنة أقصى حدتها فى عهد الخليفة المعتصم وكان رجلا فظا لا يعرف من الدين إلا أوليائه ، ووقع بين براثنه الإمام العظيم أحمد بن حنبل ، وأبى أن يقول بخلق القرآن ، فلطمه على وجهه وأمر به فجلد حتى غشى عليه . ولما جاء بعده الخليفة الواثق خفت حدة المحنة ، حتى إذا تولى « المتوكل على الله » أمر برفع المحنة وقال بالرجوع إلى الكتاب والسنة ؛ ولذا ذهب فى الناس قولهم « الخلفاء ثلاثة : أبو بكر فى حروب الردة ، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم ، والمتوكل فى إحياء السنة »

ولم يكن الخليفة المتوكل فى علم سلفه المأمون ولا فى فقهه ، بيد أنه أدرك من خلائق البشر مالم يدركه المأمون ؛ ذلك أن الدين سجية وفطرة وليس حكرة لأحد من العالمين. وليس لمسلم وصاية على مسلم ما دامت قواعد الإسلام الخمس الأصيلة مرعية الجانب ، وليس لإنسان أن يقحم نفسه فى دقائق الأمور وتفصيلاتها ، ولقد ذهب العهد الذى يرمى فيه المسلم بالإلحاد أو الزيغ لأنه خالف قول إمام من الأئمة أو تزيد أو ابتدع

وما دمنا نتحدث عن صلة الإسلام بالفن والحياة ، فلا علينا أن نعرج على رجل عظيم الشأن من علماء الدين

ما زالت تعاليمه تحدث الفتنة وتجعل المسلمين يختبون فيها ويضعون ، ونعني به شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ فأكبر الظن أن الرجل كان يبغى خير الأمة ، وإن شذ فى بعض الأمر حتى بدعه طائفة من علماء عصره من سبعة عشر وجها ، وحتى اتهمه التقى السبكى بالزيغ من ثلاثة وجوه ، نقول إنه كان رجلا عظيما لا شك فى ذلك . قال ما اعتقد ، ولا أحسبنى غاليا فى القول إذا زعمت اليوم أن عظامه تضطرب فى قبرها لما أحدثت تعاليمه التى تأولها المتأولون من الفتنة والفرقة ؛ إذ قام من بعده الشوكانى وابن القيم الجوزية ولم يكن لهما علمه ولا فضله ، فلجا فى الأمر وكفرا جماعة المسلمين . ثم تبع هذين محمد بن عبد الوهاب الذى بالغ فى تكفير المسلمين ورفع حد السيف لمحاربة المسلمين بدعوى أنهم « كفار » وأسرف فى هدم الأضرحة والقباب فى نجد ، ثم عدا أتباعه على الأرض المقدسة فهدموا أضرحة الصحابة الأمجاد وأزالوا القباب ذات الأثر الفنى الرائع وكادوا يأتون على مسجد الرسول الأكبر لولا صرخة ارتفعت من ضمير العالم الإسلامى

نستطيع أن نقول إن هؤلاء الناس فهموا الدين فهما مجردا لا فن فيه ، فهو عندهم مجرد ركوع وسجود ، وزكاة وحج وصوم ومعاملات ، وأن المسلم عندهم ينبغى له أن يكون أداة صماء تنفذ التعاليم المكتوبة دون تصرف ولا مرونة ، ودون مجاراة لروح العصر ، ودون أخذ لما يقتضيه علم الاجتماع وطبائع البشر ، فإذا لم يفعل المسلم هذا فهو ملحد وأى ملحد !

ومن هنا اتهموا أتباع الطرق الصوفية بالكفر فى حين أن الطرق الصوفية كان لها فضل كبير على المسلمين فى الحروب الصليبية وفى حروب المغول وفى موقعة عين جالوت بالذات ، فإن العز بن عبد السلام الذى نفر المصريين للقتال لم يكن إلا شيخ طريقة . على أن هؤلاء معذورون فيما يرون ؛ فعندهم أن أتباع الطرق الصوفية إن هم إلا حواة يروضون الثعابين ويأكلون الحديد ويلعبون بالنار ، وغاب عنهم أن سوء استعمال الشئ ليس دليلا على فساده ، وإنما الفساد أن يرمى المؤمن البرئ بالكفر ، وأن يكون راميه على غير حجة أو بينة

* * *

ونخلص من هذا الحديث إلى أن الإسلام ليس دينا ودولة فحسب ، كما يحلو لطائفة من جلة المؤمنين أن يقولوا ، وإنما هو دين ودنيا ، وعلم وفن ، بل هو مرادف للحياة فى ذاتها ، الحياة فى هذه الدار ، وفى تلك الدار ، وإن المزمتين المتنطعين الذين يفهمون الإسلام على أنه تعاليم كتبها فقهاء طوتهم الأجيال ، هؤلاء لم يعد لهم مكان فى دنيا الإسلام ، ولا فى دولة الإسلام ، ولا فى دين الإسلام

منصور جاب الله

العلل النحوية

للأستاذ علي العماري

بالرغم من الصيحات المتتابعة من العلماء القدامى والمحدثين بأن العلل النحوية لاغناء فيها ولاجدوى منها ؛ وبالرغم من الشكوى الأليمة المرة من المتعلمين والمعلمين على السواء من تعقيد النحو العربي وصعوبته وكثرة الفضول فيه ؛ بالرغم من ذلك كله فلا يزال بعض العلماء ينادي بأن النحو العربي خلق مبرأ من كل عيب وأن العلل النحوية بالذات — في هذه الكتب هي الذهب الأبرز . ولا يزال المشرفون على التعليم في المعاهد العلمية التي تدرس النحو كمادة أساسية مصرين على أن تدرس تلك الكتب القديمة بكل ما فيها . وواجب الطلاب والمعلمين أن يصبروا وأن يطيلوا الصبر على تجرع هذه الأدوية المريرة فإنها الشفاء الوحيد من داء الجهل . ويعلم الله أنها تزيد الداء شدة وبأسا ، فكم في هذا النحو من فضول . هذه الأمثلة التافهة التي تحدثنا عنها في حديثنا الماضي وهذه الخلافات فيما لا يتصل بسلامة النطق كاختلافهم في إعراب الأسماء الخمسة هل هو من مكانين أو من مكان واحد ، وكاختلافهم في إعراب المثنى وجمع المذكر السالم : هل الألف والواو والياء إعراب أو حروف إعراب أو دالة على الإعراب أو إنقلابها هو الإعراب ؟ وهكذا من مثل هذه الخلافات التي لا يقصد منها أكثر من إطالة الجدل والتمرين على صناعة الأدلة ؛ وهذه الخلافات ستكون موضوع حديثنا المقبل — إن شاء الله — وهذه العلل النحوية التي نحن بصدد الحديث عنها الآن ، ما قيمتها ؟ ما جدواها على العلم ؟ ما مدى صحتها في نظر العقل والمنطق؟ هذه أسئلة يجيب عليها بعض علمائنا السابقين ، يجيبون عليها في صراحة وصرامة بأنها تكثير في مواد الكتب ولاغير ؛ ولكن بعض المؤلفين من علمائنا يؤمنون بأنها الزبدة ، الخلاصة ومدرسو النحو المتعيشون من تدريسه يقسمون بالطلاق والعتاق وكل محرجة من الأيمان أنها الركن الركين في دراسة النحو ، وأن الطالب إذا لم يحسنها فهو ليس بطالب ! وكم لقينا من أساتذتنا في الامتحانات الشفوية من مشقة وإعنات في سبيل هذه العلل وتخريجها وتطبيقها ، وكم لقي منا تلامذتنا فنحن نتفلسف أمامهم لنظهر قدرتنا وضعفهم : ونحن إذا عجزنا عن سؤال خالص سليم أغربنا عليهم بالسؤال عن العلة والقياس والدليل ، وبذلك نرضى عن أنفسنا حين نرى تخبطهم أمامنا وضربهم في كل مذهب من القول والرأى

هذا بعض علمائنا يعلق على بعض الفقرات من كتاب من الكتب القديمة التي تحدثت عن هذا الموضوع فيقول : اشتهرت هذه الكلمة عن أدلة النحو وعلله وهذه كلمة من لم يمارس العلم الجليل ممارسة الباحث المنقب ولم يؤت سعة صدر تسهل عليه احتمال المكاره وركوب الصعاب فإن آتاه الله نفاذ بصر وقوة عارضه وسعة إطلاع وكان مع ذلك عالما باستعمالات العرب خبيرا بما يكثر في كلامها وما يقل وما يأتي على جهة الندرة والشذوذ ؛ إذا اجتمعت هذه الأمور لامرئ أدرك تماما أن هذه الأدلة التي يذكرها النحاة أدلة مستقيمة على أحسن وجوه البحث »

ومع احترامي لهـــذا الأستاذ الجليل أكره جد الكره أن يرمى كل إنسان يتكلم بما يخالف آراء بعض العلماء السابقين أن يرمى بالجهل وبعدم نفاذ البصر وسعة الاطلاع وأن يرى بعدم الصبر . وسأسوق طرفا مما قاله العلماء في هذا الشأن ليعرف من لم يعرف أن هؤلاء الذين تكلموا في العلل النحوية لم يقولوا عن جهل باستعمالات العرب ولا عن ضيق في آفاق عقولهم

يقول الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة :

« فأما طريقة التعليل فإن النظر إذا سلط على ما يعلل النحويون به لم يثبت معه إلا الفذ الفرد ، بل ولا يثبت شيء

البتة ؛ ولذلك كان المصيب منهم المحصل من يقول هكذا قالت العرب من غير زيادة ، فربما اعتذر المعتذر لهم بأن علمهم إنما ذكروها وأوردوها لتصير صناعة ورياضة ويتدرب بهـا المتعلم ويقوى بتأملها المبتدئ ؛ فأما أن يكون ذلك جاريا على قانون التعليل الصحيح والقيـاس المستقيم فذلك بعيد لا يكاد يذهب إليه محصل »

ويقول ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب « المثل السائر » ما نصه « فإن قيل لو أخذت أقسام النحو بالتقليد من وضعها لما أقيمت الأدلة عليهـا وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا ؟

فالجواب عن ذلك أنا نقول : هـذه الأدلة واهية لا تثبت على محك الجدل . فإن هؤلاء الذين تصدوا لأقامتها سمعوا عن واضع اللغه رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل أبداه لهم فاستخرجوا لذلك أدلة وعللا . وإلا فمن أين علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع إلى رفع الفـاعل ونصب المفعول هي التي ذكروها ؟ »

وكلام ابن الأثير يذكرنا بما كان يقول لنا أشـياخنا حين نجادلهم في مدى صحة هذه العلل فيقولون : إن علل النحو كالوردة تشم..ولا غير ، كما تذكرنا بقول ذلك الشاعر الظريف في وصف صاحبته

ترنو بطرف سـاحر فاتر كأنه حجة نحوى

وقد فصل قاضي القضاة ابن مضاء القرطبي في كتابه « الرد على النحاة » جمل من العلل مقبولا ومردودا قال : وممـا يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا قام زيد لم رفع ؟ فيقـال لأنه فاعل وكل فاعل مرفوع ، فيقول ولم رفع الفاعل .. ؟ فالصواب أن يقال له : كذا نطقت به العرب ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر . ولو أجبت السـائل عن سؤاله بأن تقول له : للفرق بين الفاعل والمفعول به فلم يقنعه ذلك وقال فلم لم تعكس القضية بنصب الفاعل ورفع المفعول ؟ قلنا له : لأن الفـاعل قليل لأنه لا يكون للفعل إلا فاعل واحد والمفعولات كثيرة فاعطى الأثقل الذى هو الرفع للفاعل واعطى الأخف الذى هو النصب للمفعول . لأن الفاعل واحـد والمفعولات كثيرة ليقل في كلامهم مايستثقلون . ويكثر في كلامهم ما يستخفون ؛ فلا يزيدنا ذلك علما بأن الفاعل مرفوع . ولو جهلنا ذلك لم يضر ناجهله إذ قد صح عندنا رفع الفاعل الذى هو مطلوبنا باستقراء المتواتر الذى يوقع العلم »

ثم يمضى ابن مضـاء فيقسم العلل إلى ثلاثة أقسام . قسم مقطوع به . وقسم فيه إقناع . وقسم مقطوع بفساده . ويمثل لكل قسم من هذه الأقسام ثم ينهى القول بوجوب الغاء أكثر العلل النحوية لأنها لا تفيدنا شيئا في صحة النطق

حتى الإمام عبد القاهر الجرجاني وهو من علماء النحو المشاهير وكاد يقال له « عبد القاهر النحوى » وله آراء تنقل عنه في كتب النحو وقد ألف في النحو كتاب « المغنى » على شرح الإيضاح في ثلاثين مجلدا

عبد القاهر هذا مع دفاعه الحار في أول كتابه (دلائل الإعجاز) عن النحو لم يستطع أن يأتى بما يقنع في الإبقاء على العلل النحوية . ويظهر أن الحملة على النحو لعهد عبد القاهر كانت قوية وكانت منتشرة ولذلك نجده يبالغ في الدفاع حتى يجعل البلاغـة هي توخى معانى النحو وليس غير ، وحتى يجعل التصغير من شأن النحو والتهاون به أشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ؛ ومع ذلك لا يستطيع أن يقول عمن يزهدون في معرفة العلل إنهم أساءوا الاختيار ومنعوا أنفسهم ما فيه الحظ لهم ومنعوها الاطلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمة ؛ ولكنه يسامحهم ويعذرهم . ولعل من الحسن أن ننقل كلامه في هذا الموضع حتى يكون القراء على بصر من نظرة القدامى المنصفين إلى هذا النحو حتى أصحاب النحو أنفسهم . قال الشيخ وهو يتحدث عمن زعموا

الاشتغال بالنحو وحطوا من شأنه » فإن قالوا إنا لم نأب صحة هذا العلم، ولم ننكر مكان الحاجة إليه في معرفة كتاب الله تعالى، وإنما أنكرنا أشياء كثرتموه بها؛ وفضول قول تكلفتموها، ومسائل عويصة تجشمتم الفكر فيها، ثم لم تحصلوا على شيء أكثر من أن تغربوا على السامعين وتعايوا بها الحاضرين، قيل لهم: خبرونا عما زعمتم أنه فضول قول وعويص لا يعدو بطائل، ماهو؟ فإن بدءوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويون للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس كقولهم كيف تبنى من كذا كذا؟ وكقولهم ما وزن كذا؟ وتتبعهم في ذلك الألفاظ الوحشية كقولهم: ما وزن عزويت؛ وماوزن أرونان. وكقولهم في باب ما لا ينصرف: لو سميت رجلا بكذا كيف يكون الحكم؟ وأشباه ذلك. وقالوا أتشكون أن ذلك لا يجدى إلا كد الفكر وإضاعة الوقت؟

قلنا لهم: أما هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن لم تنظروا فيه ولم تعنوا به، وليس يهمنا أمره فقولوا فيه ما شئتم وضعوه حيث أردتم. فإن تركوا ذلك وتجاوزوه إلى الكلام على أغراض واضع اللغة وعلى وجه الحكمة في الأوضاع وتقرير المقاييس التي اطردت عليها وذكر العلل التي اقتضت أن تجرى على ما أجريت عليه، كالقول في المعتل وفيما يلحق الحروف الثلاثة التي هي الواو والياء والألف من التغيير بالإبدال والحذف والإسكان، أو ككلامنا مثلا على التثنية وجمع السلامة. لم كان إعرابهما على خلاف إعراب الواحد؟ ولم تبع النصب فيهما الجر، وفي النون أنه عوض عن الحركة والتنوين في حال وعن الحركة وحدها في حال؟ والكلام على ما ينصرف وما لا ينصرف ولم كان منع الصرف وبيان العلة فيه والقول على الأسباب التسعة وأنها كلها ثوان لأصول، وأنه إذا حصل منها اثنان في إسم أو تكرر سبب صار بذلك ثانيا من جهتين؛ وإذا صار كذلك أشبه الفعل لأن الفعل ثان للاسم والإسم المقدم والأول وكل ما جرى هذا المجرى قلنا: إنا نسكت عنكم في هذا الضرب أيضا ونسامحكم فيه على علم منا بأنكم قد أسأتم الاختيار ومنعتم أنفسكم ما فيه الحظ لكم ومنعتموها الاطلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمة »

ونستطيع من كلام الشيخ عبد القاهر هذا أن نأخذ دليلا واضحا قويا من عالم نحوى عظيم بأن هذين المبحثين مبحث التمارين العملية ومبحث العلل، لا ضرورة لهما لمن يريد أن يعرف القواعد النحوية التي تمكنه أن يأمن الخطأ إذا خاض في التفسير وتعاطى التأويل وإن كنا نزيد على ما قاله الشيخ مباحث أخرى كالاختلافات الكثيرة التي لا تتصل بصحة النطق، والتي لا جدوى منها مطلقا ...

ولو أننا جردنا النحو من كل هذا الفضول لاستطعنا أن نحصل ما بقى من القواعد الأصلية في زمن وجيز. ولكن المؤسف حقا أن يقضى الطالب — في الأزهر مثلا — ثلاثة عشر عاما يدرس النحو ثم يخرج إلى المدارس أو إلى المعاهد ليعلمه ثم هو بعد كل ذلك لم يحصل منه على طائل ولم يستطع أن يقيم لسانه من الخطأ!

ولقد قال صاحب كتاب « الإرشاد والتعليم » عن السبب في هذه الحال « أن كتب النحو التي يؤخذ منها في عامة البلاد هي من أحط الكتب قدرا وأكثرها حشوا وأقلها فائدة وأن الاشتغال بها قاطع عن علم العربية لا مفض اليه »

وإنى أدعو — هنا — كما دعا عدد غير قليل من قبلى إلى طرح هذه الكتب التي ألفت في العصور المتأخرة وإلى تنقية النحو من كل ما سبقت الاشارة إليه. ويجب ألا يثنينا عن ذلك غضبة جماعة ألفوا هذه الكتب ودرسوا النحو على تلك الطرق الملتوية فإنهم لا يقولون إلا كما قال الأخفش للجاحظ، قال الجاحظ « قلت لأبي الحسن الأخفش. أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما لك تقدم

بعض المويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعونى إليه قلت حاجاتهم إلى فيها ... وإنما قد كسبت فى هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت »

وما ننكر أن فى هؤلاء الذين يمكفون على النحو من خلصت نياتهم وسمت أغراضهم ، ولكنهم يمارون ويضنون بما ألفوا ؛ فلنكن أكثر إخلاصا وأشد طلبا لما عند الله . ولنرح المعلمين والمتعلمين من هذا الجدل العقيم الذي لا فائدة منه إلا ضياع الوقت وتصديع الرؤوس

علي العماري

شعر مختار

بلا أمل !

يا ... أنت
لقد عجب الناس من صمتى الذى
طال ، وظنوا بى الظنون !
وما صمت ، ولكنى كتمت ...
واليوم أبوح ! الشاعر الحائر !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

تغنى بها قلبى ، وغنت رسائلى
وإن كنت أهواها على غير طائل !

عرفت هواها حين صرت مقيدا
بأخرى ، لها شأن كشأن العقائل

ولو علقتها النفس ، وهى طليقة
لما قام فيما بيننا أى حائل

كذلك حظى ... حرقة وتشوق
إلى كل ممنوع على كل سائل !

ولو كان قلبى لا يضل مع المنى
لطابت حياتى ، واطمأنت بلابلى

ولكنه يمضى إلى غير غاية
وراء الأمانى سادرا غير حافل

كأنى به فى لجة البحر زورقا
يسير ولا يدرى إلى أى ساحل

تعلقت يا قلبى بحب مضيع
كما علقت طير الربا بالحبائل

نصيبك منه الوجد والسهد والجوى
ولهفة زهر ناكل النبع ذابل

وحظك منه غيرة مستبدة
لها فى دمى غلى كغلى المراجل

كأن سهاما أطلقتها يد الأسى
فمرت فقرت كلها فى مقاتلى

نصيبك منه أن ترى الحسن زاهيا
وترحل عنه ، والأسى غير راحل

وأن ترد الينبوع كالطير ظامئا
وترجع مقهور المنى غير ناهل

ولست على ما كان منك بلائم
ولست على ما كان منها بعاذل

فإن الهوى معنى سنى مقدس
تسامى ، فلا تلقى له من مماثل

وإن الهوى سر خفى محير
فلا يدعى علما به غير جاهل

وإن الهوى ما ضمه قلب عاشق
وليس الهوى ما ضمه قول قائل

صحبت الهوى طفلا صغيرا ويافعا
وما زال بى حتى استقر بداخلى

فأحسسته نبعا جرى فوق ماحل
بعمرى ، فواها إذ غدا غير ماحل !

وأحسسته نورا يعانق مهجتى
وينساب فى قلبى انسياب الجداول

وأحسسته شعرا يغنيه خافقى
فترويه عنه شاديات الخمائل

وأحسسته سحرا تسرب فى دمى
كما غاب فى الصهباء ماء الناهل

وأحسسته عطرا يبوح لمالى
بأسرار ما ضمت رقاق الغلائل

وأحسسته خمرا ترنح مهجتى
كما رنح الأزهار قر الشمائل

وأحسسته طيرا يرفرف شاديا
بآفاق أيامى كشدو البلابل

وإنى لأهوى الحب حتى لو انه
يعذب قلبى بالشقاء المواصل

عرفت به معنى الحياة وروحها
وأدركت سر الكائنات الأوائل

وردت به فى كل حين مجاهلا
فأحدثت لى علما بتلك المجاهل

وعشت به عمرا قصيرا ، وإن يكن
بأسراره فوق المدى المتطاول

فياحبها زدنى التياعا وحرقة
وهب لى لهيبا فى الحشا غير زائل

فإن لهيب الحب يذكى مشاعرى
فينساب منها مثل ضوء المشاعل

ويا من رمانى الدهر فيها بنأيها
وضن على قلبى بسحر التواصل

ومن جن قلبى فى هواها صبابة
وإن كان عقلى لم يزل شبه عاقل !

هبينى أضعت العمر فيك ، ألم أفد
من الشعر مجدا عمره غير آفل ؟

وإن كان قلبى أصبح اليوم يائسا
فما كان يوما فى هواك بآمل !

ولست بناس إذ بعثت رسالة
إلى بأمر من وصالك عاجل

فجن خيالى باللقاء وسحره
وصور لى أنى سأحظى بنائل

وأنك قد وافيتنى فى خميلة
عليها نسيج من ضياء الأصائل

فأمسكت كفى بين كفيك ساعة
فأسكر روحينا عناق الأنامل

وأنشدت شعرى فيك ، وهو مدامع
من القلب ، أسفى من دموعى السوائل

وغنيتنى شعر الهوى ، فكأننى
ذهلت عن الدنيا ، ولست بذاهل

وأنا أقمنا وحدنا طول عمرنا
فأصبحت لى وحدى برغم الحوائل

ولكن حظى كان حظى ! فأخطأت
خطاك مقامى بين تلك المنازل

وعشنا على الأوهام ، تجمع شملنا
رسائل حب .. يا لها من رسائل !

وما فى يدينا غير أوهام موعد
وأحلام لقيا كالورود الذوابل

فلا تحسبى أنى سأنساك لحظة
فإنك شغلى دون كل الشواغل

سأحيا على حبيك ما دمت باقيا
وإن كنت أدرى أن حبك قاتلى

إبراهيم محمد نجا

أخبار أدبية وعلمية

« فضيحة » أدبية جديدة فى فرنسا يثيرها اليهود

هذا مثل جديد على نفوذ اليهودية العالميـة فى حلقات الأدب العالمى فوق نفوذهم فى عالم المـال والسياسة الدولية

فقد حدث مؤخرا أن نال كاتب رومانى يقيم فى باريس جائزة أدبية رفيعة لـكتاب نفيس بعنوان « الساعة الخامسة والعشرون » . وقد كانت الأوساط الأدبية المديح لهـذا الـكتاب الذى قام الفيلسوف الفرنسى جابريل مارسـيل بتقديمه إلى حلقات الأدب الفرنسى

ولـكن حدث بعد ذلك أن اكتشفت إحدى الجمعيات اليهودية الفرنسية أن قد سبق لهذا الـكاتب الرومانى رابح الجائزة أن وضع كتابا منذ بضع سنوات يثنى فيه على النازية وبوجه بعض النقد لليهودية العالمية ونشاطها الأنانى الواسع النطاق

وسرعان ما سحبت دور النشر والـكتب المؤلف الجديد من نوافذها (ومعظم دور النشر والـكتب فى فرنســا وغيرها من العـالم الغربى يملـكها اليهود) وأعلن الـسيو جبريل مارسل براءته من المقدمة التى وضعها لـكتاب « الـساعة الخامسـة العشرون » وأظهر سخطه على مؤلفه

كتاب جديد عن « جورج صاند » الشاعرة الفرنسية

أعلنت مدام أندريه موروا أرملة الـكاتب الفرنسى الذى توفى مؤخرا أنها فى سـبيل الفراغ من كتاب عن « جورج ساند » الشاعرة الفرنسـية الخالدة الذى كان زوجها قد أنجز الجزء الأكبر منه قبل الوفاة وقامت هى بإتمامه

رأى طريف فى تطور الإنسان

يدعى الأستاذ جوليان هكـسلى أحـد أقطاب علم الحيوان والرئيس الأسبق لمؤسسة (اليونسكو) فى كتاب صدر فى بريطانيا هذا الشهر أن حلقة التسلسل الذى ابتدأت بتطور الإنســان من (نطفة فعلقة) قــــد انتهت فى الصورة التى يخلق الإنسان فى العصر الحاضر على شاكلتها ، وأن لا سبيل إلى أى تطور بيولوجى جديد فى تكون بنى آدم بعـد « الـكمال » الجسمانى الذى وصـلوا إليه فى التكوين الجسمانى والعقلى الذى هم عليه الآن . وأن على الإنسـان فى عالمنا الحاضر أن يسعى ما استطاع لـكى يحتفظ بهذا التـكون وأن يتفادى كل ما من شـأنه أن يخلق فيه تشويها يؤثر فى النسل والأجيال القادمة

والأستاذ هكـسلى ينتمى إلى بيت خاصم النظرة الدينية للخلق وكان جده الأكبر أول من ناصر شارل داروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء مما أثار عليه حفيظة الـكنيسة المسيحية والذين يؤمنون بوجهـة نظر الأديان السماوية فى أصل الإنســان وتطوره

ولا تزال بعض كتب هكـسلى محرمـة على المسيحيين الـكاثوليك

التوسع فى تدريس العلوم الاجتماعية

فى نشرة (اليونسكو) نبأ عن ازدياد الرغبة فى نشر العلوم الاجتماعية فى المدارس الثانوية والمعاهد العليا فى معظم أنحاء العالم . وتقول النشرة بأن الحكومات الأسيوية قد غمرت اليونسكو بالطلبات راغبـة معونتها فى تأسيس كراسى جامعية لتدريس العلوم الاجتماعية على أحدث الأســاليب

حملة جديدة لترويج متعة القراءة النافعة

اشـترك ٦٧ قطباً من أقطاب الأدب والفن والثقافة بمختلف أنواعها من أوربا والعـالم الجديد فى شن حملة دعاية واسعة لترويج قراءة الـكتب على نطاق واسع بعد أن انتشرت ألوان من المتع الرخيصة التى همها التسلية لا تربية الذوق ولا توسيع المدارك — كالسينما والصحف السيارة

وأبواب الأدب الرخيص والقصص المبتذلة التى تسود معظم الإنتاج الصحفى وبعض المجلات الواسعة الانتشار

وقد قام كل من هؤلاء الأقطاب بوضع بحث دقيق بليغ عن اختباره فى تذوق المتعة الصافية التى توفرها الكتب الجدية والأدب الرفيع والفن الخالص كما تنقله مجلات الاختصاص فى شتى اللغات

وقد تعهدت دور النشر فى أمريكا وأوربا الغربية بترويج هذا الكتاب الجديد على نطاق شعبى واسع بتخفيف ثمنه وتوزيعه على طلبة المدارس العليا وعلى الجامعات وعلى المؤسسات الثقافية والاجتماعية والرياضية

قصة الذرة

تقوم دور النشر فى أمريكا بتبسيط العلوم الطبيعية لغير أهل الاختصاص بصياغة البحوث العلمية فى قالب أدبى يسهل هضم محدثاته العلمية الجافة. ومن هذا القبيل كتاب جديد عن « قصة الذرة » راج فى الأسواق الأمريكية مؤخرا، وهو يستعرض تاريخ الذرة ويرجع إلى عصر اليونان ليثبت أن غرام علماء الطبيعة باكتشاف سر تركيب الذرة كان سابقا لجهود الألمان (ومن بعدهم الأمريكان والروس) فى صنع القنابل الذرية والأسلحة الفتاكة المتفرعة عنها

الذكر - الأنثى

يبدو أن بلاد الدانمارك تمتاز بخاصة غريبة مزعجة، وهى كثرة الشبان الذين تحولوا إلى شابات فيها. وقد تكررت هذه الظاهرة الغريبة فى الدانمارك فى الآونة الأخيرة. ومن الأنباء الطريفة أن أحد هؤلاء الذين اختبروا حياة الذكر والأنثى (كرستين جوركينسون) الجندى السابق فى الجيش، الذى تحول إلى فتاة رشيقة منذ بضعة أسابيع سيقوم بوضع ترجمة لحياته يشرح فيها بصراحة اختباراته الغريبة. وقد ابتاعت إحدى دور النشر فى أمريكا حق نشر هذا الكتاب مقابل ٢٠ ألف دولار نقدا

عربى فى أمريكا ينشئ مجلة أدبية انجليزية

قام السيد منصور أبو رجيله (أحد المهاجرين السوريين فى أمريكا) بإصدار مجلة دورية جديدة تقتصر فى بحوثها على إنتاج الأدباء المغمورين ولا تستكتب أحدا من الكتاب المعروفين. واسم المجلة الجديدة « اكتشاف » وقد لقى العدد الأول منها رواجا كبيرا

طريقة مبتكرة لبيع الدواوين الشعرية

دواوين الشعر فى جميع اللغات محدودة البيع بالقياس إلى المؤلفات الأدبية والثقافية الأخرى

وقد اكتشفت دور النشر التى تتولى طبع أشعار « كارل ساندبرغ » الشاعر الأمريكى المعروف طريقة جديدة لبيع دواوينه إذ كلفته بأن يجلس وراء مائدة فى مقهى شعبى ويوقع إمضاءه على كل نسخة تباع. وانتشر الخبر فى الناحية واستطاع الشاعر أن يبيع أكثر من ٦٠٠ نسخة وهى فوق ما بيع من الكتاب فى سنة بأكملها

الطفولة فى أدب التراجم

يدور فى أوساط الأدب الأنجلوسكسونى هذه الأيام نقاش حول أدب التراجم. فقد اشتد فى السنوات الأخيرة غرام الأدباء فى بكتابة سيرهم؛ وقال النقاد إن أبلغ ما فى هذه السير هى الحقبة الأولى من عمر الأديب — طفولته! وفتوته وشبابه. أما خريف الحياة فلا يوحى بأى متع عقلية أو أدبية. وخالف بعض النقاد والأدباء هذا الرأى، وقالوا إن حقبة الطفولة والفتوة تكون عادة زاخرة بألوان المتع الحسية التى تنافس المتع العقلية منافسة جدية

ويقول المستر فان دروتن أحد كبار كتاب المسرح (وهو هولندى الأصل انجليزى الثقافة) إن الأديب حين

مجلس ليستعرض نموه الفكرى فى ثنايا الأعوام لا يجد لذة أعمق من تلك التى يستوحيها من ذكريات الطفولة وحقبة الشباب والفتوة ، وعلى ذلك فإن تسجيله لهذه الذكريات هو فى الواقع إبداع أدبى يصور فيه الأديب تلك الذكريات على نحو مايصور القصصى أبطال رواياته وحوادثهم

ويستشهد كاتب آخر بالشغف الذى يملكنا جميعا حين نجلس إلى الشيوخ من عائلتنا يقصون علينا حوادث طفولتنا فيكشفون لنا عن عالم يلهب فينا الخيال ويبعث فى أنفسنا الرضى أو السخط وحسن ما تثيره الانفعالات التى تكتنف الأديب حين ينظم أو ينثر

مجلد جديد فى الموسوعة الروسية

صدر هذا الأسبوع مجلد آخر من الموسوعة الروسية الجديدة التى يعدها المعهد السوفيتى لتكون مرجعا للثقافة الروسية شأن الموسوعات « القومية » الأخرى .

وفى هـذا المجلد الجديد بحث طويل « عن اليهود » ويؤكد كاتب البحث بأن « اليهودية » ليست أكثر من مذهب دينى لايستند إلى عنصر أو أقليم معين وليس لها طابع «القومية» التى تدعى الحركة الصهيونية بأن اليهود علم عليها

وتهاجم الموسوعة الروسية الصهيونية مهاجمة شديدة وتقتبس آراء لينين وستالين عن الصهيونية ، ويرجع تاريخ هذه الآراء إلى ثلاثين عاما . وتقول الموسوعة بأن إسرائيل (وهى رمز القومية الصهيونية) ليست إلا نقطة ارتكاز للاستعمار الأمريكى بعد أن كانت من قبل مركزا للاستعمار البريطانى

وتستعرض الموسوعة المجهود الذى قامت به الحكومة الروسية لإنشاء ولاية سوفيتية خاصة باليهود الروس فى « بيروبايجان » يكون شأنها شأن معظم الولايات « القومية » الأخرى التى تكون الاتحاد السوفيتى « كارمينيا » « وجورجيا » و « وأكرانيا » والولايات السوفيتية الآسيوية التى يقطن بعضها أكثريات إسلامية

وسبب فشل هذا المجهود الروسى يعود إلى تعلق اليهود بحياة المدن التى توفر لهم فرصا ذهبية لجمع المال بسرعة وخصوصا فى العواصم والثغور التى يشتد فيها النشاط التجارى

وتدعى الموسوعة الروســـية بأن النظام الشيوعى السوفيتى قد وفر لليهود ولجميع الأقليات الطائفية الأخرى فى روسيا فرصا للاندماج فى بوتقة الاتحاد السوفيتى ولذلك فإن ميل بعض العناصر اليهودية الروسية إلى الصهيونية وإسرائيل أمر تكافحه الحكومة الروسية الآن

آراء وأنباء

مدرسة الرسالة في السنغال

أجد من الأمانة أن أنقل إلى صاحب الرسالة وإلى قرائها هذه القصة ، فهي تسجل فضلا من أفضال «الرسالة» التي أدتها وما تزال تؤديها إلى العربية « لغة القرآن » . أما في هذه المرة فقد امتد الفضل بعيدا عن مركز الدائرة إلى ٩٥٠٠ كيلو مترا عندما دخلت الرسالة مدينة (دا كار) حاضرة السنغال

كنا نسمر يوم السبت الماضي في ندوة «الكيلاني» وقد أم الندوة لفيف من أهل العلم والفضل منهم عطوفة السيد أحمد حلمي زعيم فلسطين ، والسيد مفتي الجزائر ، والإمام البشير الإبراهيمي ، والأستاذ الفضيل الورتلاني

وبينا نحن جلوس إذ قدم إلينا صاحب الندوة رجلا أسود اللون ، يلبس العقال العربي عرفنا من بعد أنه حجازي الأصل ، وأنه هاجر منذ اثني عشر عاما إلى السنغال : هو السيد محمود عمر الذي يشغل الآن منصب مدير المعارف الأهلية بالسنغال . ومعه طالبان سنغاليان . وأخذ يروي الأستاذ كامل الكيلاني قصة عجيبة ، هي أن الشاعر الأستاذ محمود غنيم كان قد التقى في الندوة بهذه الجالية السنغالية ، فما إن عرف أحد الشبان اسمه حتى استأذن في أن يقول شيئا ، فلما أذن له فاجأ الحضور بقصيدة طويلة من شعر غنيم . .

.. وتوقف الأستاذ الكيلاني ليتم القصة السيد عمر فقال : منذ اثني عشر عاما عندما فكرت في أن أسافر إلى السنغال لأعلم اللغة العربية لأهلها ، لم يكن في استطاعتي الحصول على شيء مطلقا من المؤلفات أو الكتب نظرا لبعد المسافة وطول الشقة .. وعدم وفرة هذا النوع من الكتب في الحجاز ، ولذلك صح عزمي على أن أحمل معي كل ما كان عندي من أعداد مجلتي الرسالة والإسلام ، وقد بلغت خمسة آلاف عدد لأني حرصت أن أحصل على أكثر من نسخة للعدد الواحد ما أمكن ذلك . وكان هنالك في السنغال ٣٠٠ طالب يلتفون على كل عدد من الرسالة لينقلوا منه شعره ونثره ليحفظوه عن ظهر قلب . وقد استطعنا بهذه الطريقة وحدها ، وعلى يدى مجلة الرسالة أن نعلم اللغة العربية لثلاثة آلاف وخمسمائة من الطلاب العجم . .

وهنا وقف هذا الشاب الأعجمي العربي ... كما أسماه الأستاذ الإمام السيد البشير الإبراهيمي ... وأخذ يتلو هذه القصيدة العامرة التي كان الأستاذ محمود غنيم قد أنشأها في عدد من أعداد الهجرة الممتازة التي كانت تصدرها « الرسالة » في مستهل العام الهجري من كل سنة ، والتي نرجو ألا تحرمنا منها

وكنا نستمع إلى الشاب الأعجمي العربي وهو يتلو هذا الشعر في لكنة خفيفة ، وقد بدت تلك المعاني أكثر جلالا ، فكانت تهز النفس هزا ، وتبعث ذلك الإحساس القهار حينما نرى شابا حدثا من السنغال على بعد الشقة يحفظ هذا الشعر ويتلوه ويترنم به . .

ولقد علق السيد البشير الإبراهيمي على ذلك بقوله : إنني قرأت هذه القصيدة عندما نشرت لأول مرة ، وقرأتها مرة أخرى هذا الأسبوع في ديوان الشاعر .. ولكني لم أهتز لها كما استمعت إليها الليلة من هذا الشاب العربي الأعجمي

ومما يذكر في هذا المجال أن هؤلاء الشباب كانوا قد أفادوا في بدء تعلمهم اللغة العربية من قصص الأطفال التي كتبها الأستاذ كامل الكيلاني ، ولذلك كانوا غاية في السرور عندما صادفتهم بالقاهرة واجهة دار مكتبة الأطفال ودار الرسالة ، فقد صفقوا طويلا عند كل واحدة ، وهتفوا وهم يعجبون فيما بينهم كيف تحقق حلمهم البعيد وعاشوا

لحظة فى هذه الأماكن التى نلقوا عنها فى أواسط إفريقيا لغة الضاد

ولذلك رأيت أن أسجل هذه القصة وأن أبعث بهـا إلى صاحب الرسالة تحية مجددة لفضل الرسالة على شباب العروبة ، هذا الفضل الذى يمتد إلى كل مكان

أنور الجندى

إلى أخى الأستاذ سيد قطب

قلت فى كلمتك القيمة (وكل كلامك قيم) فى العـدد ١٠٢٢ من الرسالة ، أن عدالة السماء لا تمنع القاضى الذى « يصدر الحـكم ثم تبين له خطؤه أن ينقض حكمه بنفسه » والذى أعرفه أن القاضى فى الإسلام ليس له أن ينقض حكما أبرمه ، لأن مضرة اضطراب الأحكام ، وتعرضها أبدا للنقض بعـد الإبرام ، أكبر فى نظر الشرع والعقل من مضرة الخطأ فى حـكم واحد ، والقاعدة أنه إن لم يكن بد من أحد الضررين يرتـكب أخفهما وإلا لم تبق للقضاء قيمة ، ولا للأحكام ثبات ، وعمر لمـا تبدل اجتهاده ، لم ينقض ما كان أبرمه ، بل حكم بغير ما كان حكمه ، وقال : « تلك كما قضينا وهذه كما نقضى » والمسألة مشهورة وأقوال فقهائنا كثيرة معروفة

والسـلام عليك ورحمة الله وبركاته

علي الطنطاوي

حول كلمة قدوم

قرأت ما كتبه الأستاذ على حسن هلال فى العدد الأخير ١٠٢٢ من مجلة الرسالة عن — القـدوم — تحت عنوان (لغويات) فرأيت أن أقول كلمة فى هذا الموضوع

ومن الرجوع إلى مؤلف (الرأى الحاسم ، فى الكلام الصحيح الذى خلت منه المعاجم) للشيخ أمين ظاهر نجده قال : ويجمع قديم على قدم كعتيق على عتق وكذلك قدوم (بمعنى مقدام) على قدم قال حسان :

ليوث إذا غضبوا فى الحرو ب لا ينكلون ولـكن قدم

وفى المعاجم أن القدم مفرد صفة للشجاع ، فلو صحت هـذه لكانت كجنب وهى فى الأصل جمع جنيب . وزعم الصباح أن قدما جمع قدوم بمعنى آلة النجارة . على أن شعر حسان يأتى بقدم جمعا لقدوم بمعنى مقدام . والقياس يقبله مثل صبر جمع صبور . ويجئ جمع قدوم اسم آلة وجمع قدوم صيغة مبالغة على وزن واحد يتنافى مع حكمة ؛ اللغة فالخال بمعنى الشامة والخال بمعنى أخى الأم يتفقان فى اللفظ المفرد ويختلفان فى صيغ الجمع . وهذا بحث لم يرد فى معجم ولا فى كتاب صرفى . فعلى من يطن فى نفسه اقتدارا على وضع معجم أن يتجرد له ويثبت بالدليل العلمى بصيغة جمع قدوم بمعنى مقدام وصيغة جمع قدوم بمعنى آلة النجار فى قول الشاعر :

فقلت أعيرانى القدوم لعلنى أخط به قبرا لأبيض ماجد

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر أقول : إن المؤلف المذكور كان ذكر فى أول كتابه المذكـور — وإن شئت فسمها رسالته — بأنه يتعهد بالجوائز الآتية لمن يحل القضايا اللغوية الآتية :

١ — ذهب واحدة أى جنيه : لمن يجئ بالفرق بين جمع قدوم بمعنى مقدام وقدوم بمعنى آلة النجار

٢ — عشر ذهبات : لمن يجئ بمفردات الجموع التى أوردها الجاسوس على القاموس فى صفحاته من ٢٠٧ — ٢١٠

٣ — خمس ذهبات : لمن يجئ بأجوبة القضايا السبع الواردة فى الصفحتين ٥٢ و٥٣ من تلك الرسالة . وقد اشترط على من يجيب

ا — أن يأتى بالقواعد التى يبنى عليها حكمه

ب — أن يؤكد كلامه بالتنظير الصحيح

ج — ولا يتعهد بشئ لمن يعجز عن الوفاء بهـذين الشرطين أو من يبنى على قاعدة لا تصح . ولئلا أكلف القارئ مؤونة الرجوع إليها أنقلها هنا إليه بالحرف الواحد وهى :

١ — كيف جاء ارعوى من رعا ؟

٢ — جاء في شعر حسان :

فتشهد أنك عبد المليك أرسلت نورا بدين قيم

ولم يرد قيم في المعاجم فكيف يجب ضبطه ومن أين جيء به ؟

٣ — روى الجاحظ عن ابن الأعرابي في كتابه البيان والتبيين ما يأتي :

ليس يستوجب شكراً رجل نلت خيرا منه من بعد سنه

كنت كالهادي من الطير رأى طمعاً أدخله في سجنه

فكيف يضبط سجنه ومن أين وردت هذه الصيغة ؟

٤ — قال مسلم بن الوليد

وعجهل كاطراد السيف محتجز

عن الأدلاء مسجور الصياخيد

كأن أعلامه والآل يركبها بدن توافى بها نذر إلى عيد

فكيف يضبط نذر وما الدليل على صحة الضبط ؟

٥ — جاء في ديوان جرير للبعيث قوله

وجئنا بأسلاب الملوك وأحرزت

مناصلنا مجد الأربة والأكل

فكيف يصح ضبط الحرفين الأخيرين من العجز وكيف يؤتى بالدليل على صحة اللفظ ؟

٦ — في القاموس علية القوم وعليهم — بكسر فسكون — أي جلتهم فما هذان الحرفان ؟

٧ — كم جما لنار وكم جما لنور . وهل كل منهما أصل مستقل أو أحدهما فرع عن الآخر ؟

وبعد هذه السياحة الطويلة أقول — وأرجو ألا أذيع سرا — أنني كنت ليلة ١٤ / ١٢ / ١٩٤٧ أصغي إلى سلسلة أحاديث الأستاذ السيد عادل جبر — عضو مجلس الأعيان العالي الأردني الآن — التي كان يذيعها من محطة القدس وعنوانها — خواطر في اللغة والأدب — وقد ذكر بأن قدوم مؤنثة جمعها قدم واستشهد على ذلك يقول الشاعر :

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد

نفخت مشافره الشمول فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد

وبعد ذلك كتبت له كتابا ذكرت له به ما ذكره الشيخ أمين في كتابه المذكور فتفضل علي بجوابه المؤرخ في ٢٧ / ١٢ / ١٩٤٧ الذي قال فيه إن الشيخ أمين وقع في خطأ في بيت الشعر الذي استشهد به وزاد أن الرواية الصحيحة هي :

فقلت أعيراني القدوم لعلني أخط بها قبرا لأبيض ماجد

وذكر بأنه رآها في كتاب — المخصص — لابن سيده وأن جمع — قدوم بمعنى متقدام — قدم — كصبور وصبر وأن هذا لاخلاف فيه . وأما قدوم — آلة النجار — فانها تجمع على قدم و — قدائم — كما ورد في أمهات كتب اللغة — دون أن يذكر شيئا منها — وأضاف إلى ذلك أنه لا غضاضة في أن تأتي صيغة الجمع واحدة لكلمتين مختلفتين في المعنى لأن جموع التكسير سماعية كلها . وأن السلف الصالح يقول بأن سياق الكلام كفيل بالدلالة على المعنى المراد ، وأن مما جاء على صيغة — قدائم — جمعا للآلة مجوز ومجاز . وأنه يحضره من الأمثلة على اتفاق صيغ الجمع مع اختلاف صيغ المفرد قول — صاحب فقه اللغة — الإمام الثعالبي

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل

فإن البلابل الأولى جمع بلبل وهو الطائر الغريد المعروف ، والثانية جمع بلبال أي الهم والبرحاء في الصدر ، والثالثة جمع بلبلة وهي قناة الإبريق التي يصب منها الماء والشراب . وأن العيون للماء والنواظر . والوجوه جمع وجه الإنسان وجمع ذوي الوجاهة وهلم جرا

شرق الأردن **أحمد الظاهر**

محاضرات ومناظرات

أداة الحكم على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

كانت هذه المحاضرة ختام السلسلة الأولى من المحاضرات العامة التى نظمها قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية فى موضوع (العهد الجديد — فلسفته واتجاهاته فى بناء المجتمع المصرى) وقد ألقاها الدكتور ابراهيم بيومى مدكور، وهو فى هذا الموضوع حجة، فكانت الأرقام والإحصائيات تنطلق من فمه وكأنه يقرأ فى كتاب مفتوح! ونلخص المحاضرة بما يأتى:

يمكننا أن نحدد اتجاهات العهد الجديد فى كلمتين: إصلاح ونهوض، إصلاح فى الريف وفى المدينة وفى مرافق الحياة وفى أداة الحكم، ونهوض بمصر يسمو بها إلى مكان الصدارة بين الأمم. ولستم فى حاجة إلى أن أذكركم بهذا الرمز الثلاثى الذى جعله العهد الحاضر شعاراً له وهو (الاتحاد والنظام والعمل).. اتحاد يقضى على الفرقة القصاء الأخير، ونظام يمحو الفوضى محوا أبدياً، وعمل منتج مثمر خصب يأخذ بيد مصر إلى المكان الذى ترمقه وتبتغيه.

فما هى الصورة التى ينبغى أن تكون عليها الأداة الحكومية لتتلاءم مع هذا العهد الجديد؟

الأداة الحكومية جهاز يجب أن يجارى الزمن، وإذا لم يؤد الجهاز وظيفته ولم ينهض بالغرض الذى خلق من أجله وجب تعديله وتحويره. وفى كل البلاد يعملون على تعديل الأداة الحكومية وتنقيح نظمها وقوانينها حتى تتفق مع سير الزمن وتطورات الحياة، وقد رأيناهم فى الولايات المتحدة مثلا قد شكلوا لجنة سنة ١٩١٢ م، ثم شكلوا لجنة أخرى سنة ١٩٤٣ م، وقضت اللجنة الأخيرة التى كان يرأسها رئيس الجمهورية نفسه عامين كاملين فى اجتماعات متواصلة وانتهت بتعديلات جوهرية بعيدة الأثر فى إصلاح الأداة الحكومية عندهم

وللأداة الحكومية — كما تعلمون — وظيفتان: إشراف وتوجيه، عمل وتنفيذ. وإن ما نراه اليوم من أنظمة حكومية يرجع إلى سنة ١٨٨٣ م إذ حاول اللورد (دوفرين) أن يضع مبادئ النظام الحكومى فعنى بالجزئيات والشكليات وأغفل الجوهر! ثم حصل أن شكلت عندنا لجان بعد لجان، ولكنها — جميعا — كان كل وكدها أن تعالج شئون الموظفين من علاوات إلى ترقيات إلى غير ذلك! وليست المشكلة مشكلة الموظفين فقط، ولكنها مشكلة الأنظمة واللوائح والأساليب العتيقة الركيكة المتعفنة التى يعمل الجهاز الحكومى فى ظلها، والبطء الذى يشبه الموت فى سير الأعمال الحكومية. ولعلكم تذكرون حكاية الأستاذ نجيب الريحانى عن الورقة التى انتقلت من امبابة إلى الجيزة فى ثلاث سنوات!

.. إن جهازنا الحكومى غير منتج، وإذا أنتج فإن إنتاجه كثير التكاليف، فعلينا أن نختزل الكثير والكثير جدا من خطوات الأعمال الحكومية التى لا طائل وراءها سوى الأبهة للرؤساء والصولة لأصحاب النفوذ!

هل أدت السينما المصرية رسالتها نحو المجتمع؟

كان هذا الموضوع محل مناظرة حامية بدار نقابة السينمائيين المصريين مساء الأحد الماضى، رأسها الأستاذ الرقيب أنور حبيب، وحضرها الأستاذ محمد فؤاد جلال وزير الإرشاد القومى الذى افتتح المناظرة بكلمة اعترف فيها أن السينما إحدى السلطات الكبرى فى الدولة؛ لأنها توجه عقول الناس والعقول هى التى تحكم، ولأنها يغشاها الناس جميعهم على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم، وهذه الجماعات هى أساس الديمقراطيات الحديثة التى تعتمد عليها

الحكومات وتلتمس ثقتها وتأييدها

وقد تكلم مؤيداً للرأي الأستاذان رشيد النحال ويوسف وهبي، وتكلم مخالفاً له الأستاذان أحمد بدرخان وعبد المنعم شميس. وكان الوقت المقسوم لكل منهم ربع ساعة ولكنهم بعد أن انتهوا من كلامهم عادوا فتكلموا مرة أخرى، واشترك بعض الحاضرين في المناظرة، وحمى وطيس الجدل، وانقسم المستمعون قسمين متناحرين بالتصفيق والهتاف والعبارة!

وقد جرت المناظرة على الوجه الآتي — في إيجاز — :

تكلم الأستاذ رشيد النحال فذكر أن الدفاع عن قضية السينما إنما هو الدفاع عن رواد السينما القدامى الذين انحسرت عنهم كل معاونة وحرموا كل تشجيع. ولا تنتظروا أن أقول إن السينما قد بلغت عندنا مثل الذي بلغته في أوربا وأمريكا، ففي انجلترا — مثلا — يغشى دور السينما ثلاثون مليونا من الناس، وفي أمريكا يغشاها مائة مليون. أما في مصر فما زال الناس يرونها وسيلة للتسلية وتزجية للفراغ! وما زالت الدولة تأبى أن تمد لها يد المساعدة الجدية النافعة. لذلك وقف جهد رجال السينما عند حد لم يستطيعوا أن يتجاوزوه ولم يكن في وسعهم — وهم بشر كسائر الناس — أن يصلوا إلى أبعد منه. وقد أعطت السينما في مصر للدولة وللناس أكثر مما أخذت، ونهضت وجاهدت واحتملت الكثير من مصاعب الجهاد ولم تلق من الجزاء إلا صيحات الهدامين الذين كل همهم الهدم والهدم دون سواه. وقد يأخذ البعض على السينما أنها كثيراً ما تجنح إلى أن يكون أبطالها من التافهين الذين يروقون في أعين الجماهير الساذجة، فأقول لها كلمة صريحة لا لبس فيها ولا التواء — إن الرقابة هي المسئولة عن ذلك وهي التي كانت تطلب أن يكون أبطال الأفلام من هذا النوع التافه الرخيص دون سواه

وتكلم بعده الأستاذ أحمد بدرخان قائلا: أعترف لكم — قبل كل كلام — أن السينما لم تؤد واجبها نحو المجتمع. ولكن على من تقع مسئولية ذلك؟ إنها تقع على الجمهور الذي لا يهوى إلا الأفلام التهريجية، وعلى الحكومة التي لم تبذل لنا العون الكافي، وعلى الرقابة التي تغمض العين على ما في الأفلام من مباذل وسيئات. ولا أدري لمصلحة من هذا الإغضاء؟ وعلى الصحافة التي تسرف في المدح وتسكت عن النقد الحق والتوجيه الصحيح ... ولا أفهم لماذا لم يصدر قانون حماية الملكية الأدبية حتى الآن فيمنع هذا النقل والسطو والتشويه؟ ولماذا لا تحدد النسبة التي يتقاضاها الممثلون من الأرباح؟ إن للسينمائيين مطالب عديدة لم تحقق لهم الدولة شيئاً منها. إنهم يطلبون — فيما يطلبون — أن يلغى هذا القانون الذي يجعل منها نقابة عمالية لا فنية كنقابة الصحفيين، ويطلبون أن يكون من أقسام وزارة الإرشاد قسم خاص للسينما يقوم على تذليل الصعوبات التي تعترضهم، ويطلبون أن تشترى الحكومة بعض نسخ من الافلام الممتازة فتعرضها في المدارس والمعسكرات والمستشفيات، ويطلبون تسهيل استيراد الأفلام الخام التي هي للسينما بمثابة الوقود للسيارة! ويطلبون خفض الضرائب التي ترهقهم. فإذا تحقق لهم ذلك استطاعوا أن يؤدوا رسالتهم نحو المجتمع وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها!

ثم وقف الأستاذ يوسف وهبي وبدأ كلامه صاخباً هائجاً، فرمى الصحافة بأنها سبب البلاء ومصدر الشقاء، واتهمها بأنها صحافة مأجورة لا تمدح إلا بأجر ولا تذم إلا بأجر، وأنها مليئة بالعناوين (السوداء) والقارنات (العمياء) — كما يقول الأستاذ المهذب — وأنك لا تكاد تجد فيها إلا صورة لفنان أجنبي بالمجان، أو صورة لفنان مصري دفع ثمنها مقدماً! ... واستمر الأستاذ الفاضل

يكيل التهم للصحافة المصرية بدون حساب ، وبطريقته التمثيلية وصوته الذى يصك الآذان ، وحركاته البهلوانية التى يضحك بها على أذقان الدهماء من الناس ، فكان ذلك منه عدوانا بالغا على الصحافة الكريمة التى تبذل له ولأمثاله العون والنقد والتوجيه السديد

ولكنه تخاذل وضعف وانبهر أنفاسه وخفت صوته عندما انبرى له الأستاذ عبد المنعم شميس ففند أقواله ، وفضح تهريجه ، وصاح فى وجهه بأن رجال الصحافة الذين رميتم بهذه التهم الباطلة كانوا — من أجل دفاعهم عن الحق — يزج بهم فى غياهب السجون ويلاقون أشد العذاب بينما الأستاذ يوسف وهبى يرفل فى الحرير ويركب أفخر السيارات ! وأن هؤلاء الكتاب الأحرار كانوا الأداة الفعالة فى إيقاظ الشعب وتنبيهه إلى حقوقه بينما كان بعض رجال السينما أداة تخدير وتنويم للشعب وتلهية له عما يكبله من أغلال وذلك بما يقدمون له من رقص وتهريج .. وإن الباحث الدقيق ليجد أن هذا التهريج قد أخذ — فى العهد الجديد — يتلاشى من السينما رويدا رويدا لأن العهد الجديد لا يهدف إلى تخدير الشعب وتلهيته عن حقوقه ، وإنما يهدف إلى إيقاظه وتعريفه بهذه الحقوق .. ولقد أفلتت من الأستاذ يوسف وهبى كلمة تدل وحدها على مقدار فهمه لوظيفة السينما ! إنه سماها (صناعة السينما) والصناعة — كما تعلمون — تهدف إلى الربح الكثير والكسب الوفير ! وليس من أهدافها ترقية الإحساس والشعور والذوق ؛ وتعريف الناس بالمثل العليا ، ومعالجة المشكلات الاجتماعية والفساد المتغلغل فى الحياة ، وما إلى ذلك من أغراض .

إن السينما المصرية لا طابع لها حتى الآن ، ولكنها بضاعة مجلوبة من الخارج وكل عملنا فيها أن نلبسها زيا مصريا ونقول للناس إنها بضاعة وطنية ! وإن قصاراها — حتى الآن — هو الرقص الفاجر والغناء الداعر ؛ إنهما يحشدان فى الأفلام حشدا وبدون مناسبة ليهرع إليهما الجمهور فترتفع حصيلة الفلم وتنحدر أخلاق الناس !

ثم وقف الأستاذ أنور أحمد — عن جمهور المستمعين — فعلق على المناظرة قائلا : — إن كلمات المؤيدين — وهما الأستاذان رشيد النحال ويوسف وهبى — كانت طوافا وتحويما حول الموضوع ولم تكن من جوهر الموضوع فى شىء ! وكانت هجوما على الصحافة وهى المكافحة الأولى لكل فساد وانحلال فى مصر ... وإنه من الخير ألا نخدع أنفسنا وأن نرضى غاية الرضا عن أنفسنا فذلك ضلال بعيد . ولو أننا خدعنا أنفسنا وقلنا إن السينما المصرية قد أدت رسالتها لجمدنا ووقفنا عند الحد الذى نحن فيه اليوم وتلك نهاية لا أرضاها لكم .

إن السينما فى مصر لم تؤد رسالتها ، فابحثوا عن السبب فى ذلك . ابحثوا عن الصعوبات التى اعترضت السينما والعقبات التى وقفت فى طريق تقدمها ، والعوامل التى قعدت بها عن أن تؤدى هذه الرسائل ... ابحثوا عن ذلك ولا يشغلكم الجدل الفارغ فى هل أدت السينما رسالتها نحو المجتمع أو لم تؤد عن تقصى هذه الأسباب وتلمس أنواع العلاج ، وبذلك تكون خلاصة مناظرتكم اليوم هى أن السينما لم تؤد رسالتها ولكنها كافحت لتذليل الصعوبات التى تعترضها ويجب أن تتضافر الجهود على تذليل تلك الصعوبات .

وطلب الأستاذ أنور حبيب رئيس المناظرة أن تؤخذ أصوات الحضور — بالوقوف — على أى الرأيين هو الأصوب؟ فوقفت أغلبية تؤيد الرأى القائل بأن السينما المصرية لم تؤد رسالتها نحو المجتمع ! .

على متولى صلاح

طرائف وقصص

فصل سالافان

للكاتب الفرنسي المعاصر جورج دوهاميل
للأستاذ لبيب السعيد

لست أنقم من « السيد سورو » أى شئ . ولئن كنت غير راض ألبتة عن بقدى مركزى ، وهو ما علمت مركز طيب ، فإنه لم تعلق بنفسى موجدة على « السيد سورو » . أما إنه لحق . وما أدرى ماذا كنت أفعل لو كنت مكانه . على أنى لسوء حظى أفهم كثيرا من الأشياء

ويقتضينى الواجب أن أقول إن « السيد سورو » أبى أن يفهم ، وكان ينبغى أن أبسط له إيضاحا ، ولكنى — على حسب تفكيرى الممن — أحسنت صنعا إذ لم أشرح له شيئا . هـذا إلى أن « السيد سورو » لم يتح لى وقتا أسترد فيه حواسى ، وأصلح فيه موقفى . لقد بدا جادا ، وبعبارة أخرى : لقد بدا فظا ، بل متوحشا . ولا علينا من هذا ، فما وقع فى نفسى أن أحقد عليه

فأما عن « السيد يعقوب » فأمره غير الأمر ، فلقد كان يسمه أن يقدم شيئا أفيد منه ، ذلك أنى أقمت معه خمس سنين كان يرانى طوالها وأنا أعمل مصبحا وممسيا ، وكان يعلم أنى لست رجلا غير عادى . نعم ، فلقد يلانى ، ولو أن هذا — بعد التفكير — يعنى أنه لم يحط بى خبرا أبدا . ومهما يكن من شئ فقد كان يملك أن يقول كلمة ... كلمة واحدة ، ولكنه لم يقلها . ولا والله ماألومه ؛ فإن له زوجة وأولادا ، وإن له سمعة لا يمكنه التهاون فيها . على أن الحق كل الحق أنى لو أذعت ما أعلمه عن السيد يعقوب ، لقلت شيئا ... ولكن ، لينم هادئ البال فلن أقول شيئا

إنه خذلنى ، فلم ينصرنى ولم ينقذنى ، ومع هذا فصدرى ليس به غل له هو الآخر . لقد أحاطت بى مجموعة ملابسات جد ناصبة ، ولكن لنــذهب الآن إلى أنى وحدى أزر كل الوزر ، فالدنيا هى ماقد علمت وما أبرئ نفسى ، بل أقر أنى ارتكبت خطيئة ، وبيان هذا بعد حين

لقد تقضى على هذه المغامرة زمن متطاول ، وما كنت لأتكلم عنها لو لم توقظ فى ذكريات ممضة . ولقد وقعت لى منذ ذلك الحين وقائع تنسينى بعض التفاصيل ، ولا بد لى أن أسترعى نظرك إلى أنى فى مدى خمس سنين لم ألق « السيد سورو » غير ثلاث مرات ، وهذا قليل . والسبب أن مؤسسة « سوك دسورو » عظيمة الشأن ، وليس فى إمكان سادتها أن يتصلوا بمستخدميها الألفين الذين يشتغلون لديهم . أما فى صدد اختصاص عملى فلم تكن له صلة بالإدارة

وذات صباح ، أخذ التليفون يصيح ، ولست أدرى أثيرك النواقيس والأجراس الكهربية والأجهزة الأخرى التى من هـــذا النوع الجهنمى ، فأما أنا فقد وطنت نفسى لها ، وإن كان حسبى لإشقاء حياتى أن يوجد جرس كهربى حيث أكون . ولهذا السبب ولا شئ غير هذا السبب أجدنى فى بعض اللحظات أهنئ نفسى على أنى تركت العمل فى المكاتب . إن صوت الجرس ليس كالأصوات ، وإنما هو مثقاب يخترق الجسم فجأة ، ويودى بالأفكار ، ويقف كل شئ حتى دقات القلب . وذلك مالا قبل لإنسان أن يألفه

هذا جرس التليفون يدق ، فكل من فى المكتب يرعبه سمعه ولو لم يظهر عليه الاهتمام . ويكف الصياح ، وينتظر الجميع . ولست أشد من غيرى عصبية ، ولكن هذا الانتظار هو الآخر عذاب ، فكل يرتقب ليعرف

أوراء الصيحة صيحة أخرى . فاذا كانت واحدة فالمطلوب هو « السيديعقوب » ، وإن كانتا اثنتين فهما على « بفليج» السويسرى ، فأما أنا فكانت تناديني ثلاث صيحات . ومنذ تركت المكتب وهذه الثلاث تنادى «أودن» الذى كان على عهدى يجيب على أربع .

و«أودن» هو الآخر ليس عصبيا ، وهو منذ الصيحة الأولى يأخذ فى أكل أنامله من غير أن يبدو عليها شيء وقد انتهى به الأمر إلى أن أصيب بـ «دوحس» فى ظفره .

وفى ذلك اليوم ، بعث الجرس رنة واحدة ليس غير ، رنة واحدة طويلة مستقيمة مثيرة بقوة تأكيدها .

وبرز «السيد يعقوب» من وراء حاجزه النصيفى ، برز من هذا المخبأ الذى يلزمه كما يلزم حصان السباق صندوقه وأمسك «يعقوب» بسماعة التليفون ، وكما هى عادته استند إلى الجدار ملصقا به رأسه الذى خلف شعره بتوالى الأيام بقعة دهنية على الحائط .

ويبدأ الحديث ، وأنصت إلى بعضه ، وهو دائما يثير العجب ، فثمة رجل طيب يتحدث إلى اللاوجـود ، ويبتسم له ، ويلق إليه بالملق . رجل ينظر فجأة وبامعان إلى الطلاء البنى على الحائط كأنما يبصر شيئا عجيبا .

ومع هذا ففى ذلك اليوم لم يبتسم « السيد يعقوب» فى حديثه ، ولم يتملق محدثه . ومنذ الكلمات الأولى كانت تتخايل عليه أمارات القلق ، وقد دبت الحمرة إلى وجهه ، وما لبث أن رمى ببصره إلى أسفل ، متطلعا إلى المدفأة التى كانت قابعة فى ركنها كأنها كلب غاضب .

أما أنا فكنت أبرى قلما ، وما بى حاجة إلى أن أقول لك إنى كنت أكسر رصاصة القلم ما بين ثانية وأخرى . وكان يتناهى إلى صوت « السيد يعقوب » وهو يتمتم : « ولكن يا سيدى ... ولكن يا سيدى » وكنت أقول فى نفسى : « لئن لم ينته من تكرار قوله : « ولكن يا سيدى ... » لألطمنه لطمة يدوى صوتها « بان .. » ولأدفعن برأسه إلى الجدار »

غير أنى كثيرا ما أحدث نفسى بأشياء من هذا الطراز ولكنى فى الحق رجل رزين الحصاة ، ولست أستجيب أبدا لشيء مما أحدث به النفس . وإنك لتعلم علم اليقين أنى ما كنت لألطمه

وقد كنت لا أزال أكسر رصاص قلمى ، وأوسخ أطراف أصابعى . وكان « السيد يعقوب » يذكرنى بهؤلاء الروحانيين الذين يدعون الاتصال بالأشباح ، مستدلين بهذا الاتصال على أن للأشباح نوعا من الوجود . وأثناء الصمت الغالب كان ينبعث أزيز متهدج كأنما يتهادى من نهاية العالم . وكنت أتبين فى هذا الأزيز رويدا رويدا جلبة صوت متقطع

وترك السيد يعقوب الجهاز بغتة ، وظل يتحسس حلقة التليفون أكثر من عشر مرات حتى تمكن من وضع السماعة ، وكنت بلغت من الغضب غايته ، ولكن ذلك ظل خافيا قطعا وانتهيت إلى صنع طرف جيد لقلمى ، ومسحت أصابعى فى أسفل بنطلونى حيث لا تظهر علامات الرصاص

إنقلب « السيد يعقوب » إلى صندوقه ، وفتح بعض الأضابير ، وأمسك ببعض الأوراق ، ثم صاح فجأة :

— سالافان ... تعالى لحظة

كنت متوقعا ذلك ، فنهضت مطيعا ، ووجدت السيد يعقوب ينزع شعرات من أنفه ، وهذا عنده دليل قوى على القلق ، وقال لى :

— دونك هـذه الكراسة ، فاحلها بنفسك إلى « السيد سورو » ، ستلقاه فى مكتبه بالإدارة ، فأبلغه أنى متوعك

وأمسك عن الكلام ، ثم صرف بصره تلقاء النافذة ، وغمز بعينه لأنه انتزع ـ مرة طويلة من أنفه ، ووضع الشعرة على ورقة النشاف ، وأضاف وهو يحس رغبة شديدة فى العطاس ، وهى رغبة جعلت عينيه تمتلآن بالدمع :

— إمض يا سلافان ؛ أسرع

ولبلوغ مكتب « السيد سورو » ، لا بد من اجتياز عدة أجنحة من المبنى ، وفى الصيف عندما تكون النوافذ مفتحة ، وعندما تتثاءب الأبواب متأرجحة أمام النسيم ، يلحظ الإنسان أقساما مختلفة ، بعضها فوق بعض ، والرجال فيها يعملون

وفى الردهة المؤدية إلى مكتب « السيد سورو » يقف أحد السعاة فى بزته الرسمية وجوربه الأبيض ، وقد سألنى عن مهمتى ، وأدخلنى حجرة فسيحة وهو يخافت بقوله : « إنك منتظر »

عرفت توا مكتب «السيد سورو» الذى لم أكن رأيته إلا مرة واحدة ، ذلك أن رؤيتى للسيد سورو فى المرتين السالفتين كانت فى قسمنا

وقد رأيت أستارا من القماش الأزرق ، ولوحات بلون النبيذ ، وطالعنى فى أحد أركان الغرفة رسم قطاعى للآلة الدارسة « سوك دسورو » والأوسمة التى ظفرت بها فى المعارض

أما هو فقد كان هناك ، ولعلك تعرفه ، وتعرف أنه لا يزال يحتفظ بجانب من حيا شبابه ، وأنه فارع القامة ، حليق شعر الوجه ، وله شارب كأنه الفرجون ، وذقن حادة التدبب ، وشعر كله تقريبا بلون الرماد ، وتحت جبهته منظار دائم الارتعاش لأنه لا يضم غير قطعة صغيرة من الجلد

ونظر إلى « السيد سورو » طولا وعرضا ، وقال لى فى اختصار

— امن قسم التحرير انت؟ وماذا يفعل السيد يعقوب؟

— إنه متعب

— آه ! هات !

وظللت واقفا فى مواجهة المكتب الكبير الامبراطورى الطراز ، وكنت لا أعرف أيهما أحرى بى أن أضم قدمى وأقف معتدلا أو أن أتخذ وضع الجندى فى حركة الراحة ويجب أن أعترف لك أنى قطعت العمر فى مؤسسة « سوك وسورو » متوحدا منفردا ، وكنت لا أميل إلى المناسبات التى تنأى بى عن عملى ومألوفى ، وكان اختصاصى هو تصحيح النصوص لا المثول بين واحد من أمراء الصناعة

ولذلك كنت فى هذه الساعة ألعن « السيد يعقوب » وطفقت أدير له فى ذهنى بعض العبارات التى كنت أتفنن فى صوغها والتى لم أنبس بها حتى النهاية . وقد كنت أحمل هم جسمانى الذى لم أكن أعرف ماذا أفعل به ، فكنت أحس بعض عضلاتى تتقلص فى وضع يضايق باقى العضلات ، وكنت أشعر شعورا غريبا بأن شكلى يؤلف أضحوكة ضخمة ، ليس بوجهى فحسب ، ولكن أيضا بصدرى ، ثم بأعضائى ، ثم أخيرا بجسدى كله

ومن توفيق الجد أن « السيد سورو » لم يلحظنى ، وكان يقلب فى الكراسة التى قدمتها إليه ، وكان يبدو أنه يعانى غضبا ثقيلا استطاع أن يكظمه

وفجأة ، وضع سبابته على الصفحة ، وقال من غير أن يرفع أنفه :

— خط ردئ لا يكاد يقرأ . ما هذه الكلمة ؟

فتقدمت آليا أربع خطوات إلى الأمام ، وانحنيت ، وقرأت فى غير جبة وبصوت جهير . «خير أكثر مما يلزم» . وقد وضعتنى حركتى هذه إلى جوار السيد سورو ، وفى متناول الذراع اليسرى لمقعده

هنالك فحسب ، لاحظت أذنه اليسرى ، وإنى لأصدقك حين أقرر لك أن الأمر لم يعد أن يكون عاديا ؛ فهذه الأذن كانت أذن رجل من النوع الدموى قليلا ، أذنا كبيرة بها شعرات ، وتخللها بقع بلون النبيذ . ولست أعرف على الحقيقة ماذا حملنى على التطلع فى اهتمام بالغ إلى هذا الركن من إهاب سورو . ولقد تضخم اهتمامى هذا حتى صار بعد هنيهة أمرا شاقا ، كان هذا الجزء أقرب شئ منى ، ولكنه بدا لى أبعد شئ عنى وأغرب شئ لى .

وأعملت فكرى قائلا فى نفسى : ذلك جلد آدمى ، وإن من الناس من يعتبرونه شيئا طبيعيا جدا ، وإن منهم من يعتبر لمسه أمرا مألوفا

وتتابعت على خاطرى صور شتى ، ووجدتنى عفو الساعة أحرك ذراعى اليمنى قليلا تتقدمه سبابتى ، وأدركت حالا أن بى نزعة إلى وضع إصبعى على أذن « السيد سورو »

وفى تلك اللحظة زمجر الرجل الضخم ، وغير رأسه من وضعه ، فمرانى لذلك غضب ، وعرتنى فى الوقت نفسه راحة ؛ بيد أنه عاد إلى القراءة ، فشعرت بذراعى تعاود التحرك فى رفق

كنت بادئ الرأى خجلان أنكر على يدى ماتشتهيه من لمس أذن السيد سورو ، ولكنى شعرت تدريجا أن عقلى يطيب لهذه الحركة ويقرها . ولأسباب كثيرة كانت تبدو لى غامضة مبهمة . كان لزاما على أن ألمس أذن «السيد سورو » لأثبت لنفسى أن هذه الأذن ليست شيئا ممنوعا أو منعدم الوجود أو خياليا ، ولأننى أنها ليست لحم آدمى مثل أذنى أنا نفسى

وبغتة ، مددت ذراعى بطولها ، ووضعت سبابتى بمنتهى اللطف والرقة ... وضعتها حيث أحببت . فوق لولبة الأذن بقليل ، على هذا الجزء من الجلد الأحمر بلون الآجر

سيدى ! لقد سيم « دميان » العذاب لأنه صوب مديته إلى الملك لويس الخامس عشر ، وإن تعذيب رجل لظلم مخز . على أن « دميان » نال الملك ببعض الأذى والساءة ، فأما أنا فأقولها لك أكيدة إنى لم أضر « السيد سورو» شيئا ، ولم تختلج هامة نفسى بأن أتعمده بأى شر . وقد تقول لى إنهم لم يعذبونى ، والصدق ما تقول إلى حدما

لم أكد ألمس أذن « السيد سورو » بطرف سبابتى بكل رفق حتى كان هو وكرسيه يثبان إلى الخلف ، ولا بد أنى كنت وقتها شاحب اللون قليلا ، فأما هو فقد استحال لونه إلى الزرقة كما يقع لمرضى فقر الدم حينما يشحب لونهم ثم أقبل من فوره على درجه فأخرج منه مسدسا

تسمرت ووجمت ، فقد شعرت أنى جئت شيئا نكرا وكنت كايلا لا يضئ لى عقل ولا يستقيم لى رأى

ووضع « السيد سورو » المسدس على النضد بيد ترتعش فى قوة جملته يحدث صوتا كصوت اصطكاك الأسنان ، وصرخ « السيد سورو » ... صرخ ...

لست أعرف على وجه الدقة ماذا جرى ، فقد تلقانى عشرة من فراشى المكتب ، وجرونى إلى غرفة مجاورة ، وهناك نزعوا عنى ثيابى ، وفتشونى ، ثم ما لبثت أن استعدت ثيابى ، وجاءنى رجل بقيمتى ، وأنهى إلى أنهم يرغبون فى كتمان الأمر على أن أخرج من المؤسسة فورا وأوصلونى إلى الباب

وفى الغداة ، حمل إلى « أودن » ما كنت أستعمله فى مكتبى من أداة وأشياء خاصة

تلك هى القصة الحزينة التى أكره أن أقصها لأنى لا أستطيع ذلك دون أن يساورنى ضيق هو فوق التعبير

لبيب السعيد
